


وزارة التعليـــم العـــالي والبحـــث العلمي
جامعة محمد خيضر-بسكرة-
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الاجتماعية
شعبة: علم الاجتماع
تخصص: اتصال

عنوان المذكرة

دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي

جامعة محمد خيضر بسكرة -أنموذجا-

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الاجتماع
تخصص علم اجتماع الاتصال

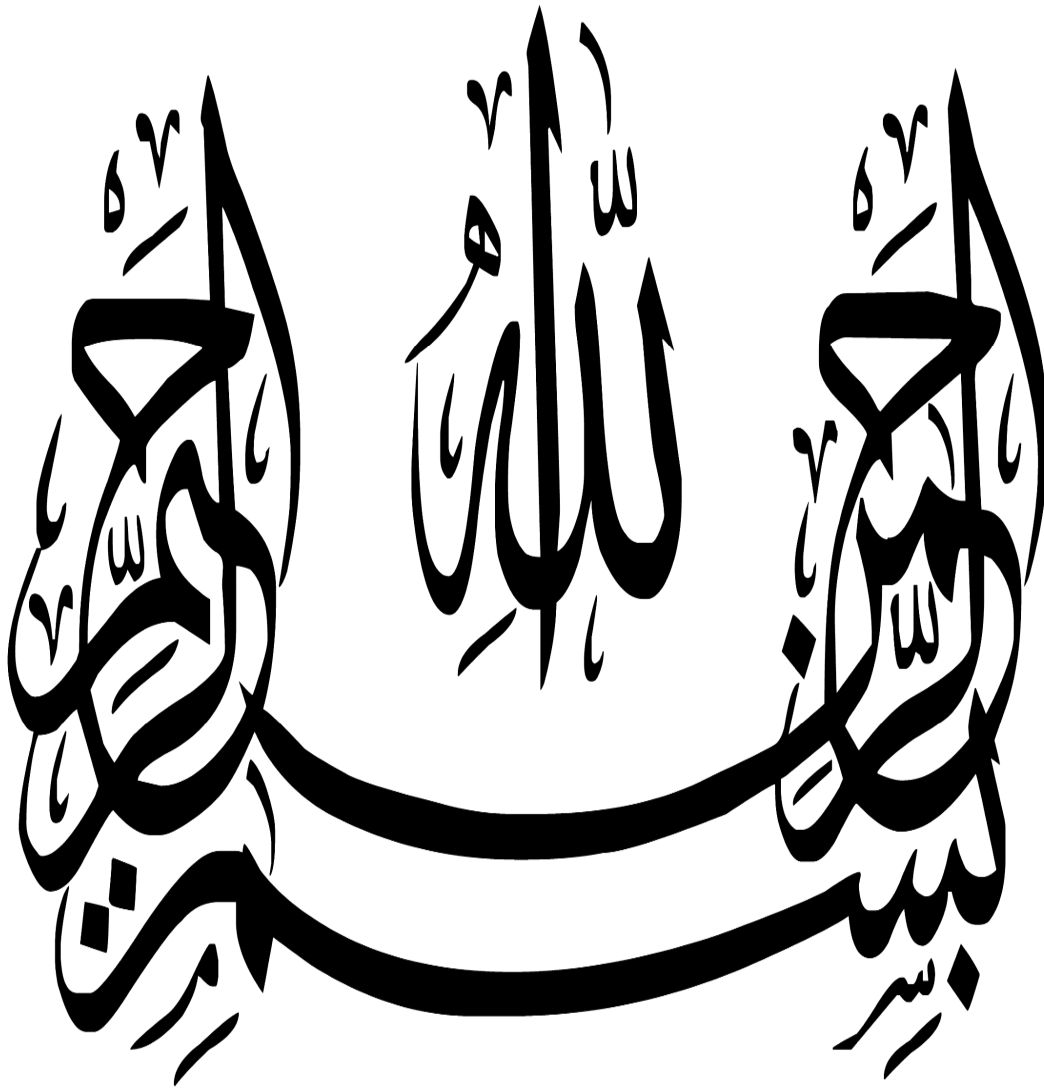
إعداد الطالبة:
الخنساء تومي

إشراف:
أ.د دبلة عبد العالي

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الوظيفة
قاسمي شوقي	أستاذ محاضر	جامعة بسكرة	رئيســـــــا
دبلة عبد العالي	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	مشرفا ومقررا
عوفي مصطفى	أستـــــــــــــاذ	جامعة باتنة	عضوا مناقشا
بن عمر سامية	أستـــــاذ محاضـــر	بسكرة	عضوا مناقشا
أحمد عبد الحكيم بن بعطوش	أستـــاذ محاضـــر	باتنة	عضوا مناقشا
بن عيسى محمد المهدي	أستـــــــــــــاذ	ورقلة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:
2017/2016


بسم الله الرحمن الرحيم

قال رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم

"لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ،

وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ حَتّىَ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ

ضَبَ لاَتّبَعْتُمُوهُمْ "

أخرجه البخاري في الصحيح

شكر وعرفان

في البدء الحمد والشكر لله الذي أعانني لإتمام هذا العمل والذي أنعم عليّ بنعمة العلم

ولأن من لا يشكر الناس لا يشكر الله

فالواجب عليّ أن أرفع أسمى معاني الشكر والعرفان

إلى الأستاذ الدكتور **دبلة عبد العالي** الذي شرّفني بوضع اسمه وبصماته في هذا

العمل شكلا ومضمونا شكرا لك أستاذي الكريم وجعله الله في ميزان حسناتك

كما أتوجه بالشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور: **طارق هاشم خميس** جزاء ما أسداه

لي من نصائح ونقد بناء أفادني في مسار البحث.

إلى الدكتورة **ميمونة مناصرية** وأقول لها شكرا أستاذتي الفاضلة

على جلساتك العلمية القيّمة التي أضافت لبنة في مسيرة بحثي

إلى الصديقة الدكتورة فضيلة صدراتة وأقول لها شكرا على كل شيء

ولا أنسى الدكتورة **سامية بن عمر** التي أفادتني من مكتبة فكرها المتنقلة وتواضعها الفعال والناجح

إلى الدكتورة **سامية جفال**، والدكتورة **سليمة حفيظي** وأقول لهما كلمة شكر لا تكفيكما على دعمكما بالمراجع والأفكار والمقالات القيّمة

إلى كل زميلاتي بكلية العلوم الانسانية والاجتماعية

وكل عبارات الامتنان والشكر لكل من وقف إلى جانبي وكان سندا لي في إنجاز هذا العمل العلمي الذي أدعو من الله أن يحتسب لي هذا الجهد ويفيد كل طالب علم

بكل احترام الباحثة الخنساء

فهارس

فهرس المحتويات

الفصل الثامن: نتائج الدراسة	

فهرس الجداول

فهرس الأشكال

مقدمة

مقدمة:

يُعد الاتصال عملية أساسية لا غِنى عنها في استمرار الحياة الاجتماعية وتفاعل أفرادها خاصة في الوقت الراهن مع بروز التطورات التكنولوجية على مستوى وسائلها، فأضحت وسائل إعلامية جماهيرية جد متطورة، تعمل على تحقيق مجموعة من الوظائف أهمها الترفيه، التسلية، التثقيف، لكن مع التقدم الذي شهدته هذه الوسائل تطورت الاستراتيجيات المتحكمة في مؤسساتها الإعلامية، وانعكس ذلك حتى على مستوى المواد الإعلامية التي تنقلها من الوسيلة إلى الجمهور، ومن ثمة تأخذ شكل آراء مستجدة وحديثة تنتقل بدورها بين الجماهير، بغض النظر إذا ما كانت هذه الأحزمة الثقافية إيجابية أم سلبية؛ إلا أنها تخلق نوعا من التوحيد في الأذواق والأفكار والمعتقدات.

فالعملية الاتصالية تعمل على خلق نوع من الاشتراك والمشاركة بين الأفراد لينتج ثقافة جديدة، وهذا ما أكده "تشارلز كولي" "TCHARLES KOULI" بأن الاتصال يعني ذلك الميكانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية، فتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان. **(فضيل دليو: 2007، ص 17).**

إضافة إلى الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام الجماهيرية والتي تعتبر المرآة العاكسة لأفكار وثقافات المجتمعات؛ فهي تنتقل من مجتمع لمجتمع، ومن فرد إلى فرد، لكن الأهم أنها تنقل حسب "إدوارد تايلور" ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد والقيّم لتحولها إلى مُنتج جديد يُطلق عليه اسم "الثقافة الجماهيرية"، "صناعة الثقافة"، "ثقافة مصنعة" أو بمعنى أصح "عولمة الثقافة" الهدف منها جَعْل العالم قرية صغيرة، تبرز من خلالها قيّم النفعية والفردانية، وتذوب العلاقات الاجتماعية في بوتقتها.

وبالرغم من أهمية الثقافة بالنسبة للفرد والمجتمع على حد سواء؛ غير أن ما مارسته وسائل الإعلام عليها جعلها ثقافة استهلاكية مادية خلقت من خلالها ثقافة فرعية خاصة بأهم فئات المجتمع وهم الشباب؛ فالثقافة الجماهيرية الاستهلاكية نموذج لما بعد حداثة الثقافة الأم، ثقافة أساسها الاستهلاك المادي لكل المفاهيم الاجتماعية المميزة لطبيعة العلاقات الإنسانية بجعلها تذوب وتتصهر في كنف النموذج الغربي، مستهدفة أهم الفئات المجتمعية ألا وهي الشباب.

بالموازاة مع ذلك، فالشباب هو الأساس القاعدي لإنجاح مكتسبات الثقافة الجماهيرية من خلال جعله نمطي متجرد من كل القيم والعناصر المكونة لهويته القومية، فهم يمثلون عماد الأمة وقوتها وحاضرها ومستقبلها.

ضف على ذلك تعتبر الثقافة المصنعة أو الثقافة الجماهيرية والعولمة وجهين لعملة واحدة، فكلاهما يعتمد على الآخر لتجسيد أهم معالم مقولة "العالم قرية كونية واحدة" مستهدفة الشباب باعتبارهم الفئة المعتمد عليها في تنمية الوطن على أكثر من صعيد، فكما أوضح "شريف محمد عوض" في مقالته "صناعة الثقافة في عصر العولمة وأثرها في تغيير ملامح الهوية الثقافية" أن العولمة أثرت على الثقافة والمجتمع وجعلته ينهار من خلال الاختراق الثقافي الذي مارس نوعا من القهر بتقديمه أدوارا جديدة، يكون أساسها نشر الثقافة المصنعة بترويج النماذج الثقافية ذات الطابع الغربي والهوية المُؤَمركة.

وباعتبار الهوية لها أهمية جسيمة في عملية الإعلاء من شأن الفرد ومجتمعه وباصطباغها بسِمات الثقافة الجماهيرية المستحدثة يُخلَق نموذج أورو-أمريكي يتماشى والثقافة الفرعية للمراهقين، فلا نغفل على الجوانب الإيجابية التي تفرزها الوسائل الاتصالية وأحزمتها الثقافية من عمليات تثقيف وتعليم وترفيه -لكن هذا الجانب الظاهري فقط- أما الجانب الخفي الذي ظهر جليا للعلماء والباحثين كان من خلال تشكيل هوية تتماشى وإيديولوجيتهم وأفكارهم الغربية.

مما سبق يمكننا القول أن الثقافة الجماهيرية تسعى للسيطرة على فئة الشباب خاصة على صعيدين؛ أولهما الظاهري الخارجي من خلال نشر ثقافة المظهر الخارجي التي تشتمل على: اللباس، الأكل، الشرب، العطور، الحقائب؛ ثانيهما المحتوى الداخلي بقطع كل سبُل الانتماء والمواطنة بجعله يعيش حالة من التشتت والانغلاق على مستوى الهوية، وفي الوقت ذاته التقمص الثقافي الهوياتي لمجتمعات عربية بعيدة كل البعد عن الثقافة العربية الأصلية والهوية الوطنية، وهذا ما سعت الدراسة الراهنة لكشفه على مستوى الهوية الفردية والجمعية وأهم التغييرات التي تحصل على مستواهما معا.

وفي ذات الإطار نسوق ما قاله "إدغار موران" «إننا ندخل عصر تنهار فيه الثوابت والمعتقدات؛ فالعالم يمر بمرحلة من الشك، نحن لا نعرف إلى أين نمضي والمستقبل غير مضمون»، وهذا ما تسعى إليه الثقافة الجماهيرية، ثقافة الاستهلاك المادي والإنتاج الثقافي الذي يخضع لمقاييس السوق؛ وقد أشار في نفس السياق "فيليب بروتون" **(1993، ص 154)** إلى أن الثقافة الجماهيرية هي مثل كائن سوسيولوجي مركَب من أبعاد ورموز وأساطير وصور تخترق الفرد في أعماقه، تُنظم أفعاله وتوجه مشاعره.

ومما سبق تبدو لنا جليا ركائز الثقافة الجماهيرية وهي" الثقافة، وسائل الإعلام، الشباب" فإذا ما اقترن ثلاثتهم ببعض شكّلوا الثقافة الاستهلاكية التي تعتمد على الاقتصاد وطُرق الإنتاج أيضا لأنها تعمل على اكتساحها للأسواق العربية ماديا، نفسيا، اجتماعيا، ثقافيا، سياسيا واقتصاديا، من خلال ضرب منظومة الهوية ومكوناتها الأساسية بجعل الشباب العربي يعيش أزمة هوية باستخدام الثقافة الجماهيرية.

إذن وفي ظل التطور المتسارع لوسائل الإعلام الجماهيرية والانفتاح الإعلامي الذي أثّر على الهوية الوطنية الجزائرية عن طريق الثقافة الفرعية للشباب الجامعي، جاءت الدراسة الراهنة

لتُبرز واقع الثقافة الاستهلاكية واستهدافها للهوية من خلال إفراغ فكر الشباب وزعزعت انتمائه لوطنه.

لذلك فقد جاءت هذه الدراسة لتعرِض وبإسهاب الدور الذي تلعبه الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي من خلال الخطة التالية التي قسمت إلى ثماني فصول؛ حيث تطرق **الفصل الأول** للإطار العام للدراسة، متضمنا الإشكالية، أسباب اختيار الموضوع، أهمية الدراسة والأهداف المرجو تحقيقها، مفاهيم الدراسة، المقاربة السوسيولوجية للعمل، والدراسات السابقة.

بينما تناول **الفصل الثاني** الثقافة في التراث السوسيو اتصالي من خلال مفهوميها اللغوي والاصطلاحي، أنواعها، خصائصها، وظائف الثقافة، عناصرها، العلاقة بين الاتصال والثقافة وذلك من خلال التشخيص الفكري للاتصال بين الثقافات، الثقافة ووسائل الاتصال الجماهيرية، الثقافة والتنشئة الاجتماعية، كما تطرق هذا الفصل للثقافة والقيّم، الاتصال والتغير الثقافي، العولمة والصناعة الثقافية.

في حين تضمن **الفصل الثالث** الثقافة الجماهيرية من حيث المفهوم، والخصائص، والوظائف، كما بيّن أهم المقاربات النظرية المفسرة للثقافة الجماهيرية، وبالموازاة مع ذلك احتوى هذا الفصل أيضا على الثقافة الاستهلاكية، مبرزا أهم خصائصها، وطبيعة استهلاك السلع والمنتجات الاتصالية، الواقع العالمي والتحولات الثقافية الاستهلاكية، كما عالجنا الاختراق الثقافي ضمن هذا الفصل.

أما **الفصل الرابع** فقد تناول الهوية في ظل التحولات الراهنة مبرزا أهم التعريفات الخاصة بمصطلح الهوية ما بين اللغوي والاصطلاحي، الفلسفي، السوسيولوجي، السيكولوجي، الأنثروبولوجي وأهم الخصائص المميزة لهذا المفهوم، إلى جانب الوظائف والمقومات، وأهم المفاهيم القريبة من الهوية، كما تعرضنا للهوية الجزائرية بشيء من التفصيل حاولنا من خلاله

إبراز طبيعة المجتمع الجزائري وهويته الوطنية، ثم عرجنا على أهم النظريات المفسرة للهوية، وبطبيعة الحال فقد عالجت هذه الدراسة العلاقة بين الثقافة والهوية، وانعكاسات العولمة عليها.

ثم **الفصل الخامس** المعنون بـ: **الشباب والتغيرات الاجتماعية،** الذي طَرقنا في ثناياه مفهوم الشباب، فئاته، المفاهيم القريبة منه، خصائص الشباب، الثقافة الفرعية الخاصة به، أزمة الهوية لدى الشباب، آثار الثقافة الجماهيرية على الشباب، أثر البيئة الجامعية على هذه الفئة العمرية، أهم المشكلات التي يعاني منها الشباب الجامعي، وأخيرا سُبل المحافظة على الهوية.

ليأتي الفصل **السادس** كانطلاقة للجانب الميداني الذي عالج الإجراءات الميدانية، بداية بمجالات الدراسة، ثم منهجها، الأدوات الأساسية والفرعية لجمع البيانات فالعينة.

واستكمالا للفصل الفارط، جاء **الفصل السابع** مفسرا ومحللا لأهم البيانات الكمية والكيفية، ومقارنتها بتساؤلات الدراسة إجمالا.

ليأتي في الأخير **الفصل الثامن** كحوصلة لأهم النتائج وإبراز مدى تحقيقها لأهداف الدراسة ككل، لنتوصل في الأخير إلى جملة من التوصيات والاقتراحات وخاتمة الدراسة، ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى ما واجهنا من صعوبات وعراقيل كانت بمثابة عثرات في سبيل تحقيق هذه الدراسة تمثلت إجمالا في نقص المراجع والدراسات التي تطرقت للشباب والثقافة الجماهيرية أو الهوية كمصطلحات مستقلة أو مشتركة؛ الأمر الذي أعاق نوعا ما مسار البحث الراهن.

الفصل الأول:
الإطار العام للدراسة

أولا/ إشكاليـة الدراسـة.

ثانيا/ أسباب اختيار الموضوع.

ثالثا/ أهميـة الدراسـة.

رابعا/ أهـداف الدراسـة.

خامسا/ مفاهيم الدراسـة.

سادسا/ المقاربة السوسيولوجية.

سابعا/ الدراسات السابقة.

أولا/ اشكالية الدراسة:

حظيَ موضوع "الهوية" في السنوات الأخيرة باهتمام واسع من طرف الباحثين والمفكرين، رغم أنها لم يسبق لها أن أثارت مسائل ومشاكل مثل التي صارت تُثيرها اليوم؛ إذ يبدو جليا من خلال تصفح العديد من الدراسات التي حاولت الإلمام بمفاهيم الهوية ومكوناتها، مقوماتها، مستوياتها ورتبها، وعلاقة هذا الموضوع بالمواضيع الأخرى التي لا تقل أهمية عنها مثل الثقافة والشباب.

تعتبر فئة الشباب من بين الفئات الأكثر أهمية داخل المؤسسات المجتمعية على اختلافها، خاصة لما تكون عملية التنشئة الاجتماعية، الثقافية سليمة، فيمكن اعتبارهم وقود الدولة الجزائرية، لأنهم هم مستقبل الأمة وهم من يحجزون بسواعدهم مكانتها بين الأمم الأخرى، في المقابل إذا فشلت هذه التنشئة الاجتماعية فهي نعكس بالضرورة على هذه الفئة وعلى كيان المجتمع وتماسكه، لأنها تضمن التكوين الصحيح للشخصية، والذات الجزائرية، بزرعها حب الانتماء للوطن والإحساس بهويته الفردية والجماعية، خاصة لما يتم توضيح أهم مقومات التكوين الهوياتي كالدين، اللغة، التاريخ والثقافة.

فإذا كانت الثقافة عبارة عن جُملة من الأفكار والاتجاهات التي يكتسبها الفرد من انتمائه لوطنه والولاء له، فالشباب هو مُحصلة لتلك الثقافة؛ والذي تُلقَى على عاتقه مسؤولية الحفاظ عليها من جهة، والحفاظ على الهوية الوطنية من جهة أخرى.

وبطبيعة الحال، فكل من الثقافة، الهوية، الشباب يعتمدون وبشكل فعلي على العملية الاتصالية التي تطورت بتطور وسائل الاتصال وعصرنتها وكذا الإعلام وتكنولوجياته الحديثة.

فبعدما كان الاتصال هو عملية اشتراك، ومشاركة، تفاعل بين الأفراد تحول إلى اتصال جماهيري في معظمه ينقل الثقافات برموزها ومعانيها الحديثة إلى جماهير بالآلاف وإلى أبعد رقعة جغرافيا في العالم.

وهنا يتضح أن وسائل الاتصال والإعلام لم تُحدِث تغيرات على مستوى العلاقات الاجتماعية فقط؛ بل امتدت لتعمل على إحداث مستجدات حتى على منظومة الثقافة والهوية مستخدمة الشباب كأساس لإحداث هذه التغيرات باعتباره فئة عمرية وحساسة وهي القلب النابض في أي مجتمع، ومن شأنه أن يكون مِعوَلَ بناء، كما يمكن أن يكون مِعْوَل تهديم للأفكار والقيّم والمعارف والالتزامات الأخلاقية.

إضافة لذلك فإن مرحلة الشباب تقترن بمفاهيم أخرى أو بمعنى أصح مدلولات نفسية-اجتماعية على أساس أنهم في مرحلة انتقالية، فنجده يعيش حالة من التجاذب بين ما هو معروض ووافد من الثقافات الغربية، وبين ما هو موروث من ثقافة المجتمع، وهذا ما تتسِم به مرحلة المراهقة وما تحمله من تحولات على عدة أصعدة؛ ففي هذه المرحلة إما ينجح الشباب ويتجاوز كل المشاكل أو تنشأ لديه أزمات يصعب تجاوزها خاصة لما تتأصل على مستوى مُثُل الهوية.

وما يمكن الإشارة إليه في هذا المقام هو أن الوسائل الاتصالية تُعتبر إحدى أهم الميكانيزمات الأساسية للعولمة، والتي تعمل على إنتاج الثقافة الجماهيرية أو صناعة الثقافة من خلال صناعة الفرد استهلاكيا بالشكل الحديث معتمدة على إذابة كل الهويات؛ ومعنى ذلك أن يصبح الفرد مجَرَدْ من "هويته الوطنية"، أو نقول أنها تخلق صراعًا هوياتي لدى الفرد الشاب من خلال جعله يعيش غربة في الأحاسيس والمفاهيم ليفقد جوابه عن من هو؟ فيعيش حالة من المد والجزر، بين ما قدمه للمجتمع، وما تفرزه الوسائل الاتصالية من ثقافة استهلاكية مادية.

فبالرغم مما يفرزه هذا النوع من الوسائل من أحزمة متنوعة تؤثر على الشباب مستهدفة الهوية، فإنه لا يمكن لهذه الفئة الشابة أن تعيش دون هوية تميّزها عن باقي الثقافات والهويات.

تأسيسا على ما سبق، يبرُز إشكال موضوعنا الأساسي المتجاذب بين المفاهيم الأساسية، الثقافة الجماهيرية، والشباب والهوية كالآتي:

التساؤل الرئيسي: كيف تعمل الثقافة الجماهيرية على تشكيل هوية الشباب الجامعي؟

التساؤلات الفرعية:

1. كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على العناصر الدينية المكونة لهوية الشباب الجامعي؟
2. كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على اللغة والعناصر الوطنية المكونة لهوية الشباب الجامعي؟
3. كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على العناصر الاجتماعية المكونة لهوية الشباب الجامعي؟

ثانيا/ أسباب اختيار الموضوع :

يُعد اختيار موضوع الهوية الوطنية في الثقافة المعولمة أو الثقافة الجماهيرية الاستهلاكية لم يأت عشوائيا أو بمحض الصدفة؛ فمهما كانت طبيعة العمل البحثي الاجتماعي الأكاديمي لابد من وجود أسباب واعتبارات لهذا الموضوع وأهم هذه الدوافع هي:

❶ ملاحظتنا الفعالة والهادفة لخطورة الظاهرة أو الموضوع الذي هو قيد الدراسة، في ظل التحديات الكبيرة التي تعاني منها فئة الشباب على مستوى الهوية في ظل الثقافة الجماهيرية الاستهلاكية؛ والتي تحتاج للعديد من الدراسات التي من شأنها أن تسلط الضوء على العديد من المفاهيم والأفكار المتعلقة بهذا الموضوع.

❷ وضع كل التغيرات والمستجدات التي تحدث في المجتمع بصفة عامة ولدى عماد الأمة وقوتها تحت المجهر السوسيولوجي وذلك للكشف على جانب من جوانب الحياة الاجتماعية من جهة وإثراء البحث العلمي من جهة أخرى.

❸ قِلة الدراسات والبحوث التي تربط بين متغيرات ثلاث الثقافة، الهوية والشباب.

❹ أيضا من أحد أسباب اختيارنا لهذه الدراسة في مجال التخصص ألا وهو علم اجتماع اتصال؛ أنها تربط بين هذه الدراسة والتحليل السوسيولوجي من منظور اتصالي.

❺ إضافة إلى كون الشباب بحاجة ماسة للتعرف على أهم مكونات مجتمعه ألا وهي الهوية وتأثيرات الإعلام ووسائله عليها، خاصة لما تنتقل ذلك الكل المركب من العادات والتقاليد لتتحول إلى ثقافة جماهيرية تظهر من خلال غرس ثقافة استهلاكية فرعية تؤثر على بناءات المجتمع وإطاره العام؛ فمثل هذه الدراسات تكشف على دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب

الجامعي خاصة أننا في مرحلة تستهدف بالدرجة الأولى الشباب وثقافته العربية ومحاولة الانفتاح على الثقافة المعولمة في أحد الأوساط والمؤسسات الاستثمارية كالجامعة؛ فهي بمثابة استثمار مستقبلي لدولتنا أساسه المحافظة على الهوية الوطنية والثقافة الجزائرية .

ثالثا/ أهمية الدراسة :

تأتي أهمية الدراسة ككل بتتبع أهمية هذه الفئة بالنظر للشباب عامة والشباب الجامعي خاصة الذي يُمثل نسبة كبيرة من المجتمع الجزائري، وبناءًا على أهمية هذه الشريحة في تحديد مجموعة من الأنماط الاستهلاكية على مستوى الهوية لدى هذه الفئة؛ إذ أن الدراسة تتوخى معرفة دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هذه الهوية وكذا تفاعل الشباب الجامعي كفئة مثقفة مع هذا النوع من الثقافة.

فحسب "محمد سيد فهمي" في كتابه "العولمة والشباب من المنظور السوسيولوجي" ص89 التي جاء فيها أن" الشباب هم رأسمال الأمة وعدتها، عتادها، حاضرها ومستقبلها، هم ثروة الأمة التي تفوق ثروتها مواردها كلها، فإذا أدركت الأمة كيف تحافظ على أغلى ثرواتها وكيف توجهها وتستفيد منها وتغيرها استطاعت أن تؤدي رسالتها في الحياة والشباب هو المستقبل والرجاء هو أمل الأمة وعماد قوتها ورمز عزتها ...على أكتافه تُلقى تبعات المستقبل وفي ذمته تتلاقى مسؤوليات الأيام".

وهكذا اكتست هذه الدراسة أهميتها الأكاديمية؛ إذ تتجه إلى أهم عنصر في عملية التنمية سواء كانت بشرية؛ اجتماعية، اقتصادية، سياسية وثقافية، فهو جيل الشباب الذي يمثّل قوة العمل الحقيقية، فإذا كانت هذه الدراسة تُركّز على الشباب كمرحلة عمرية أساسية فهي لا تغفل أهمية الهوية بالنسبة للمجتمع وما تواجهه من تحديات نتيجة للثقافة الجماهيرية؛ حتى الثقافة في حد ذاتها وعلاقتها بالشباب والهوية محل الصراع من جهة وتداخُلها مع باقي

المفاهيم المهمة ضمن العمل الأكاديمي ككل، كما تُعد الهوية مسألة من المسائل المهمة والمعقدة وهي من المواضيع الحديثة التناول.

رابعا/ أهداف الدراسة:

إن اختيار الباحث الاجتماعي لمشكلة اجتماعية واعتبارها مشكلة تستحق الدراسة؛ يعني أن هناك مجموعة من الأهداف يسعى إلى تحقيقها، وذلك بالتطرق لها في دراسته السوسيولوجية التي هو بصدد إنجازها، وباعتبار دراستنا حول الثقافة الجماهيرية وما تقدمه للشباب من ثقافة استهلاكية نمطية على مستوى الهوية سنوضح أهم الأهداف المرجو تحقيقها وهي:

❶ الكشف عن مدى تأثر العناصر الدينية المكونة للهوية من طرف الثقافة الجماهيرية بالنسبة لعماد الأمة وقوتها.

❷ التعرف على الثقافة الجماهيرية وطابعها الاستهلاكي النمطي وما تُقدمه للشباب بتسليط الضوء على أبعاد وجوانب الثقافة والهوية معا، ومدى انتشارها بينهم من خلال إيضاح أهمية العامل اللغوي وما تعرض له نتيجة الأحزمة الثقافية استهلاكية الطابع ومادية النزعة؛ ضف إلى ذلك الكشف على العناصر الوطنية وأهميتها بالنسبة للهوية الجزائرية وقوميتها.

❸ إضافة إلى الأهداف السابقة نوضح هدف لا يقل قيمةً عن باقي الأهداف ألا وهو الكشف عن أهم القيم المستوردة نتيجة الانفتاح الهائل على وسائل الإعلام والاتصال الحديثة بمعنى التغلغل الثقافي الاستهلاكي بين الشباب وإيضاح طبيعة الوعي الذي تُشكِله الثقافة الجماهيرية لدى شريحة الشباب؛ بمعنى أوضح التعرف على العناصر اجتماعية الطابع وما تتعرض له نتيجة صناعة الثقافة، وإبراز أهمية المقومات الاجتماعية في تماسك الأمة الجزائرية .

❹ إشباع الفضول بالدرجة الأولى وإثراء البحث العلمي في مجال العلوم الاجتماعية.

خامسا/ مفاهيم الدراسة :

1-الثقافة: هي عبارة عن مجموعة من القيّم، العادات والتقاليد، الأخلاق، طرائق التفكير الجمالي والمعرفي المميز لمجتمع عن باقي المجتمعات، كما تُعد مجموعة من المعاني والرموز والإشعارات التي ينسجها الأفراد نتيجة تواصلهم مع بعضهم البعض؛ فهي إذن منظومة متنوعة متكاملة ترسم معالم هوية المجتمع عن طريق قيّمها وصورتها الحضارية لتحدد مكانتها في مصاف الأمم.

2-الثقافة الجماهيرية: تشير الثقافة الجماهيرية بوجه عام إلى الثقافة المميزة للمجتمع الجماهيري، وجماهيرها تستهلك وتستمتع بثقافة تختلف اختلافا جوهريا عن الثقافة التي كانت محل استماع (في الحاضر والماضي) لأن عناصر الثقافة الجماهيرية تنتقل وتنتشر من خلال وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة.

3- الثقافة الاستهلاكية: مجموعة من الرموز والأفكار والقيم القادرة على نشر النزعة الاستهلاكية والبحث عن السلع المطلوبة في الأسواق؛ فثقافة الاستهلاك تشير إلى مركب ثقافي يستخدم أساليب متنوعة لإنتاج مواد إعلامية معينة ومن ثمة تعميمها، أو هي نظام ثقافي يهدف لتغيير الواقع وخاصة الثقافي منه لتقبل مخرجات السوق ومنتجاتها بالاعتماد على وسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة؛ هذه الأخيرة هي الميكانيزم الأساسي بالنسبة للثقافة الاستهلاكية الجماهيرية المادية بشكل عام.

4- الشباب: هي مرحلة عمرية تتميز بالحيوية والطاقة المتجددة؛ تضفي على العلاقات الإنسانية المرونة والتعلم بشكل مستمر؛ إضافة إلى اعتبارها طاقة قومية لما تحتويه من قدرات وأفكار متنوعة.

5- الشباب الجامعي: والدارسين لهذا المصطلح يرون وجوب ألا يقتصر هذا المفهوم على النظر للشباب كفئة عمرية أو اجتماعية لها خصائصها النفسية والسلوكية المميزة، ولكن باعتبارهم عنصرا هاما في بناء النسق الاجتماعي للمجتمع.

6- الهوية: هي مجموع الخصائص المشتركة بين أفراد المجتمع الواحد، بوعيهم الذاتي لكل المقومات التي تصطبغ على الفرد فتكوّن هويته الفردية، وبالتفاعل الاجتماعي فيما بين الأفراد تنتقل كل السِمات والمقومات عن طريقة التواصل بينهم، فتكوِّن هويتهم الجماعية، وهي تضم اللغة والدين، العادات والتقاليد الوطن وتاريخه.

سادسا/ المقاربة السوسيولوجية:

تُعد هذه الدراسة من بين الدراسات السوسيواتصالية التي تُعنى وتهتم بتشخيص الواقع من وجهة نظر مشتركة بين علم الاجتماع وعلم الاتصال من جهة أخرى.

فعلم الاجتماع هو العِلم الذي يتناول دراسة المجتمع الإنساني ويبحث في علاقة الأفراد بعضهم ببعض؛ وما ينتج عن هذه العلاقات من ظواهر اجتماعية تختلف باختلاف المجتمعات الإنسانية من حيث السلوكيات، التعابير، الأفكار، العادات والتقاليد، وحتى الأعراف المتبعة التي تضمن لكل مجتمع ثقافة معينة وهوية محددة واضحة المعالم من حيث الطبيعة والمقومات.

إضافة إلى علم الاتصال الذي يحقق بدوره متطلبات الاجتماع الإنساني، وهو شرط من شروط الحياة الاجتماعية يضمن بقاءها وإستمراريتها بين أفراد المجتمع من خلال خلق شبكة اتصال وتواصل بينهم، فما بالك لما يقترن علم الاجتماع والاتصال معا لينتج نوع من التفسيرات والمقاربات القريبة جدا لأقصى الحدود لهذا الواقع، الذي مازال يحتاج للعديد من الاجتهادات العلمية لتفسره، وتوضح أهم مدلولاته الواقعية.

خاصة إذا ما اقترن هذا التخصص –علم اجتماع الاتصال– بموضوع يعالج مفاهيم مثل الثقافة الجماهيرية، الهوية والشباب، التي تحتاج لتوضيحات وفق مقاربات نظرية متنوعة تناولت هذه المصطلحات وفق رؤى وأفكار مختلفة.

إذن وفق هذه الدراسة وموضوعها ستعالج الباحثة موضوع "الثقافة الجماهيرية ودورها في تشكيل هوية الشباب الجامعي" محاولةً طرح وتفسير وإيجاد حلول لما يتعرض له الشباب في وقتنا الحالي جراء ما تفرزه الثقافة الاستهلاكية؛ من خلال المنظور النقدي (المدرسة النقدية) التي اهتمت بعلاقة الإنتاج الإعلامي بالمشكلات الاجتماعية، خاصة لما تتعلق بالفئة الأكثر اعتمادا عليها في الوقت الحاضر والمستقبل ألا وهي الشباب.

فالثقافة كما هو معلوم تحتوي على كل ما لديه علاقة بالمجتمع والفرد من عادات وتقاليد، قيّم، لغة، تراث، وموروث ثقافي، لما يتم تحميل مثل هذه الأحزمة المكونة للهوية الفردية والجماعية، وتمريرها عبر وسيلة من وسائل الاتصال الجماهيرية، تتحول عبر سياسات وإيديولوجيات هذه الوسائل لتنتج عنها ثقافة جماهيرية بديلة عن الواقع تماما، بغض النظر إذا كانت إيجابية أم سلبية، فهي تعمل على خلق ثقافة موحدة بالاعتماد على طمس الهوية ومكوناتها الأساسية، فيبتعد الشباب عن كل ما له صلة بطبيعة مجتمعه وما يحمله من موروثات ثقافية، اجتماعية.

لذا ارتأت الباحثة أن تعتمد على النظرية النقدية "فرانكفورت" لتكتشف، وتكشف أهم السُبل التي تنتهجها الثقافة الجماهيرية للتأثير على هوية الشباب وثقافته.

فأغلب من لهم دراية بمدرسة فرنكفورت لا يعرفون عنها إلا اسمها، وفي أحسن الأحوال بعض أعلامها، وبعض الشذرات المفككة الأواصل عن أفكارها، والحال أن المدرسة حظيت

ومازالت تحظى بفضل قدرتها الخارقة على تحليل كل من الفكر والواقع ونقدهما بعيدا عن كل القيود الإيديولوجية، وبعيدا عن كل دوغمائية عمياء.

(كنزاي محمد فوزي: 2014، ص 103).

لقد تأسس المشروع الفلسفي لمدرسة فرانكفورت سنة (1923) في مدينة فرانكفورت على أنقاض معهد البحوث الاجتماعية، والذي تولى تسيير شؤونه في البداية باحث أرثوذكسي (متشدد) للفكر الماركسي، وهو نمساوي الأصلي يدعى "كارل كرنبرغ" (Karl grunberg1861– 1940)، وبمجرد حلول عام (1930) تولى "ماكس هوركايمر" زمام الأمور بالمدرسة؛ حيث شجع البحوث المتعددة التخصصات والتي تسترشد إليها مجموعة متنوعة من المنظرين الماركسيين بما في ذلك "تيودور أدرونو" "والتر بنيامين"، "هربرت ماركيوز" "فريديريك بولوك"، "نيومان فرانتز" على الرغم من عدم وضوح ملامح المدرسة في البداية من حيث تبنيها لنظريات وبحوث علمية. **(كنزاي محمد فوزي: 2014، ص 104).**

أوضح "أحمد جميل حمودي" في مقاله "مدرسة فرانكفورت شعلة اليسار الجديد" أن معظم التيارات النقدية سعت لتحديد كل من الإطار العام للماركسية التقليدية أو المحدثة؛ حيث لم تعد تلاؤم الأفكار الماركسية التقليدية لمعالجة قضايا ومشكلات العصر الحديث.

فبعد هيمنة البنائية الوظيفية على حركة علم الاجتماع عموما والتي انطلقت من رؤى وتصورات النظرية الوضعية والتي تميل إلى اعتبار علم الاجتماع أداة للمحافظة على النظام القائم، كما يقول "أوجست كونت": "أنك تدرس كي تضبط"، فهذه المدرسة تستخدم مفهوم البناء والوظيفة في فهم المجتمع وتحليله من خلال مقارنته وتشبيهه بالكائن العضوي، جاء الفكر المناهض لهذه الوضعية على يد "كارل ماركس" الذي أكد على مفهوم الطبقة الاجتماعية كمفهوم أساسي لنظريته.

(أحمد جميل حمودي: 2010، نقلا عن: www.bohothe.blogspot.com).

تُعد مدرسة "فرانكفورت" امتدادا للماركسية وممثلا لها، وقد عالجت العديد من الأفكار التي تم التطرق لها من قِبل "كارل ماركس" كالصراع؛ فالطبقة العاملة لم تعد قادرة على قيادة عملية التغيير مادامت السلطة بيد الطبقة المالكة الرأسمالية؛ إضافة إلى أن هذه الأخيرة تعمل على امتلاك وسائل الإنتاج الثقافي والاستهلاكي بالمجتمع، لقد ركّزت هذه النظرية على العديد من التصورات لجملة من المفاهيم والمصطلحات السوسيولوجية كالثقافة، فهي ذات بُعد واحد، فمن خلال إشباع حاجات زائفة لأفراد المجتمع تنبع من سيطرة الطبقة الرأسمالية على الأفكار والمعتقدات لتخلق نمط ثقافي موحد.

لقد كان الاستهلاك سابقا طريقة من بين الطُرق التي ترمي لتحقيق جملة من المنافع العامة للفرد داخل إطاره المجتمعي، لكنه أضحى اليوم هو الغاية في حد ذاتها، فباقتناء الفرد لآخر موديلات السيارات والألبسة والأغراض الجديدة ومواكبة كل ما هو حديث وصناعي خاصة لما يكون الاستهلاك لمنتجات عالمية على حساب المحلي يحقق له غاية لا عقلانية تجعله يعيش حالة من الفتون التكنولوجي المتطور وتُشعرُه بتميزه وقبوله الاجتماعي.

فحسب مدرسة فرانكفورت حقق المجتمع الصناعي باعتماده على التطور الصناعي والتكنولوجي كثرة في الإنتاج مما يقابلها –بالضرورة– توازن من ناحية الاستهلاك المادي وانعكاسات على مستوى الهوية من جهة والثقافة الوطنية من جهة أخرى، معتمدين على ترسيخ قيّم مغايرة تماما على المجتمع العربي، فبتوحيد الأذواق وتوفير كل المواد الاستهلاكية تضع جُل الفئات المجتمعية أهمها الشباب تحت وطأة التخذير فتجعله في بوتقة مفرغة بين ما هو وافد من منتوجات عالمية ساحرة وبين ما يحمله المجتمع من معتقدات وأفكار وعادات بالية بالنسبة لهم.

وفي هذا الصدد يقول "ماركوس" في كتابه "التحليل الآتي للاستهلاك" «إن المستهلكون يرون أنفسهم في السلع التي يستعملونها؛ حيث يجدون روحهم في سياراتهم، وفي حجم وشكل منازلهم وفي الأجهزة التي يستعملونها، فالميكانزمات التي تربط الفرد بالمجتمع قد تغيرت». **(سميرة سوسطاح: 2009، ص 30).**

بمعنى طغيان روح الاستهلاك والجانب المادي على الحياة الاجتماعية وعلى مستوى العلاقات فيما بين الأفراد، والسبب في ذلك وسائل الإعلام المتطورة وما تسعى لفرضه بين الجماهير من قيّم غربية أو بمعنى أصح نموذج أورو– أمريكي.

فقد أوضح "ماركيوز" في ذات السياق، أن الرغبة في الاستهلاك تجعل الإنسان يحقق حاجاته ورغباته بحرية تامة دون قيود؛ مما يخلق لديه انحطاطا في القيّم وترسيخًا للفردانية بين الأفراد، فقيمته تُحدَد بمستوى حريته في انتقاء المنتجات الصناعية.

لقد اعتقدت النظرية السوسيولوجية الوظيفية أن وسائل الإعلام هي الأدوات الجديدة للديمقراطية الحديثة، تلعب دورا حاسما في ضبط المجتمع وتنظيمه، ولهذا السبب فهي تستطيع أن تُدافع عن النظرية التي يمكن بواسطتها إعادة إنتاج قيّم النظام الاجتماعي، وتثبيت الوضع الراهن، على عكس هذه الرؤية، فإن النظريات النقدية ترى أن وظيفة وسائل الإعلام هي مساعدة أصحاب السلطة في المجتمع على فرض نفوذهم والعمل على دعم الوضع القائم. **(كنزاي محمد فوزي: 2014، ص ص 107، 108).**

سابعا/ الدراسات السابقة:

تُعد الدراسات السابقة بمثابة الإطار العلمي النظري الذي ينطلق منه الباحث، ليُكمل بحوث قد تم البحث والخوض فيها، أو البدء في أعمال تكون قريبة بشكل أو بآخر من الأعمال

الفارطة، فهي الدعامة الأساسية للموضوع الذي هو قيد الدراسة بجانبيه سواء العملياتي أو النظري.

وتشمل الدراسات السابقة كل الدراسات المتصلة بالموضوع سواءًا كانت متشابهة أو متطابقة مع موضوع البحث، من هنا كانت جُل الدراسات المتعلقة بعنوان الأطروحة متشابهة معها، فهناك دراسات متعلقة بمتغير من متغيرات الدراسة مثلا: الثقافة الجماهيرية، الشباب أو الهوية، ولا توجد دراسات متطابقة بشكل فعلي مع عنوان الدراسة الذي هو "دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي".

***الدراسة الأولى:**

دراسة "دعد الشيخ" (2006) بعنوان: "**الطالب المراهق وأزمة الهوية**" مقال تم نشره ضمن مجلة إتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، المجلد الرابع، العدد الثاني؛ يهدف هذا البحث إلى التعرف على مصادر الضغوط التي تقلق المراهق وتؤدي إلى أزمة الهوية لديه، كما يهدف إلى التعرف على الفروق في مفهوم الذات بين المراهقين والمراهقات، وقد انطلقت الدراسة من الفروض التالية:

❶ ليس هناك ارتباط بين ترتيب المراهقين والمراهقات لمصادر الضغوط التي تؤدي إلى اضطراب في الهوية.

❷ ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات المراهقين ومتوسط درجات المراهقات في اختبار مفهوم الذات عند مستوى دلالة (05%). **(دعد الشيخ: 2006، ص 13)**

اعتمدت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي لدراسة الموضوع، بلغ عدد أفراد مجتمع الدراسة (820) طالبا وطالبة، وبلغ عدد أفراد العينة (205) طالب وطالبة، وقد استعانت الباحثة لأغراض البحث بالأداتين التاليتين:

❶ اختبار مفهوم الذات بجوانبه الأربعة: الجسمية، الاجتماعية، النفسية والفلسفية.

❷ الإجابة عن سؤال مفتوح هو: من أنا؟ ليعبّر الطالب المراهق عن هويته، وعن مصادر القلق التي تؤثر في نظرته إلى ذاته مبتدئا بأكثرها إزعاجا.

وقد أسفر البحث عن النتائج التالية:

❶ وجود ارتباط دال بين ترتيب الطلاب وترتيب الطالبات لمصادر القلق، وبلغ الترابط (0,73).

❷ ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات عينة الطلاب المراهقين ومتوسط درجات عينة الطالبات المراهقات في اختبار مفهوم الذات عند مستوى دلالة (0,05).

تعتبر هذه الدراسة من بين الدراسات السابقة للموضوع المعالَج خاصة درجة اهتمامها العالية بأزمة الهوية والمراهق، فكلاهما أساس العمل المنجز وتداخلها في الجوانب المنهجية والنظرية.

***الدراسة الثانية:**

دراسة "محمد حسن البرغثي" (2007) بعنوان: الثقافة العربية والعولمة، دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب":

هي مجموعة بحوث ومناقشات للندوة الفكرية التي نظّمها مركز دراسات الوحدة العربية ، استهل مشكلة بحثه بطرح تساؤل مرتبط بالمسألة الثقافية القومية، وما لها من أهمية بالغة بظاهرة العولمة وما يحيط بها من جدل وغموض.

والتساؤل هو: **ما تأثير العولمة في الثقافة العربية؟**

اهتمت الدراسة بمفاهيم أساسية مفتاحية للعمل ككل وهي: الثقافة، الثقافة العربية، مفهوم العولمة، مفهوم المثقف العربي.

أجريت هذه الدراسة على (420) مفردة من خلال العينة العشوائية البسيطة، والمنهج المعتمد هو المسح الاجتماعي، وهو الأمثل لهذه الدراسة، ساعد الباحث على ضبط وقياس الدراسة والتأكد من صحة ما يحصل عليه من بيانات تفسر العلاقات الاجتماعية، والأداة التي اعتمد عليها في بحثه كانت الاستبانة، أما الأسلوب الإحصائي المستخدم في العلوم الاجتماعية نظام (SPSS) ليتم ضبط الإجراءات الإحصائية التي استعان بها في دراسته.

والنتائج التي تحصل عليها "محمد حسن البرغثي" كانت كالآتي:

❶ العولمة تمثل فعل اعتداء على الثقافة العربية بنسبة (63%).

❷ تهدف العولمة إلى فرض النموذج الثقافي الأمريكي على الثقافة العربية بنسبة (62%).

❸ نسبة (62%) استهداف العولمة للهوية القومية، وتسعى إلى تفكيكها وطمسها، ومن ثم إعادة صياغتها.

❹ نسبة (59,9 %) من أفراد العينة تسعى لمراجعة التراث ضمن العولمة، وهذا ما يرفضه أولئك الذين يستخدمون التراث كسلاح إيديولوجي من أجل الدفاع عن الهوية القومية، إن النسيج اللازم للحياة الاجتماعية سيكون عُرضة للتدمير من خلال قدرة العولمة على استهداف جذور الثقافة العربية بنسبة (54 %).

❺ تُعد العولمة عامل تسريع لتحقيق الحداثة داخل الثقافة العربية، وقد أكدت هذه النتيجة نسبة (50,4%).

❻ اللغة العربية ستشهد تراجعا في الاستخدام والاهتمام في ظل العولمة، وهذا ما مثلته نسبة (52,4%).

تتقاطع الدراسة مع الموضوع قيد الدراسة في العديد من العناصر؛ أولا أنها ساهمت في إثراء الجانب العلمي والأكاديمي للأطروحة خاصة في مجال الثقافة والثقافة العربية كأحد المتغيرات أو المصطلحات المهمة بالنسبة للبحث، فهي مرجع مهم وأساسي في مجال الاهتمام بكلا المصطلحين، كما لا ننسى أنها تطرقت للعولمة، هذه الأخيرة التي تُعد كلمة ثانوية لا يقل دورها عن باقي المصطلحات الأخرى ضمن البحث الراهن؛ من خلال معالجة الغزو الاجتماعي والثقافي، الاختراق، آثارها على الثقافة من خلال صناعة الثقافة، أيضا أهم الآثار التي خلّفتها على الهوية الوطنية، هذا من الجانب النظري، أما من الجانب العملياتي فتتقاطع هذه الدراسة مع موضوع البحث في الأدوات المستخدمة كالاستبيان، من خلال ما جاء فيها من معلومات قيّمة والتي سأحاول توظيفها في الإطار التأسيسي للعمل كإثراء للبحث العلمي.

***الدراسة الثالثة:**

دراسة "قصير المهدي" (2009): ضمن محور العولمة ومنظومة القيم تحت عنوان: "**دور الفضائيات الغنائية في تغيير الذوق الفني لدى الشباب من الراي إلى الأغنية الشرقية- طلبة جامعة معسكر أنموذجا**":

أوضح الباحث في دراسته أن العالم المعاصر منتظم في وتيرة التغيُر المتسارع الذي طال كل المنظومات، سواء المعرفية منها، السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية وحتى الثقافية، وتم ذلك في إطار العولمة، وهو نموذج مفروض، تسعى جهات محددة لخلق ثقافة معينة تستوعبها كل المجتمعات؛ فالعولمة في بُعدها الثقافي- الاجتماعي تمثل ملحمة الشد والجذب بين قطب إرادة الهيمنة وقطب التأرجح بين الخضوع والمقاومة المحتشمة. **(قصير المهدي: 2009، ص 373).**

كما أوضح أن هذه التقاطبية الحادة يمثل الإعلام أكثر وسائل الصراع قوة وتأثيرا عليها، والعالم العربي بما فيه الجزائر يقع في صميم هذه المعركة الثقافية العالمية، وأن فئة الشباب هي الفئة المستهدفة استهدافا كبيرا من قِبل البرامج الإعلامية، لتحقيق تغيير جذري؛ مما سبق طرح الباحث تساؤلا منهجيا مؤداه: لماذا يتجه الشباب الجزائري حاليا إلى الاستماع والإقبال على الأغاني الشرقية، وما هي المؤشرات الدافعة إلى تغيير الذوق الفني الموسيقي لدى الشباب من فترة زمنية إلى أخرى؟ ثم ما هي العوامل التي أدت إلى رواج الأغنية الشرقية في السوق الجزائرية خلال العشرية السوداء على حساب أغنية الراي التي سادت من قبل؟

اعتمد الباحث على الفرضية التالية لمعالجة موضوعه وهي: الضغط الإعلامي ممثَّلا في القنوات الفضائية الغنائية التي تبث بشكل متواصل وبصفة ترويجية الأغنية الشرقية، وهو عامل

حاسم كان له دور في توجيه الشباب الجزائري للاستماع والتفاعل مع هذا النوع من الغناء، ويأخذ تأثير هذه القنوات شكل الإكراه الرمزي (العنف الرمزي) مصدره الهيمنة الإعلامية لنموذج ثقافي سائد.

وظّف الباحث المنهج الوصفي التحليلي بطريقة التحليل الكمي للجداول الإحصائية، والتحليل الكيفي للتصريحات الواردة في الاستمارة، هذه الأخيرة هي التقنية المستخدمة لجمع البيانات، طُبقت على (100) طالب وطالبة تتراوح أعمارهم ما بين (17) و(25) سنة.

وجاءت النتائج التي تحصل عليها الباحث "قصير المهدي" في دراسته كما يلي:

❶ اكتساح الأغنية الشرقية ورواجها خاصة بين الشباب بنسبة (60%) مقابل (30%) لأغنية الراي.

❷ بينت نسبة (85%) مشاهدة القنوات الفضائية الغنائية من طرف الشباب .

❸ اختارت نسبة (98%) منهم استخدام الأجهزة التكنولوجية الحديثة المستعملة في هذا المجال (Mp3, Mp4)، والوسيلة المستخدمة لمتابعتها عبر الفيديو كليب بنسبة (80%).

❹ متابعة القنوات الفضائية بانتظام بنسبة (85%).

❺ نسبة (42%) ممن صرحوا بأنهم يقلّدون مطربهم في كل شيء.

تتداخل هذه الدراسة مع الموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه من خلال عدة نقاط:

❶ تناولت متغير محوري بالنسبة لدراستي ألا وهو الشباب، أيضا تطرق الفضائيات العربية التي هي أحد المؤثرات الخاصة بمتغير الثقافة الجماهيرية.

❷ اهتم بالأغاني الرائجة بين الشباب مثل أغاني الراي؛ هذه الأخيرة تمثل أحد الأجزاء المكونة للثقافة الفرعية الخاصة بالشباب، فهي تدخل ضمن صناعة الثقافة، وهو محور جوهري

في الأطروحة التي نحن بصدد إنجازها، لكننا حاولنا في هذه الأخيرة أن نُلم بكل الأغاني المؤثرة والمكونة للثقافة الشبابية كأغاني الراي، الأغاني الأجنبية...وهذا أحد الاختلافات بين دراسة الباحث "مهدي قصير" والدراسة الراهنة، محاولةً بذلك تغطية كل الأجزاء التي قد يغفل عنها العديد من الباحثين لما يتناولون موضوع الشباب وثقافتهم. فالذوق الغنائي أحد العناصر المكونة للثقافة الجماهيرية بالنسبة لهذه الفئة الحساسة.

❸ تقاطعت هذه الدراسة مع موضوع الأطروحة في الجوانب المنهجية المعتمدة، فلقد مثلت منعطفات مهمة لكلا الدراستين، وهي استخدامه للاستبيان كأداة أساسية واعتمده المنهج الوصفي.

❹ الاختلاف الذي يمكن استخلاصه من هذه الدراسة هو تناولها للأغاني الرائجة وإغفالها عن باقي السِمات الثقافية التي تنتج عن هذه الأغاني كطريقة اللباس، الحديث والمأكل، وهذا ما نحاول تغطيته في هذا العمل السوسيولوجي مشخصين الواقع الحقيقي للشباب.

*** الدراسة الرابعة:**

دراسة "**سليمة فيلالي**" **(2013-2014)** جاءت بعنوان: "**بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة- دراسة ميدانية على عينة من الطلبة الجامعيين بجامعة باتنة**"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم اجتماع تخصص علم اجتماع ثقافي.

عالجت الباحثة في ثناياها مفهوم الهوية الذي يُعد من أكثر المفاهيم المثيرة للحيرة المعرفية التي تجندت لها الكثير من أقلام المفكرين والباحثين، لِما لها من دور مهم ورئيسي لثقافة الشعوب وحضارتهم، فالثقافة هي المكون الأساسي لكل هوية تتأثر بعملية التثاقف والمثاقفة، فقد أوضحت الباحثة أن موضوع الهوية مرتبط بموضوع العولمة، فازداد الأمر تعقيدا، وهو ما حاولت الباحثة معالجته ضمن هذا العمل الأكاديمي من خلال تسليط الضوء على بنية الهوية

الجزائرية لدى عينة من طلبة الجامعة، ومحاولة فهم ما يسودها من إلتباس في المفهوم، وذلك قصد حصر بعض خصائصها، بملاحظة وفهم ما يسري عليها من تفاعلات وتحولات في ظل الأوضاع العالمية؛ فالباحثة لم تطرح تساؤلات الدراسة في شكل صيغة استفهام، وإن ما ميزَ دراستها أن البناء اللغوي للإشكالية والذي جاء في شكل فقرات تشرح فيها المصطلحات الأساسية للبحث كالهوية، وبنية الهوية الجزائرية والعولمة.

فرضيات الدراسة جاء كالآتي:

❶ تتراجع القيم الدينية في المجتمع الجزائري أمام القيم العولمية الوافدة.

❷ تتمثل مؤشرات الفرضية الأولى في الشعائر الدينية والقيم الدينية.

❸ تُضعف القيم الوطنية في المجتمع الجزائري في ظل العولمة، وتتمثل مؤشرات الفرضية الثانية في: الرموز الوطنية، اللغة، التاريخ والانتماء.

❹ تتغير العادات والتقاليد الجزائرية في ظل القيّم العولمية الوافدة.

وتتمثل مؤشرات الفرضية الثالثة في: الموضة، اللباس، المأكل، الفلكلور.

أجريت الدراسة على طلبة جامعة باتنة، وبالتحديد ليسانس، من كلا الجنسين، وكان مجموع أفراد العينة (730) طالبا وطالبة، واستمرت الدراسة الميدانية التي شملت مجتمع البحث (03) أشهر من سنة (2013)، اعتمدت على العينة العشوائية البسيطة، المنهج المستخدم هو المنهج الوصفي الذي تماشى مع دراسة الباحثة، مطبقة الاستبيان كأداة أساسية والمقابلة.

نتائج الدراسة جاءت كالتالي:

❶ نسبة الذكور: (28,36%)، الإناث: (71,64%).

❷ سن العينة تراوح بين (18 سنة) بنسبة (66,43%)، سن (23) بنسبة (22,60%)، سن (28) بنسبة (05,61%)، سن (33) بنسبة (03,97%)، واخيرا (38 سنة) فما فوق بنسبة (1,36%).

❸ اللغة المستخدمة للتواصل فيما بينهم هي اللغة العربية بنسبة (64,93%)، الفرنسية بـ: (02,60%)، واستخدام اللغتين معا بنسبة (32,46%).

❹ مكان الإقامة: الحضري بنسبة (68,63%)، شبه حضري (23,15%)، ريفي بنسبة: (08,22%).

❺ الشباب الذين يؤدون الصلاة بنسبة (84,79%) والذين لا يؤدونها بنسبة (04,25%)، والباقي بنسبة (10,96%) في بعض الأحيان، والذين يحرصون على أدائها بنسبة (67,26%).

❻ نسبة (55,89%) توضح ممارسة بعض أفراد العينة للقيم الدينية في المجتمع.

❼ أوضحت نسبة (63,15%) متابعة أفراد العينة لأخبار الوطن عبر وسائل الإعلام، ونسبة (96,71%) يبين اعتزاز أفراد العينة بتاريخ بلادهم.

❽ بينت نسبة (66,85%) عدم قبول أفراد العينة العيش في بلد آخر، وبجنسية أخرى.

❾ أوضحت الدراسة أن نسبة (43,97%) هي هوية مكونة من الإسلامية والعربية، الأمازيغية التي يشعر بها أفراد العينة بالانتماء إليها، وانتمائهم القوي للجزائر نسبة (67,67%). وفيه العديد من النتائج في هذه الدراسة حاولنا التركيز على أهم ما جاء فيها.

تشترك هذه الدراسة مع موضوع البحث في العديد من العناصر، فهي إلى جانب كونها دراسة جزائرية أضافت العديد من النقاط لموضوع الأطروحة، فهي دراسة ثرية من ناحية المعلومات النظرية والمنهجية، ضف إلى أنها تطرقت لأبرز مفهوم، ألا وهو الهوية وطبقتها في

مجال الجامعة، وهو نفس الحيز المكاني الذي طبقنا فيه العمل؛ بمعنى تضمنها للعديد من الجوانب التي شكّلت الانطلاقة الأولى لدراستنا، كما تقاطعت معها في الأدوات المستخدمة كالمقابلة والاستبيان والمنهج الوصفي المعتمد.

غير أن الاختلاف الموجود بين دراسة الباحثة "سليمة فيلالي" وموضوع البحث، أن الاهتمام كان منصبا على العولمة بشكل عام؛ في حين أن الباحثة حاولت التركيز على الثقافة الجماهيرية ودورها في تشكيل الهوية؛ فالصناعة الثقافية أو الثقافة الاستهلاكي هي أحد أوجه العولمة التي ترتكز على الثقافة ووسائل الإعلام والتكنولوجيا المتطورة أحد وسائل تطبيق العولمة، فاهتمامنا منصَب على جزء مهم هو الثقافة الجماهيرية وكيفية تطبيقها على الشباب حتى تؤثر على الهوية، وتطرقنا أيضا إلى العولمة في أحد محاور البحث، ولكن ليس بشكل فعلي، لكي لا يتم الغوص والابتعاد عن الهدف المرجو من العمل ككل.

***الدراسة الخامسة:**

دراسة "**خديجة بن فليس**"، جاءت بعنوان "**أساليب تعامل المراهقين مع التدفق الإعلامي وأثرها على تشكل الهوية لديهم**"، دراسة ميدانية ببعض أقسام جامعة باتنة، وهي دراسة منشورة ضمن مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري.

اهتمت الدراسة بالكشف عن أهم أساليب تعامل المراهقين (الشباب الجامعي) مع التدفق الإعلامي في المجتمع الجزائري بحكم أن هذه الشريحة تمثل صفوة الشباب والأكثر إدراكا ووعيا لطبيعة التفاعل الاجتماعي والإيديولوجي السائد في المجتمع، فطرحت التساؤلات التالية:

❶ ما هي الأساليب التي يستخدمها هؤلاء الشباب في التعامل مع هذا التدفق؟

❷ هل توجد فروق دالة إحصائية بين الجنسين في نوع الأساليب المستخدمة في التعامل مع هذا التدفق؟

❸ هل توجد فروق في رُتب الهوية بين المراهقين في ضوء الأساليب المستخدمة في التعامل مع التدفق؟

الأدوات التي اعتمدتها الباحثة في هذه الدراسة هي: الاستبيان كأداة للمرحلة الأولى في البحث، تضمَن (49) سؤالا موزعين على محاور: التقليد، الانصهار، التحليل، الاغتراب، الحذر والريبة، الإدمان، الترفيه، والأداة الثانية للمرحلة الثانية في الدراسة هي مقياس موضوعي لرتب الهوية الإيديولوجية والاجتماعية في مرحلتي المراهقة والرشد المبكر، يتضمن هذا المقياس (64)

عبارة مرفوقة بـ (06) بدائل (موافق تماما، موافق إلى حد قليل، غير موافق بدرجة متوسطة، موافق بدرجة متوسطة، غير موافق إلى حد قليل، غير موافق إطلاقا).

وقد اعتمدت الباحثة في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والمقارن، كونهما الأنسب، وقد بلغ حجم العينة (200) طالب جامعي استخدمت الأساليب الإحصائية التالية: النسب المئوية (%)،اختبار تحليل (كا^2)، تحليل التباين، وتم التوصل إلى النتائج الآتية:

❶ يأتي أسلوب التقليد في المرتبة الأولى ومثلته نسبة (62,5%)، أسلوب الترفيه بنسبة (60%)، أسلوب الإدمان بنسبة (57,5%)، أسلوب الحذر والريبة بنسبة (50%)، وفي المرتبة الخامسة يأتي كل من أسلوب التحليل والاغتراب بنسبة (35%). **(خديجة بن فليس: 2010، ص65)**.

❷ من خلال قيمة (كا^2) المحسوبة والتي تساوي وبالرجوع إلى قيمة (كا^2) الجدولية والتي تساوي (11,07) عند (0,05) و(15,09) عند (0,01)، وذلك عند درجة حرية (05) نجد أن قيمة (كا^2) المحسوبة أكبر في الجدولية، وبالتالي فهي دالة إحصائية عند مستوى (0,01 و0,05)؛ مما يدل على وجود فروق بين الجنسين في الأساليب المستخدمة.

(خديجة بن فليس: 2010، ص65).

❸ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المراهقين وفق أساليبهم في التعامل مع الإعلام في ضوء تشتت الهوية.

❹ توجد فروق بين المراهقين وفق أساليبهم في التعامل مع الإعلام في ضوء انغلاق الهوية، وفي إنجازها، والتي تساوي (3,07) و(4,79) عند المستويين (0,05) و(0,01). **(خديجة بن فليس: 2010، ص65)**.

تُعد هذه الدراسة دسمة من ناحية الأساليب الإحصائية وكيفية التحليل، وقد حاولت الإحاطة بكل ما هو مهم لتضفي على الدراسة ككل صبغة نوعية، كون مصطلح المراهقة يُعد من بين المفاهيم القريبة لمصطلح الشباب؛ إضافة إلى معالجتها لتشكيل الهوية بالنسبة للطلبة الجامعيين من خلال التدفق الإعلامي؛ فالأفكار المطروحة لها علاقة بالثقافة الجماهيرية، وهي أصلا تدفق أحزمة إعلامية على الفئات المجتمعية، وتأثيرها على تشكيل الهوية، هذا من جهة ومن أجهة أخرى اعتمادها على المنهج الوصفي والاستبيان، وهما إحدى الأدوات ومن المراحل المهمة في إنجاز الدراسة الآنية.

***الدراسة السادسة:**

أشرف على هذا العمل الباحث "**عيسى الشماس**"؛ حيث عالج **تأثير الفضائيات الأجنبية في الشباب –دراسة ميدانية على طلبة كلية التربية بجامعة دمشق**، دراسة نشرت بمجلة دمشق –المجلد 21–العدد الثاني 2005:

أوضح الباحث تأثير القنوات الفضائية التلفزيونية على فئة الشباب، فهي منتشرة في بقاع العالم، دخلت أغلب البيوت، إن لم تكن كلها، وهذا ما أتاح للشباب فرصة كبيرة لمشاهدة برامج الفضائيات الأجنبية، والتأثُر بها فكرا وسلوكا، لذلك هدفت هذه الدراسة للكشف عن عادات مشاهدة الشباب الفضائيات الأجنبية، وجوانب تأثيرها الثقافي والاجتماعي.

وقد اختار الباحث المنهج الوصفي التحليلي معتمدا على الاستبانة كأداة أساسية لجمع المعلومات وُزعت على عينة من طلبة السنة الرابعة في كلية التربية بجامعة دمشق للعالم الدراسي (2004/2003)، في حين أنجزت هذه الدراسة على (116) مفردة بنسبة (10%) منهم (93) طالبة و(23) طالب، وتم توزيع الاستبيان على (74) من أبناء المدينة و(42) من أبناء الريف. **(عيسى الشماس: 2005، ص 11، ص 26).**

فالدراسة ككل تحاول العمل على الفرضيات الآتية:

❶ ليس ثمة فروق ذات دلالة إحصائية في عدد ساعات مشاهدة الشباب القنوات الفضائية الأجنبية سواء بين الذكور والإناث من جهة، أو بين أبناء المدينة وأبناء الريف من جهة أخرى.

❷ ليس ثمة فروق ذات دلالة إحصائية في المدة المفضلة لدى الشباب، لمشاهدة برامج الفضائيات الأجنبية سواء بين الذكور والإناث من جهة، أو بين أبناء المدينة وأبناء الريف من جهة أخرى.

❸ ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية في نوعية برامج الفضائيات الأجنبية التي يفضّلها الشباب سواء بين الذكور والإناث من جهة، أو بين أبناء المدينة وأبناء الريف من جهة أخرى.

❹ ليس هناك فروق ذات دلالة إحصائية في تأثير القنوات الفضائية الأجنبية، بين متوسطات الذكور والإناث من جهة أو بين متوسطات أبناء المدينة والريف من جهة أخرى.

❺ ليس ثمة فروق ذات دلالة إحصائية في تأثيرات القنوات الفضائية الأجنبية بين متوسطات الذكور والمدينة والريف من جهة؛ أو بين متوسطات الإناث من المدينة والريف من جهة أخرى. **(عيسى الشماس: 2005، ص 16)**.

ويمكننا إجمال أهم النتائج المتحصل عليها في هذه الدراسة كالآتي:

❶ كانت نسبة مشاهدة الشباب لبرامج القنوات الفضائية الأجنبية ما بين (2 و4) ساعات يوميا، مرتفعة إلى حد ما؛ حيث كانت النسبة (43,4%) عند الذكور، و(36,88%) عند الإناث، و(39,2%) عند أبناء المدينة و(57,15%) عند أبناء الريف، وهذا ما يؤثر في تحصيلهم الدراسي ويمنعهم من ممارسة النشاطات الشبانية الأخرى، ويُضعف التفاعل الاجتماعي، ولا سيما عند الذكور؛ إذ أن نسبة (43,48%) منهم تفضل المشاهدة منفردة.

❷ ظهرت نسبة مشاهدة القنوات الفضائية الأجنبية في السهرة عالية جدا عند الشباب الذكور، وصلت إلى (48%)، وهذا يجعلهم بعيدين عن مراقبة الأسرة، وأكثر عرضة لمشاهدة الأفلام الرديئة التي تؤثر في سلوكياتهم وقيّمهم الأخلاقية والاجتماعية، ويؤثر أيضا على مردودهم الدراسي نتيجة الإرهاق المترتب عن استمرار المشاهدة إلى ساعات متأخرة من الليل.

❸ إن تفضيل الشباب من الجنسين مشاهدة البرامج الاجتماعية/الثقافية التي تراوحت نسبتها ما بين (65%) و (70%) دليل على وعيهم بأهمية هذه البرامج في حياتهم الخاصة والعامة.

(عيسى الشماس: 2005، ص ص 37، 38).

❹ لوحِظ أن تأثر الشباب ذكور/إناث أكثر من تأثر الإناث ببرامج القنوات الفضائية الأجنبية؛ إذ كان المتوسط الحسابي عند الذكور (29,087) مقابل متوسط الإناث البالغ (24,688)، وفي المقابل كان متوسط تأثر شباب المدينة (30,761) أكثر من متوسط شباب الريف البالغ (25,6)، كما كان متوسط إناث المدينة (26,069) أكبر من متوسط إناث الريف (21,69)، وهذا يعود إلى انفتاح شباب المدينة (ذكور/إناث) وإتاحة المجال أمامهم لمشاهدة هذه القنوات أكثر مما يتاح للشباب في الريف. **(عيسى الشماس: 2005، ص 38).**

تُعد هذه الدراسة ثرية جدًا من الناحية النظرية والميدانية معا؛ إذ تعتبر قاعدة غنية بالمحتويات العلمية التي عالجها الباحث "عيسى الشماس"، فكانت بمثابة العمود الفقري لمعالجة العديد من النقاط التي نحن بصدد البحث عنها، وتفسيرها بناءً على نتائج وبيانات الجانب الميداني المستوحى من الاستبانة.

إضافة إلى أنها تتقاطع مع هذه الدراسة في العديد من النقاط، ولن نبالغ إن قلنا في جُلها والمتمثلة في:

❖ الاشتراك في المنهج الوصفي.

❖ الاشتراك في الأدوات المعتمدة كالاستبيان.

❖ التقاطع في الأساليب الإحصائية المعتمدة كالمتوسط الحسابي، الانحراف المعياري، والأهم من كل ذلك هو أن الدراسة موجهة لأهم فئة عمرية في المجتمع وهم الشباب الجامعي أو الطلبة الجامعيين إناثا وذكورا على حد سواء.

لقد كانت هذه الدراسات سالفة الذكر بالنسبة للباحثة خبرات جاهزة ثرية، رغم نُدرة الدراسات التي تطرقت للشباب والثقافة الجماهيرية أو الهوية كمصطلحات مستقلة أو مشتركة بينهم، فنجد العديد ممن يأخذ جانبا من جوانبهم كموضوع للدراسة مثل التدفق الإعلامي الذي يتمثل في الثقافة الجماهيرية، المراهق له علاقة بمرحلة الشباب، فقد سمحت للباحثة بالتعايش مع تجاربهم العلمية ضمن هذه المواضيع المنتقاة، وكانت بمثابة اللبنة الأساسية الأولى التي انطلق منها ورسمت معالم طريق هذا العمل.

كما اتضحت للباحثة نقاط الاشتراك التي التقت فيها هذه الدراسات وموضوع الأطروحة، والتي تمثلت في:

المنهج الوصفي الملائم للبحث، المقابلة والاستبيان، وهما الأداتان الأساسيتان في العمل الذي نحن بصدد إنجازه؛ وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الجوانب المنهجية كانت مضبوطة لأبعد الحدود، ولأن الاختلاف لا يفسد للود قضية؛ فقد كانت هناك بعض الاختلافات كعدم انتهاج الباحثة لنفس الأساليب الإحصائية المعتمدة من قِبل هؤلاء الباحثين، وهو ما يضفي على البحث صفة الخصوصية، حيث اعتمدت على التحليل السوسيولوجي وهو الأهم في هذا المقام، كما سمح البحث أيضا بضبط دقة التساؤل العام والتساؤلات الفرعية للدراسة، والتي ساعدت في استنباط أهم مؤشرات التساؤلات ومحاور الاستبيان لكي تكتمل الفكرة وتتضح الصورة النهائية له، تمت الاستفادة في التحديدات الإجرائية لمصطلح الثقافة، الشباب، الهوية.

النتائج المتحصل عليها من الدراسات سالفة الذكر حتى وإن كان فيها اختلاف من ناحية السياقات الجغرافية والزمنية التي أجريت فيها، إلا أنها سمحت للباحثة بعقد مقارنات للعديد من النتائج، وهنا يكمن هدف البحث وأهميته.

مراجع الفصل الأول

أولا/ المراجع باللغة العربية

- الكتب

1. محمد حسن البرغثي (2007): **الثقافة العربية والعولمة دراسة بيوسوسيولوجية لآراء المثقفين العرب**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

- المجلات والدوريات:

2. خديجة بن فليس (2010): **أساليب تعامل المراهقين مع التدفق الاعلامي وأثرها على تشكيل الهوية لديهم، دراسة ميدانية ببعض أقسام جامعة باتنة**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

3. دعد الشيخ (2006): **الطالب المراهق وأزمة الهوية**، مجلة إتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس، المجلد الرابع، العدد الثاني.

4. سميرة سوسطاح (2009): **دور وسائل الاعلام في تشكيل القيّم التربوية داخل الأسرة الجزائرية – دراسة ميدانية لتأثير الاشهار التلفزيوني على القيّم**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.

5. عيسى الشماس (2005): **تأثير الفضائيات التلفزيونية الأجنبية في الشباب**، دراسة ميدانية على طلبة كلية التربية، العدد الثاني، المجلد 21، جامعة دمشق، سوريا.

6. قصير المهدي (2009): **دور الفضائيات الغنائية في تغيير الذوق الفني لدى الشباب من الراي إلى الأغنية الشرقية – طلبة جامعة معسكر نموذجا**، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 08، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر

7. كنزاي محمد فوزي (2014): **براديغم مدرسة فرانكفورت على المحك: منظور إتصالي**، مجلة البحوث والدراسات الانسانية، العدد 09، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر.

- الرسائل الأكاديمية:

8.سليمة فيلالي (2013-2014): **بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة**، دراسة على عينة من الطلبة الجامعيين بجامعة باتنة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع، تخصص علم اجتماع ثقافي.

ثانيا المواقع الالكترونية:

9.أحمد جميل حمودي (2010): نقلا عن الموقع: www.bohothe.blogspot.com، تاريخ الزيارة: 2015/11/25، الساعة: 20:30.

الفصل الثاني:

الثقافة في التراث السوسيو اتصالي

أولا الثقـــافـــة

ثانيا/ أنــواع الثقافـــة

ثالثا/ خصائص الثقافـة.

رابعا/ وظـائـف الثقافـة.

خامسا/ عناصـر الثقافـة.

سادسا/ الاتصـال والثقافـة.

سابعا/ الثقافـة والقيــم

ثامنا/ الاتصال والتغير الثقافي.

تاسعا/العولمة والصناعة الثقافية

أولا/ مفهوم الثقافة:

يُعتبَرُ مفهوم الثقافة من بين المفاهيم المثيرة للجدل والاختلاف وذلك يبدو جليا بين الأكاديميين والمفكرين على حد سواء؛ فقد استخدمت تخصصات الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلوم الدراسات الإنسانية مجموعة كبيرة من التعريفات، ويُرجِع البعض تطور كثير من التعريفات إلى كونها لا تتميز بالوضوح بين المفهوم من ناحية؛ والأشياء التي يشير إليها من ناحية أخرى، لكن أغلب التعريفات العلمية تشير إلى التعليم والاكتساب كوسيلة لتناقل الثقافة واعتبار الثقافة هي طرائق وأساليب الاستجابة للتحديات التي يواجهها الإنسان في تفاعله مع الطبيعة، ويمكن فهم خصوصية الثقافة باعتبارها تمثل نظام القيم الأساسي للمجتمع. **(حيدر إبراهيم: 1999، ص 98).**

1.1.المفهوم اللغوي :

جاء في لسان العرب : ثَقَفَ الشيء ثقفًا و ثِقافًا وثُقُوفَةً: حذقه، ورجل ثَقَفٌ وثِقِفٌ: حاذق الفهم ولم يرد فيه لفظ مثقف، أما لفظ " الثقافة " فقد ورد كمصدر بمعناه الحذق: «وثَقَفَ الرجل ثقافةً؛ أي صار حاذقا خفيفا». **(عبد الغني عماد: 2006، ص 28).**

2.1.المفهوم الاصطلاحي:

يُعَد مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم تداولا وشيوعا ومن أكثرها غموضا وتعقيدا، وهو المفهوم الذي تساقطت أمامه جهود الباحثين الذين حاولوا تعريفه وتحديد ملامحه. ولقد وقّع "كلكهون" على مئة وستين 160 تعريفا للثقافة وذلك منذ خمسة وعشرين سنة، ولعل من أقدم التعريفات للثقافة وأكثرها ذيوعا حتى الآن لقيمته التاريخية تعريف "**ادوارد تايلور**" الذي قدّمه في أواخر القرن الـ 19 في كتابه " الثقافة البدائية" عام 1871 الذي تُرجِم إلى الفرنسية سنة 1876

بأن: « الثقافة والحضارة هي ذلك الكُل المركب الذي يشمل المعرفة، المعتقدات، الفن، الأخلاق، القانون، العادات وكل القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع ». **(صالح محمد علي أبو جادو: 1998، ص118).**

يُعتبَر هذا التعريف أقرب إلى الوصف؛ إذ نقَل الثقافة إلى المستوى الاجتماعي ووقائعه التي يمكن ملاحظتها مباشرة في فترة زمنية محددة. **(عبد الغني عماد: 2006، ص 31).**

خاصة في ظل ما يُنتجه المجتمع اجتماعيا والذي من خلاله تكون له علاقة بالثقافة لتتحول فيما بعد إلى إحدى مكوناتها ومدلولاتها الثقافية وبذلك تميز مجتمع عن باقي المجتمعات.

أبرَزَ تعريف "إدوارد تايلور" العناصر اللامادية للثقافة التي تنتُج نتيجة التفاعل المجتمعي بين الأفراد، إضافة إلى كل العناصر التي يكتسبها المجتمع من خلال العلاقات الاجتماعية وذلك بفعل عملية الاتصال ومن ثمة اكتساب العناصر المادية المكونة للثقافة إجمالا.

فبالرغم من القيمة المعرفية لتعريف "تايلور" فهو يصطبغ بطبيعة أنثروبولوجية تُفسر المجتمع وموروثاته المختلفة بناءًا على المكونات المادية واللامادية للثقافة.

بالإضافة إلى ذلك، فهناك تقارب كبيرا جدا بين الثقافة والحضارة، من ناحية التركيبة المتنوعة فهي شملت كل ماله علاقة بالمجتمع والإطار المجتمعي للفرد، لذا يمكن ملاحظتها في الواقع واستنتاج تأثيرات هذه المكونات على الهوية المشكّلة لها على المستويين الفردي والجماعي.

كما أوضح "تايلور" شمولية الثقافة على القدرات التي يكتسبها الإنسان كعضو في المجتمع؛ الأمر الذي يجعل أهم عامل في هذا الاكتساب هو القدرة على التعلم من الجماعة. **(محمد عاطف غيث: 1985، ص 68).**

لكن، الجماعة والأفراد في كثير من الأحيان يخلطون بين مفهوم الثقافة الحقيقي والمفاهيم الأخرى، فهم يعتبرونها كل ماله علاقة بالرقص والفن والموسيقى، متناسين بأن الثقافة في مدلولاتها الحقيقية هي بطاقة تمثل طبيعة المجتمع ومستواه الحضاري والثقافي.

وهذا ما أوضحه "مصطفى بوتفنوشت" في كتابه "الثقافة في الجزائر" بقوله: «يبقى مفهوم الثقافة شاسعا وأكثر عمقا ...أنا اعتقد بأن الثقافة هي وقود فكر لأية أمة ...البلاد ليست إلا مجموعة من الأفراد المجردين من الفكر والذين شكلوا أمة».

(MOSTAPHA BOUTEFNOUCHET : 1982, P. 19).

كما عرّف "**ميشان مان**" "**M.Mann**" الثقافة على أنها «تشتمل على الأفكار، الممارسات، الأدوات، الرموز، الفنون وكافة أنواع الإنتاجات البشرية ....والتي تختلف في ذلك تِبعا لاختلاف الزمان والمكان، فهو يُبرِز العناصر اللامادية لحياة الناس في الجماعة؛ كالأخلاق، القانون، العرف والتي تنشأ نتيجة التفاعل الاجتماعي وتأخذ طابعا إلزاميا إلى جانب العنصر المادي للثقافة، علاوة على العلاقات بين الناس وبين العناصر المكونة للثقافة». **(صالح محمد علي أبو جادو: 1998، ص 118)**.

ويرى "**رالف لينتون**" "**R. Linton**" أن الثقافة كل متناسِق من السلوك المتعلَم ونتائج هذا السلوك، وأن العناصر المكوِنة لهذا الكُل تكون مشتركة بين أفراد المجتمع الواحد وتنتقل بواسطتهم من جيل إلى جيل آخر، ويتضمن السلوك المتعلم هنا كل ما يقوم به الفرد من أفعال سواء أكانت ظاهرة أو غير ظاهرة عضوية كانت سلوك.

(دلال ملحس استيتية: 2004، ص 226).

فكلا التعريفين السابقين قدما أهم العناصر المكونة للثقافة وأبرزا الفكر المشترك بينهما، وهو ما يكون أحيانا متوارَثا ومكتسبا عن طريق التناقل والتعلم بينهم؛ مما يمنحهم سلوكيات معينة

داخل بيئتهم الاجتماعية مهما كانت طبيعتها، فهي تضفي عليها صبغة تميّزها عن باقي المجتمعات.

فالثقافة حسب هذا التعريف مظهر للسلوك المكتسَب، ولنتائج ذلك السلوك يشترك في مكوناتها الجزئية أفراد مجتمع معين؛ بحيث تنتقل عن طريق هؤلاء الأفراد.

(محمد حسن البرغثي: 2007، ص 88).

ويعرّف "**دورثي لي**" "**Dorothy Lee**" الثقافة بأنها «نسق من الرموز، بواسطته يعطي الأفراد معنى لكل ما هو موجود حولهم؛ فالسلوك الإنساني كما تُحدده الثقافة نسق يربط الفرد بعالمه سواء أكان ذلك العالم هو المجتمع (Society)، أو الطبيعة (Nature)، أو الكون (Universe) المتعارف عليه أو الحقيقة المطلقة (Ultimate Reality)، فسلوك الفرد في أي موقف اجتماعي ما هو إلا تعبير عن هذه العلاقة؛ فالإطار الثقافي لأي مجتمع يُشكِّل تصرفات أفراده، معارفهم، تفكيرهم، وتفسيرهم لكل ما يدور حولهم، وبذلك تضع الثقافة القوانين المنطقية والمبادئ الفكرية والحدود الثابتة فتُقدم لأفرادها الدليل الذي يُرشدهم في تفسير كل ما هو موجود في مجتمعهم، فيوجههم إلى طرق وأساليب العمل التي تُمكِّنهم من القيام بدورهم في المجتمع في حدود إمكانياتهم».

(دلال ملحس استيتية: 2004، ص 227).

فلكي تنتقل كل الرموز يجب أن يتوفر سياق لغوي يربط فيما بين أفراد المجتمع وبواسطتها تستمر بطريقة ديناميكية.

ويشير هذا التعريف إلى العلاقة بين اللغة والمجتمع والثقافة؛ فهي علاقة وثيقة باعتبار اللغة هي وعاء الفكر وأداة للتعبير، وقد ثبت أن اللغة تتأثر أيما تأثُر بحضارة الأمة، نظُمها، تقاليدها، عقائدها، واتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها ونظرتها إلى الحياة وشؤونها الاجتماعية العامة وما إلى

ذلك، فكل تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي يتردد صداه في أداة التعبير.

(محمد عبده محجوب وآخرون: 2005، ص 23).

فأساس التعبير في المجتمع هو اللغة، فالعلاقة وثيقة فيما بين اللغة المجتمع والثقافة، فهي أحد مكونات هذه الأخيرة، ولا يمكن انتقال الأفكار، المعتقدات، والآراء، وتلبية احتياجات الأفراد بدون اللغة، وبتعدد الثقافات والمجتمعات تتعدد اللغات من مجتمع للآخر، وأيضا اختلافها نتيجة الفروق بين الأفراد، لكن هذا الاختلاف هو الذي سمح بالتنوع الثقافي شريطة الحفاظ على الخصوصية الثقافية لكل منطقة.

أما تعريف "**كلباتريك**" "**Kilpatrick** " للثقافة فهي «كل ما صنعته يدا الإنسان وعقله من الأشياء، ومن مظاهره في البيئة الاجتماعية؛ أي كل ما اخترعه الإنسان وما اكتشفه، وكان له دور في العملية الاجتماعية، ويعني هذا التعريف أن الثقافة تشمل: اللغة، العادات، التقاليد، المؤسسات الاجتماعية والمستويات، المفاهيم، الأفكار والمعتقدات إلى غير ذلك مما نجده في البيئة الاجتماعية من صنع الإنسان وقد توارثه جيل بعد جيل؛ بمعنى آخر يرى "كلباتريك" أن للثقافة جانبين هما : الجانب المادي والجانب غير المادي».

(دلال ملحس استيتية: 2004، ص 228).

وهذا ما حاول توضيحه "محمد إبراهيم عبيدات" عندما عرّفها على أنها «مجموعة قيّم ذات الطابع المادي والمعنوي، الأفكار والمواقف والرموز التي يبرزها أفراد ثقافة ما نحو مختلف نواحي حياتهم والتي يتم تطويرها وإتباعها بواسطة أفراد هذا المجتمع والتي تُشكّل أنماطهم السلوكية والاستهلاكية التي تميزهم عن أفراد تابعين لثقافات أخرى أصلية وفرعية».

(محمد إبراهيم عبيدات: 1998، ص 376).

وقد اقترب "**ابن خلدون**" من معنى الثقافة عندما تحدَث عن العمران، في مقدمته: «أن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبّر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع؛ أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران»، ولقد غدا الاهتمام بمسألة الثقافة يتعاظم فظهرت العديد من الدراسات حول الموضوع، فالجابري يقول: «أنها ذلك المركب المتجانس من الذكريات، التصورات، القيم، الرموز، التعبيرات، الإبداعات والتطلعات التي تحفظ لجماعة بشرية تشكل أمة أو ما في معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطورات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والعطاء وبعبارة أخرى أن الثقافة هي المُعبِّر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم عن نظرة هذه الأمة إلى الكون، الحياة، الموت، الإنسان، مهامه، قدراته، حدوده، وما ينبغي أن يعمل وما ينبغي أن يأمل». **(محمد حسن البرغثي: 2007، ص ص91- 92).**

فالثقافة تعبّر عن المضمون الفكري الذي يحدد للمجتمع سِماته التي تميزه عن غيره من المجتمعات؛ إذ تحمل بين طياتها السِمات الاجتماعية المتوازنة والمستجدة، وتُعتبر أيضا ثمرة النشاط الفكري والمادي الخلاق والمرن لدى الإنسان.

(دلال ملحس استيتية: 2004، ص 226).

ويرى "محمود أمين" في الثقافة: بأنها « رؤية شاملة للعالم بمستوى أو آخر، تتجلى أو تتجسد فرديا ومجتمعيا في المفاهيم، القيّم، ظواهر السلوك، الممارسات المعنوية، العملية الحياتية المختلفة، توحِدُها اللغة في المجتمع الواحد، وإن تنوعت بتنوع فئات هذا المجتمع من حيث مواقعها الاجتماعية ومواقعها الفكرية، بما يُشكِّل الخصوصية الثقافية والقومية العامة لهذا المجتمع». **(محمد حسن البرغثي: 2007، ص 92).**

من التعريفات السابقة تتضح أهمية اللغة كمكون وجامع للثقافات الإنسانية على اختلافها؛ ضف إلى ذلك أنها مرآة الثقافة والمخزون لأهم الرموز المستخدمة للتواصل الاجتماعي بين أفراده، وفيها يتم تناقل العادات والتقاليد وأهم الأفكار المسموح بها بين الأفراد كضوابط اجتماعية تُميّز الثقافة وتصطبغ بها الهوية.

فينظر إليها "علي حرب" على أنها: «صناعة الحياة والاشتغال على الطبيعة، وشكل من أشكال التواصل والتبادل، بهذا المعنى لا إنسان بلا ثقافة، سواء أكان من أهل العمل الفكري أم من أصحاب العمل اليدوي، لأنه لا إنسان أصلا بلا فكر»، ويضيف "حرب" في موضع آخر بأنها: «عالم من الرؤى، النماذج، القيم، المواقف، أو من المفاهيم والمعايير، هذا العالم من المعاني والدلالات والعلاقات ليس متجانسا؛ بل هو منسوج من الفرق والاختلاف، قائم على الوصل والفصل، ولا يخلو من التعدد والتعارض؛ إنها تركيبة يُعاد تشكيلها على سبيل التطعيم والتهجين». **(محمد حسن البرغثي: 2007، ص 92).**

هذه أهم التعريفات لمصطلح الثقافة، ونرى بأن مجمل التعاريف تصب في تعريف "تايلور"، فهي تشمل اللغة، العادات والتقاليد...فهي ذات طبيعة اجتماعية، لأنها تتكون نتيجة تجمع الأفراد، خاصة بالأفراد كأعضاء في جماعة وليس أفراد متفرقين، وهذا ما عرضه "براون" "BROWN" أن الثقافة «هي العملية التي تنتقل بها اللغة والمعتقدات والأفكار والمعرفة والمهارات من مجموعة أو طبقة اجتماعية معينة، ومن شخص لشخص أو من جيل إلى أخر». **(إبراهيم بدران: 2002، ص 70).**

فهي عبارة عن مزيج من المعرفة، العقائد، الفنون، الأخلاقيات والقانون، العادات، القيم والتقاليد...كما تُعد سلوكا مكتسَبا؛ أي أن الفرد لا يَرثها وإنما يتعلمها عن طريق التعايش مع مجتمع معين؛ فالطفل مثلا ينمو في مجتمع له ثقافته الخاصة وتتكون الثقافة لديه من خلال ما يتعلمه، وما

يمر به من خبرات ومعارف وتجارب في حياته ومن خلال عمليات الاتصال بالمجموعات التي ينتمي إليها؛ فالثقافة تنتقل من جيل إلى جيل من طرف المجتمع وأفراده؛ إن معتقدات الفرد وقيّمه وعاداته وغيرها من مكونات الثقافة تؤثر على الطريقة التي يستجيب بها الفرد لمواقف معينة في حياته اليومية، فكل واحد منا مثلا يتأثر تقييمه للسلع والخدمات المعروضة بالثقافة. **(عنابي بن عيسى: 2003، ص 112-113).**

ثانيا/ أنواع الثقافة :

قبل التطرق لأنواع الثقافة بِودي أن أعرج قليلا على الثقافة الأصيلة والأصلية للثقافة العريقة ألا وهي الثقافة العربية الإسلامية التي تطغى على كل الثقافات مهما كانت أنواعها.

والتي يعرّفها "عبد السلام المسدني" بأنها مناط الشخصية العربية ومستودع قيّمها ووعاء حكمتها وحقيقة هويتها الحضارية، أنها ثقافة إنسانية أصلية شاملة لمظاهر المادة والروح ذات عراقة تاريخية تتميز بقيم فكرية عالية وقيّم الحق والعدل والمساواة واحترام المعرفة، ثقافة تُمثل الثقافات الأخرى دون إذابة أو ذوبان، تنفرد بجهاز لغوي ليس له مثيل في السِعة والمرونة، وأهم شيء في مفهوم الثقافة في الحضارة العربية الإسلامية هو التلازم بين كل ما هو ثقافي وقيمي؛ فضلا عن الارتقاء بالإنسان إلى أقصى الدرجات ذلك أن موضوع الثقافة في أصله وجوهره هو لماذا نحيا؟ أي السؤال عن معنى الحياة عكس الحضارة والتي يغلب عليها الطابع المادي والتي تتمحور حول سؤال كيف نحيا ؟ وبالتالي فهو سؤال عن كيفية الحياة. **(جمال العيفة: 2003 ، ص 38).**

ومن أهم أنواع الثقافة نذكر:

1.2.الثقافة النخبوية: هي الثقافة التي تحصلت عليها نخبة من المجتمع بواسطة عِدة وسائل منها الكتاب وهي ثقافة مكتوبة لا يتحصل عليها إلا من يعرف القراءة والكتابة، وهي تعبّر عن

مواقف المجتمع عندما تكون نابعة منه، وهي التي يُطلق عليها "محمد عابد الجابري" اسم "الثقافة العالمية" والتي تضم حسبه طريقة الحياة المادية والروحية لكي تمنح لكل أمة خصوصيتها، وهي معدن الهوية؛ حيث تمتد من طريقة الملبس والمأكل والضحك إلى مكونات الذاكرة الجماعية والخيال الاجتماعي والرأسمال الرمزي.

(جمال العيفة: 2003، ص 42).

فهي تُستَعمَل لتشير إلى المعطيات ذات الخصوصية المتميزة بدرجة عالية في الرقي؛ فهي تعتبر من جانب الوسط الثقافي أعلى درجة الإبداع الإنساني؛ فالأعمال الفنية ذات الحضور المستمر تُعد مثالا عن الثقافة العالية، وتتضمن أعمالا مثل: الأوبرا والسمفونيات الكلاسيكية لـ"بيتهوفن" و"موزار" واللوحات الفنية مثل "ليوناردو دافنشي" وكذلك أعمال "شكسبير" و"جون ملتين"، والعديد ممن يستعمل مصطلح الثقافة العالية، التي ينظر إليها كشكل أرقى من أشكال الثقافة الأخرى. **(هارلمبس وهولمبورن: 2010، ص 12).**

من أبرز صفات الثقافة النخبوية أنها تنحصر في طبقة دون باقي الطبقات المجتمعية، طبقة تعيش رخاء ورقي اجتماعي؛ لدرجة أنها لا تهتم بكل ما تهتم به الطبقات الأخرى والتي هي دون المستوى الاجتماعي والاقتصادي وحتى الثقافي، فهُم في مكانة تسمح لهم بالاستمتاع بكل مترَفات الحياة؛ في حين الذين لا يملكون وقت لهذا الرُقي والبذَخ المادي، يكونون في مراحل التفكير كيف يحسّنون مستواهم المادي، ومع ذلك يملكون ثقافة تميز مستواهم ومكانتهم بين باقي الثقافات وهي تسمى بالثقافة الشعبية.

2.2.الثقافة الشعبية: إن إثارة مسألة ثقافة المجموعات المهيمَن عليها تؤدي –لا محالة– إلى إثارة الجدال حول مفهوم "الثقافة الشعبية"؛ ففي فرنسا تدَخلت العلوم الاجتماعية، متأخرة نسبيا في هذا النقاش الذي كان في البداية؛ أي في بداية القرن الـ 19 من فعل المحللين الأدبيين خاصة إذا كان

منحصرا في تفحص الأدب المسمى "شعبيا " وخاصة منه أدب البيع الجوال colportage*، لاحقا وسّع دارسو الفلكلور المنظور بأن اهتموا بالتقاليد الفلاحية، ولم يقارب علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع حقل الدراسة هذا إلا منذ أمد أقرب. **(دنيس كوش: تر: منير السعيداني: 2007، ص 122).**

هي عكس الأولى وهي الثقافة الشفوية التي ينقلها المجتمع من جيل لآخر شفويا كالشعر الملحون والحكايات والعادات والتقاليد، وفي الغرب تسمى الفلكلور من غناء ورقص، وهذا الفلكلور الذي يعبّر عن تفاعل مباشر بين الناس بشكل متناغم تتبوأ فيه الكلمة الشفهية المكانة الأولى، أما أحدث تعريف للفلكلور فقد أصدره مؤتمر الفلكلور الذي عقد في أرنهيم "Arnheim" سنة 1955 في توصياته؛ حيث يُعرّف الفلكلور بالنظر إلى مادته على أنه : «هو المأثورات الروحية الشعبية وبصفة خاصة التراث الشفوي» "oral tradition" وهو أيضا العِلم الذي يدرس هذه المأثورات، ويتألف اصطلاح فولكلور "folk-lore" من مقطعين "folk " بمعنى الناس وهي الكلمة الانجليزية القديمة "folc" و"lore" بمعنى معرفة أو حكمة؛ فالفلكلور حرفيا هو معارف الناس أو حكمة الشعب. **(جمال العيفة: 2003، ص 43).**

ففي بعض الكتب والمراجع يُنظَر لها على أنها ثقافة الناس العاديين وخاصة أولئك الذين يعيشون في مجتمعات ما قبل الصناعة، فثقافة العامة تتكون ذاتيا وهي متجانسة وتعكس مباشرة حياة وتجارب الأفراد؛ حيث تبرز كما تبرز الأعشاب من الجذور، وكمثال على الثقافة العامة: الأغاني التقليدية والقصص المتنقلة من جيل لجيل، ويُنظَر لها باعتبارها أقل قيمة من الثقافة العالية

---

* **البيع الجوال** أو **Colportage**: هو مجموع الآثار الأدبية الشعبية التي كان يروّجها الباعة الجوالون طول الفترة الممتدة من القرن 16 الى القرن 19 **(نقلا عن: دنيس كوش، ترجمة منير السعيداني، ص 122).**

مع أنها تعتبر مهمة في بعض المجالات، وتوصَف كونها لا تطمح أبدا لتكون فنًا رغم أنها تُحترم وتُقبَل كثقافة أصيلة وليست مفتعلة.

(هارلمبس وهولمبورن: 2010، ص 12).

يرى "غرامشي" أن الثقافة الشعبية لا تقل أهمية عن باقي أنواع الثقافة الجماهيرية، فهي تكمن في حل مشكلة التغيير والتنمية، ويؤكد على عدم النظر للفلكلور على أنه مجرد رقصات، وغناء وكلمات شعبية تعبّر عن آراء ومعتقدات الطبقات المجتمعية الشعبية؛ بل أنه صورة أخرى للحياة بطريقة جادة وهو انعكاس للأفراد وطريقة معيشتهم.

لكن بتدخل وتطور الثقافة ووسائل الاتصال الجماهيرية أثّر على طبيعة هذا النوع مخلفا ما يسمى بـ"جمهرة الثقافة"؛ هذه الأخيرة التي تعبّر عن طبقة لها إيديولوجية معينة، محاولةً فرضها ليس على طبقة واحدة؛ وإنما على كل الطبقات المجتمعية لتخلق نمطا واحدا عالميا.

3.2. الثقافة الجماهيرية: الثقافة الجماهيرية أو جمهرة الثقافة عن طريق وسائل الاتصال الجماهيرية، وما تحاول كسبه على حساب المادة الإعلامية التي تقدمها هذه التقنيات الحديثة، فهي تسعى إلى كسب عدد كبير جدا من الجماهير وبالمقابل التأثير عليهم ببثها مسلسلات، إشهارات، أغاني ...معتمدة على الجانب المعياري الاستهلاكي القوي كقاعدة لتنفيذ أفكارها.

إذن هذا النوع من الثقافة يختلف تماما عن النوعيين السابقين، فإذا كان الإنسان هو العامل المحرك في الثقافة النخبوية وخاصة الشعبية؛ ففي الثقافة الجماهيرية تعتمد على التقانة كعامل أساسي إلى جانب الفرد في توسيع أفكارها ومنتقياتها الاستهلاكية.

فهي إذن مفهوم جديد يختلف عن النوعين السابقين وهي مرتبطة بوسائل الاتصال وتنتقل بواسطتها، وهي تؤثر على أفراد المجتمع بالتكرار وطول الزمن، وبذلك فهي غالبا ما تصطدم بالنوعين السابقين. **(جمال العيفة: 2003، ص 44).**

وفي ذات السياق كَتَب "إدغار موران": "عندما بدأت التفكير حول مصطلح الثقافة الجماهيرية، ظهر لي شيئان: الحداثة التي جلبتها للثقافة المشتركة، والتي يُطلق عليها تزامن الثقافة الجماهيرية؛ ومما يعني: القدرة على احتواء مختلف المستويات الثقافية، ومختلف الأشياء ذات الأصول المختلفة، ومن جهة أخرى مختلف العلاقات الداخلية التي تربطها الثقافة الجماهيرية مع الخبرة الشخصية، ما تجلبه الثقافة الجماهيرية هو الامتداد المعتبر للخبرة الشخصية، وبالأخص بُعد مختلف للإشارة".

(Eddgar Morin et Eric Macé, p.8)

شَهِد مفهوم الثقافة الجماهيرية نجاحا كبيرا في الستينات ومرَد هذا النجاح كان جزئيا، لعدم دقته الدلالية والجمع بين مصطلحي "ثقافة" و"جماهير"، وعليه فليس مفاجئا إن أمكن استخدام المفهوم لبسط تحاليل ذات توجهات بائنة الاختلاف، بعض علماء الاجتماع شأن "إدغار موران" "Edgar Morin" مثلا يشددون على نمط إنتاج هذه الثقافة الذي يخضع إلى ترسيمات الإنتاج الصناعي الجماهيري أن تطور وسائل الاتصال الجماهيري يتوازن وإدراج ما بات محددا من مؤشرات الإنتاجية والمردود في كل ما يهم الإنتاج الثقافي "الإنتاج" ينزع إلى تعويض "الإبداع".

(دنيس كوش، تر: منير السعيداني: 2007، ص 130،131).

إنطلاقا مما سبق هناك اتجاهين بالنسبة للثقافة؛ أحدهما يذهب إلى أن ثقافة الجماهير تُذيب الفوارق الثقافية الموجودة، والتي يعتبرها "جورج ديهاميل" من مقومات الفردية الخالقة "individualisme" يقول "دوايت ماكدونالد": «إن مستوى الثقافة الجماهيرية قد ارتفع بشكل كبير مع تطور وسائل الإعلام وازدياد قدرتها، ولكن التحسن الذي ظهر هو نفسه إفساد للثقافة العليا، فما من شيء أكثر فجاجة من الثقافة الجماهيرية المتطورة».

(سهير جاد وآخرون: 1999، ص 15).

هذه الفجاجة كما أشار إليها "دوايت ماكونالد" هي نتيجة العولمة وترتباتها أو ما تفرزه على مستوى الفرد والمجتمع، فنحن لا نغفل عن عوامل انتشارها من الرقعة الجغرافية الواسعة لاعتمادها على وسائل الاتصال والتكنولوجيا الحديثة والأهم هو توسيع أسواقها على أصقاع المعمورة؛ إذن فلو تمعنا فيما تقدمه الثقافة الجماهيرية وما تتقاطع فيه مع العولمة لوجدناها أحد إستراتيجياتها لإنجاح العولمة عن طريق التجارة والاستهلاك النوعي والمادي وبتنميط كل شئ حتى الأفراد وأفكارهم وآرائهم وجعلهم أفراد سلبيين يتلقون ويقبلون دون إبداء الرفض أو القبول، مع ما يتم قبوله ويتماشى مع الثقافة العربية وفق الضوابط المجتمعية، أو رفض كل مع ما يتعارض مع القيم والمعايير المتفق عليها مجتمعيا.

بالموازاة مع ذلك، نجد الإتجاه الآخر "عالمية الثقافة" أو الثقافة العالمية*[1] وهو اتجاه متفائل يذهب إلى أن الطابع الأساسي لثقافة الجماهير، هو ما يتسم به هذا الطابع من عالمية؛ إذ نجد لأول مرة أعضاء المجتمع جميعا يشتركون في إطار دلالي موحد "cadre reference" ونجد كذلك لأول مرة برغم انتشار المساواة الاجتماعية أن جميع الأفراد يكتسبون المواطنة الثقافية، ويذهب أصحاب هذا الاتجاه تأسيسا على ذلك إلى أن ثقافة الجماهير أيا كانت تُخرج الكتل الجماهيرية من ظلام الجهل ومن حلكة الروتين الذي تعيش فيه من ذي قبل. **(سهير جاد وسامية أحمد علي: 1999، ص 15).**

فإذا كانت الثقافة الشعبية هي ثقافة العامة التي يُنظر إليها كصورة لِما قبل الحداثة ولِما قبل المجتمع الصناعي، فإن ثقافة الجماهير هي إفراز للمجتمعات الصناعية؛ وهي بالضرورة إفراز للإعلام الواسع، مثال على ذلك الأفلام ذات الطابع الشعبي والمسلسلات التلفزيونية المحلية وأشرطة موسيقى البوب، والمنتقدين لهذه الثقافة يرون أنها تحط من قيمة الأفراد وتحطم النسيج الاجتماعي،

---

* "جيران في عالم واحد " هو شعار توثيق لنظام جديد أخذ في طور التشكل ترسم فيه معالم طريق يقود الدول الى تخيل بنائي كقرية كونية صغيرة تضم الأمم والشعوب، و تتأكد فيها الحاجة الى قيم مشتركة. (نقلا عن أحمد مجدي حجازي، العولمة والهوية، سلسلة أبحاث المؤتمرات، ص 146).

وإذا كانت الثقافة العامة يصنعها الناس العاديون فإن الثقافة الجماهيرية تستهلك فقط جانب من جوانب الأفراد، وبناءًا على هذه النظرة يُصبح المشاهدون أعضاء سلبيون في المجتمع الجماهيري ولا يستطيعون التفكير في أنفسهم.**(هارلمبس وهولمبورن: 2010، ص 12).**

وتدعيما لهذا العرض المبسط حول الثقافة الجماهيرية نورد الجدول الآتي الذي يوضح مختلف أنواع الثقافة والتي تطرقنا لها آنفا باختصار.

جدول رقم (01): يوضيح أنواع الثقافة

نوع الثقافة / المفهوم والخصائص	الثقافة النخبوية High culture	الثقافة الشعبية Popular culture	الثقافة الجماهيرية Mass culture
المفهوم	تتضمن الثقافة النخبوية الأعمال الراقية التي يقدمها المبدعون في مجالات الفنون المختلفة من أدب، شعر، مسرح، نحت ورسم، وهي تشمل طريقة الحياة المادية والروحية التي تمنح لكل أمة خصوصيتها.	يطلق عليها أيضا اسم الفلكلور وهي التي ينقلها المجتمع من جيل لآخر شفويا ك: الشعر الملحون، الحكايات والأساطير، وهي ثقافة أصيلة روحية ومباشرة تُفرَض منذ الصغر على الفرد.	الثقافة الجماهيرية هي المواقف الجديدة التي تنشرها وسائل الإعلام والاتصال لدى الجماهير الواسعة وبصفة اصطناعية، وتمتاز بأنها ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب، وظهرت بظهور وسائل الاتصال الحديثة.
المرسل	تلقَن عن طريق العلماء والمثقفين والأكاديميين والأساتذة، أما عن طريق تأليف الكتب أو إقامة الندوات والملتقيات والمناظرات أو التدريس بالمعاهد والجامعات والمدارس والأكاديميات المتخصصة، ولا تخضع في الإطار العام إلى الإشراف الرسمي.	(راوي القصة مثلا) له جمهور مباشر يجالسه وجها لوجه و يتفاعل معه، كما أن الجمهور بكل أفراده الحاضرين هم مرسلون ومستقبلون في الوقت نفسه .	المرسل في أغلب الحالات لا يرى جمهوره سواء ، كان كاتبا ، صحفيا ومذيعا أو مقدما للأخبار في التلفزيون، وعادة ما يكون له مصدره الأصلي (جهة حكومية ، مؤسسة خاصة).

المستقبل	يشترط في من يتحصل على هذا النوع من الثقافة الوصول إلى مستوى ثقافي معين مصحوب بمعرفة جيدة بالقراءة والكتابة وحتى التفكير.	جمهور هذه الثقافة هم أفراد المجتمع المتفاعلون فيما بينهم مباشرة دون وسيط أي بعبارة أخرى هناك وحدة بين المبدع والمشاهد.	جمهورها عريض ومشتت وغير معروف ولا يستطيع الاجتماع في مكان واحد ولا يُفترَض أن تكون له ثقافة عالمية؛ بل هو من الأفراد العاديين؛ خاصة إذا تعلق الأمر بالراديو أو التلفزيون عكس الصحيفة التي تحتاج إلى معرفة القراءة.
الرسالة	الرسالة في هذا النوع من الثقافة تكون إما شفهية عن طريق الإلقاء والتدريس في شكل محاضرات، أو مكتوبة أو منشورة، أو مذاعة ويتسم مضمونها بأنه جاد وهادف تعليمي وتربوي، تثقيفي وفكري ذو مستوى عال.	الشفهية خاصية متأصلة في طبيعة النص الشعبي (الرسالة)، والمضمون خالٍ من البهرجة والأعمال الأدبية والفنية الهابطة. الحكايات (الرسائل) في الثقافة الشعبية هادفة وذات مغزى تربوي واجتماعي كما أنها تحمل قيما أخلاقية.	تُنتج الثقافة الجماهيرية رسالة متسلسلة ومتشابهة تخضع لمقاييس التقنية الفنية كما تعتمد الرسالة على البهرجة والأعمال الفنية المبتذلة التي تخضع للظروف الآنية.
الوسيلة	وسائلها متعددة ولكن أبرزها المدارس والجامعات ودُور العلم والأكاديميات والملتقيات والندوات والدوريات.	يعبّر الفلكلور عن تفاعل مباشر بين الناس ويكون عن طريق اللقاءات والجلسات والتجمعات الشعبية والحكايات والأحاجي والألغاز والرقص الجماهيري.	النص المذاع أو المنشور أو المرئي يصل إلى المتلقي من خلال وسائل بث الكترونية وأدوات تقنية حديثة (الصحيفة، الراديو، التلفزيون، الانترنت).

رجع الصدى	يكون بالمناقشات بين مختلف الكتاب والمبدعين والعلماء أو الردود في الكتب أو الصحف والمقالات المتخصصة	موجود عن طريق التفاعل المباشر والحي في المكان والزمان بين الأفراد عن طريق الحكايات والجلسات والمشاركة	رجع الصدى والتفاعل على المباشر يكاد ينعدم في الثقافة الجماهيرية حيث تفصِل المرسل عن الجمهور حواجز لا يستطيع من خلالها أن يتفاعل معهم.

المصدر: (جمال العيفة: 2003، ص ص 45، 46، 47، 48)

في هذا الجدول قام "جمال العيفة" بشرح أنواع الثقافات بناءًا على عناصر العملية الاتصالية بصفة إجمالية.

ثالثا/ خصائص الثقافة :

تختلف الثقافة باختلاف المجتمعات، وتختلف أيضا في المجتمع الواحد في فترة زمنية معينة ...؛ فالأحوال والظروف التي تطرأ على مجتمع ما كثيرًا ما تدفع الناس إلى أن يعدّلوا من أفكارهم ومعتقداتهم ووسائل معيشتهم وأساليبهم العلمية وأنواع المعارف المتوفرة لديهم، ونظُمهم السياسية والاقتصادية وأسُسهم في تقويم هذه الأشياء والمعاني وغير ذلك، وهذا إن دلّ فإنما يدل على اختلاف عناصر الثقافة وتغيُّر معالمها.

(حسين عبد الحميد أحمد رشوان: 2006، ص 35).

تتضمن ثقافة أية أمة أو جماعة وجهة نظر كل فرد عن السلوك الفردي والعلاقات الاجتماعية وموقفه من الآخرين، ومع ذلك هناك خصائص عمومية عديدة للثقافة تجعلها مصدرا مهما لعدد كبير من التغيرات على مستوى الأنساق والعلاقات الاجتماعية ويمكن تحديدها بالخصائص التالية:

(عبد الغني عماد: 2014، ص 2، نقلا عن الموقع: alhiwar2012.wordpress.com)

1.ثقافة إنسانية: يُعتبر العنصر الإنساني المصدر الرئيسي للثقافة وبدونه لا تكون هناك ثقافة؛ فهي ظاهرة تخص الإنسان فقط، لأنها تعبر عن نِتاج عقلي، والإنسان يمتاز عن باقي المخلوقات بقدراته العقلية وإمكاناته الإبداعية، ولا يشارك الإنسان بهذه الظاهرة أية مخلوقات أخرى. **(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 124).**

فهي تخص الإنسان وحده دون سائر المخلوقات؛ إذ تتميز بها المجتمعات البشرية عن المجتمعات الحيوانية؛ فالثقافة من صنع الإنسان لما يمتاز به من قدرات عقلية تُمَكّنه من الابتكار. **(محمد حسنين العجمي وآخرون:2009، ص131).**

فالفرد الإنسان هو العامل الأساسي في تفعيل حركة الثقافة والمحافظة عليها، وبفضله تنتقل القيّم، العادات والتقاليد والآراء، ويتم ذلك عن طريق لغة تميزه وتميز مجتمعه، لذا تميَزَ بصفة الإنسانية التي تُمنح له لا دونا عن باقي الكائنات.

- **خاصية الثقافة مكتسبة:** الثقافة لا يرثها الإنسان كما يرث لون عينيه أو بشرته؛ بل يكتسبها بطرق مقصودة أو عرضية عن طريق التعلم، والتفاعل مع الأفراد الذين يعيش معهم كأسرة. **(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 124).**

وبناءًا عليه يسعى الانسان لرسم معالم ثقافته بمفرده زاده في ذلك مكتسباته وخبراته الحياتية التي تصقل تجاربه.

فهي تُكتَسَب من خلال التفاعل والاحتكاك بين الأفراد في بيئة معينة، وقد يكتسب الثقافة في المدرسة والعمل، وعندما يكتسبها الفرد في المنظمة تصبح جزءًا من سلوكه ومن خلال الثقافة نستطيع أن نتنبأ بسلوك الأفراد معتمدين على ثقافتهم.

(بلال خلف السكارنه: 2009 ، ص 356).

فالإنسان يكتسب ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه منذ الصغر، ولا تؤثر العوامل الفسيولوجية والوراثية في عملية التنشئة الثقافية. **(عاطف وصفي:1971، ص 83).**

إن أهم ما يميز الثقافة هو صفة الاكتساب، وذلك نتيجة التفاعل الاجتماعي بين الأفراد فتنتقل وتكتسب تلك الثقافة خاصة بالاعتماد على اللغة، التي هي وعاء الثقافة ومنبت تطورها وانتقالها، واللغة في حد ذاتها ذابت وانصهرت حسب محددات المناطق والجهات التي يستوطنها السكان، فنجد مثلا المجتمع الجزائري في حد ذاته مجتمع متنوع من ناحية المناطق واللهجات؛ فالمنطقة الشمالية تتميز بثقافة ولهجة معينتين تميزهم عن سكان المناطق الشرقية أو الغربية وحتى الجنوبية، لكن هذا التميز زادها تنوع ثقافي وحضاري واسع جدا بين باقي الدول، والأمر الملاحظ خاصة بعد الاحتكاك والاتصال بسكان هذه المناطق هي محاولتها الحفاظ على طبيعة هذه اللهجات وضرورة تناقلها واكتسابها بتلقينها لأولادهم منذ مراحل تكوينهم الأولى.

2.ثقافة تطورية: أي أن الثقافة لا تبقى على حالها؛ بل أنها تتطور نحو الأحسن والأفضل، ولكن التطور لا يتم غالبا في جوهر الثقافة؛ بل في الممارسة العملية ويكون ذلك نتيجة لحاجات الإنسان الذي يعيش في المجتمعات الحديثة.

(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 124).

3. **ثقافة تكاملية:** أي أنها تُشبّع الحاجات الإنسانية وتُريح النفس البشرية لأنها تجمع بين العناصر المادية والمعنوية، وتجمع بين المسائل المتصلة بحاجات الجسد والمسائل المتصلة بالروح والفكر كالعقيدة الدينية أو النظرية السياسية.

(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 124).

فهي تتحد وتلتحم لتكون كُلا متكاملا متجانسا متسقا، ولا يمكن فهم أي ثقافة إلا إذا نظرنا إليها على أنها متكاملة ويشير التكامل إلى فكرة الشمول والكلية.

(حسين عبد الحميد رشوان: 2006، ص 53).

فالثقافة لا تتكون ولا تستمر في حلقة واحدة ووحيدة؛ بل تكاملها مع باقي العناصر المكونة للمجتمع يجعلها تعمل في انسجام مع بعضها البعض.

4. ثقافة استمرارية: هي ظاهرة تتبُع من وجود الجماعة ورضاهم عنها وتمسُكهم بها ونقلها إلى الأجيال اللاحقة؛ فهي بذلك ليست ملكا لفرد معين؛ وإنما هي ملك جماعي وتُراث يرثه جميع أفراد المجتمع الذين يمثّلون هذه الثقافة إلا إذا انفض المجتمع الذي يمارسها لأي سبب كان. **(محمد أبو جادو: 1998، ص 124).**

فعلى الرغم من الطابع العام للثقافة الذي يبدو متغيرا في شكله الخارجي، فإن الأنماط الثقافية في تغيُر مستمر عبر الزمن بفعل العديد من العوامل، وتختلف درجة التغير بسرعة وبطء بحسب حجم المجتمعات وموقعها الجغرافي وانعزالها أو احتكاكها بثقافات المجتمعات المجاورة لها، فقد يسير التغير ببطء إذا كان المجتمع منعزلا وصغيرا، ويسير بسرعة أكبر إذا كان المجتمع كبيرا ومتمَدِنًا؛ حيث تكثر المنافسة وتتوفر وسائل الاختراع والاحتكاك والتفاعل والانفتاح على ثقافات المجتمعات الأخرى.

(أحمد بن نعمان: 1996، ص 42).

عليه فالاستمرارية ترجع إلى العلاقة الموجودة بين حجم المعرفة الموجودة وبين معدل الاختراعات المستحدثة. **(حسين عبد الحميد رشوان: 2006، ص 53).**

5.ثقافة واقعية: اعتبر كثير من العلماء الظواهر الثقافية كالظواهر الاجتماعية وبالتالي فإنه ينبغي النظر إليها كأشياء واقعية مستقلة، لا تتعلق بوجود أفراد معينين وبناء عليه يمكن دراستها كأشياء مدركة موضوعيا وتؤثر الظواهر الثقافية بعضها ببعض، كما تؤثر في السلوك الاجتماعي للأفراد في المجتمع وتخضع لقواعد اجتماعية.

(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 124).

في خِضم ذلك، يجب مراعاة كل ما يقدمه الأفراد من آراء وقناعات لتكون فاعلة حقيقية معبرة عن الواقع الاجتماعي، وأنها تنتقل فيما بين أفراد الجماعة الواحدة.

6.تراكمية وانتقالية:

الثقافة قابلة للانتقال من جيل الكبار إلى جيل الصغار بواسطة عملية التثقيف أو التنشئة الاجتماعية، ولذا فهي قابلة للانتشار بين الأمم والأجناس المختلفة وذلك لسهولة أساليب الاتصال الحديثة في المجتمعات المتقدمة. **(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 124).**

فمن خلال انتقالها تكون قابلة للتغيير، وتختلف المجتمعات الإنسانية في مقدار هذا التغيُر الذي يحدث على مستوى المجتمع بفعل تغيير الظروف الاقتصادية ووجود الاختراعات والاكتشافات الجديدة. **(كريم زكي حسام الدين: 2001، ص 22).**

فالأفكار والمهارات وغير ذلك من السمات الثقافية التي تتراكم عبر الوقت، وتنمو بسرعة؛ تضاف إليها سمات ثقافية أخرى جديدة، ويؤكد هذا المعنى عالم الاجتماع "دي روبرتي" " De Roberty"، الذي ذهب إلى أن الثقافة هي حصيلة الفكر والمعرفة في المجالين النظري والعلمي على السواء وعلى هذا الأساس، فإنها تُعتبر خاصية من خواص الإنسان دون غيره من الكائنات. **(حسين عبد الحميد رشوان: 2006، ص 54).**

فأثناء الانتقال تتم عملية التراكم التي تختلف من عنصر لآخر، ومن فرد لآخر، جراء عملية الاحتكاك والتفاعل بين المجتمعات سواء بين عناصر الثقافة الواحدة أو بين الثقافات المختلفة.

لذا فإن هذا التراكم للأفكار والعادات ونقلها من جيل إلى جيل آخر يعتبر خاصية إنسانية متميزة ، أدت إلى ظهور مفهوم جديد على المستوى الأكاديمي بين الباحثين عُرف باسم "تعددية الثقافات المحلية "، بوصفها كيانات كلية وظيفية منظمة وقد برز هذا الاتجاه بين علماء

الأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا كر فعل لإعادة النظر حول المسلمات الفكرية التي سادت القرن الـ 19 والتي كانت تعالج قضايا الجنس البشري على أساس الوحدة النفسية، والوحدة في التاريخ المشترك إلى جانب الوحدة في الثقافة.

(عباس محمد إبراهيم:2009 ، ص23).

6. ثقافة اجتماعية:

تُشبّع الثقافة بصفة عامة الرغبات والحاجات الإنسانية وقد تكون هذه الحاجات بيولوجية كالجوع والعطش وما شابه ذلك، أو اجتماعية ثقافية " socio culture" وذلك كتلك التي تظهر من خلال التفاعل الاجتماعي، فعناصر الثقافة عامة مشتركة بين الكائنات الإنسانية التي تعيش داخل تجمعات منظمة أو جماعات تمثل بالامتثال والتطبيق النسبي في وطأة الضغوط الاجتماعية كالعادات، فهذه العادات الجمعية تنبثق من التفاعل الإنساني والاجتماعي ويشارك فيها أعضاء جماعة اجتماعية وتُشكل ثقافة هذه الجماعة.

(حسين عبد الحميد رشوان: 2006، ص 58)

7.ثقافة متغيرة:

الثقافة متغيرة بتأثير التغيرات البيئية والتكنولوجية ولكن عملية تغييرها تواجه صعوبة في كثير من الأحيان؛ لأن الفرد تعوَّد على سلوك معين وعلى قوانين وأنظمة معينة.

(بلال خلف السكارنة: 2009، ص 356).

فالثقافة عبارة عن قَناعات يصعب تغييرها بين الأفراد، لكن بحضور متغيرات قوية تدفع بها إلى هذا التغير، وهو ما حصل بفعل التطور التكنولوجي، فصفة التغيّر هي ميزة متجذرة في الثقافة، مما يستبعد عليها صفة الجمود أو الستاتيكي.

8. ثقافة مادية وغير المادية :

للثقافة جانبين متكاملين؛ أولهما مادي يظهر في لباس الناس وطعامهم، أو أدوات طبخهم وأوانيهم أو أدوات الاتصال ووسائل المواصلات عندهم...الخ، وثانيهما غير مادي يتمثل بالمفاهيم والأفكار والمعتقدات السائدة. **(عمر أحمد الهمشري: 2003، ص 188).**

وهنا يكمن الاختلاف حول المفهوم، فمنهم من يعتبر الثقافة على أنها تلك الكتلة من القيّم والعادات والتقاليد...، ومنهم من يقول أنها تشير إلى طبيعة حياة الشعوب وما تُنتجه من علاقات اجتماعية نتيجة التفاعل، فبازدواجية الجانب المادي واللامادي يتشكل مفهوم شامل للثقافة في حد ذاتها.

فالمكون المادي هو ما يصنعه الإنسان من أمور تسُد حاجاته المجتمعية، واللامادي هو ما يخترعه الفرد لينقل تلك المعتقدات والأفكار؛ ففي كلا المكونين تتشكل الثقافة بتنوع مدلولاتها ومكوناتها.

9.ثقافة ضمنية ومعلنة:

فهي ضمنية لأن بعض دلالاتها لا تُفهم إلا من خلال السياق الذي تأتي فيه، وهي مستخفية في تلك الجوانب التي تشمل عالم الروح وعالم الطبيعة وما ينضوي تحتهما، وعلنية الثقافة تظهر في سلوك الأفراد وتصرفاتهم وأحاديثهم، كما تظهر في الأمور المادية كالاختراعات والمكتشفات والأجهزة الحديثة أو المنتجات الصناعية وغيرها.

(عمر أحمد الهمشري: 2003، ص188).

فالأشكال الضمنية في الثقافة تكون بشكل فعلي داخل الجماعات، تعبر على اتفاق غير معلن لباقي الجماعات الأخرى ونجدها داخل القبائل والنظام العشائري الذي بقي فتاته حتى الآن عند بعض المناطق، أما الأشكال الثقافية المعلن عنها تكون ممارسة في العلن وتضفي أيضا صبغة على ثقافة المناطق والمجتمعات.

10. ثقافة متنوعة المضمون:

إذ تختلف الثقافات في مضمونها بدرجة كبيرة قد تصل أحيانا الى درجة التناقض، والمثال على ذلك أن بعض المجتمعات تسمح بتعدد الزوجات؛ بينما تعتبره مجتمعات أخرى جريمة يعاقب عليها القانون. **(عمر أحمد الهمشري: 2003، ص 189).**

فللثقافة دور كبير في تحديد نمط حياة الأفراد التي تختلف من شخص لآخر ومن مكان لآخر فنجد الثقافة موجودة في المدينة مختلفة عن الثقافة الموجودة في الريف أو البادية وحتى سلوك كل فرد في المناطق المختلفة يختلف عن الآخرين حتى هناك اختلاف نسبي في سلوك الأفراد الذين يعملون في بيئة عمل واحدة.

(بلال خلف السكارنة: 2006، ص 357).

هذه من أبرز خصائص ومميزات الثقافة التي ينفرد بها الكائن الإنساني وحده من دون سائر المخلوقات؛ فهو الوحيد الذي يخلق ثقافته ويحافظ عليها وينميها ويورثها للأجيال اللاحقة خلفا عن سلف، وقد يصادف وجود تشابه كبير بين ثقافة مجتمع وثقافة مجتمع آخر بحكم الجوار الجغرافي أو قوة وسائل الاتصال بينهما أو تداخل العوامل التاريخية الرابطة بين المجتمعين؛ إلا أن هذا التشابه مهما بلغ من الشدة فإنه لا يمكن أن يرقى إلى درجة التطابق، وذلك لأن لكل مجتمع ثقافته وطابع الخاص، مثلما لا توجد شخصيتان متطابقتان تطابقا كليا، لأن الثقافة الواحدة تصنعها مجموعة من الشخصيات؛ بالإضافة إلى عوامل أخرى غير إنسانية بطبيعة الحال.

رابعا/ وظائف الثقافة:

يتكيف الإنسان مع الطبيعة ويغيّرها ويتغير بفعلها، وهذا يعني أن الثقافة هي أداته في عملية التواصل والتكيّف والحياة، ويذكر "عبد الله الرشدان" خمس وظائف أساسية للثقافة هي:

❶ تمد الأفراد بمجموعة من الأنماط السلوكية لتحقيق حاجاتهم البيولوجية وضمان استقرارهم.

❷ تُتِيح للأفراد التعاون من خلال مجموعة من القوانين والنظم.

❸ تُؤدي إلى ظهور حاجات جديدة وتبدع وسائل إشباع هذه الاحتياجات والاهتمامات الثقافية والجمالية والدينية.

❹ تُمكِّن الإنسان من التنبؤ بالأحداث المتوقعة والمواقف الاجتماعية المشتملة ومن التنبؤ بسلوك الآخرين في مواقف محددة؛ وفي هذا الصدد يقول "مالينوفسكي" أن الثقافة تُلبي نظاما متكاملا من الاحتياجات الإنسانية البيولوجية وتضمن له غطاءًا وظيفيا يسعى إلى حماية الإنسان من المخاطر والكوارث الطبيعية والبيئية، والثقافة هي أداة الإنسان في إطار البيئة؛ وبالتالي فإن لكل عنصر من عناصرها غاية ووظيفة محددة. **(أسعد علي وطفة: 1992، ص 7، 8).**

خامسا/ عناصر الثقافة:

إذا كنا نفهم الثقافة على أنها وجود متجانس يشترك فيه جميع أفراد المجتمع، فإننا نتساءل هنا عن ماهية عناصر الثقافة التي يمكن أن يشترك فيها كل أعضاء المجتمع؟ **(عباس محمد إبراهيم: 2009، ص 34).**

عموما تنقسم الثقافة إلى قسمين رئيسيين هما:

1.5.العناصر المادية:

فالثقافة مجموعة من النماذج للتصرف التي يتعلمها وينتجها الإنسان والتي نشأت عن طريق استخدام الرموز، وتستمد وجودها منها منذ أن أصبح الإنسان قادرا على الترميز وبعد أن

أصبح قادرا على إعطاء معان ودلالات معينة للظواهر المادية التي تحيط به. **(كريم زكي حسام الدين: 2001، ص 20).**

وتشمل ما أنتجه الإنسان ويمكن معرفته بالحواس. **(صالح أبو جادو: 1998، ص 122).**

2.5.العناصر المعنوية:

وتشمل أنماط السلوك والمعايير الاجتماعية والقيّم، الأعراف والعادات، وقد حدد كل من "**بيلز** و**هويجر**" المعاني التي يستخدم بها مصطلح الثقافة بما يلي:

- للدلالة على أساليب الحياة المكتسبة والشائعة في وقت معين بين الجميع.
- للدلالة على أساليب الحياة الخاصة بمجموعة من المجتمعات التي يوجد بينها قدر من التفاعل.
- للدلالة على أساليب السلوك الخاصة بمجتمع معين.
- للدلالة على أساليب السلوك الخاصة بشريحة معينة داخل مجتمع كبير على درجة من التنظيم المعقد.

وهناك من يرى أن الثقافة تتكون من ثلاثة مكونات رئيسية هي: المكونات المادية أو ما يسمى القطاع المادي للثقافة، المكونات الاجتماعية أو ما يسمى القطاع الاجتماعي للثقافة، المكونات الفكرية أو ما يسمى القطاع الفكري للثقافة أما المكونات المادية للثقافة فهي ما يستعمله الإنسان في حياته اليومية، من أدوات وأثاث ومسكن وملبس ووسائل النقل وما إلى ذلك، أما المكونات الاجتماعية للثقافة وفيما يُطلق عليه اصطلاحًا البناء الاجتماعي، وهو هيكل المجموعة الاجتماعية من الناس، المستمرة في الوجود لفترة كافية من الزمن، وتنشأ بين أفرادها علاقات وتفاعل، ونُظُم اجتماعية تصل عن طريقها مجموعة من السكان إلى حالة التكامل والترابط اللازمة لتكوين المجتمع، أما المكونات الفكرية للثقافة؛ فتشمل العناصر والمركبات

والنُظم الثقافية التي يغلب عليها طابع الأفكار والعواطف ويشتمل هذا القطاع على اللغة والفن والشعر والدين والعلم.

(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 122).

3.5. تقسيم "رالف لينتون":

أما "**رالف لينتون**" "LINTON" فيذكر أن محتوى الثقافة يمكن تقسيمه إلى ثلاثة أقسام:

1.3.5.العموميات أو العالميات: وهي المكونات الثقافية التي يشترك فيها جميع أفراد المجتمع الناضجين، وتُمثِّل العالميات المعتقدات والقيم التي يعبَّر عنها أحيانا بمصطلح "**جوهر الثقافة**"؛ والعالميات أو العموميات تبيِّن في أعمق مستويات التحليل أنها «تلك العناصر التي تُميز فَردًا من فئة معينة عن فرد من فئة أخرى، وتتكون العموميات من الأفكار والسلوكيات التي توجد بصفة عامة عند كُل أعضاء المجتمع الواحد البالغين، وتُكَوِّن معايير بواسطتها تقرر الجماعة أن كان الفرد يسلُك سُلوكا طبيعيا أم لا، وقد سميت تلك العناصر بالعمليات لأنها موجودة في معظم ثقافات العالم.

(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 122).

ومن هذه العموميات اللغة، واللباس الشعبي، وطريقة الأكل، وأسلوب التحية والاستقبال والوداع، وطراز المباني وأسلوب الاحتفالات في الأفراح والتعبير عن الأحزان وغيرها، وبذلك تُشكِّل العموميات الثقافية القاسم المشترك بين أبناء المجتمع الواحد.

(دلال ملحس استيتية: 2004، ص 239).

2.3.5.الخصوصيات: توجد داخل المجتمع نفسه مجموعة من الثقافات الفرعية (الخصوصية) التي تُميز قطاعات رئيسية في المجتمع، وهي جزء من الثقافة الكلية للمجتمع، ولكنها تختلف عنها في بعض السِمات والمظاهر والمستويات.

(دلال ملحس استيتية: 2004، ص 239).

فهي عناصر الثقافة التي تشترك فيها مجموعة معينة من أفراد المجتمع؛ بمعنى أنها العناصر التي يتحكم سلوك أفراد معينين دون غيرهم من المجتمع، فهي العادات والتقاليد والأدوار المختلفة المتصلة بنشاطات اجتماعية حددها المجتمع في تقسيمه للعمل بين الأفراد وتشمل هذه الفئات الخصوصيات المهنية والطبقية والعقائدية والعنصرية.

(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 122).

وهي بعض وجوه الثقافة التي تعكسها فئة ذات تنظيم اجتماعي خاص دون أن يظهر أي من ملامحها لدى باقي فئات المجتمع أو قد يكون واضحا لدى فئة؛ وأقل وضوحا لدى فئة أخرى، والملاحَظ أن كل مجتمع مهما توَحَدت أصوله ومنابته لأنه يتضمن عدة أنماط من الخصوصيات الثقافية تعكس اختلاف الفئات عن بعضها. **(سامي سلطي عريفج: 2006، ص ص 161، 162).**

فيتضح إذن، أن الخصوصيات تدخل ضمن أساليب ومهارات خاصة بجماعة أو فئة معينة؛ بحيث تشكل ثقافة فرعية لتلك الفئة، مثلا ك: لغة الشباب، طريقة لباسهم... وهو ما يعني أنها تُشكِّل ميزة وعنصر مكوِّن لأفراد الجماعة الواحدة، كما نجدها عند الطبقات المجتمعية والمناصب التي يتقلدها الأشخاص فتشُكِّل لديهم خصوصية خاصة ك: لغة الأطباء ولغة المعلمين وغيرهم.

3.3.5.البـدائــل: هي العناصر الثقافية التي لا تنتمي إلى العموميات، فلا تكون مشتركة بين جميع الأفراد، ولا تنتمي إلى الخصوصيات فلا تكون مشتركة بين أفراد مهنة واحدة أو طبقة واحدة، ولكنها عناصر تظهر حديثا وتُجرَب لأول مرة في الثقافة المجتمعية، وبذلك يمكن

الاختيار من بينها، كما أنها تتمثل في أنواع الاستجابات غير المألوفة بالنسبة لمواقف متشابهة أو وسائل مختلفة لتحقيق أهداف متشابهة.

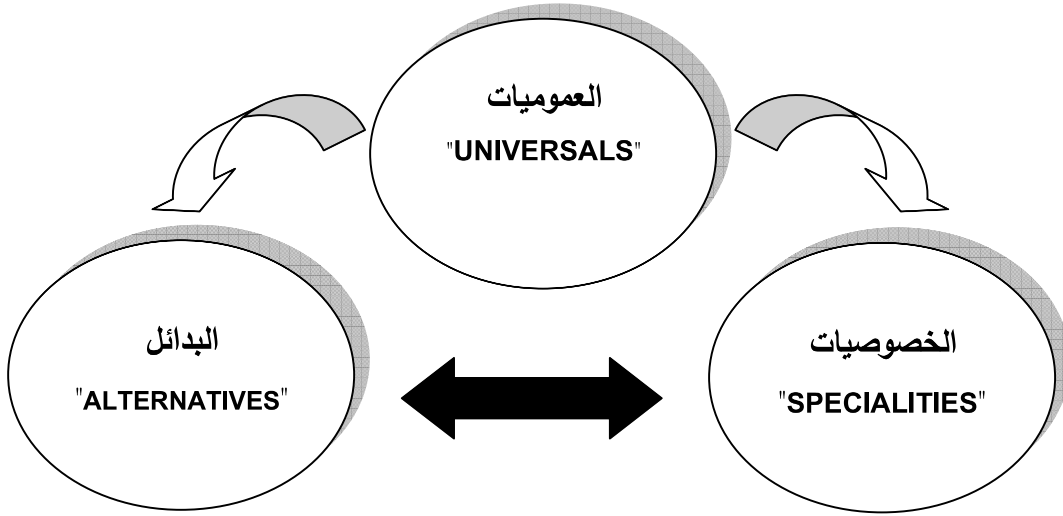
(صالح محمد أبو جادو: 1998، ص 122).

والمتغيرات الثقافية هي ملامح ثقافية لم تستقر بعدُ، وقد تظهر في المجتمع بفعل رواد التغيير، أو تكون وافدة على المجتمع من الثقافات الأخرى التي يتم الاحتكاك بها، وقد تجد هذه المتغيرات أو البدائل البيئة المناسبة لتنبُت وتترعرع في المجتمع،إلا أنها لا تأخذ دورها كخصوصيات ثقافية ولا كعموميات؛ فهي ليست من العموميات؛ بحيث يشترك فيها جميع أفراد المجتمع، وليست من الخصوصيات؛ بحيث يشترك فيها أفراد طبقة أو أفراد مهنة معينة مثلا، وقد تتحول هذه المتغيرات أو البدائل على مر الزمن إلى خصوصيات ثقافية أو إلى عموميات. **(دلال ملحس استيتية: 2004، ص 241).**

إجمالا وبمعنى آخر، فإن البدائل تنتشر بين الأفراد بصفة عامة فقد لا ينتمون لمجتمع واحد أو جماعة واحدة، لكن هناك ثقافة معينة تجمعهم؛ فالعموميات هي ما يميز مجتمع عن آخر في حين الخصوصيات تتصف بها فئة من الفئات داخل المجتمع الواحد.

والشكل الآتي يوضح العناصر المكونة للثقافة حسب "صالح محمد علي أبو جادو"

شكل رقم (01) : يوضح العناصر المكونة للثقافة



المصدر: (دلال ملحس استيتية : 2004، ص 241)

يرى "**رالف ثيلر**" "**R.** THEYLER" بأن العموميات الثقافية أشبه بجذع الشجرة، فهي عماد وحدة الأمة ومن أمثلتها: اللغة، القيم، التاريخ والآلام والآمال المشتركة وتتميز أمة عن أخرى بالعموميات، فهي لا تسبغ عليها هويتها التي تنفرد بها، أما خصوصياتها فهي أسرع تشكُلاً وتغيُرا، وتتكون من مجموعات مهنية ينتظِم فيها أصحاب كل مهنة مثل: خصوصيات المعلمين أو الأطباء أو المزارعين، أما البدائل أو المتغيرات الثقافية سريعة التغير كالموضات " ADS AND MODES"، وإذا كانت غريبة على فكر المجتمع فإن تأثيرها يكون سلبيا؛ فالعيب يكون عادة في نوعيتها.

(منى يوسف بحري وآخرون: 2008، ص ص 205، 206).

سادسا/ الاتصال والثقافة:

1.6.التشخيص الفكري للاتصال بين الثقافات:

يُعد "**جورج بالنديه**" من بين أهم العلماء الذين درّسوا أشكال الالتقاء أو الاتصال بين الثقافات؛ حيث وجَّه اهتمامه في إطار علم "الاجتماع الدينامي" "sociologie dynamique" إلى دراسة التغيرات والتبادلات والحركات الاجتماعية وسيرورة المجتمعات، وهو يميز بين الديناميكية

الداخلية "du dedans" و"الديناميكية الخارجية" "du dehors" على غرار الدراسات التنموية التي يؤكد بعضها على وحدة التحليل "**المحلية**"؛ في حين يُركّز البعض الآخر على وحدة التحليل العالمية، وهو يُرجِع الفضل في تبيان أثر الأسباب الخارجية إلى الأعمال الأنثروبولوجية، وهي الأعمال التي تطرقت –ومن خلال مقاربة خاصة– إلى أثر الانتشار المعقد للعناصر الثقافية –بوصفه عامل تحول– على المجتمعات المستقبلة، وتوصلت إلى الكشف عن العلاقات الشاملة التي تتعقد بين ثقافات وحضارات متباينة. **(نور الدين زمام: 2001، نقلا عن:** www.webreview.dz).

فدراسة التغيرات والتبادلات الاجتماعية وتتبُع سيرورة تطور المجتمعات بالاعتماد على الثقافة، تشخص علاقة الاتصال بالثقافة المجتمعية لأي مجتمع خاصة لما تتنقح بعمليات الانفتاح الثقافي؛ الذي يتحول في معظم الأحيان إلى غزو ثقافي بكل المقاييس نتيجة سوء فهم ما تحمله الكلمتين من معاني التزاوج الثقافي بإيجابياته، وهذا ما يُقصد به التفاعل الثقافي أو التثاقف، وهو الأخذ والعطاء من الثقافات المتنوعة وهو ما أكد عليه "عيسى الشماس" حين أشار إلى أن للتبادل الثقافي حدود تفصله عن الغزو الثقافي وذلك من خلال محافظة كل مجتمع على ثقافته وهويته القومية.

ويقصد بالتثاقف : «عملية انتشار القيم والمقاييس والأحكام الاجتماعية إلى المجتمعات الأخرى مع تعرضها لعملية التبدُل التي تجعلها منسجمة مع ظروف وأحوال المجتمعات التي دخلت إليها»، كما يعني أيضا عملية تحوير ثقافة ما من خلال التقائها بثقافة أخرى. **(نور الدين زمام: 2001، نقلا عن:** www.webreview.dz).

أوضح "فايز الصُيّاغ" في مقال له معنون بـ: **اشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر**" أن التثاقف «سواءا منه الطوعي المتبادل أو القسري ،المباشر والغير

المباشر عاملا فاعلا وحيويا في تشكيل الهوية الجماعية للشعوب بوصفها نتاجا لصيرورة تراكمية تاريخية تنفي عن مفهوم الهوية صفة التأبد والثبات والديمومة والسكون». **(فايز الصُياغ: 2012، ص 119).**

وقد ظهر هذا المصطلح عام 1880 في الأدبيات الأنثروبولوجية والتاريخية والأنجلوسكسونية، وقد منحه "ريدفيلد" تحديدا شاملا عام 1935؛ فهو يرى أنه «يشير إلى الظواهر الناتجة عن الالتقاء المباشر والمستمر بين مجموعة أفراد ذات ثقافات مختلفة وينجَر عن هذه الظواهر تغيرات لأنماط عديدة من النماذج الثقافية القاعدية لكل مجموعة أو لإحداها فقط. **(نور الدين زمام: 2001، نقلا عن: www.webreview.dz).**

ومن جهته تناول "فورتز" هذا الالتقاء بين الثقافتين والحضارتين من خلال ما أُطلِق عليه سيرورة "الديناميكا"، وهو يميز بين مظهرين من مظاهر التماس بينهما، فهناك العلاقة الناشئة بين ثقافتين متقاربتين نسبيا، أما ثانيا فهناك العلاقات المفروضة من طرف الاستعمار الحديث، الذي يسعى إلى تعميم المدنية الصناعية، وقد ظهرت أعمال أخرى أيضا تناولت الديناميكا الناجمة عن العوامل الخارجية وذلك من خلال ما اصطُلح عليه الاتصال الثقافي " contact" وتداخل الحضارات "l’interpénétration des civilisation " حسب تعبير "زباستيد" غير أن هذه العلاقة كما يلاحظ "بالنديه" كثيرا ما حُللت بطريقة تبسيطية وميكانيكية، حتى من طرف "مالينوفسكي" الذي وضع نظريته عن الثقافات الثلاث؛ الثقافة التقليدية الأهلية، الثقافة الأوروبية المستوردة والثقافة الجديدة "الناتجة عن العلاقات القائمة "، مع تأكيده على التبعية المتبادلة بيمهما.

(نور الدين زمام: 2001، نقلا عن الموقع: www.webreview.dz).

ويُعرِّف "**جلال أمين**" الغزو الثقافي بوصفه «اعتداء رأسمالي على الهوية الثقافية للأمة المعتدَى عليها، من أجل استغلالها اقتصاديا»، كما يمكن أن نُصنفها بأنها غزو دين لدين، وإحلال ثقافة أمة محل ثقافة أخرى.

(نور الدين زمام: 2001، نقلا عن: www.webreview.dz**)**.

ومما سبق نجد أنفسنا نتكلم عن الغزو الثقافي؛ الذي من نتائجه اغتراب بكل المقاييس وهذا ما تطرق له "حليم بركات" في كتابه "الاغتراب في الثقافة العربية"؛ حيث قال بأنه «نسق أو عملية صيرورة واحدة تكون عادة من ثلاث مراحل متكاملة ومتصلة ببعضها البعض اتصالا وثيقا وعضويا وهي: مصادر الاغتراب وتتكون من التجزئة والتفتت الاجتماعي وهيمنة الدولة على المجتمع وتسط الأنظمة الاجتماعية القسرية (النظام الأبوي وهيمنة مؤسسات الدينية والتربية الاستظهارية) والاستغلال الطبقي والظلم والحرمان والقهر ووجود فجوات عميقة بين الضعفاء والفقراء من ناحية؛ والأقوياء والأغنياء من جهة أخرى؛ إضافة إلى التبعية والسيطرة الخارجية على الموارد العربية بالتحالف مع الحُكام والطبقات...، ثم تجربة اغتراب الإنسان على صعيد الوعي الذاتي، وفي علاقاته بالمجتمع ومؤسساته، أخيرا نتائج الاغتراب السلوكية كالانسحاب والعزلة والخضوع أو الثورة في سبيل تغيير الواقع المُعاش. **(حليم بركات: 2006، ص 60)**.

بمعنى عولمة الاقتصاد وما يتطلبه من إسراع حركة السلع ورؤوس الأموال وهو ما يتطلب بدوره الإسراع في تدفق المعلومات، وليس هذا لمجرد كون المعلومات قاسما مشتركا يدعّم جميع الأنشطة الاقتصادية دون استثناء؛ بل لكونها – أي المعلومات – سلع اقتصادية في حد ذاتها تتنامى أهميتها يوما عن يوم، وبقول آخر فإن عولمة نظم الاتصال و الإعلام هي وسيلة القوى الاقتصادية لعولمة الأسواق من جانب؛ وتنمية النزعات الاستهلاكية، ووسيلة توزيع سلع صناعة

الثقافة من موسيقى وأفلام وألعاب وبرامج تلفزيونية من جانب آخر. **(نبيل علي: 2001، ص ص 344، 345).**

2.6.الثقافة ووسائل الاتصال الجماهيرية:

هي الوسائل التي تتم بها عملية الاتصال والتواصل، من خلا إيصال رسائل معينة لأعداد ضخمة من الجماهير، فهي تتميز بالسرعة الهائلة للإيصال هذه المادة الإعلامية في ظرف قياسي جدا، وهو نتيجة التطور المتزايد والمتواتر دائما، مما انعكس إيجابا على كل المواد السمعية والبصرية والسمعية البصرية.

فوسائل الإعلام تركز على التقنيات التكنولوجية التي من خلالها تجري العلميات الإعلامية دون أن يبرز الدور المهم والأساسي للتنظيم الاجتماعي الذي يدفع بهذه العلميات أو يقوم بإنتاجها، وإن التقدم التكنولوجي الكبير في العقود الأخيرة جعل من العسير الفصل ما بين ثلاثة مفاهيم أو عناصر أساسية في العملية الإعلامية، وسائل الإعلام التقنية، وسائل الاتصال المتنوعة، ثم الإنسان بذاتيته الفردية والجماعية.

(عزام أبو الحمام: 2009، ص 26).

أصبحت لوسائل الاتصال الجماهيرية أهمية كبيرة في الوقت الراهن؛ إذ أضحت عاملا أساسيا في تشكيل واقع الحياة اليومية الذي يعيشه الناس، وقد بدأ الحديث عن استخدام وسائل الإعلام كنظم ثقافية منذ أن أشار " جيمس كاري" "James Carey" عن أهمية نقل الثقافة في كتابه "The Interpretation Of Cultures Geartz's " وقد أعد هذا الكتاب تداخل العلوم الاجتماعية، وأصبح بعد ذلك مرجعا كلاسيكيا للباحثين في مجال الاتصال، وكان بمثابة حجر زاوية ساهم بشكل بارز في تحوُل بحوث الاتصال إلى الجانب التفسيري، وقد استخدم نظام الرموز في تأدية الرسالة، وتميُزه بأنه قوة مؤسساتية يستطيع تحريك الدوافع وتشكيل الاتجاهات،

ولديه القدرة أيضا على صياغة المفاهيم للنظام القائم، وأخيرا لديه قدرة غير عادية في تحفيز المواطنين.

(طه عبد العاطي نجم: 2005، ص ص 67، 68).

إضافة لدور وسائل الإعلام السابقة فإن دورها أيضا مُناط بتكوين الرأي العام في العالم الثالث وفي معظم المجتمعات الأخرى، فوسائله أضحت أدوات فاعلة في نشر الثقافة وترسيخ الحضارة، شريطة أن يتم التخطيط له بعناية، فإذا كان الإعلام فوق مستوى الجماهير أو دون مستوى الجماهير فإن مصيره هو الفشل.

(عبد المنعم الميلادي: 2007، ص 111).

وفي المجتمع الحداثي تزداد أهمية وسائل الاتصال والإعلام، وتبدو هذه الوسائل كفاعل اجتماعي كامل وليس كوسيط أو قناة للنقل، فقد راحت هذه الوسائل لتتعدى دور الناقل المحايد أو السلبي؛ بل إنها راحت تشارك بفاعلية في تصنيع الأحداث والأخبار والمعلومات. **(عزام أبو الحمام: 2009، ص 114).**

فهذه الوسائل صنعت جُل الأمور لتخدم سياستها وساساتها، بعدما صنعت سوقا شاسعة بشساعة الرقعة الجغرافية وما تضمه من أعداد هائلة من الجماهير المستهلكين، فتكريسها لما بعد الصناعة وما بعد المجتمع الحداثي هو ثقافة معولمة أو عالمية الثقافة.

فبتطور وسائل الإعلام والاتصال اختفت العديد من أشكال الثقافة بأنواعها وأضحت هي الممول الرئيسي للحياة الاجتماعية وما تحمله من مدلولات، فغيّرت العديد من الأمور على مستوى الأفراد، فحتى العائلة بصورتها الكلاسيكية الممتدة العريقة استحدثت بالأسرة النواة؛ فقد غلب على الحياة الأسرية الجانب الإعلامي، وأصبح حاضر فيها بقوة، فاحتلت التلفزة اليوميات، وقضت على ذلك الجو الذي كانت تخلقه القصص المرورية والحكايات الشفوية المليئة بالقّيم

والعادات والتقاليد والتي تحمل في طياتها معالم الثقافة الشعبية وما تكتنزه من موروث ثقافي خاص بالمجتمع، حتى نظرية المجتمع الجماهيري أوضحت أهم أفكارها أن هذه المستجدات التي استجدت على مستوى حياة الأفراد تنذر بالخطر لأننا سنصبح تابعين للثقافة الجماهيرية لا الثقافة النخبوية أو الصفوة.

وظهور هذه الخطورة كان عندما احتكر النظام الاجتماعي في الثلاثينات جميع موارد الدولة، وعلى سبيل المثال كانت تُستَخدم الوسيلة في المجتمعات الشيوعية والفاشية لنشر الجديد، وتبحث عن أشكال ثقافة الاحتكار، ولكن أصبحت الوسيلة مؤخرا هي المسئولة عن عمليات الإبداع والترفيه، وخلال الستينات انتهت أهمية نظرية المجتمع الجماهيري، وفي الولايات المتحدة الأمريكية تبَنَت معظم الأبحاث الاجتماعية منظور التأثيرات المحدودة، لأن الإعلام نادرًا ما يكون المنتج منه له دلالة لإحداث تغيير في تفكير الأفراد وأفعالهم على المدى الطويل، وأصبح الإعلام الأمريكي له فاعلية قوية في الترويج للرأسمالية والفردية والمشروعات الحرة، ويرى بعض النقاد أن تكنولوجيا الاتصال الجديدة مثل الكمبيوتر الشخصي تتجه أساسا نحو الفردية، واقتصاديات السوق بالمقارنة بالجمعية وسيطرة الدولة، لذلك يبدو أن دور الإعلام في الثقافة قد اكتمل.

(طه عبد العاطي نجم: 2005، ص 68).

وإذا حاولنا معرفة وضع وسائل الإعلام العربية تجاه الثقافة نجد أن هناك تباينا في الآراء؛ إذ ذهبت بعضها إلى تأكيد العامل الإيجابي الذي لعبته في نشر المعلومات وزيادة الاتصال والتواصل بين الشعوب والتصدي لعمليات الغزو التي تمارسها الدول المعادية، أما الرأي الآخر فيذهب إلى القول بأن وسائل الإعلام ساعدت على نشر الثقافة المبتذلة؛ بحيث تقدم مواد إعلامية تافهة وسطحية تعتمد على الإثارة والتشويق بدلا من التعمق والتفكير، كما ساعدت على

نقل الثقافات الغربية المبتذلة التي تُركز على الجنس والعنف. **(طه عبد العاطي نجم: 2005، ص 29).**

بمعنى صناعة الثقافة "سلعنة الثقافة" وهو المفهوم الذي استعمله أول مرة في سنة **1947** علمين من أعلام "**مدرسة فرانكفورت**"* وهما "**ثيودور أدورنو**"** و"**ماكس هوركايمر**"***، يشير إلى: «الأنشطة الصناعية التي تُنتِج وتسوِقُ الخطابات، الأصوات، الصور، الفنون وكل القدرات الأخرى والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضو في المجتمع، والتي تمتلك وبدرجات مختلفة خصائص الثقافة»، فهي تمثل تهديدا معتبَرًا على الثقافات التقليدية، بفضل ما تتمتع به من قدرة على الانتشار والاختراق، ولذلك أصبحت بعض الدول الغربية تُعبّر عن تخوفها من هذه الصناعة الثقافية، خاصة منها الأمريكية التي غزى أسواقها بحكم امتلاكها لإمكانيات هائلة، تجعلها تستبعد أي منافسة في الأجل المنظور، هذا النوع من الثقافة يعتمد لاستمالة العقول خاصة الشباب وتعويدهم على اختيار نمط الحياة والاستهلاك الغربي بشكل كبير يُكرّس الفردية والنفعية والنمطية والربح السريع، فهي تدفع بالإنسان إلى الابتعاد عن حاجاته الحقيقة ليتبع الأوهام والتفاهات والشكليات في المأكل والملبس. **(قزية الشوفي: 2005، ص 38)**

---

* **مدرسة فرانكفورت** هي حركة فلسفية نشأت بمدينة **فرانكفورت** سنة 1923. بدأت الحركة في معهد الأبحاث الاجتماعية بالمدينة. وجمعت فلاسفة مثل ماكس هوركهايمر، والتر بنجامي، وهيربرت ماركوز، ويورغن هابرماس وهو الممثّل الأكثر شهرة للجيل الثاني للمدرسة. **(نقلا عن:** www.marefa.org)

ولد الفيلسوف الألماني وعالم الاجتماع **ثيودور فيزنغرند أدورنو سنة 1903 بفرانكفورت، وهو عضو بارز في مدرسة فرانكفورت، وكان شغوفا بدراسة الفن، وخاصة الموسيقى. اتّجه نحو دراسة الفلسفة، متأثّرا في البداية بكتابات كانط. تعرّف على ماكس هوركهايمر ووالتر بنيامين، وأنجز رسالة دكتوراه سنة 1924 حول فينومينولوجيا هوسرل، قبل أن ينتقل إلى النمسا لدراسة الموسيقى سنة 1925. وبعودته إلى فرانكفورت، اتّجه نحو الحصول على درجة التأهيل في الفلسفة، قرّر سنة 1936 قبول مقترح ماكس هوركهايمر بالهجرة، ثم عاد مجدّدا إلى فرانكفورت. (نقلا عن: http://www.mominoun.com).

*** **ماكس هوركايمر** عالم اجتماع وفيلسوف ألماني، وهو أحد أهم أعضاء مدرسة فرانكفورت، وُلد في شتوتجارب ودرس الفلسفة وعلم الاجتماع في الجامعات الألمانية، وحصل على درجة الدكتوراه عام 1922 من جامعة فرانكفورت عن فلسفة كانط الذي ترك أثراً عميقاً في فكره. وتأثر هوركايمر بفكر كلٍّ من ماركس ونيتشه وبرجسون وديلثي وفرويد. اشتغل بالتدريس في جامعة فرانكفورت عام 1930، وترأس معهد فرانكفورت للبحوث الاجتماعية عام 1931 الذي كان يهتم في بداية تأسيسه بالدراسات العمالية. (نقلا عن: https://ar-ar.facebook.com).

لقد أصاب "يعقوب المليجي" صاحب كتاب "**مدخل للثقافة الإسلامية** " حين استدل بقول المفكر "**هكسلي** " حين قال: «أن ثقافة الإنسان لا تقدر بمقدار ما قرأ من الكتب وما تعلم من الفنون والآداب ولكن بمقدار ما أفاده العلم وبمقدار ما أوحت إليه الفنون من سمو في النفس ودقة في الشعور وتذوق للجمال»؛ فالثقافة إذن تعني السجية أو البديهة بالنسبة للفرد وبالنسبة للأمة، فهي تعني شخصيتها وروحها بحيث تكون ثقافة كل شعب مميزة له عن سواه. **(يعقوب المليجي: 2003، ص 34).**

كما أشار "**وايت ماكدونالد**" إلى أن «مستوى الثقافة الجماهيرية قد ارتفع بشكل كبير مع تطور وسائل الإعلام وازدياد قدرتها، ولكن التحسن الذي ظهر هو نفسه إفساد للثقافة العليا، فما من شيء أكثر فجاجة من الثقافة الجماهيرية المتطورة المصنعة».

(سهير جاد، سامية أحمد وآخرون: 1999، ص 15).

وعليه تكون وسائل الإعلام العربية معنية بوظائف عديدة لحماية الهوية الثقافية العربية والإسلامية، وغرس الولاء والانتماء لدى الشعوب وزيادة التقارب بينها، وتستطيع وسائل الإعلام تحقيق هذه المهام وغيرها بفضل تأثيراتها المتعددة وإمكانياتها الهائلة.

(طه عبد العاطي نجم: 2005، ص 29).

3.6. الثقافة والتنشئة الاجتماعية:

يُعد الإعلام في العصر الحديث من المؤسسات الهامة في عملية التنشئة الاجتماعية والتطبيع الاجتماعي، ولا سيما بالنسبة للأطفال والشباب، فلم تعد وسائل الإعلام مجرد مساهم صغير في هذه العملية؛ بل أصبح لها دور كبير بالنظر لتنوعها وفاعلية تأثيراتها.

(عيسى الشماس: 2005، ص 19).

فنحن لا نغفل هنا عن أهمية هذه الوسائل ووظائفها المتشعبة بين الترفيه والتثقيف والتربية والتعليم، إلا أن ما يجعلنا ندق ناقوس الخطر هو استغلال هذه الوظائف والأدوار من مجرد وظائف إيجابية إلى وظائف أكثر لتحقيق مآرب أخرى أكبر من مجرد التسلية وملء وقت الفراغ مستهدفة التنشئة الاجتماعية للشباب خاصة بضرب منظومة القيّم والضوابط المجتمعية عرض الحائط، ليصبح متحررا بحجة "الدمقرطة وحرية التعبير" وما ينجر عنها.

يرى "شبل بدران" و"فاروق محفوظ" أن هناك مفهومين للتنشئة الاجتماعية؛ الأول مفهوم اجتماعي؛ إذ ينظر إليها من خلاله على أنها عملية اندماج الفرد في المجتمع واشتراكه في مختلف فعاليات المجتمع، وذلك عن طريق استيعابه لعناصر الثقافة والمعايير والقيّم الاجتماعية التي تتكون على أساسها سِمات الفرد ذات الأهمية الاجتماعية، والثاني مفهوم أنثروبولوجي؛ إذ يُنظَر إليها من خلاله بأنها عملية غرس المهارات والاتجاهات الضرورية لدى الناشئ ليلعب الأدوار الاجتماعية المطلوبة منه في جماعة أو مجتمع ما. **(عمر أحمد همشري: 2003، ص 21).**

ففي المراحل الأولى من الطفولة، تبدأ مرحلة التعلم والتلقين للناشئة الصغار ليصبحوا شبابا مثقفين ومتعلمين بانتهاج تنشئة اجتماعية سليمة وفق ضوابط مجتمعهم خاصة، لتبقى الثقافة في حد ذاتها هي عملية اكتساب الفرد لكل ما يحمله هذا الإطار المجتمعي من معاني ورموز تدُل على الثقافة والتنشئة الاجتماعية معا.

أساسا لقد عُرّفت التنشئة الاجتماعية على أنها إعداد الفرد ليكون كائنا اجتماعيا وعضوا في مجتمع معين. **(ماجد ملحم أبو حمدان، 2011، ص 374).**

وتُعد الأسرة من أهم مؤسسات التنشئة الأسرية وأهم ناقل للثقافة بما لها من آثار قوية على تربية أولادها منذ الصغر، بتعليمهم دعائم الحياة بجوانبها المختلفة ثقافية، اجتماعية،

نفسية...والأهم من كل ذلك هو كيفية المحافظة على الثقافة العربية وهويتها، لكن مع الاكتساح الكبير للوسائل الجماهيرية والتي تُشكِّل أقوى منافس للأسرة؛ أشارت العديد من الدراسات إلى تراجع أدوار الأسرة وتنشئتها الاجتماعية بالمقارنة مع ما تقدمه الفضائيات على اختلافها سواء كانت عربية أم غربية من مواد إعلامية لا تمُت بصلة لثقافة المجتمع وتساهم بشكل كبير في طمس هويته من خلال ضرب التنشئة الاجتماعية في الصميم، فأضحت تبث إعلانات لمختلف ماركات العطور والألبسة وكذا المأكولات، وتشجع بشكل كبير على مشاهدة أفلام العنف والجريمة والجنس بكل ما تحمله سموم لتحقق بذلك ثقافة استهلاكية عالمية يتبعها الشباب دون أدنى تمييز.

وهنا أن لا يمكننا المرور دون الإشارة إلى مختلف الوسائل التكنولوجية التي اجتمعت هي الأخرى لتنافس الأسرة في مسار تنشئتها الاجتماعية لأبنائها منها: الأنترنات، هذه الوسيلة التي أصبحت يوما بعد يوم تستنزف وقت معظم الشباب؛ إذ يقضون معظم أوقاتهم أمام الشبكة العنكبوتية، خاصة منها الصفحة الزرقاء (facebook) في عالم منعزل عن الأسرة برُمتها دون رقيب؛ وهو ما من شأنه أن يدعّم الفردية والاغتراب الاجتماعي والثقافي على حد سواء.

إن العديد من هذه الوسائل التي أفرزتها العولمة وصارت تتبع سياستها أغلب الشعوب وتدعّمها ألغت بصفة قطعية الأسرة وما تغرسه من تنشئة اجتماعية أو ثقافية؛ إذ أضحى الشباب في هذه المرحلة يتجاذبهم تياران أولهما تيار الآباء والأسرة والعادات والتقاليد الذي تكسوه حُلة القيم والثقافة والهوية وهي في نظرهم ثقافة رجعية كلاسيكية، والثاني هو ثقافة جديدة مليئة بالأحلام الغربية البعيدة عن ثقافتهم الأصلية وهويتهم العريقة.

ومثل هذه الأوضاع لا تعني بالضرورة تحقيق نوع من العالمية أو وحدة التنوع البشري؛ بل على العكس فهي قد تقود إلى هيمنة الثقافة الغربية خاصة في ظل هيمنة واحتكار الدول الغربية

والشركات متعددة الجنسية الغربية المنشأ على إنتاج وسائل الإعلام، ووكالات الأنباء والصور، وشبكات الاتصال والمعلومات، وفي وظل عجز وتبعية وسائل الإعلام العربية واعتمادها المتزايد على وسائل الإعلام الغربية، وعلى برامج ومضامين غربية، يتبين لنا أخطر التحديات وهو ما قد تتعرض له المكونات الأساسية للثقافة العربية متمثلة في الإسلام، اللغة العربية، الوعي التاريخي بالذات والآخر.

(وائل فاضل علي نقلا عن: www.rooad.net).

وفي ظل عجز وتبعية وسائل الإعلام العربية عن إنتاج مادة إعلامية دسمة ببرامج ومضامين هادفة لمجتمعاتها العربية الطامحة لمثل هذه البرامج، يبقى التيار الجارف يعصف بأفراد في أوحال وسائل الإعلام الغربية التي تدُس ضمن برامجها ومضامينها السموم، وهذا يُعد من أخطر التحديات، وهو ما من شأنه أن يضرب المكونات الأساسية للثقافة العربية في الصميم.

إذن، ومما سبق يتبين الدور البارز الذي تلعبه الأسرة ومدى أهمية ذلك وفعاليته والذي يبدو جليا من خلال البحث عن أنجع السُبل بغية الحفاظ على ثنائية الثقافة والهوية العربية معا؛ إذ تُعد ضرورة متابعة الشباب من خلال انتهاج وسائل من شأنها أن تكون ناجعة؛ كالحوار الأسري الفعال والمثمر الذي يُؤتي أُكُله في كل حين، ناهيك عن الدور الفعال الذي تلعبه الأسرة في الإرشاد والتوعية بغية الارتقاء بهم إلى اسمي درجات التقدم والتفوق.

سابعا/ الثقافة والقيّم:

ليس من الصدفة أن يتزامن ميلاد "مبحث الثقافة " مع ميلاد مبحث القيم؛ فالقيم لم تُشكّل مبحثا خاصا عُرف فيما بعد بـ"الأكسيولوجيا*" إلا في نهاية القرن الـ9، وهي ذات الفترة التي بدأ فيها حيّز معرفي مستقل يعتني بالثقافة من وجهة نظرية هي "سوسيوتاريخية المعرفة"؛ يوحي ذلك للوهلة الأولى أن قيمة الإنسان كقيمة ناشئة كانت تؤذن بضمور قيّم كثيرة، لعل أخطرها القيم الدينية وكأنه كان على المعرفة الإنسانية أن تبخَس القيَّم الدينية حتى تستطيع قيمة الإنسان أن تستحق المجد اللازم، لذلك كانت الثقافة كمبحث مضطرة منذ نشأتها للمساهمة في هذا الجدل العنيف الذي بدأ يعصف بالعلوم الإنسانية الاجتماعية، والذي مازالت آثاره قائمة حتى الآن، ويبدو لنا وبشيء من التسرع أن الثقافة انحازت إلى قيمة الإنسان، فقد اشتغلت عليه كموضوع طويل كما بينا سلفًا، وساهمت في صُنع قيمته على حساب قيَّم أخرى عطلت ميلاده وظلَّت ربما تنافسه إلى حد الآن، وإذا كانت الثقافة قد تناولت مباحث الدين أو الأخلاق، فعلى القيّم كمباحث متمزقة تهُزها صراعات حادة تعود في الأصل إلى الخلاف العميق في تحديد مصادرها.

(الطاهر لبيب: 2005، ص 231).

فالقيّم الدينية المكونة للثقافة والهوية الوطنية هي الأكثر عرضة للتأثير من طرف وسائل الإعلام خاصة مع مساعيها الرامية لتغيير هذه القيم؛ إما بإذابتها وتعويضها بقيم استهلاكية غربية، أو جعلها قيم مجوفة لا تخدم المجتمع أو أفراده.

لقد بينت الأنثروبولوجيا الثقافية بمختلف مدارسها واتجاهاتها أن المجتمعات الإنسانية سواء كانت البدائية منها أو غيرها تبنِي خرائط رمزية معقدة وتوزعها على أقاليم متعددة تتكفل بدورها

---

* **الأكسيولوجيا بالإنجليزية (Axiologie)**: وهو العلم الذي يدرس علم القيم، المثل العليا والقيم المطلقة، وهو أحد المحاور الرئيسية الثلاث في الفلسفة (وهي مبحث الوجود/الانطولوجيا, ومبحث المعرفة/الإبيستيمولوجيا، ومبحث القيم/الأكسيولوجيا).والمراد به البحث في طبيعة القيم وأصنافها ومعاييرها.(نقلا عن: http://fasl1.blogspot.com).

بتوزيع المعاني والدلالات على الأشياء والوقائع حتى يتم إدراك العالم على معنى من المعاني، وهذه الخرائط تتناضَد على نحو يُبيح بناء سلم أفضليات قيمية تُحدد الحقيقة والحق والخير والجمال وغيرها من القيّم الكبرى، وإذا كانت الفلسفة قد تحدثت عن المنعطف القيمي الخطير الذي تم في بداية القرن الـ 20 لوصف الارتباكات العنيفة التي أنهكت القيّم العلمية والدينية والجمالية والسياسية المُثارة سابقا، فإن الثقافة محمولة على أنها التربية أو التنشئة حاولت بدورها أن ترصُدَ حَالةَ القيَّم وهي واقعة تحت ضغوط توسع التحديث الاقتصادي للسوق وتفكك أشكال التضامن التقليدي وبداية استشعار القلق والرعب. **(الطاهر لبيب: 2005، ص 232).**

وذلك يبدو جليا خاصة من طرف الثقافة الجماهيرية التي كانت نتيجتها الثقافة الاستهلاكية؛ هذه الأخيرة أصابت القيّم الأصيلة السائدة في المجتمعات بالتفتت، في وقت الذي تُكرِّس فيه منظومة جديدة في المعايير ترفع من القيّم النفعية والفردية والأنانية والمنازع المادي للغرائز المجردة من أي محتوى إنساني، ولقد تمكنت هذه الثقافة الاستهلاكية من الوصول إلى قطاعات واسعة من الأفراد والشعوب وهي توجه بشكل خاص للشباب. **(حسن إبراهيم عبد العال: 2005، ص27).**

فمهما كانت منظومة القيم المجتمعية فهي جزءًا من المخزون الثقافي المتراكم عبر حقب زمنية متعددة؛ لذا فإن أي تغيير يطرأ على الثقافة ينعكس بالضرورة على منظومة القيّم ثقافية كانت أم اجتماعية. و ما نريد أن ننوه به هنا على أن أهم عامل مكون للثقافة والمجتمع وحتى القيم هي العلاقات الأسرية التي تأثرت بوسائل الإعلام، مما انعكس بالضرورة على القيم الدينية المكونة للثقافة والهوية معا، وهذا ما سيتم معالجته بإسهاب في الجانب الميداني الخاص بالدراسة الراهنة.

تُعتبَر الثقافة كهندسة رمزية معقدة ومركبة يعمَد المجتمع إلى ابتكارها ويتعهدها بالصَوْن والتعديل والترميز، والهدم كلما اقتضت الحاجة لذلك، وهي تعتمد على القيَّم التي تجعل من المجتمع عالما مشتركا بلغة الفلسفة يستطيع الأفراد العيش فيه سويا؛ فالقيّم باعتبارها كائنات رمزية تنشئها الثقافة لن تكون التمثلات للصيغ المثلى التي تسري بموجبها الصلات الاجتماعية القائمة بين أفراد المجتمع. **(الطاهر لبيب: 2007، ص232).**

يكتسب أفراد المجتمع قيّمهم بَدءا من الأسرة والمدرسة فجماعة الأقران ووسائل الإعلام والجامعة والمهنة والتخصص ووسائط فرعية أخرى ضمن المجتمع وكل هذه الوسائط تستقي قيّمها من ثقافة المجتمع التي بدورها تتلقح من ثقافات أخرى بحدود معينة ومن الأسس التي اعتمد عليها في تصنيف القيّم ما يلي:

- ❖ **تصنيف القيم حسب المحتوى:** إذ تنقسم إلى قيّم نظرية، قيّم اقتصادية، جمالية، اجتماعية، سياسية، دينية.
- ❖ **تصنيف القيّم حسب مقصدها:** إذ تنقسم إلى قيّم وسائلية؛ أي تعتبر وسائل لغايات أبعد، وقيم غائية أو نهائية.
- ❖ **تصنيفها حسب شدتها:** إذ تُصنَف القيم إلى قيم ملزمة؛ أي ما ينبغي أن يكون وقيّم تفضيلية؛ أي يشجع المجتمع أفراده على التمسك بها ولكن لا يُلزمهم بها إلزاما. **(فيروز زرارقة: 2009، ص 60).**

والشباب الذي يُعتبَر اللبنة الأساسية للمجتمع إذا صلُح انعكسَت صَلاحيته على باقي الجوانب المجتمعية، والعكس صحيح؛ فشبابنا اليوم يعاني من مشكلة تناقض القيّم خاصة مع الانفتاح الهائل على وسائل الإعلام والاتصال الحديثة، فهو فعلا يعيش أو يتواجد فيما يمكن أن نطلق عليه المكان الثالث؛ حيث لا هو راضي كليا ولا جزئيا عن وضعه الحالي كما أنه لا يملك القدرة لتحقيق ما يحلم به، وهنا يظهر ما يُسمى بـ"صراع القيم"؛ هذا الأخير الذي يعتبر من

المفاهيم الحديثة نسبيا؛ إذ تمت الإشارة إليه في ثنايا الأبحاث النفسية والاجتماعية وذلك عند الحديث عن ظاهرة الأنومي (اللامعيارية) في كتابات كل من "إميل دوركايم" و"تالكوت بارسونز" و"روبرت ميرتون".

وعلى الرغم من الإشارات الضمنية لهذا المفهوم؛ إلا أن الدراسات السوسيولوجية لم تُشر بصراحة إلى مفهوم الصراع القيمي كمفهوم جدير بالاهتمام والدراسة؛ فهناك من يُعرّف الصراع القيمي على أنه عدم اتساق وانسجام داخل نسق القيّم، ينتج عن تباينها وتناقضها، ويُقصد بتباين القيّم تغايُر واختلاف وظيفة كل منها وتعارضها مع الوظائف وغايات القيّم الأخرى.

أما "تضاد القيم" فهو وجود اتجاهين متعارضين أو أكثر من اتجاهات القيم، وقد يكون هذا التعارض بين وسائل كل منهما أو أهدافه كوجود وسيلة تقليدية تستند إلى العُرف في مقابل عقلية أخرى متحررة تميل إلى التحديد والموازنة العقلية.

إن ظاهرة صراع القيّم ظاهرة دائمة سواء بين أنظمة مختلفة أو داخل نفس الجماعة، فصراع القيم لا يتوقف، وهو يُلخص استمرار إشكالية القيم على أنه يعكس أشكال مختلفة بداية من الحياة اليومية (داخل الأسرة مثلا)، أو صراع قيّم أكثر تشكلا وتطوُرا، فعلى المستوى الميكروسوسيولوجي وكما بيّن عالم الاجتماع الأمريكي ذي الأصل الكندي "غوفمان" ومن خلال نظريته "الفن المسرحي داخل وضعية وجها لوجه" فان المتحاورين يتّبعون قيّم من خلال إجراءات دقيقة؛ فالمتحاورون لا يتوقفون عن إظهار توجهاتهم نحو التوافق أو تأكيد ذاتهم من خلال الآخرين، وحسب "غوفمان" فإن المتحاورين لا يعكِسون نفس القيّم بشكل ظاهر ولكن يُطبقُون قيّم ومعايير تُجَسد وتعكس القيم العالمية لاحترام الآخر.

أما على المستوى الماكروسيوسيولوجي فيمكن أخذ مثال المؤسسة كحقل لتشكيل مواجهات تعكس فعلا صراع القيم؛ فالأفراد المنفِذين للتعليمات ينطلقون من قيّم الاعتراف بحقوقهم وقت التعويض ومكانة العمل، وهي قيّم تتعارض مع قيّم المسيرين الذين ينطلقون من قيّم تعكس

الفعالية وزيادة رأس المال والتحكم في المحيط أو البيئة، وهذا الصراع يظهر من خلال الاضطرابات والتوقف عن العمل.

لكن المفاوضات والتراضي يمكن أن تؤدي إلى تخفيف مؤقت ومراجعة قيم كل طرف، وإذا كان صراع القيم في كثير من الحالات يجد له مخرجا؛ إما بالتوافق أو التراضي فإنه في حالات أخرى لا يتحقق هذا الأمر؛ وهذا يؤدي إلى ما أشار إليه "ماكس فيبر" بالوضعية؛ أين المواجهات بين القيّم المتعارضة لا تجد لها حلا أو تفاهم ممكن، ومثال ذلك صراع بين أمتين داخل نفس الحيز الجغرافي أو بين جماعتين ذات هويتين دينيتين مختلفين؛ حيث لا يوجد أي مكان أو مجال للتسوية.

(عبد العالي دبلة: 2011، ص 18،19).

ثامنا/ الاتصال والتغيُر الثقافي:

«لم يعد هناك شيء ثابت؛ إنما الثابت الوحيد هو التغيير» أصبحت هذه المقولة هي السياسة المتبعة لتحديد الإستراتيجيات، وعليه يُعَد التغيير حسب "Le petit robert" على أنه: «الفعل الذي نتخلى من خلاله على شئ من أجل آخر، أو الفعل الذي من خلاله لا يمكن البقاء على نفس الحالة».

(محمد ابن بوزيان، بن عمر عبد الحق: 2007، ص 49).

إن المتفحص للحياة اليومية ونواميسها ومظاهرها المختلفة يجد أن قِوامها يستند إلى التغير لا الثبات، ويأخذ التغيُّر عادة أشكالا مختلفة منها الحركة، التطور، النمو والتقدم ...إلى غير ذلك من صور التغير. ويتصف التغير بالنسبية؛ فهو يختلف من مجتمع لآخر ومن قطاع لآخر داخل المجتمع ذاته، ويُقصَدُ بالتغيُر ذلك التحول الذي يطرأ على النظُم المجتمعية مثل: النظم الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية والثقافية من حيث بنيتها ووظائفها بدون إصدار أي أحكام قيمية على هذه التحولات، ويعني هذا أن التغيُر

لا يؤدي بالضرورة إلى حركة صاعدة من التطور أو التقدم أو إلى حركة هابطة من التقهقر أو التخلف، كما أنه لا يعني نِتاجا ايجابيا في كافة نواحي الحياة المجتمعية؛ بل قد يحتوي على جوانب ايجابية وأخرى سلبية. **(عمر أحمد الهمشري: 2003، ص 204).**

كما يظهر فإن التغيّر الاجتماعي يعتبر أحد المواضيع الرئيسية التي يعالجها علم الاجتماع منذ نشأته إلى الآن عُرّف التغير الاجتماعي من الناحية السوسيولوجية على أنه تلك التحولات التي لها معنى جزئيا وكليا بالنسبة للنظام الاجتماعي في أجزائه المكونة له وطريقة الفعل. **(عبد العالي دبلة : 2011، ص 14).**

فهو ظاهرة مقررة دائمة الحدوث، والتفاعل بين طرفين، هو شرط حدوث التغير، وببساطة فإن التغيُر هو التحول من حالة إلى أخرى، فتغيُر المجتمع يعني حدوث تفاعل بين شيئين؛ بين طرفين؛ بين ظاهرتين؛ ما أدى إلى تحول المجتمع من حالة إلى أخرى، وجدير بالذكر أن تأثيرات التغيُر باتت واسعة النطاق بفعل التطورات التي طرأت على وسائل الاتصال الجماهيري.

(نصر الدين بوزيان: 2009، ص 02).

أوضح السعيد بومعيزة (2005) ص132 في دراسة له حول "**وسائل الإعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب**"، أن العلاقة بين وسائل الاتصال والتغير الاجتماعي –الثقافي شاسعة ومتشعبة بالأمس، واليوم أصبح أكثر تعقيدا ويطرح عدة إشكاليات بفعل عوامل كثيرة وأبرزها العولمة وعولمة الاتصال وما يتضمناه من عواقب متعددة الأبعاد.

لقد حمل العصر الحاضر معه الكثير من التغيرات والتطورات وبخاصة التكنولوجية منها، والتي أثرت على المجتمع على نحو كبير، وأحدثت تغيُرات واضحة فيه وفي ثقافته، ويمكن القول أنه لا يوجد مجتمع أو ثقافة بدون تغيير؛ فالتغير سِمة طبيعية تخضع لها جميع مظاهر الوجود، وبعض هذا التغيير يكون نتيجة عوامل من داخل المجتمع ذاته، كحدوث ثورات اجتماعية أو سياسية، أو ظهور قادة أو مصلِحين يملكون قوة التغيير، ويكون بعضه الآخر نتيجة عوامل

خارجية تأتي عن طريق البيئة ذاتها والمخترعات والتكنولوجيا الحديثة، والانتشار الثقافي من خلال اتصال المجتمع وتفاعله مع غيره من المجتمعات. **(عمر أحمد الهمشري: 2003، ص 205).**

إذن ما نستشفه مما سبق أن عملية التغير الاجتماعي – الثقافي تحدث نتيجة عوامل داخلية وأخرى خارجية من شأنها أن تؤدي لإحداث تغيرات على مستوى العلاقات بين الأفراد وحتى بين المجتمعات، خاصة لما تكون إحدى أدوات التغيير هي التكنولوجيا الحديثة التي أحدثت شرَخًا كبيرا مس مختلف مناحي الحياة اليومية.

ومن أبرز علامات الثورة التكنولوجية التي تحدث تغييرا على مستوى المجتمع وأفراده، نجد السلع الذكية، التجارة الإلكترونية، النقود الإلكترونية، وتوسُع شبكة الإنترنيت، باعتبار كل هذا يشكل رمزا لهذه الثورة . **(رحالي حجيلة: 2010، ص09).**

إن هذه التغيرات المجتمعية والثقافية المتلاحقة تَفرض على الفرد سرعة التكيّف معها، والذي لن يتم إلا إذا كان الفرد مُسلَحا بنوع من التفكير والمعرفة التي تساعده على ذلك، وبهذا فإن أي تغيير ثقافي يستوجب تعبئة بشرية وتغييرا في الأفراد ليصبحوا أهلا للتحول. **(عمر أحمد الهمشري: 2003، ص 205).**

فالحديث عن الاتصال الثقافي في العالم المعاصر يقودنا بالتأكيد للحديث عن ما اصطُلِح على تسميته بـ"العولمة الثقافية"، والتي تأتي نِتاجًا للاتصال الثقافي غير المتكافئ، فهي تتوفر على ثقافة خاصة، وقد عرّف "سمير أمين" ثقافة العولمة على أنها ثقافة رأسمالية سائدة عالميا، والتي تُعيد تكوين الخصوصيات الثقافية المحلية؛ في المقابل تكون عولمة بديلة تزدهر فيها الخصوصية في إطار منظومة الكلية، وبإمكانها أن تنجح كثقافة عالمية، ويشمل التغيُر الثقافي ثلاث عمليات أساسية هي:

❶عملية التأهيل: **وتعني اختراع أو اكتشاف عناصر جديدة في الثقافة.**

❷ عملية الانتشار: **وتعني استعارة عناصر جديدة من ثقافات أخرى.**

❸ عملية إعادة التفسير: **وتعني تهيئة عنصر قائم لمواجهة الظروف الجديدة.**

ومن العوامل المؤثرة في حدوث التغيّر الثقافي "**ديناميات الأجيال**"؛ ونعني بها حركية ونشاط الجماعات العمرية المختلفة بصفة عامة والأجيال المحدثة بخاصة التي تقوم بدعم وابتكار أساليب حياة جديدة أو طرق جديدة أو وسائل جديدة تختلف عن نظائرها في الثقافة السائدة نتيجة تعليمهم أو اتصالهم بثقافات أخرى أكثر تقدما.

(عمر أحمد الهمشري: 2003، ص 206).

هذه الوسائل الجديدة المساهِمة في التغيير تتفاعل فيما بينها مع الإنسان الذي هو محور هذا التغيير، وما يمارسه من أفكار وممارسات مع التكييف وفق متغيرات مختلفة. لكن هذا التكييف في معظم الأحيان ينتج عنها اغتراب ثقافي–اجتماعي بكل المقاييس؛ إضافة للعوامل السابقة التي تساهم في إحداث عملية التغيير عامل التعليم الذي ساهم في إكساب الفرد مجموع خبرات ومعلومات تساهم في رفع مستواه، وتُكسبه ملكات جديدة من شأنها أن تدفعه للبحث عن كل ماهو حديث بتنمية أساليب وطرق البحث لإيجاد حلول للعديد من المشاكل المجتمعية العويصة. كل هذه العوامل إيجابية تمنح للأفراد مستوى إيجابي من التغيير على عدة مستويات، حتى في نطاق الوسائل الإعلامية والتكنولوجية وذلك لا يتحقق إلا إذا أحسن استخدامها.

تاسعا/ العولمة والصناعة الثقافية:

ظهر مفهوم صناعة الثقافة وتمت صياغته من قبل مدرسة فرانكفورت ،حيث ابتدعه المنظر النقدي "تيودور أدرونوه" و"ماكس هوركايمر"، تم تناوله في الفصل الأخير من كتابه "جدل التنوير" صناعة الثقافة: التنوير والخداع الشامل.**(شريف محمد عوض: 2014، ص 102).**

إذ قدمَا دراسة نقدية للإنتاج الصناعي للمواد الثقافية باعتبارها ظاهرة شاملة تهدف إلى تحويل الإنتاج الثقافي إلى سلع؛ فالمنتجات الثقافية كـ:الأفلام، البرامج الإذاعية والمجلات تُحيل على نفس العقلانية التقنية ونفس الصيغ التنظيمية والتخطيط الإداري المتبَع في الإنتاج الصناعي للسيارات أو المشاريع الحضرية «لقد تم الإعداد لكل شيء مسبقا ليجد كل فرد ما يناسبه؛ بحيث لا يستطيع أحد الفكاك»، فكل قطاع إنتاجي يُماثِلُ القطاعات الأخرى، وهي بدورها متطابقة بالنظر إلى بعضها البعض، ذلك أن الحضارة المعاصرة تُضفي على كل شيء مسحَةً تماثلية تطابقية؛ فالصناعة الثقافية توصِل بضائعها المتماثلة إلى أي مكان؛ مُلبية بذلك الحاجات الكثيرة والمتنوعة مُنتهجةً سُبُل ومعايير إنتاجية موحدة في لإشباع هذه الطلبات، ومن خلال نمط صناعي في الإنتاج نحصل على ثقافة جماهيرية مكونة من السلسلة التي تحمل بكل تأكيد بصمة الصناعة الثقافية: إنتاج غزير، تماثل معياري، تقسيم العمل.

هذه الوضعية لم تتأت نتيجة قانون يخضع له التطور التكنولوجي؛ بل مردها لوظيفة التكنولوجيا في الاقتصاد الحالي. **(نصر الدين العياضي: 2009، ص 88، 89).**

وبالتالي فصناعة الثقافة أو الثقافة المصنعَة سوف تؤدي إلى انتشار ثقافة الاستهلاك، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الفشل في إحداث تنمية اجتماعية متواصلة لبعض الشعوب؛ حيث تصبح متحيِّزة لصانعي هذه الثقافة التي ترمي لتحقيق التقدم لهم؛ بينما تتعثر الشعوب الأخرى غير القادرة على المنافسة في ظل تزايد تكنولوجيا الاتصالات واتساع الأسواق التي تتحكم فيها قِوى فاعلة هي شركات ومؤسسات متعددة الجنسيات؛ بحيث تحاول القفز على حدود وثروات الشعوب والدول من الداخل والخارج.

فالسيطرة على المجال الاقتصادي والمالي والعالمي والنتيجة تجميع الثروة في أيدي أقلية تتألف من الفاعلين الجدد في عالم العولمة، والأمثلة على ذلك كثيرة كما يؤكد الباحثون

والاختصاصيون في هذا المجال إن خمس دول هي: الولايات المتحدة وألمانيا وفرنسا واليابان وبريطانيا تتوزع فيها (172) شركة من أصل (200) شركة هي أكبر الشركات العالمية التي تسيطر عمليات على الاقتصاد العالمي؛ فالترويج لمنتجات وسلع وخدمات هذه الشركات يحتاج إلى فتح أسواق جديدة ومستمرة، ولذلك فإن العولمة كنظام اقتصادي ثقافي إعلامي يقوم على سياسة الأسواق المفتوحة نشأ في ارتباط عضوي مع وسائل الاتصال الحديثة التي تُقدم خدماتها لشركات الإعلان والتسويق للتأثير في الجمهور في الأسواق.

(أحمد مجدي حجازي: 2008، ص213).

ومما سبق فالصناعة الثقافية هي علامة واضحة على إفلاس الثقافة؛ أي سقوطها في السلعنة (التسليع)؛ أي تحويل الفعل الثقافي إلى قيمة تبادلية يقضي على قوته النقدية ويحرمه من أن يكون أثر التجربة أصيل، لأن الصناعة الثقافية هي العلامة الفاضلة على تراجع الدور الفلسفي الوجودي للثقافة. **(نصر الدين العياضي: 2009، ص90).**

يرى بعض المفكرين والمحللين استحالة قيام ثقافة واحدة محَل الثقافات القومية وذلك راجع لعدة أسباب أهمها: أنه مهما تقاربت الشعوب في كل المجالات والميادين يبقى الاختلاف قائما خاصة في الجانب الثقافي وذلك للحفاظ على تماسكها، وعلاوة على ذلك تعاني الثقافة التي يُراد لها أن تكون ثقافة العالم، ونعني بها ثقافة الديمقراطية والليبرالية خاصة في المجتمع الأمريكي العديد من عناصر الضعف فيها؛ إذ تنطلي على قيّم وأخلاقيات مادية في جوهرها وأهدافها، وثقافة الشعوب ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ ولا يمكن اقتلاعها مهما كانت قوة آليات المسخ والتشويه المحاطة بها لأنها متشبعة ومتشربة لثقافتها القومية. **(طه عبد العاطي نجم: 2005، ص 218، 219).**

وفي المقابل فالتوجه يؤكد على أن العولمة الثقافية تتضمن بلوغ البشرية مرحلة الحرية الكاملة لانتقال الأفكار، المعلومات، البيانات، الاتجاهات، القيم والأذواق على الصعيد العالمي، وقد فقدت الدول في ظل العولمة القدرة على التحكم في تدفق الأفكار والقيّم فيما بين المجتمعات والأجيال، وفقدت الدول السيطرة على التعاون الحر للأخبار والمعلومات، والذي يتم عبر وسائل وتقنيات جديدة لم تبرز إلا في التسعينيات، وقد أصبح البشر موحَدِين تلفزيونيا ومن خلال البريد الالكتروني وشبكات الانترنت، وفي ظل العولمة الثقافية يكتشف الإنسان بُعده العالمي ويتعرف على هَويته الإنسانية أكثر من أي وقت آخر، ولكن بروز الهوية العالمية في ظل العولمة لا يعني تلقائيا تراجعا أو نفيا للهوية الوطنية للفرد فستبقى الهوية الوطنية، لكن بجانبها ستنمو الهوية الإنسانية والمواطنة العالمية. **(طه عبد العاطي نجم: 2005، ص 217، 218).**

مراجع الفصل الثاني

أولا/ المراجع باللغة العربية:

-الموسوعات والقواميس:

1. الطاهر لبيب (2005): **موسوعة للمعرفة من أجل التنمية المستدامة**، المجلد الثالث.
2. محمد عاطف غيث: (1985)، **قاموس علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الأزريطة، مصر.

- الكتب:

3. إبراهيم بدران (2002): **أفول الثقافة**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الاسكندرية، مصر.
4. أحمد بن نعمان (1996): **هذه هي الثقافة**، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، برج الكيفان، الجزائر.
5. أحمد مجدي حجازي (2008): **إشكالية الثقافة والمثقف**، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر.
6. بلال خلف السكارنة (2009): **أخلاقيات العمل**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
7. جمال العيفة (2003): **الثقافة الجماهيرية**، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر
8. حسن إبراهيم عبد العال (2005): **التربية الابداعية**، دار الفكر، عمان، الأردن.
9. حسين عبد الحميد رشوان (2006): **الثقافة**، مؤسسة الشباب العربي، الإسكندرية، مصر.
10. حليم بركات (2006): **الاغتراب في الثقافة العربية متاهات الانسان بين الحلم والواقع**، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، سبتمبر، بيروت، لبنان.
11. دلال ملحس استيتية (2004): **التغير الاجتماعي والثقافي**، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
12. دنيس كوش (2007): **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية**، تر: منير السعيداني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
13. سامي سلطي عريفج (2006): **سيكولوجية النمو**، ط1، دار الفكر، عمان، الأردن.

14.سهير جاد وسامية أحمد وآخرون (1999): **البرامج الثقافية في الراديو والتلفزيون**، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر.

15.صالح محمد علي أبو جادو (1998): **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الأردن.

16.طه عبد العاطي نجم (2005): **الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر.

17.عاطف وصفي (1971): **الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

18.عباس محمد إبراهيم (2009): **الثقافة والشخصية**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر.

19.عبد العالي دبلة (2011): **مدخل إلى التحليل السوسيولوجي**، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر.

20.عبد الغني عماد1 (2006): **سوسيولوجيا الثقافة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.**

21.عبد المنعم الميلادي (2007): **الاعلام**، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، مصر.

22.عزام أبو الحمام (2009): **الاعلام الثقافي (جدليات وتحديات)**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

23.عمر أحمد الهمشري (2003): **التنشئة الاجتماعية للطفل**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن.

24.عنابي بن عيسى (2003): **سلوك المستهلك، عوامل التأثير البيئية**،الجزء الأول، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر.

25.قزية الشوفي (2005): **الثقافة الهدامة والاعلام الأسود في هيروشيما إلى بغداد وفي خراب الروح إلى العالمية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

26.كريم زكي حسام الدين (2001): **اللغة والثقافة**، ط3، دار غريب للطباعة، القاهرة، مصر.

27.محمد إبراهيم عبيدات (1998): **سلوك المستهلك**، ط2، مدخل استراتيجي، ، دار وائل للنشر، عمان، الأردن.

28.محمد حسنين العجمي وآخرون (2009): **في اجتماعيات التربية**، دار الفكر، عمان، الأردن.

29.محمد عبده محجوب وآخرون (2005): **المجتمع والثقافة**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر.

30. منى يوسف بحري وآخرون (2008): **مدخل على تربية الطفل**، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأدن.

31. نبيل علي (2001): **الثقافة العربية وعصر العولمة**، عالم المعرفة، الكويت.

32. هارلمبس وهولبورن (2010): **سوسيولوجيا الثقافة والهوية**، تر:جمة حاتم حميد محسن، دار عيون للطباعة والنشر والتوزيع.

33. يعقوب المليجي (2003): **مدخل للثقافة الإسلامية**، مؤسسة الثقافة الجامعية، الأزاريطة، مصر.

– المجلات والدوريات:

34. أسعد علي وطفة (1992): **الثقافة والتربية، مجلة الموقف الأدبي**، العدد 259 و260، تشرين وكانون الأول، دمشق، سوريا.

35. حيدر إبراهيم (1999): **العولمة وجدل الهوية الثقافية العولمة ظاهرة العصر**، مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، العدد 02، الكويت.

36. فايز الصُيّاغ (2012): **اشكالية الهوية وثنائية اللغة والترجمة في السياق العربي المعاصر**، مجلة تبيُن، العدد الأول.

37. فيروز زرارقة (2009): **التغيّر القيمي وصراع المرجعيات**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الوطني الأول حول التغير القيمي في المجتمع الجزائري، يومي:04، 05 ماي، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.

38. ماجد ملحم أبو حمدان (2011): **طرائق التنشئة الاجتماعية الأسرية وعلاقتها بمدى مشاركة الشباب في إتخاذ القرار داخل الأسرة**، دراسة ميدانية على عينة من شباب جامعة دمشق، كلية الآداب، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثالث والرابع، دمشق، سوريا.

39. ماجد ملحم أبو حمدان (2011): **طرائق التنشئة الاجتماعية الأسرية وعلاقتها بمدى مشاركة الشباب في إتخاذ القرار داخل الأسرة**، دراسة ميدانية على عينة من شباب جامعة دمشق، كلية الآداب، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، العدد الثالث والرابع، دمشق، سوريا.

40.محمد ابن بوزيان، بن عمر عبد الحق (2007): **دور الثقافة في إدارة التغيير في المؤسسة**، مجلة أبحاث اقتصادية، ، العدد الأول، جوان، بسكرة، الجزائر.

41.نصر الدين العياضي (2009): **الهوية الوطنية والتلفزيون: عشر اطروحات لتطليق المسلمات**، مجلة عالم الفكر، المجلد 38، عدد 2، الكويت.

42.نصر الدين بوزيان (2009): **الاعلام والتغيّر القيمي: بين الموجود والمنشود**، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، عدد خاص بالملتقى الوطني الأول حول التغير القيمي في المجتمع الجزائري، يومي:04، 05 ماي، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.

43. نور الدين زمام (2001): **عولمة الثقافة (المستحيل والممكن)**، مجلة العلوم الانسانية، جامعة محمد خيضر، العدد الأول، كلية الآداب والعلوم والاجتماعية والانسانية، بسكرة، الجزائر.

44.وائل فاضل علي (2013): **العولمة وآثارها على التنشئة الاجتماعية**، دراسة ميدانية نقلا عن: www.rooad.net، تاريخ الزيارة: 2015/11/23 الساعة: 16:00.

ثانيا/ المراجع الأجنبية:

45. Eddgar Morin et Eric Macé**: La culture de masse, Le choc des données 50 et 60** Eddgar, Médiamorphoses, n° 13, 2005.

46. **MOSTAPHA BOUTEFNOUCHET** (1982): **La culture en Algérie Mythe et réalité**, etudes culturelles societé nationale d'édition et de diffusion, Alger.

47. PHILIPPE BRETON et autres (1993): **L'exploision de la communication, la naissance d'une nouvelle Idéologie**, édition la dicouverte, Paris.

ثالثا/ المواقع:

48. عبد الغني عماد (2014): **هل للمعرفة والثقافة خصائص ومحددات ؟ مقاربة سوسيولوجية** نقلا عن alhiwar2012.wordpress.com بتاريخ: 2016/02/18، الساعة: 01:25.

49. www.marefa.org، بتاريخ: 2016/11/03، الساعة: 08:30.

50. http://www.mominoun.com، بتاريخ: 2016/04/03، الساعة: 08:45.

51. https://ar-ar.facebook.com بتاريخ: 2016/04/03، الساعة: 10:00.

52. http://fasl1.blogspot.com بتاريخ: 2016/04/08، الساعة: 23:30.

الفصل الثالث:

الثقافة الجماهيريـة

أولا/ مفهـوم الثقافة الجماهيرية.

ثانيا/ خصائص الثقافة الجماهيرية.

ثالثا/المقاربات النظرية المفسرة للثقافة الجماهيرية.

رابعا/ الثقافة الاستهـلاكيــة.

خامسا/ خصائص الثقافة الاستهلاكية.

سادسا/ استهلاك السلع والمنتجات الاتصالية

سابعـا/ الواقع العالمي والتحولات الاستهلاكية.

ثامنا/ الاختـراق الثقـــافي

أولا/ مفهـوم الثقافة الجماهيرية:

يعرّفها "جمال العيفة" في كتابه "الثقافة الجماهيرية عندما تخضع وسائل الإعلام والاتصال لقوى السوق" هي «المواقف الجديدة التي تنشرها وسائل الاتصال والإعلام لدى الجماهير الواسعة وبصفة اصطناعية وتمتاز بأنها ثقافة مصطنعة تخضع لمقاييس السوق وفق مبدأ العرض والطلب وظهرت بظهور وسائل الاتصال الحديثة».

(جمال العيفة: 2003، ص 45).

تُعد وسائل الإعلام الجماهيرية الوسيلة الأساسية التي تنقل من خلالها كل الأفكار الموجودة بالمجتمع، لتخلق منها ثقافة تتماشى وكل الأذواق بغض النظر إذا كانت هذه المادة ذات مستوى عالي أم هابط، شريطة أنها تخضع للقوانين التي تصنعها الشركات متعددة الجنسيات وما تحاول أن تفرضه من أفكار وإيديولوجيات معينة، فوسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية يتماشون معا، فلو لم تتطور كل التقنيات الصناعية ما ظهرت الثقافة الاستهلاكية المصنعة.

يشُك المؤرخون والنقاد في إمكانية ربط ظهور الثقافة الجماهيرية بفترة زمنية محددة، وبالتالي مشكلة التعريف لهذا المصطلح تجعل التأريخ الدقيق لها مستحيل؛ غير أن جل الباحثين يُرجعون تاريخ ظهورها بتطور وسائل الإعلام الجماهيرية.

(Nicolas Lobarre : 2007, p23).

إذا كان مصطلح "الثقافة الجماهيرية" قد ظهر بالإنجليزية خلال العشرينيات، إلا أن استخدامها عرف تحولا وتعدُدا مُهما طيلة السنوات اللاحقة؛ فبالرجوع إلى الأرشيف الإلكتروني نجد العديد من الإعلانات التي سمحت بتحديد دقيق لاستعمال العبارة وترددها، والتي استخدمت منذ سنة 1925 عبارة " ثقافة جماهيرية " في "نيويورك تايمز".

.(Nicolas Lobarre, 2007, p23

إذن، فقد اختلفت استخدامات المفهوم وظهوره بالشكل الفعلي، إلا أن الاتفاق كان على مدى تطور المفهوم وعلاقته بوسائل الاتصال الجماهيرية وما تسعى لتحقيقه بجعل الجماهير تكون استهلاكية نمطية حول ثقافة واحدة وعالمية بغض النظر إذا ما كانت سلبية أم إيجابية.

فالثقافة الجماهيرية حسب "فيليب بروتون" هي مثل كائن سوسيولوجي: هي جسم مركب من أبعاد، رموز، أساطير، وصور تخترق الفرد في أعماقه ، تنظم أفعاله وتوجه مشاعره، هذه الثقافة تحتوي على نظام خاص هو جزء من تركيبتها الخاضعة لمقاييس الإنتاج الصناعي، والمنبثة عبر وسائل الإعلام لصالح أعداد ضخمة وهائلة من الأفراد، تأتي لتُضاف إلى الثقافات الموجودة من قبل؛ كالثقافة الإنسانية، الدينية والقومية.

(PHILIPPE BERTON ET AUTRES: 1993, p154)

ويمكن القول بأنها كل التعبيرات والمواد الثقافية التي تنشرها وسائل الاتصال الجماهيرية؛ هي نِتاج وسائل الإعلام الحديثة بكل أنواعها بغض النظر عن الموقف منها هل هي نافعة أم ضارة أم هي وسط بين ذلك. **(جمال العيفة: 2003، ص 55، 56).**

وفي السياق نفسه يقول "إدغار موران" «عندما بدأت التفكير حول مصطلح الثقافة الجماهيرية، ظهر لي شيئان: الحداثة التي جلبتها للثقافة المشتركة، والتي يُطلق عليها تزامن الثقافة الجماهيرية؛ ومما يعني: القدرة على احتواء مختلف المستويات الثقافية، ومختلف الأشياء ذات الأصول المختلفة، ومن جهة أخرى مختلف العلاقات الداخلية التي تربطها الثقافة الجماهيرية مع الخبرة الشخصية، ما تجلبه الثقافة الجماهيرية هو الامتداد المعتبر للخبرة الشخصية، وبالأخص بُعد مختلف للإثارة».

(Eddgar Morin et Eric Macé, p.8)

فهناك العديد من النظريات التي تطرقت لفكرة المحتوى الهابط والرفيع والعادي الذي تقدمه هذه الوسائل الإعلامية وهو الدور الرئيسي للثقافة الجماهيرية، وهذا ما قدمته الوظيفية وأهم أفكارها عن تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية على الجماهير. إذن الإشكالية القائمة هل هذه المحتويات بأنواعها تصنّها وتفرضها الثقافة الجماهيرية ووسائلها على الجمهور؟ أم أن الجمهور الذي يفرض على الوسائل ليتشكل هذا النمط من الثقافة؟ تبقى المشكلة متأصلة و متجذرة مثل المشكلة الفلسفية التي لم تكن لها إجابة لحد الآن: هل البيضة هي التي تأتي بالدجاجة أم أن الدجاجة هي التي تأتي بالبيضة ؟

فهذه الثقافة كما وصفها "أبو اصبع" هي ثقافة مصنَّعة مفروضة على الجماهير، كما أن الرسائل الاتصالية التي تبثُها وسائل الإعلام الجماهيرية، هي رسائل غير موجهة إلى طبقة موحدة ولا إلى مستوى ثقافي أو تعليمي محدد. **(صالح أبو اصبع: 1999، ص 56).**

ومن ثمة فإن هذه الثقافة الجماهيرية تحمل قناعات الثقافة الصناعية، تحاول عن طريق إشباع الجماهير بمواد إعلامية واتصالية وهمية أن تجعل هذه الأخيرة في حالة وعي مُزَيَف دائم على حد تعبير "ماركيوز " فيما يتعلق بواقعها الاجتماعي؛ حيث تروج عبر وسائل الاتصال الجماهيرية من أجل ترسيخ قيم امتثالية تنميطية واستهلاكية وتجد سبيلها الى المجتمعات المستقلة لها على شكل أحزمة ثقافية مصنعة: أفلام، مسلسلات، أغاني، إشهار مختلف السلع الترفيهية الأخرى. **(عزي عبد الرحمان: 1995، ص 149).**

لكن، مستوى المنح لا يتوقف على ما يريد الجمهور ذو التعليم المحدود، حتى وإن لبت طلباته في مرحلة معينة أو مادة إعلامية ما، لكن يبقى أساس العمل هو جعل هذا الجمهور يمشي وفق معطيات الثقافة الجماهيرية وما تصبو لتحقيقه باستخدام هذا الجمهور.

هذه المواد المقدمَة للمتلقي تخضع لقانون العرض والطلب؛ إضافة لاقتحام التصنيع في المجال الثقافي؛ مما أثار الكثير من الجدل داخل الدول الغربية لما له من تأثير على المنتجات الثقافية بدعوى أن هذه الأخيرة تتعامل مع كل ماهو معنوي وفكري بحت، لكن إصرار المالكين المباشرين والمنتجين للمواد الثقافية على اعتبار أنها مواد اقتصادية (سلع) تخضع لقواعد السوق بفرض منطق آخر وواقع وجب التعامل معه على الرغم من السيل العارم من الانتقادات والرفض لهذا التوجه، وأصبحت الدول والمنظمات تتعامل مع هذا –مصطلح الصناعات الثقافية– كغيره من المفاهيم الاقتصادية الأخرى؛ بل وتُدرج الصناعة الثقافية كأحد أبرز الصناعات الوطنية. **(جمال العيفة: 2003، ص 49).**

ثانيا/خصائص الثقافة الجماهيرية:

وقد حدد العياضي خصائص الثقافة الجماهيرية فيما يلي :

- ✓ إن الخطاب عن الثقافة الجماهيرية خطاب مثقفين الذين يعيشون في الثقافة الجماهيرية.
- ✓ تشمل منتجات الراديو، التلفزيون، السينما، الكتب، الجرائد والمجلات؛ أي كل المنتجات المقدمة للجمهور بقنوات جماهيرية مرتبطة بمفهوم الترفيه، وفي هذه الحالة لا تشمل كل المنتجات الجماهيرية؛ بل الأفلام، الألعاب ...، أنها تشمل ما يخرج عن نطاق ما نسميه عادة بالإعلام السوسيو– اقتصادي والسياسي.
- ✓ إنه خطاب يتطور بمعية خطاب آخر، خطاب المجتمع الجماهيري؛ حيث توجد في الخطاب عن الثقافة الجماهيرية بشكل ضمني أو مستتر طريقة لإدراك وفهم الكيان الاجتماعي أو على الأقل بعض الفرضيات حول طبيعة النظام الاجتماعي الذي تتطور فيه الثقافة الجماهيرية فهي ترتبط بالتحول والتغيير في المجتمع.

(نصر الدين العياضي: 1996، ص ص 229، 231).

وتتميز أيضا بالسطحية والظرفية لكنها مركز اهتمام المستثمرين؛ في حين أخذت الثقافة المدرسية والعلمية –والتي كانت وراء كل تقدم– تتراجع ليقتصر انتشارها على نوادي ضيقة يعاني أصحابها من الشعور بالعزلة، وما يلاحَظ على هذه الرؤية التي شكّلَتها الثقافة الجماهيرية أنها تدفع الإنسان للابتعاد عن حاجاته الحقيقية ليتبَعَ الأوهام والتفاهات والشكليات في المأكل والمشرب والملبس. **(قزية الشوفي: 2005، ص38).**

فقد نجحت وسائل الإعلام على سبيل المثال في الترويج للأفكار والقيم الغربية وإقناع الجماهير بها من خلال المسلسلات والأفلام والأغاني، في مقابل التجاهل المتعدد وتسطيح الثقافة العربية الإسلامية، والمدهش في الأمر هو تبني قاعدة كبيرة من هذه الجماهير لهذا الكم من القيّم باعتبارها نمطا في سلوك حياتهم اليومية، وأصبحت هي النموذج الذي يُتبّع بالتخلف والرجعية، ويعتبر هذا نموذجا من مفهوم السيطرة الذي قصده "جرامشي" مع وجود نماذج متعددة تمارسها مؤسسات مختلفة.

(طه عبد العاطي نجم: 2005، ص 80).

واعتدادا بما سبق فإن من مميزات الثقافة الجماهيرية أنها تُنتج الاغتراب والاختراق الثقافي كما أنها تافهة، منمطة، متكررة، سطحية، موجهة لاستهلاك المتعة الزائلة، فالثقافة الجماهيرية تُنتِجُ جماهيريا عدم التبصر وتخنُق الوعي الاجتماعي، ذلك لأنها مُسَكِنة من كثرةِ مغالاتها في التفاهة، كما أنها تُثير أو تدعِّم مسار الاغتراب الذي يعتبر كخاصية للمجتمع الجماهيري فهي تشترك في هذا المسار لكونها تقترح على الجمهور المفتت (LA foule Atomisée) برنامجا منمطا (Standard) يستهدف ملأ الوقت الناجم عن تقليص وقت العمل. **(نصر الدين العياضي: 1996، ص 235).**

ونفس الرأي نجده عند المدرسة النقدية، ومدى صلاحية هذا النوع من الثقافة في المجتمع، ويُقسِّم "ساندرا بول روكيتش" و"ملفين ديفلير" مضمون أي وسط إعلامي إلى ثلاث درجات:

1-المضمون الهابط:

مثل دراما الجرائم التلفزيونية التي تُؤكّد على العنف أو البرامج الجنسية الفاضحة التي تصل حتى إلى حد الدعارة ...أو كوميديا الجريمة، الموسيقى أو أي محتوى آخر يؤدي إلى الإسهام في خفض مستوى الذوق وإفساد الأخلاق والإثارة للقيام بسلوك غير مقبول اجتماعيا، ويكون هذا المضمون عُرضة دائما لاستياء النقاد؛ وهو ما يُعرَف بالثقافة الجماهيرية. **(جمال العيفة: 2003، ص 51).**

وهذا ما نجده في واقعنا المعاش؛ حيث توجه هذه الأفكار نحو كل فئات المجتمع عامة، وخاصة منها الشباب باعتبارهم الفئة الحساسة التي تقبل كل ما هو وافد إليها، ويعمل على تغيير وضعه، وسبيله إلى ذلك هو المضمون الهابط الذي تبثه وسائل الإعلام الجماهيرية، عن طريق الإثارة والتشويق الإعلامي، فجعَل كل شاب وشابة عربية تحلم بالنموذج الغربي وخاصة الأمريكي الذي يحمل في طياته طمس للثقافة والهوية العربيتين، خاصة الجانب الديني، بجعلهم يحلمون بواقع مغاير تماما لواقعنا.

وفي السياق نفسه؛ فالثقافة الجماهيرية لم تكن في منأى عن هذا التغيير الذي مسّ المادة الإعلامية الخاصة بها، وفي ذلك يرى "إدغار موران" إن هذا النوع من الثقافة قد باع الغبطة والفرح والمرح، وعلامة ذلك هو النهاية السعيدة، فالفيلم ينتهي بالقبلات والنجاح، وابتداء من سنوات الستينيات لم يعد هذا النوع من الأفلام إجباري، فقد توسعت النهايات وعدنا للنهايات الدرامية، وجلبت الثقافة الجماهيرية أسطورة السعادة إلى غاية نهاية الستينيات، وابتداء من هذا

التاريخ، وُضعت السعادة في مشاكل، وهذا مهم من وجهة نظر تاريخية. **(Edgar Morin,p.9)**.

وهذا ما تم نقله إلى الشباب من خلال العمل على زرع تأثيرات حداثية للثقافة الجماهيرية، فترسّخ في فكره هذا النموذج الغربي عن طريق معايشته لقصص الأفلام والمسلسلات التي تنتهي عادة بنهايات السعادة الأبدية، مع أنها هي نتيجة لمحتوى إعلامي هابط يضرب منظومة الهوية في الصميم، خاصة على المستوى: ثقافي–اجتماعي.

2– المضمون الذي لا يثير الجدل:

لم يورد عنه النقاد سوى القليل جدا مثل: تقارير الطقس ومحتوى أخبار معينة والموسيقى التي هي سيمفونية ولا شعبية، والمجلات التي تُركز على الاهتمامات المتخصصة...، ولا شك أن هذا المحتوى لا يرفع مستوى الذوق ولا يحُط من قَدره كما لا يُشِر إليه على أنه يهدد المستويات الأخلاقية.

(جمال العيفة: 2003، ص 52).

3– مضمون الذوق الراقي:

وهو المحتوى الذي يُشعر النقاد إعلاميون بأنه يقع ضمن الذوق الأفضل أو الأسمى أنه يرقى بالأخلاق والتعليم ومن أمثلته الموسيقى الجادة والدراما المعقدة والمناقشات السياسية، وبالموازاة مع ذلك يصِف باحثون آخرون الثقافة الجماهيرية ومضامينها بـ: "دراما الاتصال"؛ حيث يرى "عزي عبد الرحمان" أن هذه الدراما "الاتصال" هي تلك التقنيات والآليات والأشكال المستخدمة في إطار الوسائط الواسعة والمتمثلة في الصور واللقطات الإشهارية والبرامج التشهيرية لأنماط الاستهلاك وقيّمها التي عادة ما تندس اندساسا لا شعوريا في ثنايا الدراما

الترفيهية الأفلام والمسلسلات والحصص الخاصة بعرض المنتجات والأزياء الرسمية والاستقبالات والحفلات والأشرطة الوثائقية.

(جمال العيفة: 2003، ص 52).

ثالثا/ المقاربات النظرية للثقافة الجماهيرية :

1.3.الوظيفية:

تعتبر البنائية الوظيفية من النظريات السوسيولوجية التي شغلت حيزا كبيرا في أدبيات علماء الاجتماع خاصة في بدايات القرن العشرين، واحتلت مكانة مرموقة بين نظرياته، هذه النظرية لم تأت نتيجة جهد عالم بعينه؛ بل تظافرت جهود العديد منهم في مجالي علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية في إرساء دعائم هذا التيار.

(نبيل حميدشة: 2010، ص 480).

يُعد مضمون وسائل الإعلام وذوق الجمهور محور النظرية الوظيفية، لكن إجمالا من بين المفاهيم الأساسية لهذه النظرية هي التوازن، وظيفة، دور، لا توازن، اختلال النسق؛ فالمجتمع هو عبارة عن نسق عام وبه وحدات، فيقام كل وحدة بدورها يؤدي إلى تكامل النسق والوسائل الاتصالية والمؤسسات الاتصالية والمؤسسات الخاصة بها هي إحدى الوحدات الفرعية المكونة لنظام المجتمع، وبعرضها لمحتوى هابط ورديء في أغلب الأحيان ينشر أفكار الجريمة، العنف والجنس سيؤدي بالضرورة إلى اختلال توازن النسق العام وهو المجتمع.

إن تماسُك واستقرار وسائل الاتصال الجماهيرية في مواجهة تاريخ طويل من الانتقادات يحتاج إلى تفسير؛ في البداية تبدو المشكلة بسيطة بشكل مُخادع ومُضلّل، فوسائل الإعلام تثير إعجاب الجماهير، وتريد الجماهير نوع المحتوى الذي يحصلون عليه، ولهذا تواصل وسائل الإعلام تقديم هذه النوعية لهم، ولقد أشار عدد كبير من علماء الاجتماع مثل "سكورنيا" إلى عدم

دقة هذا التفسير، وفي أحسن الظروف فإنه من الصعب أن نعرف: هل يحدد ذوق الجمهور محتوى وسائل الإعلام؟ أم أن محتوى وسائل الإعلام هو الذي يحدد ذوق الجمهور؟ فقد تكُون الإجابة مزيجا من هذا وذاك، لأن كلا من ذوق الجمهور ومحتوى وسائل الإعلام يمثلان السبب والنتيجة، باعتبار أن علاقتهما تمثل علاقة تبادلية التأثير، ويمكن تفسيرها اعتمادًا على التطور الوظيفي "البارسونزي" في إطار أن الجوانب النسقية واسعة النطاق للوجود الاجتماعي، قد يمكن فهم الدور الوظيفي الذي تقوم به مؤسسات الاتصال والإعلام على المستوى الاجتماعي والثقافي أو الترفيهي في ضوء تقييم هذه الأدوار الوظيفية ووظيفتها، لكي تُسهِم في فهم مجالات الوجود الاجتماعي ككل، وإن نفهم هذه المؤسسات يجب أن تستند على أنها أشكال من الأنساق العضوية وتحديد المستلزمات الوظيفية بشيء من الدقة مع إدراك بأن هناك مناسبات تعمل فيها – مؤسسات الاتصال والإعلام – أو الأنساق الاجتماعية بشكل سوي، ولكن ليس المجتمع ككل وأنه يمكن تشبيه طريقة عملها بأنساق حية أخرى ومنها الكائنات البشرية؛ مع الأخذ في الاعتبار ملاحظة "فيرتون وجولدنز" أنه يجب الانتباه إلى الفوارق التي توجد بين الأنساق الاجتماعية والأنساق الحية. **(جمال أبو شنب: 2006، ص 99، 100).**

فكرة البناء والوظيفة ليست جديدة؛ إذ نجد لها آثارا في كتابات الفلاسفة الأوائل، خاصة عن تناول علاقة الفرد بالمجتمع ودوره في توازن هذا الأخير؛ فالاستقرار وكيفية الوصول إليه، وتماسك مكونات النظام، وكيفية قيام كل فئة من فئات المجتمع والمشاركين في الهيكل الاجتماعي بانجاز الأنشطة التي تساهم في تحقيق التناسق الاجتماعي العام، كلها أبعاد تدور حول الوظيفة والبناء. **(يوسف تمار: 2004، ص 60).**

اهتمت الوظيفة بدراسة المجتمع وتأثير الوسائل الاتصالية عليه، وكيفية استخدامها وقدمت العديد في الدراسة الأمبيريقية العملياتية كتأثير السينما وخاصة أفلام العنف والجريمة على الشباب

الذين يمثلون أهم فئات المجتمع؛ إضافة للعديد من الدراسات التي جسدت من خلالها أهم أفكارها وهي كيفية المحافظة على النسق الاجتماعي وأهم الأبنية المكونة له.

2.3. النقدية:

تعتمد مدرسة فرانكفورت على أعمال وأفكار كارل ماركس، وفي المقابل تعد أعمال المدرسة النقدية قد أثرت في تطوير أفكار الماركسية المعاصرة.

فإذا كانت النظرية المنبثقة من الماركسية تُسمى المادية التاريخية، والنظرية المنبثقة من مدرسة باولو ألتو التحليل النفسي، فإن النظرية المنبثقة من مدرسة فرانكفورت تسمى النظرية النقدية. **(يوسف تمار: 2004، ص 66).**

تفترض النظريات النقدية أن النظريات الاجتماعية يجب أن تقوم على قاعدة من القيّم والأهداف المثالية لحياة الإنسان، وتهدف هذه النظريات إلى بناء دليل لعمليات الإصلاح أو تُحوّل المؤسسات الاجتماعية أو النظام الاجتماعي حتى تصبح القيّم الهامة حقيقة في حياة هده المجتمعات، وغالبا ما تتواصل النظريات النقدية من خلال اختيار مشكلات اجتماعية معينة ودراسة مصادر هده المشكلات وموقع المصادر منها وتقدم توصياتها وحلولها المقترحة. **(مي العبد الله:2006، ص 200).**

فالمدرسة النقدية تعطي الأولوية في تحليلها لمحيط الثقافي والاجتماعي الذي تتم فيه عملية الاتصال، ولذلك يطلق عليها البعض اسم " المدخل الاجتماعي الثقافي "حيث تأثرت هذه المدرسة منذ بداية بالفكر الماركسي فكان أتباعها يركزون أساسا على المحيط الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي للبلد الذي تتم فيه عملية الاتصال.

(كنزاي محمد فوزي: 2014، ص ص 107، 106).

ولذلك فإن اتجاهات هذه النظريات تقترب كثيرا من النظرية الماركسية في جوانبها الخاصة بسيطرة البنية الفوقية للمجتمع "**SUPERTRUCTURE**" على الثقافة التي تستخدمها الصفوة لتخذير الطبقات الدنيا وتوجيههم للعمل ضد اهتمامهم حتى ترتفع قوة الصفوة وتنحدر حياتهم إلى الأسوأ. وتعد مدرسة فرانكفورت كما تطرقنا إليها سابقا إحدى المدارس التي قامت مبكرا على فكرة الماركسية الجديدة، ابتداءًا من عام (1923) في معهد الدراسات الاجتماعية بفرانكفورت، وأصبحت معروفة باسم مدرسة فرانكفورت "**FRUNKFURT SCHOOL**"، وقام بإعلاء فكرتها كل من "**ماكس هورخيمر**" و"**تيودور أدرنو**" "**THEDOR ADORO**"، وربطت هذه النظرية بين الماركسية النقدية وتحليل الأدبيات الإنسانية، وروجت لأشكال متنوعة من الثقافة الرفيعة مثل السيمفونيات والفنون والكلاسيكيات الأدبية، ورأت هذه النظرية أن الثقافة الرفيعة شيء يملك كل مقومات كمالِه، ولا يمكن أن يستخدمها الصفوة لمجرد تعزيز قوتهم الشخصية، ولذلك فإنهم شككوا في تقديم هذه الثقافة من خلال وسائل الإعلام.

إن ما تُقدمه وسائل الاتصال هو عبارة عن أعمال وضيعة أو تشويه للأعمال الراقية هدفها إلهاء الناس عن البحث عن الحقيقة، وضربوا أمثالا لذلك التحليل النقدي الثقافة النازية والطرق الخاصة بتحريف الثقافة الرفيعة التي أقامها هتلر وأجهزة دعايته. **(مي العبد الله: 2006، ص202).**

وتعتبر العلاقة بين وسائل الإعلام والثقافة الجماهيرية مهد النظريات النقدية في علاقتها بمختلف المشكلات الاجتماعية ولذلك فإنها تطرح العديد من الأسئلة حول الدور الاجتماعي المثالي لوسائل الاتصال، ومناقشة دوافع المهنيين في هذه الوسائل، وغيرها من الأفكار والقضايا التي تهتَم بالبعد الاجتماعي لوسائل الاتصال ودورها في عملية التغيير الاجتماعي. **(مي العبد الله:2006، ص 200).**

يرى "خالد الخاجة" في مقال له حول "جدلية العلاقة بين الثقافة والإعلام "(2014)، أنه بتعاظم دور وسائل الإعلام تستطيع أن تجعل لنفسها طابعا ثقافيا مميزا وهو الثقافة الجماهيرية عبر التوليف بين ثقافة الصفوة التي سجلت في الأعمال الأدبية والفنية للنخبة...ضف إلى ذلك أن غلبة الطابع التجاري، الذي يسلّع المادة الإعلامية ويُخضعها لآليات السوق، ويتعامل بمنطق العرض والطلب والذي أدى إلى غلبة الوظيفة الترفيهية على غيرها من الوظائف.

إضافة لهذا؛ ومن خلال التجارة العالمية والثقافة الجماهيرية نستشف أن الاحتكار الرأسمالي ينجح في تحقيق أهدافه؛ حيث تكون السلعة هي الأساس فإن الثقافة يمكن تسويقها أيضا لتحقيق الربح، وتعمل من خلال مفهوم صناعة الثقافة بالعمل على ترسيخ الأفكار الخاصة بسيطرة الطبقة المالكة أو المهيمنة على المجتمع بمفهومه الرأسمالي.

(حسن عماد مكاوي وآخرون: 2004، ص121).

وبالتالي فإن هذه المدرسة رأت تقديم الثقافة الجماهيرية أو المستويات المتدنية للأعمال التي تقدمها وسائل الاتصال هي التي تُدعّم الصفوة التي تفرضها السلطة أو القِوى المهيمنة على المجتمع؛ حيث توصَف عناصر هده الثقافة وإنتاجها في إطار الخصائص السلعية أصبح إنتاج هذه السلع الثقافية يتوقف على قيّمها التبادلية في السوق وليس قيمتها في الاستخدام، وقد تم فرض هذه السلع بواسطة نظام صناعي تحكُمه الأخلاقيات الرأسمالية وسيطرة منطق الربح، وتتفق أفكار هذه المدرسة في نقدها للثقافة الجماهيرية مع نظرية المجتمع الجماهيري الذي أدى قيامه إلى انهيار التقاليد العامة واختفاء سلطتها على الفرد؛ مما أدى إلى الاهتمام بالفرد والتأكيد على حريته وحقوقه.

(مي العبد الله: 2006، ص 203).

لذلك تهتم هذه المدرسة بحقوق الأفراد في الارتقاء بأذواقهم وخبراتهم ومعارفهم من أجل بناء أصلح للبشرية، والثقافة الجماهيرية لا تصلح أداة لذلك لأنها ليست إبداعا فرديا ولكنها سلعة مصنَعَة بشكل جماهيري تستجيب للاحتياجات العامة ولا يستجيب لها الجمهور بشكل نقدي؛ بل يسعى من خلالها إلى الرضا اللحظوي أو المتعة الوقتية، التي تُخدِّر الناس وتجعلهم يهربون من واقعهم ولا يدركونه؛ وبالتالي فإنها لا تستهدف تحقيق الكمال والارتقاء بالذوق العام بقدر ما تهدف إلى تحقيق الرواج والانتشار بين الناس، شأنها شأن الإنتاج الجماهيري "MASS PRODACTION" الذي يتَسِم بالنمطية والتماثل ورخص ثمنه وهبوط مستواه، ويرى أصحاب هذه المدرسة أن الثقافة الجماهيرية والتي تعبر عن الثقافة الشعبية " POPULAR CULTURE "، وإن كانت تستمد أفكارها منها في بعض الأحوال، قد تفرضها من أعلى أصحاب المراكز والطبقات المسيطرة للمحافظة على الوضع القائم. **(مي العبد الله: 2006، ص 203).**

بصفة عامة، تُعد نظريات مدرسة فرانكفورت من بين النظريات التي رأت بأن وسائل الإعلام ما هي إلا وسائل لصناعة الثقافة والمنتجات الصناعية، تعمل على اختفاء القيّم الثقافية للمضمون الإعلامي بتجسيد أفكار وإيديولوجيات أصحاب السلطة، فربطت وجود الفرد بوجود السلع والمنتجات الاستهلاكية؛ بحيث طغت على المجتمع فكرة الصورة النمطية على مستوى الفكرة والكلمة معا والتي هي فحوى المادة الإعلامية.

لقد أدى التطور المعاصر لتكنولوجيا الإعلام إلى تحول الصورة من مجرد تمثيل إلى الواقع إلى تحولها إلى واقع حقيقي، ويُطلق كثير من المفكرين وعلى رأسهم "جون بودريار" على هذه الظاهرة "ضمنية" الصورة أو العلامة، وأهم عامل مساعد على انتشار ضمنية السلعة في عالمنا الراهن هي الميديا؛ إذ أصبحت المصنم الأكبر "Fetishizer"؛ إذ نتعرف على السلع من خلالها،

وهي التي تعمل على تحوُل القيمة الاستعمالية إلى قيمة تبادلية، ثم إلى قيمة رمزية. **(صباح قارة: 2012، ص 86).**

3.3.نظرية الغرس الثقافي:

تُعد نظرية الغرس الثقافي من بين النظريات التي تهتم بتأثيرات وسائل الإعلام على الجماهير، خاصة التلفزيون وما يقدمه من برامج تؤثر على فهم الواقع، ومن ثمة تغييرا في منظومة الثقافة والهوية، وكذا عملية التنشئة الاجتماعية للفرد.

يُعرّف الغرس الثقافي على أنه زرع وتنمية مكونات معرفية ونفسية تقوم بها مصادر المعلومات والخبرة لدى من يتعرض لها، ومصطلح الغرس أصبح منذ سبعينيات القرن الماضي يرتبط بالنظرية التي حاولت تفسير الآثار الاجتماعية والمعرفية لوسائل الإعلام خاصة التلفزيون، والغرس يعتبر حالة خاصة من عمليات أوسع، وهي التنشئة الاجتماعية. **(https://old.uop.edu).**

ويُرجع "ميلفين دي فلير" بدايات وجذور نظرية الغرس الثقافي إلى مفهوم "والتر ليمبان" للصورة الذهنية التي تتكون في أذهان الجماهير من خلال وسائل الإعلام المختلفة سواء أكانت من أنفسهم أو عن الآخرين، وأحيانا تكون هذه الصورة الذهنية بعيدة عن الواقع نتيجة لعدم وجود رقابة على المواد المعروضة في وسائل الإعلام؛ مما يؤدي إلى غموض في الحقائق وتشويه المعلومات وسوء فهم للواقع.

(وجدي حلمي عيد عبد الظاهر، إطلع عليه بالموقع: https://old.uqu.edu.sa).

فعدم الرقابة على المواد الإعلامية ليست على مستوى التلفزيون فحسب؛ وإنما تمس جُل الوسائل الجماهيرية، فلو كانت الرقابة متوفرة ضمن استراتيجيات هذه التقنيات، لما توصلنا لما هو عليه من تمزق وتشتت للثقافة العربية.

والمقصود هنا الرقابة بالنسبة للفضائيات العربية خاصة لما تستورد المسلسلات، الأفلام، الأغاني، الإشهار...الغربية والتي تحمل في طياتها مادة غريبة بعيدة كل البعد عن المجتمع العربي وهويته.

يرى "جرنبر" أن التلفزيون أصبح المركز الرئيسي للثقافة الجماهيرية، وأن تأثيره قد أصبح أساسيا في التنشئة الاجتماعية للغالبية العظمى من المشاهدين، بما يعرضه من نماذج مكررة ونمطية للسلوك والأدوار الاجتماعية المختلفة.

(وجدي حلمي عيد عبد الظاهر. إطلع عليه بالموقع: https://old.uqu.edu.sa).

بالموازاة مع ذلك، يرى "نصر الدين العياضي" في مقاله: "الهوية الوطنية والتلفزيون" (2009)، أنه من الصعب أن نستبعد مضمون ما تبثه القنوات التلفزيونية المختلفة في حقل التصور، والصور التي ينتجها الأشخاص عن ذاتهم وكيانهم الجماعي، وما يكتسبونه من انطباعات أو أحكام ورؤى للآخر.

فالجمهور أصبح طرفا منتجا للمعنى، إنطلاقا مما تقدمه وسائل الإعلام، فهذا بصرف النظر عن مدى مطابقة ما تبثه وسائل الإعلام من تمثلات مع الواقع اليومي الذي يتغير باستمرار. **(نصر الدين العياضي: 2009، ص 55).**

بمعنى هل الجمهور هو الذي يحدد المادة الإعلامية أم أن الوسيلة هي التي تحدد ما يريده الجمهور؟

ويبقى السؤال مفتوحا خاصة بمواصلة القبول الجماهيري لهذه المادة، واستمرارية الوسيلة في عرض تلك المواد بغض النظر إذا كانت نافعة أو ضارة للجماهير.

4.3.الحتمية التكنولوجية:

تعتبر هذه النظرية من بين النظريات الحديثة التي تسلط الضوء على دور وسائل الإعلام وأهم تأثيراتها على المجتمع، وفئاته، موضحة بأنها ما تقدمه التطورات التكنولوجية والذي يؤثر بشكل كبير على العلاقات الاجتماعية، وأن هذه الإمكانيات الإعلامية المتطورة حتمية على الحياة المجتمعية، وما تمر به من تغيرات، ويُعد "ألبرت مارشال ماكلوهان" مؤسس هذه النظرية وذلك سنة (1911).

وقد وضع "ماكلوهان" تصورا خاصا ربط فيه بين الرسالة والوسيلة الإعلامية مؤكدا فيه أهمية الوسيلة الإعلامية في تحديد نوعية الاتصال وتأثيره من خلال "إعادة موازين القوة إلى تأثير الوسيلة الإعلامية"؛ إذ اعتبر أن مضمون وسائل الإعلام لا يمكن الجزم بتأثيراته بمعزل عن تقنيات الوسائل نفسها"، ونظرية "مارشال ماكلوهان" هي عبارة عن تطورات لتطور وسائل الاتصال وتأثيراتها على المجتمعات الحديثة.

(elearn–univ–ouargla.dz)

تعتمد هذه النظرية على ثلاث نقاط مهمة هي:

❶ وسائل الاتصال امتداد لحواس الإنسان.

❷ الوسيلة هي الرسالة.

❸ وسائل الاتصال الساخنة والباردة.

فالوسائل الاتصالية بالنسبة للمجتمع هي حتمية تكنولوجية؛ ففي الحقبة التاريخية التي يعايش فيها الأفراد هذه الوسائل ستحدد طبيعة هذا الإطار المجتمعي ومدى حل هذه الوسائل لمعظم المشاكل، فما قدمه التطور التكنولوجي هو امتداد لحواس الإنسان وتؤثر على طريقة تفكيرهم داخل السياق المجتمعي.

في المقابل هذه الوسائل الإعلامية الجديدة –كامتداد لحواسنا– كما توفر زمنا وإمكانيات تشكّل أيضا تهديدا في الوقت نفسه، لأن يد الإنسان تمتد فيه، وما يمكن أن يصل إليه بحواسه في وجوده تستطيع تلك الوسائل أيضا أن تجعل يد المجتمع تصل إليه لكي تستغله وتسيطر عليه، ولكي تمنع احتمال التهديد، يؤكد "ماكلوهان" أهمية إحاطة الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات عن وسائل الإعلام لأن "معرفة كيف تشكل التكنولوجيا البيئة المحيطة بنا نستطيع أن نسيطر عليها وتتغلب تماما على نفوذها أو قدرتها الحتمية.

(نور الدين تواتي: 2013، 184).

فبالنظر إلى الحتمية التكنولوجية وما تفرزه وسائل الإعلام تجعل من الجمهور عبارة على أفراد سلبيين يتلقون فقط الرسائل الإعلامية، وكأنها ضمنيا حُقن تحت الجلد أو ما يُطلق عليها في نظريات أخرى الرصاصة السحرية، فبقدر ما تقدمه من مواد إعلامية يجب الحذر منها والتغلب على هذه الحتمية وفق ما يخدم المجتمع، وهذا ما نجده في الثقافة الجماهيرية والحتمية الاستهلاكية التي تفرضها على الشباب.

الفرضية الثانية التي تعتمد عليها هذه النظرية هي الوسيلة والرسالة، والمقصود به أن الوسيلة وليس مضمونها هو من يؤثر في تشكيل المجتمع.

حسب "ماكلوهان" أن الرسالة الأساسية في التلفزيون هي التلفزيون نفسه، كما أن الرسالة الأساسية في الكتاب هي المطبوع؛ فالمضمون غير مهم؛ بل المهم هو الوسيلة التي تنقل المضمون على اعتبار أن لكل وسيلة جمهور معين يفوق حبه لهذه الوسيلة واهتمامه بمضمونها، وهو تكيف مع ما تعرضه الوسيلة بخصائصها ومميزاتها المختلفة؛ حيث أنه كما يحب الناس القراءة من أجل الاستمتاع بتجربة المطبوع فإنهم يحبون التلفزيون والشاشة التي تعرض والصوت والحركة والألوان. **(elern.univ-ouargla.dz).**

المهم أن أي رسالة أو وسيلة أو أي تكنولوجيا هي تغيير للمدى والمساحة أو الشكل الذي تدخله في الشؤون البشرية، فلم تدخل السكة الحديدية الحركة أ المواصلات أو الطريق في المجتمع البشري، لكنها عملت على توسيع نطاق تلك المهام البشرية السابقة وما أفرزته من أنواع جديدة من المدن وأنواع جديدة من العمل وقت الفراغ.

(نور الدين تواتي: 2013، ص 185).

الفرضية الثالثة التي عالجها "مارشال ماكلوهان" هي فكرة الوسائل الساخنة والباردة، ليصف في نفس الوقت بناء وسيلة الاتصال أو التجربة التي يتم نقلها ومدى تفاعلها، وما نُطلق عليها كلمة "بارد" يُستخدَم عادة في وقتنا الحاضر لتعني الجدال الذي ينغمس به الناس بشدة، ومن ناحية أخرى الاتجاه السارد كان يعني الحياة الذي يميل إلى الابتعاد وعدم الاهتمام، كلمة "ساخن" أصبحت غير مستخدمة حينما طرأت تغييرات عميقة على طريقة النظر للأمور ولكن التعبير الدارج "بارد" ينقل قدرا إلى جانب الفكرة القديمة "ساخن" فهو يشير إلى نوع من الالتزام والمساهمة في ظروف تتضمن قدرات الفرد كلها.

(نور الدين تواتي: 2013، ص 188).

رابعا/ الثقافة الاستهلاكية:

1.4.الاستهلاك:

شَاعَ استعمال مصطلح الاستهلاك في المجالات الاقتصادية؛ حيث عرّفه "**جاك آدم**" "J.H. Adam" بأنه: «القيام بأنشطة الشراء والاستخدام ثم التخلص من الفائض»، تجاريا يُقصَد بالاستهلاك: «النشاط الذي يشبع به الإنسان حاجاته ذلك ويتوقف الاستهلاك على التدخل والنزاعات النفسية وعادات الأفراد»، وبعبارة أخرى فالاستهلاك يتضمن الشراء، استخدام وإشباع

الحاجات، وهذه العناصر مترابطة وظيفيا وتتأثر بالجوانب الاجتماعية والنفسية للمستهلك. **(سيف الإسلام شوية: 2006، ص18).**

ارتبط مفهوم الاستهلاك بالجانب المادي في معظم الأحيان، بعرض وطلب السلع الخدماتية، لكن وفق المتغيرات الحاصلة على مستوى المنظومة الاجتماعية حتى اقترن بالجانب الثقافي نتيجة التطور التكنولوجي وما أحدثه من تغييرات كثيرة جعلت منه يمس صناعة الثقافة بكل أنواعها بخلق نموذج نمطي يتماشى والسياسيات الإيديولوجية لمالكي هذه الوسائل ومؤسساتها.

فالمستهلك يُعرَّف بأنه: «الفرد الذي يستهلك السلع سواء كانت مؤقتةَ أو مستديمة، أو ينتفع بالخدمات ويقابل المنتِج الذي يقوم بإنتاج السلع»، لقد ركّز هذا التعريف على شمولية مصطلح المستهلك، فسواء اقتنى الفرد سلعة أو خدمة ما، مرة أو عدة مرات فيُطلَق عليه مستهلك، وحسب تعريف آخر: «هو الشخص الذي يشتري منتجات للاستعمال الشخصي، على أن نأخذ بعين الاعتبار متغيرات نابعة من الفرد ذاته، ومتغيرات خارجية، وكذلك خصائص المنتوج مع ضرورة الربط بين هذه المتغيرات الثلاث». في هذا التعريف تم إطلاق صفة "الشخص" على المستهلك، هذه الصفة تكشف الجوانب الاجتماعية لهذا المصطلح؛ فالشخص حسب علماء الاجتماع يعني: «وحدة للتحليل السوسيولوجي موضوع اجتماعي يحظى بمكانة خاصة، ويؤدي أدوارا اجتماعية تنطوي على مسؤوليات نحو ذاته ونحو الآخرين بوصفه عضوا في مجتمع ومشاركا في مُثُله وتقاليده الثقافية». **(سيف الإسلام شوية: 2006، ص18،19).**

ونظرا لكون المستهلك كائنًا اجتماعيًا فإنه وفي جميع المواقف يتأثر بالعوامل الحضارية والاجتماعية المختلفة والتي تُشكّل سلوكه، ومن ثم يمكن القول بأن هناك نوعان من المؤثرات على المستهلك:

***المؤثرات الداخلية:** الدوافع، التعلم، الاتجاهات الشخصية.

***المؤثرات الخارجية:** العوامل الاجتماعية، الحضارية، عوامل الجامعة ونفوذها.

ويظهر تأثير هذه العوامل على مراحل اتخاذ القرار الشرائي؛ فعوامل الثقافة والطبقة الاجتماعية والأسرة والجماعة المرجعية وقادة الرأي، كلها من العوامل الخارجية التي تؤثر على أفراد المجتمع، ومن ثم تتفاعل مع العوامل الداخلية للفرد من حيث دوافعه وخبراته واتجاهاته وشخصيته. **(سيف الاسلام شوية: 2006، ص19).**

2.4. الثقافة الاستهلاكية:

يُعَد التزاوج بين الإنتاج الجماهيري والثقافة أمرًا حتميا في عالمنا المعاصر، لقد أصبحت الثقافة سلعة متداولة وقابلة للتسوق ووسيلة إعلانية فعالة، وفي نفس الوقت أصبح الاستهلاك والشراء والتسوق أنشطة ثقافية بالدرجة الأولى؛ بل وفعالة في حد ذاتها، حتى إن البعض يُبرهن على أن الثقافة الاستهلاكية باتت أكثر أهمية من الدور الذي نقوم به في العمل والإنتاج؛ فهي غير قادرة على تحَدي هويتنا ومكاننا في هذا العالم، وإذا كان ذلك حقيقة فإن تحولا جذريا اجتاح العالم وغَيَّر من طبيعة الحياة الاجتماعية في العالم المتقدم، فكيف حدث ذلك ؟ **(أحمد مجدي حجازي: 2008، ص 205).**

تعتبر الثقافة من الرموز الخاصة بالإنسان والاستهلاك تعبِّر عن الجانب المادي الخاص به أيضا، مصطلحين متباعدين ليلتقيا عند الإنسان العامل المشترك بينهما، وهذه الازدواجية بين المفهومين نتيجة التغيرات الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية حوّلت السلوك الإنساني إلى سلوك يتجاوز استخدام السلعة ليتم التطبع بسلوكيات غريبة وبعيدة كل البعد عن الثقافة والهوية الجزائرية، وهذا ما دفع علماء الاجتماع للبحث حول هذه المواضيع المتشبعة التي تمس مجالات عدة.

إضافة لذلك؛ كيفَ يتَشَكَّل السلوك الاستهلاكي؟ وكيف تظهر النزعة الاستهلاكية عند الإنسان؟ متى يتحول الاستهلاك إلى سلوك مَرَضِي وإلى ظاهرة سلبية تؤثر في الحياة الإنسانية والبشر؟ متى وكيف يتحول الاستهلاك إلى ثقافة مفروضة على البشر أو مرغوبا فيها؟ متى يصبح الاستهلاك نزعة ومَيْلا وطموحا وإدمانا؟ تحت أي شروط تصبح عملية الاستهلاك ثقافة عامة تعمل على تهميش قيّم العمل والإنتاج والادخار؟ أسئلة وتساؤلات تدور حول الآثار السلبية لثقافة الشرَه الاستهلاكي المتزايد في الحياة اليومية في مجتمعنا!!!. (**أحمد مجدي حجازي: 2008، ص ص 205، 206).**

فالفرد المستهلك يصبح من تواصل مستمر مع كل السلع الاستهلاكية المعروضة، في المقابل لما يلاحظ باقي الأفراد يستهلكون وهو لا يستهلك سيشعر بأنه غير متشبع اقتصاديا، ثقافيا واجتماعيا؛ مما يدفعه لاقتناء كل السلع المعروضة خاصة منها الماركات العالمية، ومن ثم تتحول جُل العلاقات إلى علاقات بين الأشياء لا بين الأفراد.

وفي هذا الصدد يقول "ماركوس" في كتابه "التحليل الآتي للاستهلاك": إن المستهلكون يرون أنفسهم في السلع التي يستعملونها؛ حيث يجدون روحهم في سياراتهم وفي حجم وشكل منازلهم وفي الأجهزة التي يستعملونها، فالميكانيزمات التي تربط الفرد بمجتمع قد تغيرت". **(سميرة سوسطاح: 2009 ، ص 30).**

فالعالم المعاصر اليوم تسوده ظواهر جديدة ومستجَدَة مثل العولمة والعملقة والتجارة الحرة والثورة الثالثة، وهي مصطلحات لها معانٍ ومضامين تعبّر عن حالة القلق رغم ما وصل إليه البشر –وليس كل البشر– من تكنولوجيا متقدمة ووسائل اتصالات حديثة، وثورة معرفية ومعلوماتية متداولة دون قيود أو حواجز، وباتت تلك المصطلحات والظواهر مادة خصبة للعمل الاجتماعي، فقد تأثَر البشر الذين شعروا أنهم مسيَّرُون لا مخَيَّرُون، وأصبحت الثقافة سلعة متداولة ووسيلة إعلانية متحكمة في تسويق ما يُنتَجُ وتَحَوَل الاستهلاك إلى ثقافة مفروضة وغازية أو مصنعة من أجل الترغيب والتشويق، وتغيرت أنماط الحياة وظهرت ممارسات وسلوكيات تمثلت بعضها في "الهرولة " بشكل مبالغ فيه نحو سلع استهلاكية دون الحاجة إليها، وتزايدت مع صناعة الثقافة وفنونها الموجهة نحو الاستهلاك، فزادت النزعة الاستهلاكية لدى معظم الشرائح والفئات والطبقات الاجتماعية، ليس فقط في المجتمعات الغربية الصناعية المتقدمة؛ بل وأيضا في الدول الأقل تطورا مع فارق عظيم ألا وهو أن الدول الأولى تستهلك ما تُنتجه وتُسوِّق ما لا تستهلكه وما تنتجه؛ بينما في الدول الأخيرة نجد العكس تماما؛ حيث تستهلك ما يُنتجه الغير؛ بل وتدعو إلى تسويقه.

(أحمد مجدي حجازي: 2008، ص ص 206، 207).

زد على ذلك أن شعوب الدول الأقل نموا أكثر ميلا نحو الاستهلاك الترفي عكس ما يحدث في الدول المصنعة للسلع المتداولة في الأسواق، وذلك يرجع إلى عوامل متعددة بعضها ثقافي، من أهمها أن الاستهلاك يساوي في نظر البعض ثقافة الرقي والتحضر، إنه يحدد مكانة الشخص في المحيط الاجتماعي الذي يعيش بداخله، ومن ثم تتحول عملية الاستهلاك إلى ثقافة تفاخرية تُضفِي على المستهلك المكانة والهيبة.

(أحمد مجدي حجازي: 2008: ص 206، 207).

فهي بالنسبة لهذه الدول رمز للترقي في سلم التدرج الاجتماعي، وهي بذلك تصبح ثقافة مرتبطة بالوجدان وبعيدة عن العقلانية لأنها ثقافة تفاخرية في الأساس، أما في الدول المتقدمة صانعة السلع والمروجة لها بثقافة محددة، فهي أكثر ميلا نحو العقلانية، يتسوق البشر فيها وفقا لقواعد وأسس واختيارات تتوافق مع احتياجاتهم الفعلية وقدراتهم المالية. **(أحمد مجدي حجازي: 2008، ص207).**

وفي تحليل ثقافة الاستهلاك يكاد يُجمع الباحثون والمهتمون بقضايا الواقع ومشكلاته – خاصة رجال الفكر الاجتماعي والاقتصادي– على أن العالم يسوده اليوم نوع من الثقافة المتناقضة التي تجمع بين الحرية المطلقة والتقييد المخطط إن صح التعبير؛ حيث تتشكل ثقافة كونية جديدة لم يعُد فيها البعد الاقتصادي القادر بمفرده على توجيه مسار العالم وسلوكيات البشر، فقد اتضح بما لا يدع مجالا للشك أن رموز السلع التجارية هي الأهم في ترويج السلعة وترغيب المستهلك فيها؛ بل أصبح البعد النفسي هو الإطار الحاكم لتعاملات البشر وتفاعلاتهم فيما بينهم وبين الموضوعات التي يتداولونها في خطاب حياتهم اليومي وممارستهم السلوكية. **(أحمد مجدي حجازي: 208، ص 209).**

ومن محددات الاستهلاك أشار "أحمد الأصفر" في ندوة تخص الشباب والثقافة الاستهلاكية عُقدت يوم: 2009/05/06، أن ما يحكم طبيعة استهلاك الفرد والمجتمع هو الحاجة التي تدفع إلى

البحث عن المصالح، ومن ثم الحاجات الإنسانية والعاطفية للأفراد فلا بد من تكريس القيّم والأخلاق والمبادئ التي لها الدور الأهم في توجيه استهلاك الفرد، والتي إذا ما استُبعدت تطفو على السطح محددات أخرى أكثر سلبية كالنفعية والمصلحة الشخصية، فتنتشر مظاهر الترف والهدر والتي تعتبر العدو اللدود للتنمية.

.(Thwra. Alwehda.gov)

حتى الحاجيات التي تخص الجماهير ليست بحاجيات ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها؛ بل معظمها شكليات أضحى يتنافس على اقتنائها جُل الأفراد، وما نبرزه في هذا المقام ظهور فكرة " الفاشينيستا "بين أفراد المجتمع العربي، خاصة بالمجتمع السعودي. انتشرت بصفة كبيرة عبر مواقع التواصل الاجتماعي وهي شراء مقتنيات مثل ساعات رجالية أو نسائية، عطور، حقائب ويتم عرضها عبر هذه الشبكات العنكبوتية، الهدف منها هو التباهي وإبهار الآخرين بما كسبوه بملايير تكفي لحل مشاكل دولية عربية في العديد من الدول والمجتمعات، أموال تكفي لمشاريع تنموية تخص فئة الشباب التي اختصت بها هذه الدراسة للبحث بشقيه النظري والميداني. فظاهرة "الفاشينستا" هي أحد مظاهر انتشار ثقافة الترف المادي والتماهي والتجويف الداخلي تجعلهم يتبعون ماديات لا أساس لها من إصلاح المجتمع ثقافيا أو هوياتيا.

فالسلوك الاستهلاكي لم يعُد سلوكا فرديا بحتا يخص شخصا مستقبِلا؛ بل اجتمعت هناك قوى وعوامل متعددة تُسهم في تشكيله وتمارس عليه ضغوطا متنوعة، تبدأ بالترغيب وتنتهي بالإجبار لقد ظلت ظاهرة الاستهلاك ولفترة طويلة من الزمن أسيرة للدرس الاقتصادي الأكاديمي من ناحية وللاهتمام العملي الواقعي من قِبل رجال الأعمال وأصحاب المشروعات التجارية من ناحية أخرى، وكانت الفكرة السائدة لدى المهتمين بهذه الظاهرة أن السلعة الجيدة تفرض نفسها

على المستهلك فهي تُسوِّق نفسها بنفسها، وهي فكرة كانت ملائمة في ظروف وأوضاع كان الطلب فيها أكثر من العرض بالنسبَة للعديد من السلع، وكان المستهلكون يشترون كل ما يُنتَجُ تقريبا؛ وبالتالي لم يكن السؤال عن بضائع بِعَينها يرغبون فيها لأنهم يطمحون إلى اقتنائها أمرا واردا، لكن هذه الأوضاع تغيَرت بعد الحرب العالمية الثانية وتحولت كلية بعد التغيرات العالمية وثورة المعلومات والاتصالات حين اكتشف العديد من أصحاب المشروعات في الدول الصناعية الكبرى أنهم يملكون ليس فقط طاقات إنتاجية تفوق ما يمكن أن يستوعبه السوق؛ بل أنهم يملكون القدرة على الترغيب والتأثير في المستهلك، من خلال وسائل عدة تعمل في إطار "صناعة المستهلك".

وهنا تغيرت فلسفة التأثير وتبدلت فلسفة التسويق، وظهرت آليات جديدة أكثر تأثيرا في المستهلكين، فقد تفوقت إيديولوجية تؤمن بانفراج إعلامي وبانفتاح إعلاني على إيديولوجية تقليدية كانت تؤمن بتقييد الإعلام وتحديد وسائل التأثير في المستهلك من صورة غير مباشرة، عن طريق برامج وأفلام ومسلسلات وغيرها من الأشكال التي تجعل المتلقي يقارن بين حاله وحال الآخرين في الدول الأخرى .

(أحمد مجدي حجازي: 2008، ص ص 209، 210).

فأصحاب المشاريع التجارية الذين يسعون لاكتساح السوق العربية ونشر ثقافة الاستهلاك على أوسع نطاق، يعتمدون على الإعلان والإشهار من خلال إبهار الجماهير بكل المنتجات الإعلامية ويربطونها مع الأحزمة الثقافية كالمسلسلات وأغاني الفيديو كليب والحصص الرياضية مثلا...من باب تقليد الممثلين واللاعبين الرياضيين، الذين هم في نفس الوقت من يقومون بربط المنتج بالممثل أو حتى يسمونه باسمه، لتتم عملية العرض والطلب بشكل ناجح، وهنا يطفو للسطح تحدي من بين التحديات الكبرى التي تواجه الثقافة العربية ومقومات الهوية الوطنية ،بصراع التقليد والتجديد الدائم وفق هذه السلع بحجة الحداثة، الأصالة والمعاصرة .

وهنا عرفت الرسالة الإعلامية المشبعة بالحاجات والمستفزة للمشاعر طريقها إلى وسائل الاتصال الدولية، بهدف الترويج والحث على اقتناء وخلق الرغبة وزيادة النزعة والميل نحو الشراء عن طريق التركيز على الصور التي تجعل السلعة أو الخدمة المعلَن عنها مرغوبا فيها ومقنعة ويمكن الحصول عليها.

(أحمد مجدي حجازي: 2008، ص 210).

من هنا نخلص إلى أن ثقافة الاستهلاك التي يتم تصنيعها والترويج لها بذكاء، هي ثقافة تقوم على قاعدة ترى الناس في كل مكان قادرون على الاستهلاك، ومن ثم فإن ثقافة الاستهلاك تعني مجموعة من الرموز والأفكار والقيّم الكفيلة بتبرير النزعة الاستهلاكية والبحث عن السلع المتداولة في الأسواق، إن ثقافة الاستهلاك – بهذا المعنى – تُشير إلى مركب ثقافي يستخدم أساليب متنوعة عملية وعقلانية في إنتاجها وتعميمها، أو هي نظام ثقافي يهدف لتغيير الواقع الثقافي لتقبُل مخرجات السوق ومنتجاتها بالاعتماد على وسائل عِدة من أهمها تكنولوجيا المعلومات ووسائل الإعلام وتكنولوجيا الاتصالات. **(أحمد مجدي حجازي: 2008، ص 210).**

خامسا/ خصائص الثقافة الاستهلاكية :

أوضح أحمد مجدي حجازي (2008) ص 211 بأن أهم الخصائص والمميزات التي تميز هذا النوع من الثقافة وهي كالآتي :

❶ هي من صُنع قِوى السوق تمتلك وسائل التأثير وتستخدم أسَاليبًا علمية وفنية لترويجها.

❷ تعمل على خلق جوانب المتعة في الشراء.

❸ تتوجه نحو استهلاك المعاني والصور والخبرات وتخلُق فنونا مواكبة لها وبذلك فهي تتجاوز البُعد الاقتصادي للمعنى القديم للتسويق فهي تستخدم فنونا مثل الموسيقى والغناء والإعلانات والتصوير.... لتدعيم تلك الثقافة بعد نشرها.

❹ أنها تخدم الحضارة الرأسمالية وقِوى السوق المُعَولم والذي يتحكم فيه من يملك قوى التأثير الثقافي.

❺ تخلُق تطلعات ونزعة الاستهلاك وتُوفَر بأساليب وطرائق متباينة تُسهّل عملية الإشباع للمستهلك في سبيل تحقيق أهداف دعم هذه الثقافة.

❻ تعمل على تقديم نوع من التميُز والتفوق للمستهلك يُشعِره بحاجاته إلى اقتناء السلع والميل للشراء؛ ومن ثم تزيد من تطلعاته الاستهلاكية بغض النظر عن حاجاته إلى تلك السلع المرغوب في اقتنائها أو الهرولة في البحث عنها.

❼ تعمل على تسكين وبقاء المستهلك في دائرة الاستهلاك.

❽ تملك من وسائل الضغط وأساليب القهر (الخفي) ما يجعل المتطلعين إلى الاستهلاك راغبين فيه وباحثين عنه؛ حيث يشعرون بأن تمييزا اجتماعيا وحراكا نحو مكانة عليا يتحقق.

من خلال ما تَقدَم تتضح إشكاليتان تُشكِّلان موقفا متناقضا ويصبح السؤال الأكثر أهمية عند صانعي تلك الثقافة ومروجيها هو: كيف توجد بين الناس ثقافة عالمية واحدة تزيدهم رغبة وميلا وطموحا نحو اقتناء كل ماهو مصنَع ومُتداول في الأسواق، وكل ما يمكن تصنيعه وفرضه على المستهلكين؟

(أحمد مجدي حجازي: 2008، ص 211).

سادسا/استهلاك السلع والمنتجات الإتصالية:

تُصبح السلع الاتصالية من وجهة نظر المؤيدين السياسيين لفلسفة السوق الحرة كأي سلع أخرى؛ حيث يُطبِقون عنها نفس المبدأ؛ هو أنه أسلوب لضمان التوزيع الملائم والإنتاج المناسب لكافة السلع التي يريدها الناس، يكون من خلال السوق؛ وبالتالي فإن المستهلك يتمتع بحرية كاملة في اختيار السلعة التي تلاؤمه أو التي يحتاج إليها من مجموع بدائل متاحة، وهم هنا يَعتنقون مبدأ "سيادة المستهلك".

(سامية محمد جابر: 2006، ص 362).

لكن باستخدام مبدأ سيادة المستهلك وما يتطلبه من حاجيات وفق متطلباته كانت بمثابة المنفذ الذي تنجح من خلاله مساعي صناعة الثقافة أو الثقافة الاستهلاكية؛ فالمنتجات اتصالية هي إحدى السبُل لاكتساح أمركة الثقافة على أوسع نطاق بتسويق كل المنتجات التي تخلق حالة من الانبهار لدى الجماهير فتنقل عادات في شكل مستهلكات مختلفة.

فمجتمع الاستهلاك قائم على التزييف الواقعي بتقديم سلع في قالب خدماتي، ترفيهي...ترسم صورة المجتمع المثالي الغربي بأصوله الأمريكي بنموذجه. فيخلقون حاجة الأفراد لسلع إتصالية معينة ثم ينتجونها لتكتسح السوق عموما تؤثر على الثقافة والمجتمع وحتى تكوينه الهوياتي.

فقد كان "أدرونوه" الأشد نقدا وتشاؤما من ناحية المصير المأساوي الذي أصاب الثقافة جراء انتشار النمط الاقتصادي الاستهلاكي وتسيّده؛ إذ باتت المنتجات الثقافية سلعة موجودة في التداول مثلها مثل أي سلعة أخرى، وقد عبر عن ذلك بدقة شديدة بقوله: «إن الثقافة لم تعد سلعا أيضا؛ بل سلع تماما».

(شريف محمد عوض: 2014، ص ص 11،112).

إن سيادة المستهلك مسألة مستحيلة إذ أُخِذَت بمعناها المطلق، فلا أحد لديه القدرة أو الطاقة أو الغرض للوصول إلى كافة أنواع السلع الثقافية كلما أراد أو عندما يرغب في ذلك دون أي قيد أو شرط؛ ومن ثم فإن مهمة الاقتصاد السياسي أن ينهض ويفحص الحواجز والعوائق التي تَحُد من هذه الحرية، وقد تصور أن هناك نوعين من هذه العوائق هما: **العوائق المادية، العوائق اللامادية.** **(سامية محمد جابر: 2006، ص 362، 363).**

وليست جميع السلع الاتصالية محتاجة إلى إنفاق عال، فبرامج التلفزيون مثلا يمكن مشاهدتها بمجرد امتلاك جهاز التلفزيون، كما أن هناك الكثير من المواد الثقافية التي تكون متاحة كالسلع عامة (مثل الكُتب التي تُستعار من المكتبات العامة)، ولكن ليست المسألة بهذه البساطة دائما؛ إذا أن التغيير الذي يمكن أن يطرأ على عمليتي توفير وتوزيع السلع الاتصالية والذي بمقتضاه تتحول من وضعها كخدمات عامة إلى وضعها كسلع خاصة، يشير إلى تغيير جوهري في فرص الجماعات السكانية المختلفة للوصول إليها. **(سامية محمد جابر: 2006، ص ص 364، 365).**

سابعا/ الواقع العالمي والتحولات الثقافية الاستهلاكية:

من الحقائق التي لا تُنكَر أن النظام الثقافي المسَيطر على الواقع العالمي الآن في حقبة العولمة هو النظام السمعي البصري، ذلك النظام المتمثل في عشرات الإمبراطوريات الإعلامية التي تَضُخ كما هائلا من الصور يوميا، فتستقبلها مئات الملايين من المتلقين في أنحاء المعمورة، ويستهلكونها كمادة ذات عوائد تكوينية أو جمالية.

إن الصور اليوم هي المفتاح السحري للنظام الثقافي الجديد، باعتبارها المادة الثقافية الأساسية التي يجري تسويقها على أوسع نطاق جماهيري، وهي تمثل سلطة رمزية على صعيد الإدراك الثقافي العام، ومن ثم فهي المصدر الأقوى الجديد لإنتاج القيم والرموز وصناعتها وتشكيل الوعي والوجدان والذوق، والثقافة التي يُروِّج لها النظام الثقافي الجديد تشبه سائر مواد الاستهلاك، معلبات ثقافية تتضمن مواد مسلوقة جاهزة للاستهلاك، وهناك شركات إعلامية تتنافس لتقديم سلعتها للمستهلك في إخراج مثير يضعه تحت إغراء لا يقاوَم، ولا وقت للتفكير والتمحيص والتردد النقدي، وسائر ما يمكن أن يحمي الوعي من السقوط في إغراء الخِداع، وتلك

المعلبات الثقافية الاستهلاكية تُصيب القيّم الأصيلة السائدة في المجتمعات بالتفتت، في الوقت الذي تُكرِّس فيه منظومة جديدة من المعايير من شأنها أنه ترفع من القيم النفعية والفردية والأنانية والمنزع المادي للغرائز المجردة من أي محتوى إنساني. **(حسن إبراهيم عبد العال: 2005، ص 27).**

إنه لم يحدث في التاريخ أن أصبح العالم مقبِلا على رموز ومعطيات وسلع ثقافية استهلاكية كما هو مُقبل عليها الآن، ولقد تمكنت هذه الثقافة الاستهلاكية من الوصول إلى قطاعات واسعة من الأفراد والشعوب، وهي تُوجَّه بشكل خاص للشباب؛ هذا الأخير الذي أصبح اليوم في أغلب دول العالم يأكل الوجبات السريعة التي يأكلها الشباب الأمريكي، كالهمبورغر والبيتزا ودجاج كنتاكي، ويشرب المشروبات الغازية نفسها كالبيبسي والكوكاكولا، ويستمع في معظم دول العالم إلى الأغاني الراقصة لفرق سبايس جيرلز، مادونا ومايكل جاكسون، ويلبسون الملابس العالمية نفسها من الجينز ومن ماركات كلفن كلاين ويشاهدون الأفلام المثير كفيلم التيتانيك TITANIC وحرب النجوم، إن هذه السلع الاستهلاكية تحمل دلالات اجتماعية ورمزية تتجاوز قيمتها المادية المحسوسة لتربط العالم بقيم وسلوكيات وعادات مشتركة تتجاوز الحدود، ولقد حققت الثقافة الاستهلاكية أكبر انتصاراتها خلال هذه السنوات ولا شك أن ذلك يؤرق الدول التي هي في طريقها مع العولمة إلى فقدان السيطرة على الوضع الثقافي. **(حسن إبراهيم عبد العال: 2005، ص28).**

وفقا لما سبق ، تم عرض أهم إستراتيجيات الثقافة الاستهلاكية وأهم مظاهرها التي اكتسحت عقول الشباب جعلت منهم يتبع التفاهات والأوهام حسب قزية الشوفي .

أوضح "شريف محمد عوض" في مقاله" صناعة الثقافة في عصر العولمة " ص 119 أن هذه المظاهر تغلبت مع القيم المادية على علاقات الأفراد، فأصبحت المصالح هي التي تحدد شكل العلاقات الإنسانية، وأوضحت قيمة الكسب السريع هي الإطار الحاكم في المجتمع، وأدى

ذلك إلى الاستخفاف بأهمية تجويد العمل واللامبالاة والاستهتار حتى في أرواح الناس ....وكان من نِتاج ذلك على الأسرة ماهو عظيم ،حيث توارت قيم الأصالة والمحبة والإخلاص والمودة والتعاون بين أفراد الأسرة وتحول كل عضو داخل الأسرة إلى شئ مادي.

إضافة إلى ذلك، اليوم يوجد أكثر من خمس مئة قمر صناعي تدور حول الأرض ترسل إشارات لاسلكية للحداثة التي صارت تعيشها بعض الشعوب وبواسطة الصور الموحدة على شاشات المليارات من أجهزة التلفاز تتشابه الأحلام والأماني على ضفاف الأمازون والنيل، لقد اقتلعت الأطباق المستقبلة لما تُرسله الأقمار الصناعية لملايين البشر من حياتها الفردية رامية بهم في أبعاد فلكية كما قال" برتراند سنايدر "، ويرى البعض أن قُدر لما يُقارب الـ:ست مليارات من البشر –الذين هم تقريبا سكان المعمورة– أن ينتجوا الحياة التي يريدونها، لأنتجت الغالبية العظمى منهم حياة الطبقة الوسطى السائدة في واحدة من أحياء " سان فرانسيسكو " ولكانت التشكيلة المترَفة التي تجمع بين فيلا في البحر الكاريبي والرفاهية السويدية التي هي حلم من الأحلام بالنسبة لهم.

إن هيمنة الثقافة الأجنبية على وسائل الإعلام في عالمنا العربي والإسلامي ومحتوى ما تقدمه أدى إلى تغريب المواطن عن مجتمعه، بدلا من تسهيل مشاركته في أمور هذا المجتمع، ويتم هذا التغريب عن طريق تقديم مضمون إعلامي يُشعّر المواطن بأن لا صلة له بمجتمعه وأن لا روابط تربطه مع ما يراه على صفحات أو قنوات التلفاز، والمواطن يشعر بأن ما تعطيه إياه هذه الوسائل من مضمون هو غير واقعي، ولا صلة له بواقعه، وفي حالة قبوله لِما تعطيه إياه هذه الوسائل، يرى نفسه مندفعا للثورة على قيّمه وطُرق معيشته فيصبح غريبا عن مجتمعه وحتى عن نفسه، وفي ظل العولمة تلعب وسائل الإعلام عندنا دورا كبيرا في إلهاء المواطن عن

مشاكله عن طريق تحويل أنظاره عن المشاكل الاجتماعية والقومية الحقيقية إلى مشاكل ثانوية مستوردة من خارج مجتمعه.

لقد أصبحت "صناعة الثقافة" في عالمنا اليوم من الصناعات العملاقة التي تستهدف الحياة الفكرية والوجدانية والنفسية والاجتماعية للبشر، وهي صناعة تُنتج سلع التوزيع الثقافية التي تحاول أن تصل إلى أكبر قطاع ممكن من الجماهير، وتنتشر الثقافة الهابطة التي تتملق أذواق الجماهير محدودة التعليم وتُعيد إنتاج الأذواق نفسها حتى تدمنها وتعمد إلى تسطيح الأفكار والمشاعر، وإلى توحيد أو تنميط عناصر الجمال وتحويل الترفيه إلى تغييب للوعي الإنساني والجمالي والأخلاقي الاجتماعي والثقافي والسياسي في آن واحد. **(حسن إبراهيم عبد العال: 2005، ص 29).**

لقد كان من الطبيعي للعولمة التي تهدف إلى صياغة العقول طبقا لأهدافها أن تُمسك بزمام الأمور في مجال "الصناعات الثقافية"، بأن تدفع بها فتصُم الآذان وتُغشي العيون، فلا تترك مجالا للعقول كي تتأمل وتحلل وتُفسر بأسلوب موضوعي، وتعدد المنتجات الصناعية الثقافية تتنوع بالصورة، الصوت، الحركة والكلمة من جانب، والمعارض إلى الكتب، المسرحيات، الحفلات الموسيقية، الأفلام السينمائية إلى الأعمال التلفزيونية، لقد أصبحت الصناعات الثقافية جزاءا من أدوات السيطرة الاجتماعية السياسية.

ويستهلك عالمنا العربي منتجات هذه الصناعات الثقافية بدرجة كبيرة، فتذكر إحصائيات منظمة اليونيسكو أن شبكات التلفاز العربية تستورد ما بين ثلث إجمالي البث (كما في مصر وسوريا) ونصف هذا الإجمالي (كما في تونس والجزائر)، أما في لبنان فإن البرامج الأجنبية تزيد عن نصف إجمالي المواد المبَثَة إذ تبلغ (58,2%)، وتبلغ البرامج الأجنبية في لبنان (69%) من مجموع البرامج الثقافية. **(حسن إبراهيم عبد العال: 2005، ص30).**

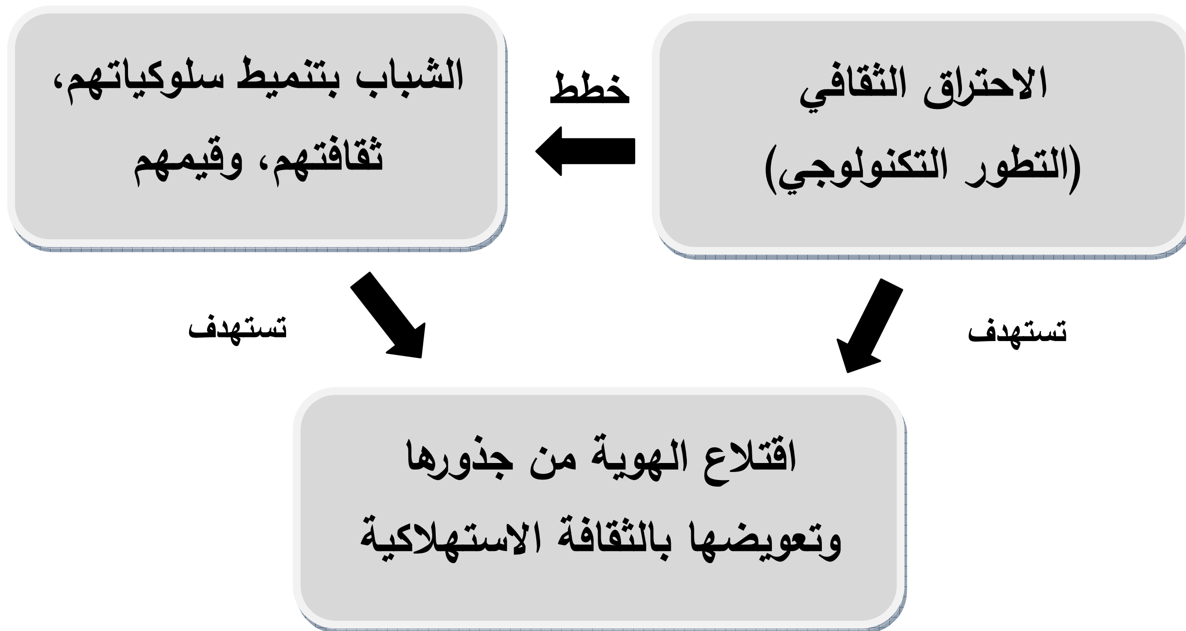
ثامنا/ الاختراق الثقافي:

يُعدّ موضوع الاختراق الثقافي موضوعا قديما يتجدد بتجدد الوسائل المستعملة لتحقيق الأهداف التي تسعى إليها، خاصة إذا كانت هذه الوسائل هي التكنولوجيا الإعلامية المتطورة، التي تستند على أحدث التقنيات والوسائل المتقدمة جدا كالقنوات الفضائية المتزايدة يوما بعد يوم، الانترنيت.... لتؤثر على ثقافة المجتمع بمختلف فئاته خاصة منها الشباب الذين يمثلون دعامة للرقي والتقدم المجتمعي بكل أنواعه الحاضر والمستقبل.

إن عصرنا الحالي الذي نحيا فيه هو عصر الانفتاح والتفجر المعرفي، وإن سرعة التقدم في أنظمة الاتصال الدولي والمواصلات وتطوير أنظمة المعلومات والأقمار الصناعية زاد من سرعة الانفتاح العالمي والتعاون الدولي؛ مما جعل العالم يتجه نحو التوحد والتكتل كما حصل في أوروبا وألمانيا، وقد أصبح العالم بفضل ثورة الاتصالات والمواصلات قرية صغيرة في خريطة الكون، وأصبحت الهيمنة الثقافية من الدول القوية على البلدان النامية أمرا محققا، وفي ظل هذا التطور تحولت التربية من شأن مجتمعي محدود إلى قضية كلية أو عالمية أو شأن دولي، وأخذت كبرى منظمات الأمم المتحدة "البنك الدولي، اليونسكو، اليونيسيف، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي" على عاتقها تكوين دولي من أجل التربية والمجتمع، وتجدر الإشارة إلى أن الصناعات الثقافية بأشكالها المختلفة تمثل غزوا اقتصاديا للوطن العربي؛ فضلا عن الغزو الثقافي الفكري، وتنتشر السلع الثقافية الأجنبية انتشار النار في الهشيم في أوساط الشباب بصورة خاصة، ولا تمثل الصحف والدوريات والكتب إلا جانبا ضئيلا من هذه السلع، أما كثرتها فتتجلى في الأفلام السينمائية وأدوات الموسيقى من أشرطة واسطوانات وآلات وغير ذلك من أجهزة الفيديو والتسجيل، ويمثل ذلك غزوا للمنتجات الثقافية تهديدا حقيقيا للوطن العربي اقتصاديا وفكريا، فضلا عن تأثيره في سائر أنماط السلوكيات وخاصة عبر القنوات الفضائية؛ إذ تسرب تمجيد العنف واستثارة الغرائز والشهوات.

(سيرين حمزة عباس السلطاني: 2013 إطلع عليه عبر الموقع:http://www.uobabylon.edu.iq).

والشكل الآتي يوضح عملية الاختراق التي تمارس على الشباب لضرب الهوية واقتلاعها من جذورها واستبدالها بثقافة مصنعة استهلاكية الهدف منها تنميط الثقافة الفرعية الخاصة بالشباب، وتغيير ما يمكن تغييره من آراء ومعتقدات وقيّم وأخلاق وآداب، وعادات وتقاليد بواسطة وسائل التطور التكنولوجي.**الشكل رقم (02): يمثل عملية الاختراق التي تمارس على الشباب لضرب الهوية**



المصدر: إعداد الباحثة

فما هو حاصل اليوم وفي ظل الانتشار والتطور التكنولوجي عبر خطط واستراتيجيات معينة مستهدفة الشباب لتخترق (الخطط) وتمزق كل ما له علاقة بالثقافة العربية الإسلامية الأصلية؛ فالثقافة هي أساس الهوية الوطنية، فإذا كانت الثقافة تتميز بالتعدد والتنوع لكن فيه المحافظة على الخصوصيات التي تميز ثقافتنا العربية عن الغربية؛ غير أن الاختراق الثقافي يسعى في مضمونه لخلق ثقافة واحدة وموحدة؛ أي نمط ثقافي غربي موحد عالميا تحت هوية واحدة والمسماة بالأمريكية، وما تتسم به من أنماط وقيم وسلوكيات معينة مغايرة تماما لما تتسم به الثقافة العربية.

فكما وضّح "الغزالي" عن أهمية الثقافة في حياة الأمة، فهو يعتقد أن الحضارة الإسلامية من فنون الحياة ومجالات العمران، والمقادير الجزلة التي حصلها المسلمون من المعارف الكونية والتفوق المادي الذي أحرزوه خلال العصور الذهبية، كل ذلك ما كان ليتسنى لهم، إلا عقب تشبعهم بالثقافة الإسلامية وتفاعلهم مع ما فيها من حرية وانطلاق وسماحة وإشراق، فلما فسدت هذه الثقافة بفعل أيديهم، باؤوا بالفشل والتخلف في أحوالهم جميعها، لا فرق في ذلك بين العبادات والعادات، وبين الأدبيات والماديات، بين تخطيط الجانب الاجتماعي والأخلاقي، وبين تخطيط الجانب المادي والمعاشي فيها.

(حسن علي خاطر: 2001، ص 79).

أما الخطط والمهام والفعاليات التي تضطلع بها قنوات الاحتراق والغزو الثقافي الأجنبي، ومن يقبع في فُلكها من القِوى والحركات السياسية والفكرية والاجتماعية، فهي التأثير في أفكار ومبادئ وقيم الشباب، وتسيير سلوكهم وممارساتهم اليومية والتفصيلية في مجالات معينة تخدم أغراض وأهداف حملات الغزو الثقافي، وأخيرا التأثير في شخصية الشباب واستلابها وجعلها

شخصية ضعيفة مستسلمة وتابعة لما تريده أوساط الغزو الثقافي الأجنبي وما تخطط له. **(إحسان محمد الحسن: 1998، ص 8).**

وفي سياق الحديث عن الاختراق الثقافي للدول والشعوب ذكر المحلل الأمريكي "ديفيد روثكوب" "DAVID.R." النوايا الأمريكية في ضرورة نشرها لثقافتها وعدّد أهم خطوات الهيمنة لأجل التمكن وإحكام السيطرة على العالم:

- ❖ إزالة كل الحواجز والهيمنة حاضرا ومستقبلا.
- ❖ أن كل الثقافات بما تحتويه من عادات وقيّم لابد من تغييرها وفقا لما تمليه الحاجات والتغيرات.
- ❖ أن أفول التمايزات الثقافية والقضاء على الثقافات القومية يُعد مقياسا لتقدم الحضارة الإنسانية وعلامة ملموسة على تعزيز التواصل والتفاهم بين الشعوب.
- ❖ إن المجتمعات ليست بحاجة إلى أصولها التاريخية وتراثها الثقافي.
- ❖ على جميع الدول أن تتوحد ثقافيا أو على الأقل تتشابه وأن تلغي كل مؤسساتها التقليدية، وعليها أن تتقارب على أسس من الديمقراطية الليبرالية والسوق العالمية.
- ❖ الدعوة إلى اعتماد اللغة الانجليزية هي لغة الثقافة للتخاطب على كوكب الأرض. **(سامية جفال: 2013، ص 346).**

عموما فإن الاتجاهات النقدية تنظر إلى وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري باعتبارها أذرع إضافية للنظام الرأسمالي الهادف إلى سلب الإنسان الفرد حريته الفردية، وإبداله إياها بحرية مصطبغة تتمحور حول الاستهلاك بكل أنواعه المادية واللامادية، والإنتاج في هذا المجتمع هو إنتاج يخدم عملية التنميط، هذه التي تدور حول خلق الفرد المستهلك لمنتجات المجتمعات

الرأسمالية الكبرى، سواء من السلع المادية أو في السلع الثقافية، ومنها ما يُبَث ويُنشَر من خلال وسائل الإعلام والاتصال.

(عزام أبو الحمام: 2010، ص 230).

مراجع الفصل الثالث

أولا/ المراجع باللغة العربية:

-الكتب:

10. إحسان محمد الحسن (1998): **تأثير الغزو الثقافي على سلوك الشباب العربي**، ط1، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

11. جمال أبو شنب (2006): **نظريات الاتصال والاعلام**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر.

12. حسن إبراهيم عبد العال، (2005)، **التربية الإبداعية**، دار الفكر، عمان.

13. حسن علي خاطر (2001): **المجتمع العربي المعاصر المقومات والأنماط الثقافية**، ط1، دراسة تحليلية نقدية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن.

14. حسن عماد مكاوي وآخرون (2004): **الاتصال ونظرياته المعاصرة**، الدار المصرية اللبنانية.

15. سامية محمد جابر، (2006)، **الاتصال الجماهيري والمجتمع الحديث النظرية والتطبيق**، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر.

16.سيف الاسلام شوية، (2006): **سلوك المستهلك والمؤسسة الخدماتية**، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة.

17.شريف محمد عوض (2014): **صناعة الثقافة في عصر العولمة وأثرها في تغيير ملامح الهوية الثقافية**، المجلد الثاني، العدد 1، يناير، جامعة القاهرة.

18.صالح أبو اصبع (1999): **تحديات الاعلام العربي**، دراسات الاعلام المصداقية، الحرية، التنمية والهيمنة الثقافية، دار الشروق، الأردن.

19.عزام أبو الحمام، (2009)، **الاعلام الثقافي (جدليات وتحديات)**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

20.عزي عبد الرحمن (1995): **الفكر الاجتماعي المعاصر والظاهرة الاعلامية الاتصالية**، ، دار الأمة، الجزائر.

21.مي العبد الله، (2006): **نظريات الاتصال**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان.

- المجلات والدوريات:

22.رحالي حجيلة (2010): **التغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري *المفهوم والنموذج***، مجلة كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، العدد 07، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

23.سامية جفال (2013): **الاعلام والثقافة وجدلية العلاقة في ظل العولمة**، مجلة علوم الانسان والمجتمع، جامعة محمد خيضر، عدد: 08 ديسمبر.

24.كنزاي محمد فوزي (2014): **براديغم مدرسة فرانكفورت على المحك: منظور إتصالي**، ، مجلة البحوث والدراسات الانسانية، العدد 9، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر.

25.نبيل حميدشة (2010): **البنائية الوظيفية ودراسة الواقع والمكانة**، مطبوعة البحوث والدراسات في العلوم الانسانية، العدد 05، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر.

26.نور الدين تواتي (2013): **ماكلوهان مارشال- قراءة في نظرياته بين الأمس واليوم**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد العاشر، مارس، الجزائر.

- الرسائل الأكاديمية:

27.صباح قارة (2012): **إشكالية التشيؤ الانسان في الحداثة العربية من منظور عبد الوهاب المسيري**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة فرحات عباس، سطيف.

28.يوسف تمار (2004-2005): **نظرية أجندة سيتنغ دراسة نقدية على ضوء الحقائق الاجتماعية والثقافية والاعلامية في المجتمع الجزائري**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في علوم الاعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم علوم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، الجزائر.

ثانيا/ المراجع الأجنبية:

29.NICOLAS LOBARRE (2007): **Du kitch au camp**, théories de la culture de masse aux etats-unis, 1944-1964, Hal archives-ouvertes, França.

30. Philippe Breton et autres, (1993), **L'exploision de la communication**, la naissance d'une nouvelle Idéologie, édition la dicouverte, Paris.

ثالثا/المواقع الالكترونية:

23. سيرين حمزة عباس السلطاني (2013): **شبابنا في عالم التغيير**، نقلا عن: http://www.uobabylon.edu.iq.، تاريخ الزيارة: 2015/12/20، الساعة: 2010:15.

24. ندوة أحمد الأصفر بتاريخ: 2009/05/06 نقلا عن: Thwra. Alwehda.gov.، تاريخ الزيارة: 2016/01/10، الساعة: 23:20.

25. elern.univ–ouargla.dz تاريخ الزيارة: 2016/01/01، الساعة: 09:20.

26. https://old.uop.edu، تاريخ الزيارة: 2016/03/29، الساعة: 19:25.

الفصل الرابـع:

الـهويـة في ظل التحولات الراهنـة

أولا/ مفهـوم الــهويــة.

ثانيا/ خصـائص الــهويـة.

ثالثا/ المفاهيم القريبة للهوية.

رابعا/ الهـوية الـجزائرية.

خامسا/ نظـريـات الـهويـة.

سادسا/ الثقـافة والــهوية.

سابعا/ الهـوية وآثار العولمة.

أولا/ مفهوم الهوية :

1.1.المفهوم اللغـــوي:

يعتبر موضوع الهوية من المواضيع التي لاقت اهتمام العلماء والباحثين والتي تم تعريفها في مختلف العلوم والمجالات والتي تدل في معناها العام على ماهية الشيء أو الذي يحمل سِمات خاصة تختلف عن الأشخاص أو الأشياء الأخرى؛ إذ أن الهوية من ناحية الدلالة اللغوية هي كلمة مركبة من ضمير الغائب "هو" مضاف إليه الـ" ياء" النسبة التي تتعلق بوجود الشيء المعني كما هو في الواقع بخصائصه و مميزاته التي تعرف بها. **(أحمد بن نعمان: 1995، ص 21).**

وعرّفتها الحضارة العربية الإسلامية على أنها مأخوذة من "هُوَ...هُوَ" بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته المشتملة عليه، اشتمال النواة على الشجرة وثمارها.

(محمد عمارة: 1999، ص 06).

2.1. المفهوم الاصطلاحي:

الهوية هي شيء قابل للنقاش وتأتي إثر عمليات التفاعل الإنساني، هي تستلزم عمل مقارنات بين الناس، كي تؤسس أوجه التشابه والاختلاف بينهم، فأولئك الذين يعتقدون بوجود التشابه بينهم وبين الآخرين، يشتركون في هوية تتميز عن هوية الناس الذين يعتقدون أنهم مختلفون ولا يشتركون بذات الهوية. **(هارلمبس وهولبورن: 2010، ص 93).**

فتُعرَّف اصطلاحا على أنها الرابطة القيمية والمسلكية بين أفراد المجتمع ككل أو شريحة اجتماعية معينة؛ بحيث يرى الفرد نفسه من خلال المجتمع الذي يشاركه نفس القيم والاعتقادات والسلوك. **(عبد الله الجسمي: 2005، ص 100).**

هي إحدى صور الرابطة الاجتماعية بين الأفراد، مكونين تجمعات لقيّم وأفكار...مشتركة نتيجة العملية الاتصالية. وهذا ما أبرزه "تشارلز كولي" بأن الاتصال يعني ذلك الميكانيزم الذي من خلاله توجد العلاقات الإنسانية، فتنمو وتتطور الرموز العقلية بواسطة وسائل نشر هذه الرموز عبر المكان واستمرارها عبر الزمان.

(فضيل دليو: 2007، ص 17).

تمثل الهوية رابطة روحية ضميرية بين الفرد وأمته، بمقتضاها يسعى إلى إعلاء شأن هذه الأمة ورفع مكانتها بين الأمم لِما تُحتِم هذه الرابطة على الفرد أن يعيش مدركا لمقومات ذاتية أمته العربية.

وهناك من يُعرِّفها على أنها ذلك التمَّشي الذي يقوم به الفرد لبناء مختلف مظاهر شخصيته سواء كانت هذه المظاهر حالية أم ماضية أم مستقبلية، وفي المظاهر التي يحدد بها الفرد ذاته أو يَقبل أن يُحدَد بها. **(سلطان بلغيث: 2011، ص 350).**

إذن؛ فالهوية هي عملية إعلاء من شأن الفرد ومجتمعه، من خلال سِمات تُميِّزه عن باقي الأفراد والمجتمعات؛ حيث تمنحه خصوصيات ومقومات داخل نطاق المجتمع للحفاظ على كيانه ككل.

كما تُعَرَّف الهوية وفقا لتصورين رئيسيين هما:

1-التصور الستاتيكي أو الماهوي للهوية: والذي يرى أن الهوية عبارة عن شيء اكتمل وانتهى وتحقق في الماضي، في فترة زمنية معينة أو نموذجا اجتماعيا معينا، وأن الحاضر ما هو إلا محاولة لإدراك هذا المثال وتحقيقه.

2-التصور التاريخي أو الديناميكي للهوية: والذي يرى أن الهوية شيء يتم اكتسابه وتعديله باستمرار وليست أبدا ماهية ثابتة؛ أي أن الهوية قابلة للتحول والتطور، وذلك لأن تاريخ أي شعب هو تاريخ متجدد ومليء بالأحداث والتجارب، عليه فإن الهوية الأصلية تتغير باستمرار وتكتسب سِمات جديدة، وهذا يعني أنها شيء ديناميكي وهي سلسلة عمليات متتابعة تتحول مع الزمن، ومن وجهة النظر هذه فإن الهوية أمر مكتَسَب يجتَهَد في الحصول عليه؛ إذ أنها تضطلع وتتشكل بواسطة الناس أنفسهم؛ حيث تنتج ويُعَاد إنتاجها من خلال التفاعل الاجتماعي. **(مصطفى عوفي، زينب عمراني: 2012، ص 20).**

فالهوية موضوع شديد العمق والتعمق وعريض الأصل، فهو يعتبر من المفاهيم الكثيرة التي انشغل الفكر الإنساني بدراسته والاهتمام به، فلو تتبعنا تطورها لنجدها في الفكر الفلسفي بمنظور يحاول تفسيرها وفق رؤى فلسفية بحتة، أيضا نجدها ضمن المفاهيم السوسيولوجية والبسيكولوجية المتنوعة وكذا في الأنثروبولوجيا كميدان للدراسة العلمية متعددة الأفكار والتوجهات، وفيما يلي رصد لمفاهيم الهوية وفق رؤى متنوعة:

3.1.المفهوم الفلسفي:

لا نَرُوم في هذا العنصر بعرض تاريخي للنظريات التي تناولت مفهوم الهوية في الفكر الفلسفي الغربي الحديث والمعاصر، قَدْرَ ما نُحاول توظيف التقصي التاريخي لمعاينة مدى حضور هذا المفهوم ومساره، الذي اتخذه العلماء الفلاسفة ضمن سيرورة تاريخ الفلسفة والتعريف بمختلف الأسس المفهومية، التي ترتكز عليها نظرية الهوية والتفكير بأبرز الإشكالات التي

بَلْورَها الدرس الفلسفي الغربي حول الموضوع والجدل الذي أثير حوله بين معنى ولا معنى الهوية. **(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص65).**

يُعَد أرسطو الفيلسوف اليوناني الشهير وواضع أسس علم المنطق أول من تحَدَث عن الهوية، وذلك من خلال موقفه المتسق من العالم، فهو يرُدُ كل شيء إلى أصوله وأركانه الأساسية، ووَضع ثلاث قواعد للهوية أسماها قوانين الهوية، ورأى أرسطو أنه يمكن رد قوانين الفكر الأساسية إلى قانون واحد هو قانون الهوية؛ فقانون عدم التناقض هو صورة سلبية لقانون الهوية، قانون الثالث المرفوع صورة شرطية لقانون عدم التناقض، وقانون الذاتية صورة إيجابية للقوانين الثلاثة. **(ميمونة مناصرية:2011، ص 73).**

وفي العصر الحديث فإن المحدثين أمثال "ديكارت" و"كانط" لم يفعلوا غير تأصيل واحد من معاني مفهوم الهوية "Ipséite" كما اشتغلت عليه الفلسفة اليونانية والوسيطية، وذلك بنقله من سِجل الأنطولوجيا؛ حيث عملت الفلسفة العربية من "الكندي" إلى "ابن رشد"، إلى سجل نظرية المعرفة؛ حيث أصبح يدل على معنى الذات " sujet " الذي تقرر أول أمره من خلال مفهوم الشيء المفكر، التي انتقلت لاحقا إلى عبارة "الأنا أفكر" أو "الكوجيطو"، إن ما وقع مع الفلسفة الحديثة هو الانزياح من الهوية (الوجود) إلى الذات أو " الأنا أفكر " وذلك بجعل معنى الهوية–الوجود نفسه مستنبطا من واقعة "الأنا أفكر".

(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص 65).

لكن رغم كل طرافة إشكالية "الكوجيطو" فإن "ديكارت" لم يفلح في تحقيق الانزياح المطلوب في ما هو؟ إلى من هو؟ بوصفة إمارة "فينومينولوجية "عن سؤال "انطولوجي" لم يأت إليه المعاصرون إلا بعد أن أخذوا في التحرر شيئا فشيئا في سيادة "البراديغم الذات" الديكارتية مع "هايدغر" و"ريكور". **(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص66).**

إن هوية الشخص تتحدد حسب "ديكارت" في أفعال التفكير التأملي وهي متعددة ومختلفة (الشك، الإثبات، النفي، التخيل،...) وهذا التعدد في أفعال الأنا لا ينفي هويتها، باعتبارها أنا واحدة وثابتة؛ إذن لا تتحدث عن الشخص إلا في بعده المعرفي والميتافيزيقي، ومن ثمة فهويته الثابتة مجردة ميتافيزيقية لا تتضمن أي تصور لما هو اجتماعي وتاريخي وأخلاقي في تحديد الهوية الشخصية*، إنها ذات مفصولة عن وجودها. **(edourous.com/phelosophie).**

وإذا كان الوعي أو الشعور بالأنا هو الذي يمنح الإنسان هويته عند ديكارت، فإن "لوك" حسب ما يذهب إلى ذلك "فولتير" في معجمه الفلسفي، هو أول من أوضح معنى الهوية وما معنى أن يكون الشخص هو نفسه والأنا هي نفسها وذلك بناءا على وظيفة الذاكرة التي تمنحه الإحساس بوجوده المتواصل عبر الزمن، إن الذاكرة هي التي تصنع هويتك، وإذا ما فقدت الذاكرة كيف يمكنك أن تكون نفس الإنسان؟ لذا يعتبر "لوك" كما يعتبر "هيوم" أن فكرة الهوية متولدة عن الزمن، أن نقول أن شيئا ما هو ذاته يعني أن شيئا ما في زمن معين يبقى هو ذاته في زمن آخر، لذلك فإن مبدأ الهوية ليس غير عدم التغيُر والثبات لكل شيء رغم تغيُر الزمن. **(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص69).**

ويستمر الحديث ويطول حول تفسير الهوية من المنظور الفلسفي؛ فالفلاسفة ككل كانوا السباقين لاحتواء هذا المصطلح من كافة الجوانب، فمع حلول الحداثة تغيَر مفهوم الهوية وظهر مفهوم جديد لها وأصبح هو المسيطر وهذا المفهوم الجديد له خاصيتان:

---

* الهوية الشخصية تتضمن مشاعر الوحدة أو التماسك، هذه المشاعر هي نتيجة للتنظيم الزمني للذات، بفضلها يمكن للفرد ان يصبح "فعلا نفسه". "يخلق الإنسان وحدة شخصية عبر منح نفسه تاريخ" (annales , publiées trimerstriellement par l'université de Toulouse le mirale (nouvelle série, Tome XV, 1979, fascicule 2, Homo perceptions et pratique de la relation.

- موضوع الفرد كان يُنظر إليه كونه غير قابل للقسمة، فكل فرد له هوية بذاته وهذه الهوية موحدة ولا يمكن تجزئتها إلى وحدات أصغر.
- إن هوية كل فرد كانت متميزة (unique)؛ فالفرد لم يكن جزءا من شيء أكبر وإنما كان ينظر إليه باعتباره ذو هوية متميزة قائمة بذاتها. **(هارلمبس وهولبورن: 2010، ص95).**

4.1.المفهوم السوسيولوجي:

في القرن الـ 19 بدأت تتطور العديد من مفاهيم الموضوع والهوية الفردية، ويرى "هول" تلك التطورات كنتيجة المجتمع، ومع بداية الثورة الصناعية والتمدن "urbanization" أصبح المجتمع بعيدا، وصار يعتمد بشكل متزايد على المؤسسات والهياكل التي طبعت حياة الناس، وفي بدايات القرن الـ 20؛ تحولت الشركات الفردية التي يديرها أفراد مبدعون إلى شركات مساهمة يملكها آلاف المساهمين وتُدار بإدارات معقدة وكذلك المواطن الفرد أصبح جزءا ضئيلا ضمن الماكنة البيروقراطية والإدارية للدولة الحديثة، وكل فرد لم يعد شيئا متميزا ومنفصلا عن الأفراد الآخرين؛ بل إن العلاقات بين الأفراد والمجتمع تدخلت فيها المعتقدات الجماعية وعمليات الجماعات؛ فمثلا هوية الفرد كانت مرتبطة بعضويته في طبقة اجتماعية معينة أو بمهنة محددة أو بأصوله ضمن دين معين أو بقوميته أو ما شابه. **(هارلمبس وهولبورن، 2010، ص96).**

فالهوية إذن بناء يُبنى في علاقة تتقابل فيها مجموعة ومجموعات أخرى تكون في تماس معها، ندين لأعمال "فريدريك بارث" "Fredrik Barth" الرائد بتصور الهوية هذا، على أنها تجلٍ علائقي يمكّن من تجاوز الخيار البدائي: موضوعانية/ ذاتانية، بالنسبة إلى "بارث"، أن نبحث عن فهم الظاهرة الهوياتية، في مستوى العلاقات بين المجموعات الاجتماعية؛ فالهوية بحسب ما

يراه نمط تصنيف تستعمله المجموعات لتُنظم مبادلاتها، وعليه فإن ما يهم لتحديد هوية مجموعة ليس مجرد مجموع سِماتها الثقافية المميزة؛ بل أن نرصد من بينها تلك التي يستعملها أفراد المجموعة ليثبتوا تمايزا ثقافيا ويحافظوا عليه، بتعبير آخر، ليس الاختلاف الهوياتي نتيجة مباشرة للاختلاف الثقافي؛ إذ لا تنتج ثقافة معينة بذاتها هوية مختلفة، فهذه لا يمكن أن تتولد إلا عن تفاعلات بين المجموعات وعن مجريات التمايز التي تضعها هذه المجموعات موضع الفعل خلال علاقاتها بعضها ببعض. **(دنيس كوش: تر: منير السعيداني: 2007، ص 153).**

الواقع أن الظواهر المتعلقة بالهوية لا يمكن فهمها إلا في التكامل بين علم النفس وعلم الاجتماع، وإن كان من الضروري في مقاربة متعددة الأبعاد تحديد طبيعة الحقول المعرفية والأدوات المعتمدة، ويمكن القول بصفة عامة أن علم النفس يهتم بالهوية الفردية، نشأتها، تحولاتها وتناقضاتها الداخلية، فيما يهتم علم الاجتماع بالهوية الجماعية(l'identité collective) ضمن السياق الاجتماعي والعلائقي على مستوى الارتباطات والتناقضات القائمة بين الأفراد والمجموعات سواء كانت هذه المجموعات أثنية أو قومية أو ما فوق قومية، لأنه لا يدرس السلوكات الجماعية باعتبارها مجموعة ردود فردية؛ بل باعتبار ما تتميز به ردود فعل المجموعة من خصوصيات، فكيف يُعرّف علم الاجتماع الهوية؟

(جليلة المليح الواكدي، 2010، ص ص 153-154).

ثمة خمس أطروحات تمنح للهوية مدلولها النظري:

***الأطروحة الأولى:** تُسلم بمشروعية وجود هوية جماعية تستمد ملامح مقوماتها من ثقافة المجتمع، على اعتبار الثقافة المجموع المنسجم والمستمر للمعاني والرموز المكتسبة المشتركة التي تعمل الجماعة على توصيلها وإعادة إنتاجها، وعنصر التماثل الذي تقدمه للجسم

الاجتماعي لتوحيد الطموحات والمثل، هذه الثقافة التي يعمل المجتمع على إنتاجها والهوية الجماعية التي تترتب عنها وتتغذى منها السلطة لا متناهية، هي التي تُزوّد أفراد الجماعة بعناصر هويتهم، وهي نِتاج نظام رمزي تأتي الجماعة لتحتل موقعها فيه، فهي التعبير الأساسي عن وجود الجماعة كجماعة موحدة والشرط الرئيسي لتحقيق استمراريتها وتميزها وتاريخيها أي لإعطائها ذاتية مستقلة. **(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص154).**

وقد مثّل "دوركايم" "Durkheim" في بداية القرن هذه الأطروحة؛ حيث يوجد فينا حسب ما يذهب إليه كائن جماعي وكائن شخصي، كياننا الجماعي أنظمة الفكر والشعور والعادات التي تعبّر فينا لا على شخصيتنا الخاصة؛ بل على المجموعة أو المجموعات التي ننتمي إليها، شأن المعتقدات الدينية والمعتقدات أو الممارسات الأخلاقية، التقاليد الوطنية أو الآراء الجماعية من كل نوع، إن صوت الجماعة كما يقول "دوركايم" دفين في أعماق النفس حتى إذا ما تحدثنا كان المجتمع هو المتحدث فينا.

(جليلة المليح الواكدي، 2010، ص155).

وسيظل ذلك دائما في امتثال الأفراد للمتطلبات الاجتماعية لتقليد ما هو سائد ومقبول من طرف الجماعة تحت سقف الاستبداد والقهر الاجتماعي الذي يؤكد قدسيته في محيط الوسط الإنساني. **(nador.nadorcity.com).**

***الأطروحة الثانية:** الهوية في هذا المنظور الذاتي مشاركة وجدانية عاطفية، غالبا ما تنشأ عن الاحتكاك بمجموعات أخرى، هذا الاتصال يُنمي الشعور بالانتماء لدى الفرد ويفرز بمفعول وجود ذاته عملية تماهٍ مع المجموعة، وترتكز هذه المشاركة الوجدانية التي يتوقف عليها وجود الهوية عند "إريكسون" على الشعور بالانتماء الموحد للطموحات والمثُل وهو نوع من الضمانة بوجه الإفراط في التمييز الاجتماعي والاستغلال، الشعور بالاستمرارية عبر الزمن بناءً على

ذكريات وتجربة تاريخية مشتركة يتسبب غيابه في أزمة هوية يدرك معها التحول كقطيعة، الشعور بالوحدة والتجانس ويؤدي غيابه إلى ازدواج في الشخصية وانقسامها ما بين كيانات متعارضة، الشعور بالاختلاف والتمايز عن المجموعات الأخرى، الشعور بالقيمة وهو الحاجة إلى الاعتراف والتقدير.

(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص156).

فلقد عَالَجَ "إريكسون" مسألة الهوية من زاوية سيكولوجية بحتة والنقطة المركزية في نظريته هي أن الهوية لا تَتَشكل بتأثير المحيط الاجتماعي فقط؛ وبالتالي فقد شَكَّكَ في النظريات التي تفتَرض إمكانية خلق هويات صناعية جديدة تماما عبر جهد مخطط، كما شكَكَ في الرؤية الفردانية القائلة بأن الفرد قادر على فصل نفسه عن المحيط واختلاق هوية جديدة مستقلة تماما، وطبقا لطرح "اريكسون" فالهوية تتشكل خلال كفاح طويل يبدأ في مرحلة المراهقة، ويتركز على ترتيب عنصرين أولهما اكتساب القدرة على الإنتاج والعلاقة مع المحيط، وثانيهما الإحساس بالاندماج في عالم معنوي مناسب.

(مؤسسة العمل اللجان الصحي، ص2، نقلا عن الموقع: www.opgi.org).

***الأطروحة الثالثة:** تُعرِّف الهوية بكونها القدرة على التغير بإدماج تجارب جديدة بنسبة ديناميكية تطورية متحولة، تتلقى تغيرات متجددة عبر تطور وجودها التاريخي؛ إذ يتعين على القديم استقبال الجديد، فهي حقل متعدد الأبعاد، ذو طبيعة جدلية، يضم متناقضات واختلافات تتحرك داخل عملية سيرورة، وهنا عالج "دومينيك شنابر" " Dominique Schnappe" مسألة التوتر بين الكونية والخصوصية وكيفيات تفاعل المباديء الكونية للمواطنة في كل من إنجلترا وأمريكا وفرنسا مع الممارسات التاريخية الخاصة. **(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص 157، 158).**

والنتيجة التي تُشير إليها "دومينيك" هي بروز نزعة الانغلاق على مرجعية وهوية خاصة؛ فالدينامية الديمقراطية التي كانت قوية وفاعلة لجعل أبناء المهاجرين أفرادا مندمجين في المشروع المواطني الديمقراطي الحديث قد أصابها العطب بسبب أشكال العزل والحرمان والإقصاء التي أفرزها النظام الديمقراطي نفسه، بما قاد إلى اللجوء إلى مرجعيات وهويات تبحث عن الاعتراف بها وبما جعل بعض المفرطين يقول بانتعاش الروح القبلية". **(دومينيك شابنر، 2007، نقلا عن الموقع:** www.elbayan.ae).

***الأطروحة الرابعة:** فيما تَعتبر الأطروحة الأولى الهوية نوعا من التماثل الثابت بين الوجود الاجتماعي وتاريخه، وتعتبرها الثانية مشاركة وجدانية وعاطفية، والثالثة تكيّفا مستمرا مع الظروف الجديدة، تذهب الأطروحة الرابعة إلى رفض فكرة الهوية ذاتها، وتضعها في تعارض أساسي مع أفكار الحداثة باعتبارها إيديولوجيا مغلقة وتعلُّقًا بالتقاليد، مرادفة للولاءات العشائرية والقبلية والطائفية، تنزَع للنقاء والمحافظة...، فنحن في نظر "آلان توران" "Alain Touraine" عندما ننتقل من مفهوم الثقافة إلى مفهوم الحضارة ومن هذه إلى مفهوم المجتمع، نشعر أن هذه الهوية الجماعية تنحل بقدر ما يتسارع التغير الاجتماعي وتتعزز قدرة المجتمع على التأثير في نفسه. **(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص 161).**

***الأطروحة الخامسة:** تُمثِّل لحظة أساسية في الفكر الغربي المعاصر وهي أطروحة "الوصل المركب" التي رسم "إدغار موران" "Edgard Morin" معالمها الكبرى في مجمل أعماله لا سيما في كتابه "مدخل إلى الفكر المركب" الذي حاول فيه وضع اليد على تعقيد الواقع من خلال تجاوز التناقض بين الوحدة والاختلاف، "إنني –كما يقول– أتموقع فعلا خارج الطائفتين المتصارعتين؛ فالواحدة تسحق الاختلاف عن طريق إرجاعه إلى الوحدة البسيطة، والأخرى تحجب الوحدة لأنها لا ترى صور الاختلاف، لكن لنحاول دمج حقيقتي هاتين الطائفتين، أن نتجاوز الاختيار بينهما.

(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص 163).

وحتى تصبح الثقافة هي الرهان المحوري للعلاقات الاجتماعية بشكل عام، وضع "آلان توران" ثلاث مباديء أساسية لنظام الفعل داخل هذه العلاقات الاجتماعية، منها **مبدأ الهوية** من خلال تعبير كل طائفة أو جماعة عن هويتها بطريقة معينة؛ بحيث تتجاوز الأفراد؛ أي هوية جماعية لا فردية، والمبدأ الثاني هو **مبدأ المعارضة والاختلاف**، هنا يتم التمييز بين الهويات المختلفة؛ ومن ثمة يكون مبدأ الشمولية وهو الاستعداد التام للتصادم والصراع داخل نسق المجتمع.

5.1.مفهومها البسيكولوجي:

تبدأ الهوية بالنمو والتطور خلال التاريخ الشخصي للفرد بما يتوافر له من تدريبات أساسية لضبط السلوك، وإشباع الحاجات وفقا لتحديد اللغة والعادات والمعايير والأدوار في إطار المنظومة الثقافية للمجتمع، وهذه الالتزامات تفرضها المؤسسات الاجتماعية على الفرد، وعليه إيجاد حلول لها بطريقة إيجابية. **(نصر الدين جابر، يمينة غسيري: 2014، ص 4).**

وفي مقارنة مع اهتمام "فرويد" بأسلوب دفاع الناس عن أنفسهم في مواجهة التوترات المؤلمة – أسلوب سلبي لحد ما – يأتي منهج "إريكسون" الأكثر إيجابية، الذي يؤمن بأن المحور الأساسي للحياة يتمثل في البحث عن "الهوية"، ويشير هذا المصطلح إلى الوعي الشعوري بشخصية الفرد، السعي اللاشعوري لبقاء الشخصية ...، مقياس لمحاولات الأنا الكامنة، وهذا للحفاظ على التضامن الداخلي مع مثاليات الجماعة وخصائص الشخصية، وبمعنى آخر فهم وقبول النفس والمجتمع، من خلال الحياة نسأل عن من أنا؟ ونقوم بالإجابة بصورة مختلفة في كل مرحلة، وإذا استمر النمو بصورة طبيعية ينتقل فهم الطفل لهويته إلى مستوى أعلى عند نهاية كل مرحلة، على الرغم من مواجهة نمو الهوية لمشكلة أثناء فترة المراهقة، يُذكّر "إريكسون" أن هذه المشكلة تبدأ عندما يتعرف الطفل على أمه

لأول مرة ويشعر بأنها تعرفه، وعندما يُعبّر صوتها عن تسميته باسم معين وأنه طفل حسن، وبناءً عليه تتحول الهوية من مرحلة إلى أخرى وتؤثر الصورة الأولية (المبكرة) للهوية على الصورة اللاحقة، وتشبه هذه العملية تكوين المفاهيم (مثل مفهوم النسبية) في كل مرحلة وفقا لنظرية "بياجيه".

(نورس شاكر هادي العباس:2011، نقلا عن الموقع:www.uobabylon.edu.iq)

وقد حدد إريكسون أربع رتب أو حالات للهوية:

- **تشتت الهوية:** ويقصَد بها الفشل في الالتزام بإيديولوجية ثابتة.
- **انغلاق الهوية:** قبول معتقدات الآخرين دون فحص أو تبصر.
- **تعليق الهوية:** ويُقصَد بها الفرد الذي يسعى لاكتشاف الهوية ولكن لم يصل بعد إلى تعريف ذاتي لمعتقداته.
- **انجاز الهوية:** وهي الالتزام بإيديولوجية محددة.

(عبد اللطيف محمد خليفة، 2003، ص 19).

وهو ما أكده مارشيا من خلال تحديده للرتب الأربع للهوية:

- **تحقيق الهوية:** فيها يقضي الفرد وقتا فعالا لتحديد هدفه من الحياة واعتبار الذات والقيّم التي يؤمن بها وتعهده الشخصي بالكفاح في سبيل الوصول إلى الأهداف التي يؤمن بها.
- **تشتت الهوية:** إذ يعاني الفرد من أزمة الهوية وليس لديه تعهد لخطة ما لخطط الحياة أو إرساء مبادئ عامة.
- **انغلاق الهوية:** وتعني الشخص الذي لا يتعهد بشيء محدد يلتزم به، وليس لديه إحساس بأزمة الهوية.

➢ **تعليق الهوية:** تمثل ميل الفرد إلى البحث عن هويته الشخصية ومحاولة التوصل إلى ذلك مع عدم قدرته للوصول لحل لأزمته الشخصية.

(نصر الدين جابر ، يمينة غسيري: 2014، ص 4).

6.1. المفهوم الانثروبولوجي:

مع الخمسينات انبثقت إشكالية نقدية للهوية الإثنية في أبحاث الأنثروبولوجيين العاملين في إفريقيا "بارث"، "غلوكمان"، "سنادل" و"واتسون" أو في جنوب شرق آسيا "ك.ف. كيز"، "إ.ر. ليتش"، "م. مورمان"، "س. تامبياه"، فقد نتج عن سياق التحرر من الاستعمار والصراع المستمر لنيل الاستقلال، وكذا التوزيع السياسي الجغرافي الجديد، ومطالبات الأقليات بالاستقلال، أن واجه الأنثروبولوجيون ظروفا جديدة للعمل الميداني مرتبطة بالتحضر مثلا، وسياقات اقتصادية وسياسية جديدة، وشركاء جدد أيضا.

فالهوية تتداخل من المنظور الأنثروبولوجي مع مصطلحات عديدة مثل: الخصوصية بالذات حين يكون الحديث عن قيّم و مبادئ عامة وإنسانية مثلما يظهر في نقاشات حقوق الإنسان على المستويات الدولية والإقليمية والمحلية، والاعتراض بسبب المفهوم العام للخصوصية يستدعي مباشرة وجود هوية مختلفة؛ مما يتطلب سلوكا وردود فعل مختلفة أو حتى مقاومة لما يمكن أن يُعتبَر تهديدا للهوية بسبب غزو ثقافي مثلا.

إلا أن البعض يرى صعوبة تحديد وتعيين الهوية أو الخصوصية على صعيد الواقع وبالتالي عدّ الكثير مفهوم الهوية مصطلحا إيديولوجيا أكثر منه علميا، باعتبار أن الهوية يمكن التعبير عنها أو تجسيدها من خلال الدين واللغة والدولة الوطنية أو القومية، وكل هذه الخصائص متغيرة حسب طريقة استخدامها وتوظيفها، لذلك يمكن لمجتمع واحد أن يبدل "هويته " حسب المراحل المختلفة تاريخيا ووفقا للظروف الحاكمة.

(مبروك بوطقوقة نقلا عن الموقع: www.aranthropos.com**).**

ففي الأنثروبولوجيا اتسع مفهوم الهوية ليشمل الهوية الفردية، الهوية الجماعية والهوية الثقافية وقد اعتبر الدارسون والساسة في كثير من بلاد العالم، وبصفة خاصة في عالمنا العربي يعرفون من الهوية إلا ثباتها، ولا يخاطبون فينا إلا هوية واحدة أزلية لا تتغير، والشَطَط في هذه الرؤية يرتد بنا إلى نوع من النزعة اللاتاريخية التي عفا عنها الزمن– والتي تنتقي حقائق التاريخ شذرات وتفاصيل تجمعها جنبا إلى جنب.

(ميمونة مناصرية: 2011، ص 91).

ويمكننا إجمال إسهامات الدراسات الأنثروبولوجية للهوية والتي تتلخص فيما يلي:

- ❖ الأنثروبولوجي الأمريكي "ليسر" "Lesser" قطع شوطًا أبعد في تحديد المفهوم في محاولة منه للتمييز بين التثاقف بمعناه الواسع وبين التكيف.
- ❖ رَسَم "سابير" "Sapir" الهوية من منظور الثقافة في علاقتها بالشخصية، بقوله هناك علاقة أساسية بين الثقافة والشخصية، فمن جهة لا شك أن مختلف أنماط الشخصية تؤثر تأثيرا عميقا في تفكير كل مجموعة وعملها، من جهة أخرى تترسخ بعض أشكال السلوك الاجتماعي ولو لم يتلاءم الفرد معها إلا نسبيا في بعض الأنماط المحددة من أنماط الشخصية. **(جليلة المليح الواكدي، 2010، ص 140).**
- ❖ أيضا تم تفسير الهوية من منظور الأنثروبولوجيا البنيوية، ذلك بالرجوع إلى نظريات الاتصال الحديثة التي تُعد منطلقا أساسيا من النموذج اللساني وهو الاتجاه الذي يعبّر عنه "كلود ليفي ستراوس" ممثل الأنثروبولوجيا البنيوية، الذي قَدم بمنهجه الجديد ليدحَض المفهوم الارتقائي للتاريخ ويشجب نزعته إلى التمييز الإثني.

❖عالجت الأنثروبولوجبا الحديثة متمثلة في "باستيد" "Bastide" وغيره من علماء الأنثروبولوجيا الهوية الثقافية التي تتجلى أساسا في التثاقف الذي تؤدي إلى تجاوز الشروط الثقافية والاجتماعية الأصلية ووضع قيّم ثقافة الأنا ثقافة الآخر موضع تساؤل ونقد. **(جليلة المليح الواكدي: 2010، ص 140).**

❖ تمثّل الثقافات التي كانت توصف بأنها بدائية كيانات من العلاقات والنظم والأنساق لا تقل تعقيدا عن الكيانات الثقافية التي توصَف بأنها حديثة.

(ميمونة مناصرية: 2011، ص 91).

ثانيا/ خصائص الهوية وعناصرها:

إن تحديد هوية مجتمع أو جماعة أو فرد يقتضي العودة إلى جملة من العناصر التي يمكن تصنيفها إلى المجموعات التالية:

1.2.العناصر المادية والفيزيائية: والتي تشتمل على:

❖ الحيازات: الاسم، الآلات والموضوعات، الأموال والسكن والملابس.

❖ القدرات: القوة الاقتصادية والمالية والعقلية.

❖ التنظيمات المادية، التنظيم الإقليمي، نظام السكن، نظام الاتصالات الإنسانية.

❖ الانتماءات الفيزيائية: الانتماء الاجتماعي، التوزيعات الاجتماعية و السمات المورفولوجية الأخرى.

2.2.العناصر التاريخية وتتضمن:

❖ الأصول التاريخية: الأسلاف، الولادة، الاسم، المبدعون، الاتحاد، القرابة، الخرافات الخاصة بالتكوين، الأبطال الأوائل.

❖ الأحداث التاريخية الهامة: المراحل الهامة في التطور، التحولات الأساسية، الآثار الفارقة، التربية والتنشئة الاجتماعية.

❖ الآثار التاريخية: العقائد والعادات والتقاليد، العقد الناشئة عن عملية التطبيع أو القوانين والمعايير التي وُجدت في المرحلة الماضية.

3.2.العناصر الثقافية النفسية وتشمل:

❖ العنصر الثقافي: المنطلقات الثقافية، العقائد والأديان والرموز الثقافية، الأيديولوجيا ونظام القيم الثقافية ثم أشكال التعبير المختلفة (فن وأدب).

❖ العناصر العقلية: نقاط التقاطع الثقافية، الاتجاهات المغلقة، المعايير الجمعية، العادات الاجتماعية.

❖ العنصر المعرفي : السِمات النفسية الخاصة، اتجاهات نظام القيم.

4.2.عناصر نفسية اجتماعية: وتتضمن :

❖ أسس اجتماعية : اسم، مركز، عمر، جنس، مهنة، سلطة، واجبات، أدوار اجتماعية، نشاطات، انتماءات اجتماعية.

❖ القيم الاجتماعية: الكفاءة، النوعية، التقديرات المختلفة.

❖ القدرات الخاصة بالمستقبل: القدرة والإمكانيات، الإشارة، الإستراتيجية.

(شيهب عادل: الثقافة والهوية نقلا عن الموقع: www.aranthropos.com)

ومن خلال توضيح أهم العناصر المكونة للهوية، فإنها تتميز بجملة من المميزات ألا وهي:

- ✓ الهوية لا تتعلق بالأفراد فحسب؛ ذلك أن لكل مجتمع هوية تتناسب مع تعريفها الاجتماعي، فهي استدماج وإقصاء في آن واحد معا، إنها تحدد المجموعة وتُميزها عن المجموعات الأخرى. **(دنيس كوش، تر: منير السعيداني: 2007، ص 149).**
- ✓ أنها مكتسبة موروثة يصنعها تاريخ الأمة وثقافتها وما تمر به من تجارب وخبرات، وهي المعبرة عن ذاتها الجماعية، أو الرمز الذي يجتمع عليه كل أفرادها.

(ميمونة مناصرية، 2011، ص 100).

- ✓ الهوية ليست مجرد انتساب إلى عرق أو دين أو إلى ثقافة معينة، حقًا إن هذه العناصر تدخل جميعا في تشكيل الهوية، لكن الهوية لا تقتصر على واحد من هذه العناصر وحدها ولا تشكل أنقوما نهائيا مطلقا متحققا سلفا. **(مخداني نسيمة: 2011، ص 588).**
- ✓ إن قراءة الهوية أو مساءلتها ليست مجرد عملية تنتمي إلى إثراء البحث العلمي والمعرفة العلمية؛ وإنما هي نشاط إنساني ضروري ينبغي له أن يكون دؤوبا كي يُسهم في تجديد الهوية والارتقاء بها من خلال تنزيل مطلقاتها في واقع الحياة الإنسانية، فهي معرفة الذات الفردية والجماعية بشكل عميق متشبع من الحضارة والثقافة معا.
- ✓ الهوية عملية تفاعل وتكامل؛ حيث أنها تتشكل عبر تفاعل وتكامل مجموعة من الرقائق التي تتراكم عبر الزمن، وهذا التفاعل والتكامل بين المكونات هو ما من شأنه خلق التوازن داخل الهوية، وتغييب أسباب الصراع والنفي؛ الأمر الذي يُسهم في الاتفاق العام حولها، سواء من طرف الجماعة أو الأفراد المكونين لهذه الجماعة.

(ميمونة مناصرية:2011، ص 101).

ثالثا/ وظائف الهوية:

تتمثل أهم وظائف الهوية فيما يلي :

❖ ضمان الاستمرارية التاريخية للأمة؛ إذ لا يمكن التشكيك في انتماءاتها.

❖ تحقيق درجة عالية من التجانس والانسجام بين السكان في مختلف جهات الوطن الواحد.

❖تمثل الهوية الجنسية والشخصية الوطنية التي تحافظ على صورة الأمة أمام الأمم الأخرى، وذلك من خلال الحفاظ على الكيان المميز لتلك الأمة.

(حكيمة بولشعب، نقلا عن: www.aranthropos.com **)**

❖ضمان الاستمرارية التاريخية للأمة، ويزداد الشعور بالأمة والهوية والانتماء عادة في ظروف الاحتلال؛ والخطر الخارجي ومختلف الأزمات التي تعصف بالأمم عادة؛ وبشكل لا يستثني أحدا، حينها لا يجد أفراد المجتمع سبيلا سوى الالتفاف حول مقومات الهوية الواحدة لإعادة اللحمة والتصدي الخارجي.

(محمد العربي ولد خليفة: 2003، ص 178).

رابعا/ مقومات الهوية:

يُعد موضوع الهوية ومقوماتها الأساسية من المواضيع المهمة، لما لهذه العناصر من أهمية في حياة تطور كل شعب، فهي بمثابة الرواسخ الثابتة لهويتهم الوطنية، باعتبارهم القالب الذي يجمع أفراد المجتمع بجميع مكوناته المتباينة داخل روابط مشتركة تقوم على المواطنة والولاء والانتماء لهذا الوطن، ويُقصد بالمقومات جُل العناصر والمكونات التي تدخل في مفهوم وتكوين الهوية الوطنية بشكل عام.

وإذا رجعنا للهوية الجزائرية بشكل خاص، دائما نرجع إلى الدستور الجزائري وإقراره بأهم مكونات الهوية الوطنية الجزائرية، والتي نعمل على أساسها لتحديد أهم المقومات الوطنية للدولة الجزائرية التي تحكم المجتمع الجزائري.

فحسب المادة (1) الجزائر جمهورية ديمقراطية شعبية، وهي وحدة لا تتجزأ، وجاء في المادة (2): "الإسلام دين الدولة" وحسب المادة (3): "اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية"، وقد تضمنت المادة (4): "أن تمازيغت هي كذلك لغة وطنية ورسمية".

(الدستور الجزائري، 2016، ص 6).

إذن نستخلص أن أهم مقومات الهوية الوطنية هي: الدولة الجزائرية، الإسلام دينها، اللغة العربية وتمازيغت هما لغتا الدولة.

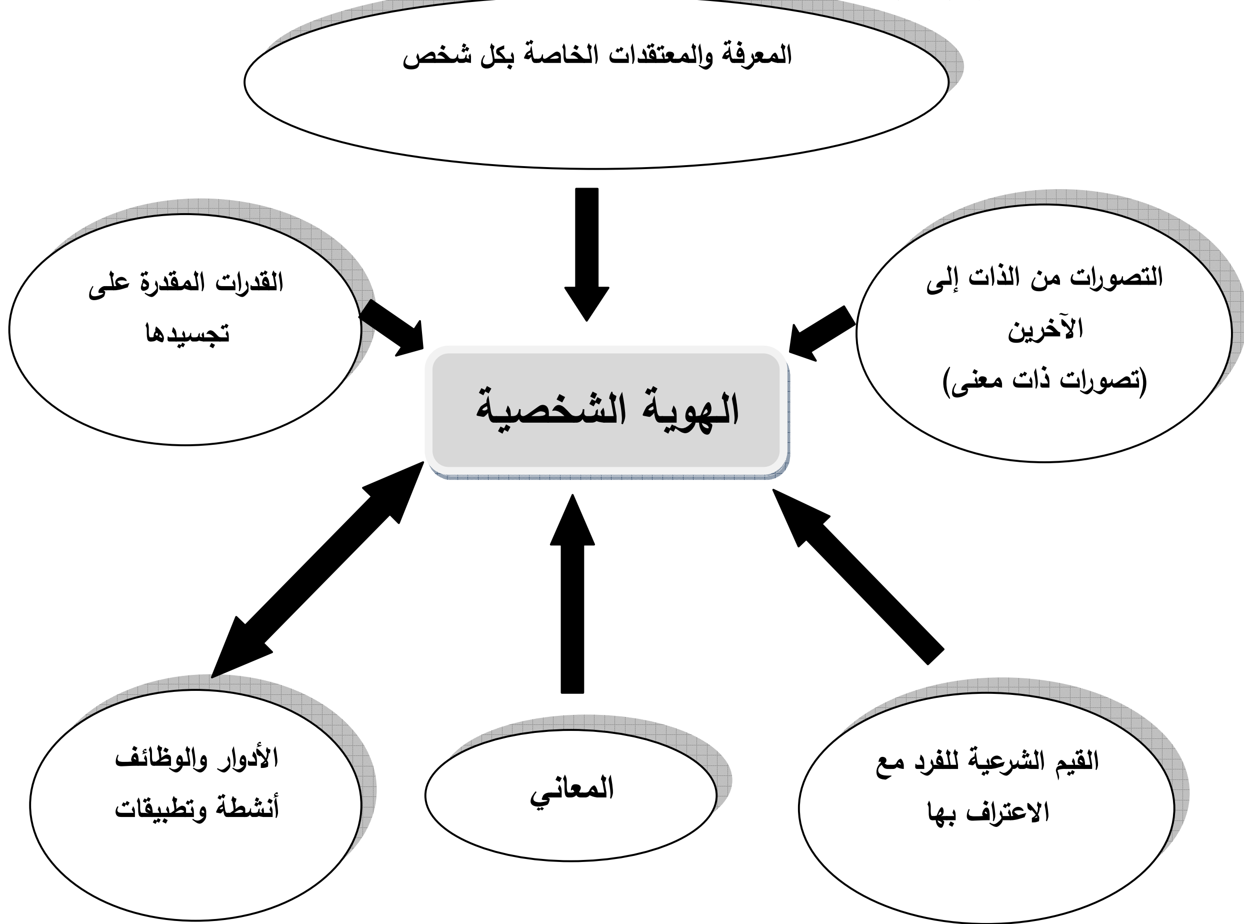
وقد تم إقرار مقومات الهوية الوطنية ليس في الدستور الجزائري لسنة (2016)؛ بل حتى من طرف الجمعيات الفاعلة أثناء الثورة الجزائرية، محاولين الدفاع عنها بترسيخها داخل المجتمع الجزائري، ومن بين هذه الجمعيات جمعية العلماء المسلمين في ندائها للشعب الجزائري في:21 أوت 1962: "نحن بحاجة لإدراك شخصية الجزائر وأن ننشأها من جديد، نحن جزائريون وهذا يعني أننا شعب يملك شخصية خاصة، هذه الشخصية ظهرت في الدين، اللغة، التقاليد والعادات، وأخيرا في التاريخ. **(Jean-Charless Cagnette, 2003, p.p.4-5).**

وبهذا الطرح نُعرج على الشخصية الجزائرية التي يجب أن يدركها الشباب الجزائري ويشعر بها "هو هو" تتشكل الهوية عبر مراحل بدايةً بالتنشئة الأسرية والقيم المختلفة لتتكون الهوية وسماتها الضرورية وفق المجتمع الجزائري ومتطلباته، وتتجسد في العامل الديني، العامل اللغوي والعامل التاريخي، كذلك قدراته الشخصية للاعتراف بهذه المقومات من خلال أدائه لأدواره ووظائفه وأنشطته الاجتماعية المختلقة.

فعلاقة الهوية بالشخصية هي علاقة إدراك الفرد لذاته، ولقد عرَفَ هذا المفهوم شيوعا في الدراسات السيكولوجية؛ حيث عرّفها "بيار تاب" (1976) بأنها "المسافة التي يقطعها الفرد بين

محاولة التميز عن الآخرين واضطراره للتطابق معهم، إنها جهد دائم لتوحيد آليات الذات وانسجامها الداخلي، تبطل ضرورات قوالب الثقافة التي يعيشها الفرد والمجتمع الذي ننشأ فيه، ذلك الإبطال نفسه هو الذي يدفعه لتحديد تميزه ورسم حدود هويته الشخصية، وتتواصل عملية الإبطال والإثبات والعودة إلى الإثبات مدى الحياة؛ حيث أصبح مفهوم الهوية الشخصية، يُستخدم للتعبير عن الهوية الاجتماعية والهوية الثقافية والعرقية، كلها مصطلحات تشير إلى توحد الذات مع وضع اجتماعي معين. **(طاوس وازي: 2012، ص 98).**

شكل رقم (03): يوضح العوامل التي تتدخل في تشكُل الهوية الشخصية



(المصدر : طاوس وازي: 2012، ص 98)

حسب "بيار تاب" في الشكل أعلاه والذي يوضح أهم العوامل المكونة لهوية الشخصية، التي تتلخص في معرفة الفرد لمعتقداته ومعانيه الخاصة بمجتمعه التي تنبع من تصوراته الذاتية للآخرين، وقيامه بأدواره ووظائفه... إلى جانب كل ذلك اعتراف الفرد بكل القيم الشرعية.

مما سبق جُل هذه العوامل تم التطرق لها كشعارات من طرف الرئيس "هواري بومدين" رحمه الله في قوله: "مكونات شخصيتنا هي: اللغة، الدين، الثقافة، هي نفس المكونات التي حاول الاستعمار العبث بها طوال أكثر من قرن، وحاول أن يبعدها عن طبيعتها أو يفسدها. **(Jean Charles Scagnette : 2003, P5).**

إذن من خلال ما تم التطرق له سنعرج على بعض مقومات الهوية فيما يلي:

1.4.الوطن: الذي ينطلق من الأرض؛ أي من المكان وما يرتبط به من زمان يعكس تاريخه، ليشمل مختلف العناصر الطبيعية والبشرية، وما ينشأ عنها من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية وأنماط سلوكية. **(عباس الجراري: دس، ص 67).**

والوطن بالنسبة للهوية الجزائرية هو رقعة جغرافية ذات حدود معلومة ينتمي إليها الشعب الجزائري، ويرتبط بها ارتباطا عاطفيا واجتماعيا، سياسيا، ثقافيا، اقتصاديا.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية الوطنية دولة عربية تقوم على ثوابت وطنية هي: الإسلام والعروبة والأمازيغية والأرض والتاريخ الطويل والثقافة المشتركة التي تجمع الأمة الجزائرية، تُطِل الجزائر على أكثر من نصف الجهة الجنوبية الغربية للبحر المتوسط وتحدُ سبع بلدان في إفريقيا، تُعد ملتقى الطرق لثلاث قارات.

(algerianembassy-kuwait.com).

2.4.الدين: الدين هو من أهم العناصر التي تُشكل وتقوم عليها الهوية وثقافة المجتمعات، وتبدو أهميته في تشكيل فكر الناس وسلوكهم في أنه دعوة لا تخاطب عقلية الإنسان فقط؛ وإنما تخاطب أيضا ضميره ووجدانه، لذلك فليس غريبا أن يكون الدين أو المذهب الديني عنصرا أساسيا في تكوين الطابع القومي، ذلك لأن الدين يولّد نوعا من الوحدة في شعور الأفراد الذين ينتمون إليه، ويثير في نفوسهم بعض العواطف والنزعات الخاصة التي تؤثر في أعمالهم؛ فالدين من هذه الوجهة من أهم الروابط الاجتماعية التي تربط الأفراد بعضهم ببعض. **(محمد عبد الرؤوف عطية: 2009، ص 44).**

وأكد "محمد عمارة" في كتابه "مخاطر العولمة" صفحة: 06، 07 أن الإسلام منذ أن تدينت به أغلبية هذه الأمة قد أصبح هو الهوية الممثلة لهوية لأصالة ثقافة هذه الأمة، فهو الذي

طبع ويطبع، وصبغ ويصبغ ثقافتها بطابعه وصبغته...إن ثقافتنا إسلامية الهوية، وأن معيار الدخول والخروج في ميدان ثقافتنا والقبول والرفض فيها هو المعيار الإسلامي.

فكما تمثل اللغة عامل من عوامل الهوية الوطنية؛ فإن الإسلام هو أحد دعائم القومية الشخصية الجزائرية، فكما يقول "صموئيل هنتغتون" عن أهمية الدين بالنسبة للهوية :" فالناس يعرفون أنفسهم من خلال النسب والدين واللغة والتاريخ والقيم والعادات والمؤسسات الاجتماعية، ويتطابقون مع الجماعات الثقافية قبائل وجماعات وثنية مجتمعات دينية"، هنا يبين أهمية عنصر الدين كمقوم ومركب للقومية الوطنية، والتي تُكسب الشعب حصانة قوية ضد كل محاولات الانصهار والذوبان مهما كان مصدرها وطبيعتها.

يوضح "مالك بن نبي" أن من شروط النهضة: الإنسان والتراب والوقت، ولا يمكنها أن تحدث أثرا ولا أن تجلب للبشرية تحضرا ورقيا ما لم يكن هناك عنصر حاسم في الدفع بهذه الثلاثة إلى ميدان الإعمار والشهود، هذا العنصر اللاحم المركب لشتات العناصر لن يكون أبدل سوى الدين بمفهومه الواسع عند كل الأمم، إن الأمم إما أن تكون مجموعة بشرية وأكواما من الناس لا ينتظمون في نظام، ولا يعملون لمقصد إنساني، وإما أن تجتمع على روابط ترصها في العمل الذي ترومه وتكدح من أجله، ولا يمكن بحال أن تنشأ حضارة في غيبة الدين، فيقول: "فالعلاقة الروحية بين الله وبين الإنسان هي التي تلد العلاقة الاجتماعية، وهذه بدورها تربط ما بين الإنسان وأخيه الإنسان".

(أحمد كافي، نقلا عن الموقع: www.binabi.net)

فالحضارة هي المظهر المادي للثقافة، والثقافة هي المظهر العقلي للحضارة.

(عمر أحمد همشري: 2003، ص 191)

وبازدواجية الحضارة والثقافة تتكون هوية مميزة لكل مجتمع عن الأخر، والدين الإسلامي هو البصمة المميزة لكل من الحضارة والثقافة، ومن ثمة هوية إسلامية؛ فالمبادئ والقيم الحضارية تمثل هوية المجتمعات العربية عن الغربية.

3.4.اللغة:

يقول "مالك بن نبي" في اللغة "أنه لم تعرف البشرية شعبا تطور بغير لغته".

هي وسيلة الإنسان لربط العلاقات، اللغة تسمح للإنسان بأن يعبّر عن أفكاره من طرف عدد كبير من الأفراد، مثال: الأنجليزية، الروسية، الإسبانية، العربية... اللغة هي وسيلة أو عنصر تقارب بين الناس، تحت التنوع اللغوي واللهجات لكي تصبح أية أمة متحدة ومنظمة يجب أن تمتلك لغة وطنية لغتنا الوطنية هي العربية، هي لغة ديننا، ثقافتنا وماضينا التاريخي. **(Ahmed Haneche: 1990, 308)**

تعتبر اللغة وعاء الثقافة لأنها تشتمل على تاريخ الأمة وعلى أدبها من نثر وشعر، وعلى تراثها الفكري من علوم ومعارف، ولذا فهي العنصر الأهم من العناصر البنائية لثقافة الأمة، وهي التي تهب الفرد انتمائه الحقيقي إلى مجتمعه القومي، وهي التي تجعل لكل مجتمع كيانه الثقافي والحضاري الذي يميزه عن سائر القوميات.

(محمد عبد الرؤوف عطية: 2009، ص 46).

لقد رسّخت اللغة الهوية العربية منذ الأزل؛ كيف لا وهي لغة القرآن الكريم، ولغة التراث العربي الأصيل، منبع الثقافة والحضارة العربية الإسلامية.

وقد حافظت اللغة العربية على استمرارية أمة عربية لها امتداد جغرافي واحد، وتاريخ مشترك واحد وتطلعات مستقبلية واحدة، ولهذا فالأمم التي لم تكن تملك وحدة اللغة تفتتت وانهارت، لأن العقل كان فيها منقسما على ذاته، والفكر كان فيها مغتربا عن واقعه.

ففي العصور الوسطى الإسلامية كانت اللغة العربية لغة كوكبية يهتم بها ويتعلمها كل من أراد أن يكون له العلم والمعرفة، وقد عبّر عن ذلك أسقف قرطبة عام (1492) بقوله: "إن الشباب النابه منصرف الآن إلى تعلم اللغة والأدب العربيين، يا للهول لقد نسوا حتى لغتهم، ولن تجد بين الألف منهم واحدا يستطيع كتابة خطاب باللغة اللاتينية؛ بينما تجد منهم عددا كبيرا لا يُحصَى ولا يُعد يتكلم اللغة العربية بطلاقة ويقرض الشعر أحسن من العرب أنفسهم". **(محمد إبراهيم عيد: 2001، ص 122).**

فاللغة العربية لغة سامية وراقية تعمل على خلق نمط تواصل وتفاعل بين أفراد المجتمع الواحد.

يُبرز "عبد الحميد بن باديس" دور اللغة في توحيد الكيان بقوله "تكاد لا تخلص أمة من الأمم لعرق واحد، وتكاد لا تكون أمة من الأمم لا تتكلم بلسان واحد، فليس الذي يكوّن الأمة ويربط أجزاءها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة؛ وإنما الذي يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد". (www.djelfa-info.com).

فاللغة العربية أساسية في جمع وحدة المجتمع الجزائري باختلاف الأعراق واللهجات الموجودة فيه، فهو مجتمع متنوع، لكن هذا التنوع لم يمنع من أن يجعل اللغة العربية هي العامل والرابط الذي يربطهم، مما يمكّنهم من التفاهم والخطاب بلغة واحدة فيما بينهم، إلى جانب اللغة الأمازيغية اللغة الثانية الوطنية بالدولة الجزائرية.

لطالما لاحظ المؤرخون المسلمون وجود اختلاف لساني كبير بين اللغات الأمازيغية والعربية، ساهم في بطء عملية التعريب التي أعقبت انتشار الدين الإسلامي والتي ارتكزت أساسا في الأمصار العربية الجديدة في المنطقة، فـ:"ابن خلدون" يلاحظ بخصوص البربر (سكان شمال إفريقيا) وعلاقتهم بالعرب وجود هذا الاختلاف حيث يقول: "والحق الذي تُشهد به المواطن:

(البعد الجغرافي) والعجمة (الاختلاف اللغوي) أنهم بمعزل عن العرب، وقبله علّق "المقدسي" على اللغات الأمازيغية بالقول: "...أما البربرية فلا يُستطاع فهمها أصلا...".

هذا البعد الكبير الموجود بين اللغات الأمازيغية المحلية واللغة العربية ساهم بشكل كبير في إعاقة عملية التعريب السريع التي عرفتها بعض المناطق مثل: الشام، والعراق؛ حيث كان للقرابة اللغوية الكبيرة هناك ما بين اللغات السامية من أرامية وبابلية وسريانية، وبين اللغة العربية، في تسريع عملية التعريب، تلك المناطق تعريبا كاملا؛ في حين أن الاختلاف اللغوي الكبير رغم الجذور الآفروآسيوية المشتركة بين اللغة العربية واللغات الأمازيغية، جعل عملية التعريب التي عرفتها المنطقة عملية بطيئة ممتدة زمنيا وغير مكتملة خاصة في المناطق الجبلية وتلك الغربية البعيدة جغرافيا عن المشرق (المغرب، الجزائر). **(محمد الكوخي ، 2014، ص ص 220-221).**

رغم ذلك، تُشكّل اللغة وعملية استعمالها عند جميع أفراد الأمة وسيط تتم عن طريقه مختلف العلاقات الاجتماعية دور عظيم في تكوين القومية وتحديد الطابع القومي، فهي أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد بغيره من الناس؛ حيث إنها واسطة التفاهم بين الأفراد؛ فضلا على أنها آلة التفكير، وذلك لأن اللفظ اللغوي ينطوي على معنى أو فكرة أو عاطفة، ولذلك فالكلمة هي معنى يحرك الفكر أو دافع يحرك السلوك، ومن وحدة اللغة تتحقق وحدة التفكير ووحدة السلوك بين الأفراد، ومن ثم يتحقق التماسك ومن ثم فاللغة التي ينشأ عليها الإنسان وتكيف تفكيره بكيفيات خاصة تمثل أيضا واسطة لنقل الأفكار والمكتسبات من الأسلاف إلى الأخلاف. **(محمد عبد الرؤوف عطية: 2009، ص 46).**

تُعد اللغة العربية والأمازيغية لغات رسمية للدولة وللجزائريين باعتبارهما رصيدا مشتركا لجميع أبناء الوطن دون استثناء معتمدين عليهما في التدريس على جميع المستويات فكلاهما أداة للتواصل بين فئات المجتمع إلى جانب اللهجات المحلية.

إن اللغة العربية هي علامة مميزة للهوية، يمكن لها أن تُسيس جيدا خاصة عندما تكون اللغة تعريف لمجموعة اجتماعية، كما يؤكد ذلك بشكل صحيح "سليكوكو" "Salicoco" هذه الوضعية السياسية التي تتعارض مع تلك التي تقلل من الدور التدخلي للعوامل السياسية بوضع قيمة كبيرة للميكانيزمات والعوامل المتبادلة التي تحكم هذا العالم المغلق، من هذا المنظور اللغة يمكن لها أن تُستعمل كنواة دائمة ومؤكدة للهوية الوطنية، بالأخص في الظروف غير الثابتة، والتي تميز مجتمعنا الجزائري، إذن اللغة لا يمكن أن تكون مضبوطة بشكل مستقل عن الموروث الثقافي الإيديولوجي والجمالي الذي تحمله بطريقة أو بأخرى، بالعكس اللغة لا تُستعمل للتواصل فقط؛ بل للتواجد أيضا، والمفكر "جاك بارك" يشرح الارتباط العميق للغة مع الهوية؛ فالإنسان يحاول دائما الدفاع وحماية لغته، ليس فقط كوسيلة للاتصال، ولكن كعربون لهويته ولانتمائه للمجموعة، إن الخطاب حول الهوية الوطنية يستلزم حوار متماسك وبدون نهاية.

.(DRIDI MOHAMED: 2007, p 14)

ولقد ذهبت "خولة طالب إبراهيمي" إلى أبعد من ذلك حين اعتبرت اللغة أداة يتحقق بها الاندماج الاجتماعي للفرد، وبناء ذاته الاجتماعية، وهي التي تضعه في صلة بالغير وتجعله ينخرط في سيرورة مزدوجة، حين يعترف الفرد بالهوية، وينتمي إلى زمرة اجتماعية معينة لغوية أو ما يسمى بالجماعة اللغوية في المجتمع الجزائري ذو تركيبة معقدة.

(طاوس وازي: 2012، ص 101).

إن فحص الوضعية اللغوية الجزائرية أفضى إلى وجود ثلاث لغات هي: العربية بنوعيها: العربية الفصحى والعامية البربرية الامازيغية باستعمالاتها العامية الكثيرة، الشاوية، التارغية، القبائلية، المزابية...وهي مختلفة عن بعضها البعض، أخيرا الفرنسية، انتشار هذه اللغات واللهجات هو أيضا جغرافيا ومهنيا، هذه الوضعية معقدة جدا بسبب الثالوث: اللهجة العربية، الأمازيغية، كلها عبارة عن ذرات للتعدد والتنوع في اللهجات الإقليمية والتي تشكل تقريبا استمرارية دائمة، بينما الفرنسية دائمة الحضور.

.(DRIDI Mohamed, 2007 : P 16)

بالرغم من ضرورة وأهمية اللغة في توحيد المجتمع، وترسيخ هويته العربية، فإن هذا لا يعني عدم إمكانية نهوض دولة موحدة يستعمل أفرادها أكثر من لغة واحدة، شرط المحافظة على اللغة العربية.

4.4. التاريخ:

يُعد التاريخ بمثابة شعور الأمة وذاكرتها، إذا كانت اللغة روح الأمة وحياتها ومحور قوميتها وعمودها الفقري، فلا تكون الأمة شخصيتها إلا بواسطة تاريخها الخاص، وإذا كانت لكل أمة هويتها أو نظامها الذي ينمو ويتطور بفعل ظروف الزمان والمكان جميعا، أو بفعل جملة الأحداث التي يمر بها الفرد والمجتمع على حد سواء، فإن التاريخ سيشكل الروابط القائمة بين أفراد المجتمع الواحد في جانب وبين المجتمع وغيره من المجتمعات من جانب آخر. **(محمد عبد الرؤوف عطية: 2009، ص ص 47، 48).**

إن العمق التاريخي للمجتمع الجزائري الذي يمتد من العهد النوميدي إلى الفتح الإسلامي وظهور الدولة الوطنية الأولى ألا وهي الدولة الرستمية، ومن بعدها الحمادية والزيانية ودخول الجزائر في عهود جديدة تحت قيادة العثمانيين، وبدايات ظهور الوعي الوطني في الحقبة

الاستعمارية الفرنسية وتأسيس الدولة الجزائرية الحديثة في عهد الأمير عبد القادر* من خلال الحفاظ على مقومات الهوية: الإسلام، اللغة العربية والبعد الأمازيغي، وخوض حرب تحريرية من أعتى الحروب أرّخت لهوية جديدة كُتبت بدماء الشهداء الأبرار. **(بودبزة ناصر، شوقي الشاذلي: 2011، ص 131).**

إذن يمثل التاريخ مرآة الهوية الجزائرية، تاريخ نضال ودفاع عن الوطن، وأهم المقومات الشخصية الممثلة للمجتمع المدني، فهو عامل توحيد وجمع بين الجزائريين، يقول "عبد الحميد بن باديس" "إن هذه الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت؛ بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وأخلاقها، وفي عنصريتها وفي دينها، ولا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود هو الوطن الجزائري، بحدوده الحالية المعروفة"، فتحدد وحدة اللغة، الفكر والأدب والعادات والتقاليد، القيّم بوحدة التاريخ، فجل العناصر السابقة نتيجة التحامها بالعامل التاريخي المكون للهوية.

لذا فإن العامل التاريخي من أهم عوامل تشكيل القومية، فهو الذي يصنع وجدان الأمة ويُكوّن ضميرها ويحدد فلسفتها ويبلور أهدافها، ولكي تكون جماعة من الناس أمة يجب أن تنصهر أولا في بوتقة التاريخ الذي يوحّد بين الأهداف، وينمي الإحساس بالانتماء. **(محمد عبد الرؤوف عطية: 2009، ص 48).**

خامسا/ المفاهيم القريبة للهوية:

---

* هو **الأمير عبد القادر ابن محي الدين** المعروف بـ **عبد القادر الجزائري** ولد قرب مدينة معسكر بالغرب الجزائري يوم الثلاثاء 6 سبتمبر 1808 الموافق لـ 15 رجب 1223 هـ، هو رائد سياسي وعسكري قاوم الجيش الفرنسي خمسة عشر عاما أثناء غزو فرنسا للجزائر هو أيضا كاتب وشاعر وفيلسوف واللاهوتي وصوفية. هو مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة ورمز للمقاومة الجزائرية ضد الاستعمار والاضطهاد الفرنسي.خاض معارك ضد الاحتلال الفرنسي للدفاع عن الوطن وبعدها نُفي إلى دمشق وتوفي فيها عبد القادر عالم الدين، الشاعر، الفيلسوف، السياسي والمحارب في آن واحد. اشتهر بمناهضته للاحتلال الفرنسي للجزائر. وتوفي يوم **26 مايو 1883** بدمشق. (نقلا عن: **http://elachraf.com**).

كان ولازال لمصطلح الهوية مكانة هامة بين المصطلحات العلمية الشائكة التي لها العديد من المفاهيم القريبة التي تحتاج دائما إلى بحوث وأعمال أكاديمية لتفسير كل ما يتعلق بها، فلو انغمسنا في هذا المصطلح المركب لوجدنا أنفسنا نقف عند بعض المفاهيم ذات دلالات سوسيولوجية ثقافية اقتصادية، سياسية، تحتم علينا الوقوف عندها، ونرى مدى العلاقة بينها وبين مصطلح الهوية، ومن هذه المصطلحات نجد: المواطنة، الانتماء والقومية.

1.5. المواطنة:

جاء في القاموس المحيط أن "الوطن" هو: "منزل الإقامة"؛ جمعها "أوطان" و"استوطنه" اتخذه وطنا، و"واطنه" على الأمر "وافقه"، حسب هذا التعريف يمكن لنا أن نستنتج أن مصطلح المواطنة في اللغة يعني انتساب الإنسان لبقعة أرض يستقر بها أي مكان الإقامة أو الاستقرار أو التربية. **(أسماء بن تركي: 2011، ص 171).**

وتُعرَّف المواطنة اصطلاحا حسب معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية أن صفة المواطن التي تحدد حقوقه وواجباته الوطنية، ويعرف الفرد حقوقه ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية، وتتميز المواطنة بشكل خاص بولاء المواطن لبلاده وخدمتها في أوقات السلم والحرب والتعاون مع المواطنين الآخرين في تحقيق الأهداف القومية.

(أحمد زكي بدوي: 1987، ص 60).

يرتبط مصطلح المواطنة ارتباطا وثيقا بالفرد والمجتمع والميزات المتواجدة لديهم، ولكي يصبح هذا الفرد لديه مواطنة حقيقية يجب مشاركته الفعالة في كل الأنظمة السياسية، الاقتصادية والاجتماعية خاصة مع الظروف الحالية التي يشهدها العالم من مشاكل عرقية بين الأقليات، فنجد داخل المجتمع الواحد العديد من الأقليات والثقافات المتعددة التي تسعى جاهدة

لإثبات وجودها، لكن هذا انعكس على المفهوم الحقيقي للمواطنة الحقة وهي الانسجام والتكاثف على جميع الأصعدة.

وهذا ما أكده "بانكس" أن المواطن هو ذلك الفرد الذي يقطن في إحدى الدول القومية، ويتمتع بمجموعة محددة من الحقوق والامتيازات؛ فضلا عن الواجبات تجاه تلك الدولة من قبيل الشعور بالولاء والانتماء تجاه حكومتها، ومن خلاله يُعرّف المواطنة بأنها "تمثل وضعية أو مكانة الفرد في المجتمع باعتباره مواطنا".

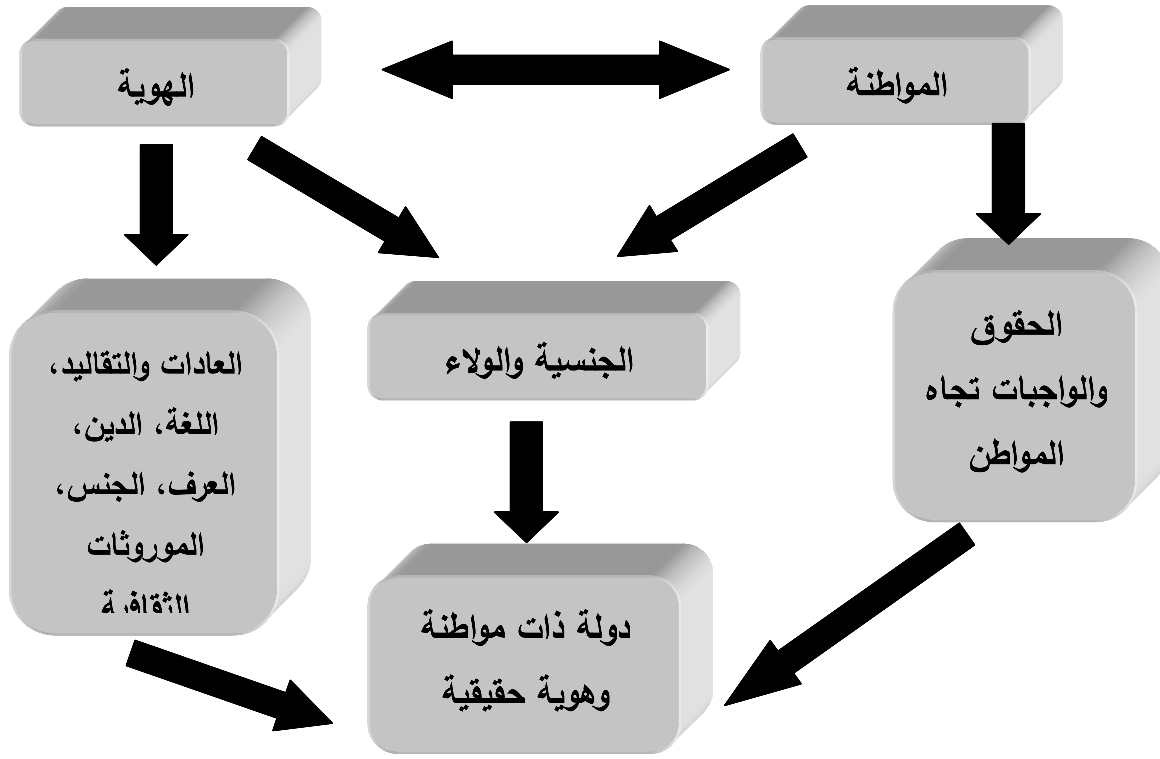
(أسماء بن تركي: 2011، ص 173).

أما الهوية لدى علماء الاجتماع خاصة هي "مجموع التصنيفات الانتمائية التي يرى بواسطتها الإنسان نفسه ومحيطه"، وهي تضم التصنيفات القائمة على اللغة والدين والعرق والجنس والأدب والموسيقى والعادات والتقاليد والوطن والتاريخ والطبقة، باختصار جميع الانتماءات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية، وما إلى ذلك من التصنيفات التي لها تأثير لا شعوري غالبا –على سلوكيات الإنسان وتصرفاته تجاه الأفراد والمجتمع، وتجعل الناس يشعرون بأنهم يشتركون أو يختلفون مع أفراد آخرين من نوعنا البشري.

(محمد الكوخي: 2014، ص 13).

فالهوية والمواطنة علاقة وثيقة الصلة بينهما؛ فتجسيد المواطنة من خلال الولاء للوطن والدولة خاصة بعد معرفة الحقوق والواجبات التي يجب أن يمارسها الفرد المواطن بالضرورة يحافظ على كل المكونات الهوياتية لمجتمعه ودولته، خاصة فئة الشباب، وفي الشكل الآتي حاولتُ شرح العلاقة بين المواطنة والهوية، وكيف تخلص المفاهيم المشتركة إلى دولة متجانسة من ناحية المواطنة والهوية معا.

الشكل رقم (04): يوضح العلاقة بين المواطنة والهوية



المصدر: من إعداد الباحثة.

ونظرا لما طرأ ويطرأ على مناحي الحياة اليومية للشباب من تغيرات ومستجدات بفعل التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، والتي تزداد وتيرتها تسارعا في العصر الحالي، وما ترتب عن ذلك من مشكلات نفسية واجتماعية تزامنا مع التقدم الحضاري والتنوع والتطور التكنولوجي وسهولة التفاعل والتواصل الثقافي والمعلوماتي الذي حدث بفعل عولمة أنظمة المجتمع الإنساني المستدخلة طوعا وفرضا والذي جعل من العالم بأسره قرية واحدة. **(نصر الدين جابر، يمينة غسيري: 2014، ص 1).**

فاحتلت قيّم العولمة والصناعة الثقافية محل المواطنة وقيّمها المجتمعية؛ سياسية، اجتماعية، اقتصادية كانت أم ثقافية.

وعلى اعتبار أن المواطنة تكمن في قلب الحياة الاجتماعية والتماسك الاجتماعي، وكي يتمكن الأفراد في المجتمع، ويضمن حياتهم اليومية في ممارسة السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل ديمقراطي في مجتمعاتهم، فإن عليهم بالأساس أن يكونوا على دراية ووعي كافيين

بمعنى المواطنة وأبعادها ومرتكزاتها، ومن ثم تكون لديهم القدرة على ممارسة مبادئ الديمقراطية في حياتهم اليومية؛ بحيث تكون الديمقراطية جزءًا من الثقافة المجتمعية السائدة بين الحين والآخر. **(أسماء بن تركي: 2011، ص 174).**

2.5.القومية:

يُعد مفهوم القومية أحد أكثر المفاهيم إثارة للنقاش والجدل في العصر الحديث، وذلك بسبب التجاذبات الكبيرة التي تفرضها استخداماته في شرح وتفسير الظواهر السياسية والاجتماعية، ما جعل عدد كبير من الباحثين وعلماء الاجتماع يرفضون وجود تعريف موضوعي وموحد لهذا المفهوم، مكتفين فقط بتعاريف ذاتية وأخرى تاريخية، هذا الغموض في تحديد الدلالات مفهوم القومية رغم الأهمية القصوى التي تعطي له هو ما دفع بأحد أهم الدارسين لهذا المفهوم "فريديريك هرتز" إلى التساؤل بجدية عن السبب الذي أعطى فكرة القومية، كل تلك القوة الكبيرة في العصر الحديث؟ ليجيب عن هذا السؤال بأننا في الحقيقة لا نعلم ما هو السبب بالضبط، وإذا كان التعريف الاصطلاحي للقومية يجعل منها مرادفا لكلمة الأمة؛ أي بمعنى "مجموعة الناس الذين تجمعهم هوية واحدة مشتركة فيما بينهم تميزهم عن المجموعات الأخرى المختلفة"، فإن هذا التعريف يحيل بدوره إلى مفهوم آخر هو مفهوم الهوية ويجعل منها مفتاحا لتعريف القومية، يسقط هو الآخر ضمن إشكالات عديدة مرتبطة بدلالات الهوية نفسها. **(محمد الكوخي: 2014، ص 17).**

3.5. الانتماء:

الانتماء لغة: الانتساب، يقال: انتمى فلانٌ إلى فلان إذا ارتفع إليه في النسب، ويشترك تعريف الانتماء؛ اصطلاحا مع التعريف اللغوي بأن كليهما انتساب، ويمكن تعريف الانتماء اصطلاحا

بصورة عامة بأنه الانتساب الحقيقي إلى أمر معين فكرا، وتجسده الجوارح عملا، وبما أن الانتماء انتساب الفرد لوطنه، فإن هذا ما يعبِر عنه بالجنسية.

(سميح حمد الكراسنة، وليد أحمد وآخرون، ص 05، نقلا عن:www.alijubran.net).

يُعد الانتماء، الانتساب، الولاء في المفاهيم ذات الصلة بمفهوم الهوية، إن لم نقل يُعد في تفسيراتها البديلة خاصة على المستوى السياسي، فهو يُستعمل في المحافل الدولية لمعالجة القضايا الكبرى لأي دولة من الدول، ولقد تناول العديد من المهتمين موضوع الانتماء وعلاقته بالانتساب والولاء للوطن، وهو الانتساب الحقيقي للفرد فكرا ووجدانا ومدى اعتزازه بهذا الانتماء خاصة لما تمثله هوية اجتماعية تحكمها معايير ومقومات معينة؛ فالانتماء بهذه الصورة هو ميكانيزم الضمير الجمعي يوجه الفرد إلى كل ما له وما عليه داخل إطار وطنه، فتماسك الوطن والجماعات المكونة له تعتمد على مدى انتساب وولاء هذا الفرد وانتمائه له.

يقول "مجدي أبو زيد" مؤكدا أهمية القدرة الكشفية والتحليلية لمفهوم الانتماء: "يُعد الانتماء محورا مفصليا يكشف الكثير عن الآلية النفسية التي تتحكم في علائقية المجتمع بأفراده، ومازال الكثيرون ينظرون إلى الانتماء على أنه يخص الجانب السياسي وتجلياته؛ في حين أنه يتجذر في كافة الجوانب الاقتصادية والثقافية والاجتماعية. **(علي أسعد وطفة، 1992، ص 154).**

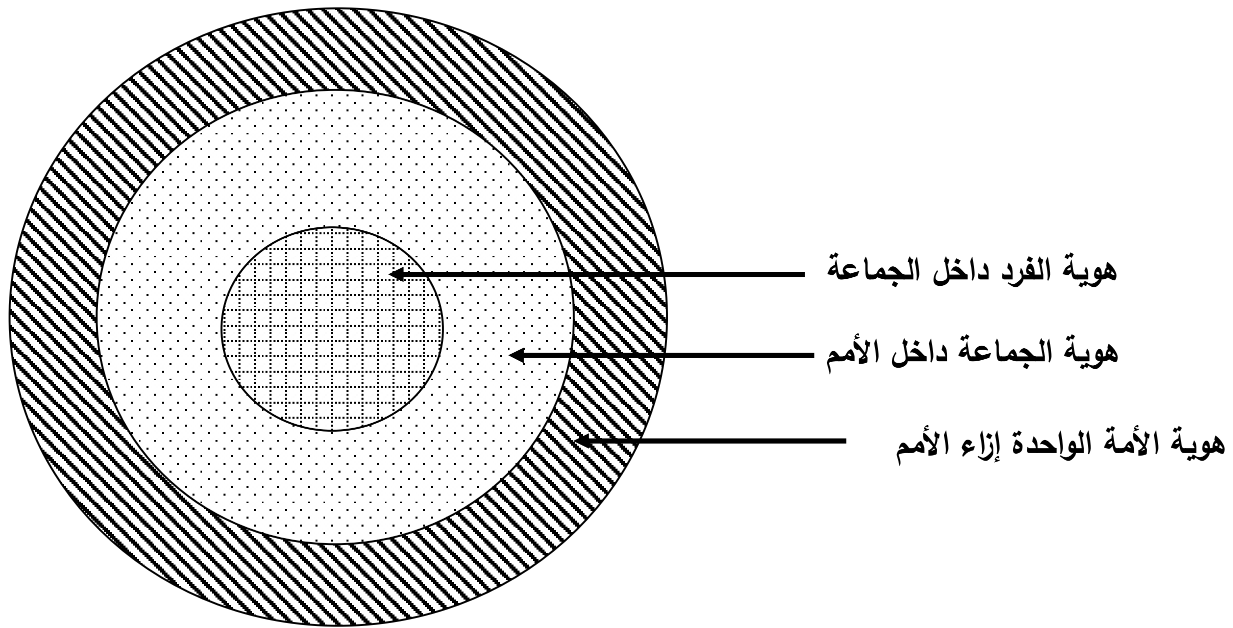
ما نستشفه من هذا التعريف أن الانتماء لُب العلاقة التي تحكم الفرد بالمجتمع خاصة على المستوى النفسي؛ ضف إلى ذلك أن هذا المفهوم وتجلياته لا نجدها في الجانب السياسي فقط؛ وإنما يمتد على أصعدة أخرى، هذا إن دل فإنما يدل على أنه مصطلح متشعب وواسع جدا، ذا دلالات مرتبطة بالجانب الاقتصادي، الاجتماعي والثقافي؛ فالفرد يجب أن يكون على درجة عالية من الانتماء تمسح له بتوسيع اهتماماته وواجباته وحاجاته داخل وطنه، لكي لا يكون هذا

الانتساب نفسي وجداني فقط؛ هنا تبرز القيّم الفعلية للانتماء، ألا وهي الوحدة الوطنية بتلاحم أفراد المجتمع وأهم ما يكونه.

مما سبق تتوضح تدريجيا علاقة الانتماء بالهوية، فلكَي تظهر جليا سِمات الهوية الحقيقية لكل فرد من أفراد المجتمع، يجب أن يكون له إحساس بالانتماء إلى الجماعة، فينتقل من مستوى الهوية الفردية إلى الهوية الاجتماعية خاصة لما ينمي هذا الانتماء والشعور بالولاء من طرف الجماعة إلى الوطن، وإذا تكونت هوية فردية وهوية جمعية يخلق لديه هوية الأمة الواحدة مقابل الأمم الأخرى، في هذا المستوى يكون الفرد على درجة عالية من الوعي المجتمعي، الاجتماعي ،الاقتصادي ،الثقافي والسياسي، وبكل ما تمر به الأمم مقابل أمته بالطبع.

مما يجعله يدرك التعدد الثقافي والتعدد الهوياتي أيضا، فيكون هو وهويته الاجتماعية على المحك، هل تتم المحافظة على هذا الانتماء والولاء، وبالتالي حفاظه على هويته؟ أم العكس؟ بمعنى ضرورة إكسابه درع واقي ضد كل المؤثرات السلبية التي من شأنها أن تكسر وتذيب هويته في هويات أخرى مغايرة لينتقل إلى مستويات أخرى هي اغتراب هوياتي واختراق ثقافي.

وهذا ما أوضحه "الجابري" عندما بيّن مستويات الهوية التي تضيق وتتسع من المستوى الذاتي إلى المستوى المحلي، إلى المستوى وطني، فهي متغيرة بين هذه المستويات؛ بحسب المصالح والخطر الذي يتهددها، ويشرح ذلك من خلال تقسيمه لمستويات الهوية إلى ثلاث مستويات متداخلة وهي:



شكل رقم (05) يوضح مستويات الهوية حسب الجابري.

المصدر: (www.cpas-egypt.com)

فالهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتمايز والديمومة والجهد المركزي، وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز مما سواه ويشعر بوحدته الذاتية.

(أسعد علي وطفة، دس، ص 158).

أما "ثروت إسحاق" فيُعرّف الانتماء بأنه "هو شعور الفرد بذاته ومكانته داخل المجتمع، وشعوره بالأمان والرضا والثقة في هذا الوطن، وكذلك شعوره بالتوحد في هذا المجتمع وأنه جزء لا يتجزأ عنه بما يشتمل عليه من قيّم تربوية واجتماعية ودينية". **(أسماء بن تركي: 2011، ص 179).**

ومن أجل تحديد ظلال التمايز بين مفهومي الانتماء والهوية يمكن أن نسجل ثلاثة عناصر من عناصر التباين بينهما:

- ❖ يتميز مفهوم الهوية بطابع الشمولية، ويشكل الانتماء عنصر من عناصر الهوية؛ فالهوية تتكون من شبكة من الانتماءات والمعايير.
- ❖ يأخذ مفهوم الهوية طابعا سيكولوجيا وفلسفيا بالدرجة الأولى؛ حيث يوظّف بشكل واسع في مجال الفلسفة، ويُشكّل مبدأ الهوية واحدا من أقدم المبادئ الفلسفية وقوامه (أ=أ)؛ أي أن الشيء هو نفسه، وعلى خلاف ذلك يأخذ مفهوم الانتماء طابعا سوسيولوجيا، ويوظَّف غالبا في مجال الأدب والسياسة وعلم الاجتماع.
- ❖ مفهوم الهوية مفهوما شاملا يوظَّف للدلالة على ظواهر مادية غير إنسانية؛ بينما يتفرد مفهوم الانتماء بالدلالة على الظاهرة الإنسانية دون غيرها من الظواهر.

(علي أسعد وطفة، دس، ص 158).

سادسا/ الهوية الجزائرية:

تُعد الهوية الجزائرية من بين الهويات العريقة والمتنوعة المتجذرة عبر التاريخ وأحداثه، فهي هوية تحافظ على الأصل حتى وإن توفر التعدد، نظرا للمراحل التي مر بها المجتمع الجزائري، خاصة مرحلة الاستعمار وما حمله من سياسات كان الهدف منها هو طمس معالم الهوية الوطنية والدولة الجزائرية وجعلهما يذوبان في الجزائر فرنسية؛ فالاستعمار الفرنسي سعى لكسر وتذويب المقومات الهوياتية للدولة الجزائرية، بداية باللغة، ثم التاريخ والدين.

فالشعب الجزائري شعب حر ومصمم على البقاء حرا، فتاريخه الممتدة جذوره عبر آلاف السنين؛ سلسلته متصلة الحلقات من الكفاح والجهاد جعلت الجزائر دائما منبت الحرية وأرض العزة والكرامة، وكان الفاتح من نوفمبر 1954 نقطة تحوّل فاصلة في تقرير مصيرها وتتويجا عظيما لمقاومة ضروس واجهت بها مختلف الاعتداءات على ثقافتها، وقيّمها والمكونات الأساسية لهويتها وهي الإسلام والعروبة والأمازيغية التي تعمل الدولة دائما لترقية وتطوير كل

واحدة منها، وتمتد جذور نضالها اليوم في شتى الميادين في ماضي أمتها المجيد. **(الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية: 2016، ص 4).**

فجوهر الهوية الجزائرية الدين الإسلامي الذي كرّم الإنسان بالعقل والتفكير والحرية؛ إضافة إلى العروبة واللغة العربية التي صنعت هذا التفكير وجعلت منه وحدة أساسية لا تتجزأ تحت أي ظرف من الظروف الاستعمارية التي حاولت انصهارها في بوتقة اللغة الفرنسية، فنحن لا ننكر قيمة التنوع في استخدامات اللغات، لكن تبقى اللغة العربية هي في الصدارة إلى جانب اللغة الأمازيغية، فحسب المادة (04) من الدستور الجزائري ضمن الباب الأول الخاص بالمبادئ العامة التي تحكم المجتمع الجزائري، الفصل الأول (الجزائر)، تُعد تمازيغت هي كذلك لغة وطنية رسمية تعمل الدولة على ترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراب الوطني.

إن المجتمع الجزائري وهويته، مجتمع ثري وعريق الأصول لديه كل المقومات والإمكانيات التي جعلت منه كيان قوي حافظ على كل ما له علاقة بالانتماء إلى الدولة الجزائرية طيلة مراحل تكوينه ونضاله، خاصة لما كان تحت نير الاحتلال الاستيطاني الفرنسي، محاولا طمس هوية الشعب الجزائري.

إن تشكل الهوية الجزائرية يعود إلى قرون خلت، وهي تلك التي تعلقت بظهور الفتوحات الإسلامية في بلاد المغرب، ولقد لعب الإسلام دوره في شمال إفريقيا كما لعبه في الجزيرة العربية واعتنقه البربر، لا لأنه دين عادل فحسب؛ بل لأنه أداة تطور اقتصادي واجتماعي؛ فضلا عن كونه داعيا للوحدة السياسية؛ حيث وبموجب ذلك سارع أهل الأرض إلى التخلي عن النظام القبلي، وتشكيل نظام سياسي.....وعلى الصعيد الثقافي كان تأثير الحضارة العربية واضحا، وحركة التعريب، وإن كانت أبطأ من حركة الأسلمة تجتاح تدريجيا المدن ثم السهول

وأخيرا الجبال، هذا وإن بقيت اللغة المحكية البربرية؛ إلا أن الثقافة المكتوبة كانت بالعربية، بينما الحياة العلمية والفنية في المغرب الأوسط لا تنفصل عن بعضها البعض، وهي مزيج من الإنتاج –الشرق الوسطي والأندلسي، ومع أن المغرب يشغل جزء من المساحة الفكرية العربية الإسلامية، إلا أن له منزلة أساسية. **(ميمونة مناصرية: 2011، ص ص 281، 282).**

وعليه، ومما سبق فالهوية الجزائرية مرت عبر حقب زمنية متنوعة، فما قدمته الحضارة العربية الإسلامية من تراث فكري حضاري راسخ لا يمكن الاستغناء عنه؛ بل دعّم المعالم الأساسية للهوية الجزائرية في لغة غريبة إلى الدين الإسلامي الحنيف، لكن تبقى المرحلة الأساسية التي أثّرت على الهوية الجزائرية هي مرحلة الاستيطان الفرنسي.

إن إصرار السلطات الاستعمارية الفرنسية على إلغاء هوية الكيان الجزائري منذ بدايات الاحتلال هو الذي جعل موضوع الهوية في الجزائر ميدانا للكفاح الوطني، وموضوعا للمقاومة الشعبية، فما إن أعلنت الجمهورية الفرنسية الثانية في: 24 فبراير 1948، وصادق المجلس الوطني الفرنسي التأسيسي على دستور جديد (دستور 1848) في: 04 نوفمبر من السنة نفسها حتى تقرر إلحاق الجزائر بفرنسا واعتبارها جزءً منها... فقد ورد في الفصل العاشر من ذلك الدستور وفي المادة (109) ما نصه "الجزائر أرض فرنسية ولمقاربة التواريخ بعضها ببعض، نذكر بأن مقاومة الأمير عبد القادر انتهت في: 21 ديسمبر 1847، وبعد نحو شهر من ذلك العدوان الدستوري السافر على سيادتنا الوطنية أصدر رئيس الحكومة الفرنسية المؤقتة في: 09 ديسمبر 1848 قرارا يقضي باستحداث "ثلاث عمالات فرنسية للجزائر"، كما كانت تسمى– أي ولايات– والثلاث المقصودة هي: الجزائر، وهران وقسنطينة.

(علي بن محمد: 2012، نقلا عن الموقع: www.echoroukonline.com)

أدت التحولات التي فرضها الاستعمار الأجنبي بمجرد وصوله إلى المنطقة إلى بروز أزمة عميقة في منظومة القيّم والتي تحكم المجتمع، وفي النسيج الاجتماعي والثقافي الذي كان سائدا فيه؛ حيث جرى الانتقال بالمجتمع سريعا وعنيفا في منظومة قيم تقليدية تقوم على قيم الجماعة والانصهار فيها وعلى التضامن والحماية التي توفرها تلك الجماعة إلى نموذج آخر مختلف تماما هو نموذج القيم الفردانية في المجتمع، والتي تقوم على أساس الحرية الفردية في الاقتصاد وعلى المواطنة والديمقراطية في السياسة وعلاقة الأفراد بالدولة. **(محمد الكوخي: 2014، ص ص 337، 338).**

تسببت السياسة الاستعمارية في فقدان المجتمع الجزائري نُخبه التقليدية المكونة أساسا من البرجوازية الحضرية ونظام الأعيان، وأدى وجود مجتمعين يعيشان جنبا إلى جنب أحدهما تقليدي يُسمى مجتمع الأهالي والثاني أوروبي يسمى مجتمع المعمرين، وصار هؤلاء لا يشكلون ربع إجمالي السكان بحلول أوائل القرن الـ: 20، في سنة 1930. أدت الاحتفالات الرسمية التي نظمتها السلطات الفرنسية بمناسبة مرور قرن على احتلال الجزائر إلى اندلاع الروح الوطنية في صفوف فئات مختلفة من الشعب الجزائري كانت تلك علامة على تشكل نخبة جديدة تمثل الحركة الوطنية الجزائرية، والتي كانت بوادرها الأولى بدأت في التشكل منذ نهاية الحرب العالمية الثانية مع انتقال مركز الثقل في حركة النضال ضد الاستعمار من البوادي (مقاومة القبائل المسلحة) إلى المدن والحواضر مع بروز الأحزاب السياسية والنقابات العمالية والصحافة الوطنية.

(محمد الكوخي: 2014، ص 355).

ومن بين هذه النخب نذكر منها حزبين كانا بدورهما الفعال أساسا للحفاظ على الهوية الوطنية الجزائرية . أولهما مثله "مصالي الحاج*" و"فرحات عباس**" واللذان مارسا العمل السياسي منذ البدايات الأولى للدولة الجزائرية وتاريخها، وتمثل الحزب الثاني في جمعية العلماء المسلمين للشيخ "عبد الحميد بن باديس" وهو المشهور بأبياته التالية التي تُعد دليل وبرهان على هوية الشعب الجزائري:

شعـــــــب الجــــزائر مسلــــم

وإلــــتى العــــروبة ينتســـــــب

مـــــن قـــــال حـــــــاد عن أصله

أو قـــــال مـــــات فقـــــد كـــذب

فلقد استطاعت هذه الأحزاب والحركات المحافظة إلى أقصى الحدود على الدولة وكيانها وهويتها الوطنية، ومن الضروري جدا التطرق لكل هذه المعلومات والحيثيات التاريخية، فإن لم يتم ذكرها يكون إجحاف في حق الشخصيات التي كُتبت أسماؤها في تاريخ الجزائر والسياسي والثقافي بقوة.

---

* **مصالي الحاج:** من مواليد 16 ماي 1898م بتلمسان، في جوان 1926 تأسس بباريس حزب نجم شمال إفريقيا والذي عُن أمينا عاما له، ليصبح رئيسا له في 28 ماي 1933، كما يعود إليه فضل تأسيس حزب الشعب الجزائري بتاريخ: 11 مارس 1937 الذي حُدد مقره في الجزائر، وفي أكتوبر 1946 أنشأ حركة انتصار الحريات الديمقراطية، له العديد من الأعمال التي يحفظها له تاريخ الجزائر على غرار انضمامه إلى اقتراحات ديغول حول تقرير المصير في: 05 جوان 1958، ثم امتنع عن المشاركة في ندوة إيفيان (1961)، وافته المنية في: 03 جوان 1974 بفرنسا ودفن بتلمسان يوم: 07 جوان. (بنيامين سطورا، (2002) **مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974م**، ترجمة: الصادق عماري، مصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال).

** **فرحات عباس:** ولد يوم الخميس: 24 أوت 1899 بدوار الشحنة بدلية الطاهير ولاية جيجل، سعى في العشرينيات من عمره للتحرر الاجتماعي والاقتصادي للفلاحين، اقتحم المجال السياسي في الثلاثينيات من عمره، تحصل البكالوريا في سنة 1921، تخرج من الجامعة بدبلوم صيدلي سنة 1931، في 19 سبتمبر 1958 تأسست الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي حلت محل لجنة التنسيق والتنفيذ، وعُين فرحات عباس رئيسا لها، توفي رحمة الله يوم: الثلاثاء 24 ديسمبر 1985. (نقلا عن: عز الدين معزة، 2005/2004، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899-1985)، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة).

تركزت أفكارهم في محاولة الدفاع عن الهوية الإسلامية واللغة العربية في مواجهة الحداثة والنظام الحديث الذي فرضه الاستعمار بالقوة، تكفَل التيار الثاني (عبد الحميد بن باديس*) بمحاولة تأسيس الهوية الوطنية للشعب الجزائري وإعداده لخوض النضال ضد الاستعمار. **(محمد الكوخي، 2014، ص356).**

واستمرت المقاومة والثورة ضد الاستيطان الفرنسي حتى تم الحصول على استقلالية الدولة الجزائرية في سنة (1962)، هنا بدأت مرحلة جديدة (بعد الاستعمار) للهوية الجزائرية، لكن كانت على الصعيد السياسي أكثر من أي مجال آخر.

بدأت بوادر الصراع في البروز بين القِوى المختلفة المكونة للجبهة، وكانت أولى ضحايا هذا الصراع النخب الحضرية التي أيدت الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية المقيمة بالمنفى والتي تأسست في مؤتمر طنجة سنة (1958)، وكان "فرحات عباس" رئيسا لها، و"أحمد بن بلة" نائبا له، وما إن انسحبت القوات الفرنسية من الجزائر بعد إعلان الاستقلال سنة (1962) حتى اندلع صراع بين القِوى السياسية المختلفة كان أحد أسبابه الفراغ الكبير الذي خلّفه الانسحاب المفاجئ للسلطات الاستعمارية الفرنسية.

(محمد الكوخي، 2014، ص 358).

---

* **العلامة عبد الحميد بن باديس:** ولد عام 1889 ينتمى الشيخ لأسرة عريقة ضمت العديد من أهل العلم والفكر والسياسة والقضاء ولعب دورا بارزا فى الحفاظ على الهوية الجزائرية بمكوناتها الأصيلة العربية والإسلامي،ة حفظ القرآن وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ثم تتلمذ على الشيخ حمدان الونيسي، وهو من أوائل الشيوخ الذين كان لهم أثر طيب في اتجاهه الديني، وفي سنة (1327هم 1908 م) التحق الشيخ عبد الحميد بجامع الزيتونة بتونس، فأخذ عن جماعة من كبار علمائها الأجلاّء، وعاد ابن باديس إلى الجزائر عام1913 م واستقر في مدينة قسنطينة، وشرع في العمل التربوي الذي صمم عليه، فبدأ بدروس للصغار ثم للكبار، وكان المسجد هو المركز الرئيسي لنشاطه، ثم تبلورت لديه فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين، واهتماماته كثيرة لا يكتفي أو يقنع بوجهة واحدة، فاتجه إلى الصحافة، وأصدر جريد المنتقد عام 1925 م وأغلقت بعد العدد الثامن عشر؛ فأصدر جريدة الشهاب الأسبوعية، التي بث فيها آراءه في الإصلاح، واستمرت كجريدة حتى عام 1929 م ثم تحولت إلى مجلة شهرية علمية، وكان شعارها: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك في سنة 1931 في نادي الترقي بالجزائر العاصمة، انتقل الى رحاب ربه عام 1940 . (**علماء إفريقيا عبد الحميد بن باديس** نقلا عن: www.sis.gov.eg، تاريخ الزيارة: 2016/09/03، الساعة: 16:03).

في هذه المرحلة تأثرت الهوية الجزائرية خاصة اللغة العربية وما خلّفته السياسة الفرنسية من آثار عليها، ولم تقتصر على اللغة فقط؛ بل امتدت إلى طريقة العيش واللباس الخاص بالجزائريين، فأصبح أغلبهم يتمطون بنمط المعيشة الفرنسية، خاصة بعدما تراكمت علامات التفكك الاجتماعي؛ فالجزائر استقلت سياسيا، لكنها اقتصاديا –اجتماعيا بقيت تابعة لفرنسا، خاصة بعد لجوء العديد من الجزائريين لفرنسا بغرض طلب مناصب عمل؛ وبالتالي حاولت الدولة الجزائرية في الحقبة التاريخية بعد (1962) محاولة ترميم كل ما تم كسره من قِبل المستدمر الفرنسي على جميع المستويات.

إذن؛ انطلقت الجزائر بعد استرجاع السيادة الوطنية محاولة لملمة جروحها والعمل من أجل بناء قاعدة صلبة تتكئ عليها مستقبلا في عمليات البناء والتشييد لا سيما فيما يخص الاقتصاد الوطني؛ فكانت المدرسة هي أولى الأهداف وذلك من أجل تخريج جيل متعلم متشبع بالقيم الوطنية وناطق باللغة العربية وإحياء التراث الوطني مع رفض جميع أشكال التغريب الثقافي...؛ غير أنه ورغم التحمس الكبير الذي عرفته النخبة آنذاك في عمليات الإصلاح؛ إلا أن بقايا الاستعمار من أبناء فرنسا وذوي الانتماء الفرنكفوني كانوا ينشطون في التيار المعاكس لإحباط أي محاولة لقطع الحبل السري الذي يفصلنا عن "ماما فرنسا"، ونظرا لضعف التيار القومي العربي، فقد كانوا أصحاب الغلبة بامتياز، وهو ما يبرر فرنسة مؤسساتنا الوطنية وهيئاتنا الرسمية وأغلب وزاراتنا بعد مرور أكثر من نصف قرن على الاستقلال، بل وتغليب لغة المستعمر على اللغة الوطنية الرسمية حتى في المناهج الدراسية وتغييب كل من يطالب بالتعريب، لتبقى الجزائر إلى يومنا هذا أمام تحديات لا تزال ترافقها مند نيل استقلالها خاصة على مستوى إثبات الهوية الوطنية بعيدا عن التشويهات الغربية والآثار الاستعمارية التي لا تزال عالقة بثقافتنا للأسف.

(آسية مجوري، 2014، نقلا عن: www.djazairess.com).

سابعا/ نظريات الهوية:

يأخذ مفهوم الهوية طابع الشمولية، التعدد والشساعة الكبيرة جدا؛ بحيث يصعب علينا وضع فكرة محددة وواضحة تفسره مثل باقي المفاهيم من الناحية السوسيولوجية خاصة، فنجده متداول في الفكر الفلسفي النفسي وحتى الأنثروبولوجي، كل له وجهة ومنطلق معين في تفسيره، بالموازاة مع ذلك نجد هذا التنوع والتعدد والصعوبة في التحديد حتى على مستوى المكونات والمقومات التي يتميز ويتكون بها هذا المصطلح.

إذن من الضروري جدا محاولة تفسيرها بناءً على نظريات اجتماعية-نفسية علمية لتكتمل الرؤية السوسيولوجية لهذه الدراسة بمحاولة تبيان أهم دلالات مفهوم الهوية من منظورات مختلفة.

1.7.التفاعلية الرمزية والهوية:

تعتبر التفاعلية الرمزية واحدة من النظريات الأساسية المكونة للنظرية الاجتماعية، وأحد محاورها المهمة. عكست طبيعة الحياة الاجتماعية وما تحمله من معاني رموز ودلالات قدمت تفسيرات للعديد من المشكلات المجتمعية، وكذا المفاهيم التي تُعد كمتغير مكون لحدوث هذه المشكلة أو الظواهر ضمن سياقها السوسيولوحي، تميزت إسهاماتها في النظرية السوسيولوجية من خلال تقديمها رؤى وأفكار جديدة، ميزتها على باقي النظريات والمقاربات النظرية خاصة لما اهتمت بمفهوم الهوية.

يكاد الجميع يتفق على أن "إريكسون" هو من قدَّم الكثير لمصطلح الهوية بتقديمه إسهامات يفسرها هذا المصطلح على المستوى النفسي، بالمقابل ما ميز تقدم النظرية التفاعلية الرمزية على غرار باقي المقاربات السوسيولوجية هو اهتمامها بتفسير الهوية على مستوى التفاعلات الاجتماعية المشكّلة للعلاقات البشرية بناءا على أنساق رمزية تنتقل عبر شبكة الاتصال فيما بين الأفراد.

فهذه المدرسة بحثت بالضبط في الطريقة التي تشكل عن طريقها التفاعلات الاجتماعية، وعي الفرد بنفسه، وهذا بحث في صميم إشكالية الهوية، وبالرغم من ذلك لم يستعمل التفاعليون في البداية هذا اللفظ، ولهذا تفسير قريب، وذلك أن الآباء المؤسسين لمنهج المدرسة "شارل كولي وجورج ميد" تكلما عن الذات، وهو المصطلح الذي راج بين التفاعليين في الستينيات، ثم إن التفاعلية الرمزية انتقلت في استعمال اصطلاح الذات إلى استخدام اصطلاح الهوية بدءًا من سنة (1963)؛ ذلك حين نشر "إرفنج جوفمان" آثار الجراح ملاحظات على أسلوب التعاطي مع هوية مدمرة"، وفي السنة ذاتها شهَر "بيتر برجر" مفهوم الهوية وساهم في انتشار استعماله، بكتابه "دعوة إلى دراسة علم الاجتماع"، وذلك حين خصص له حيزا هاما في تقديمه لنظريات الأدوار والجماعة المرجعية، وكذا من خلال المقاربة الظاهراتية التي طوّرها في كتابه هذا.

(اقتباسات من مقالات حسن يحي، نقلا عن: https://hassan yahya.wordpress.com).

ويمكن الكشف عن ماهية نظرية التفاعل الرمزي المعاصر بالاستشهاد بالاستعارات التي استعان بها منظرو هذه النظرية لوصف الحياة الاجتماعية، فقد قارن "ارفنج جوفمان" التفاعل الاجتماعي بالأداء المسرحي، وأعطى "إريك بيرني " مؤسس التحليل النفسي للتفاعل عنوانا لأحد مؤلفاته "الألعاب التي يلعبها الناس" « games people play ». وبالنسبة "لجوفمان" يكمن الفرق الرئيسي بين أداء الفعل في المسرحية وأداء الفعل في الحياة؛ في حين أن هناك مجالا لتفسير الدور في الحياة ذاتها ....ويعتَبِر "جوفمان" أن التغيير الاجتماعي يعتمد اعتمادا كبيرا على مثل هذا الارتجال الإبداعي ومع ذلك يبقى التشابه الأساسي موجودا بين المسرح والحياة، وقد اتخذ "جوفمان" لنفسه نموذجا مسرحيا للتفاعل الاجتماعي؛ فالحياة الاجتماعية شأنها في ذلك شأن المسرحية، يتم تأليفها وهي –أي الحياة الاجتماعية– صياغة بشرية ذات معنى وواقع يضفيه عليها الإنسان.

(مصطفى خلف عبد الجواد: 2002، ص 60).

ويُعد عالم النفس الاجتماعي "جورج ميد" أكثر أنصار التفاعلية تأثيرا، ويصف "ميد" مرحلتين عامتين في نمو الذات، مرحلة اللعب الفردي ومرحلة اللعب الجماعي.

(مصطفى خلف عبد الجواد: 2002، ص 57).

يرى "هول" أن التفاعلية الرمزية هي أفضل مثال على فكرة الهوية الفردية، فهوية الفرد تتشكل فقط من تفاعل الفرد مع الآخرين، ونظرة الفرد للآخرين تتشكل جزئيا عن طريق نظر الآخرين لذلك الفرد.

وحسب رأي التفاعلية أن الناس يستمرون في امتلاك فرديتهم، ولكنها ليست فردية متميزة كليا عن المجتمع؛ فالهوية تعمل كجسر بين الفرد الاجتماعي والفرد الخالص، بامتلاك الأفراد لهوية معينة، هم إنما يتمثلون (Internalize) قيم ومبادئ معينة تصاحب تلك الهوية، فهي تسمح لسلوك الأفراد ليكون مشابه في جانب الآخرين، وكذلك تجعل السلوك في المجتمع أكثر نمطية وانتظاما. **(هارلمبس هولبورن: 2010، ص ص 96، 97).**

ميزت التفاعلية الرمزية بين الهوية الفردية والهوية الجمعية، وبين أهمية تفاعل الفرد مع مجتمعه من خلال العملية التفاعلية الرمزية باستخدام رموز معينة تسمح له بتشكيل هويته الفردية لكن دون أن تذوب في حدود هذه الجماعة.

تولي التفاعلية الرمزية أهمية كبيرة للغة أو الرمز، وتعتبرها أساس العملية التفاعلية بين الفرد وجماعته؛ فاللغة، الرموز، الإشارات وحتى الإيماءات هي المحور الأساسي والقلب النابض لعملية الاتصال بين الأفراد، والهدف من استخدام اللغة هو إنتاج معاني معينة تنتقل بين الأفراد من خلال التنشئة الاجتماعية، فلكي تتشكل الذات الفردية يجب أن يتقن الفرد هذه الرموز.

ولعل الحديث عن اللغة وأهميتها في تقدم المجتمعات يقودنا بالتأكيد إلى طرح أبرز مؤطر ومحدد لها، والذي يتجسد في الهوية بمحتواها الثقافي المتجدد الشكل والظهور، واعتبارها مطلبا مهما ينبغي النضال من أجله وتنمية الإحساس به وتقوية العلاقة بمحتويات تحركها من صورة جامدة – تقليدية إلى صورة عصرية من خلال استيعاب التغيرات والإنجازات التي أتت بها العولمة وتكييفها وفق حاجاتنا ومصالحنا. **(نورة قنيفة: 2012، ص 02).**

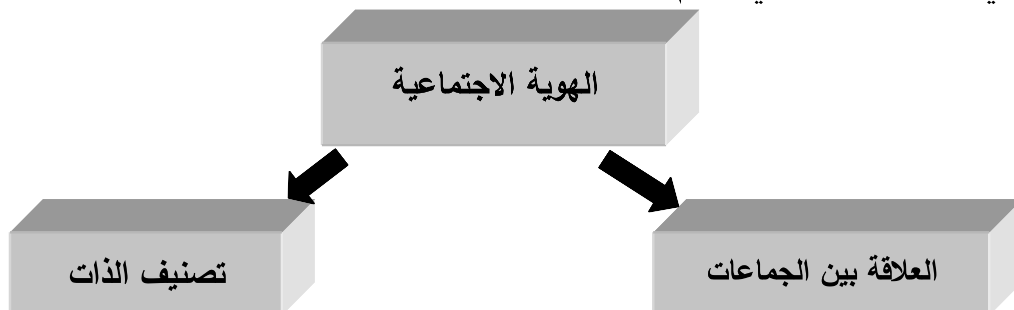
يرى "هول" أن نظرية التفاعل الرمزي للهوية وفكرة الموضوع الاجتماعي ربما كانت ملائمة للتحليل في وقت الحداثة، ولكنها أصبحت غير ملائمة في فترة الحداثة المتأخرة أو ما بعد الحداثة(هو غير متأكد نوعا ما حول الفترة المعاصرة هل هي حداثة متأخرة أو ما بعد الحداثة)، فهو يرى أن المجتمعات المعاصرة تميزت كثيرا بوجود الهويات الجزئية، والناس لم يعد بوسعهم امتلاك فكرة موحدة عن هويتهم، وإنما يمتلكون العديد من الهويات التي تكون أحيانا متعارضة ومتلبسَة، وهذه الهويات الجزئية لها مصادر متعددة.

(هارلمبس وهولبورن: 2010، ص 97).

2.7. نظرية الهوية الاجتماعية (الجماعية):

يرى "ريجارد جنكز" أن الهوية الاجتماعية هي تصورنا حول من نحن ومن هم الآخرون، وكذلك تصور الآخرين حول أنفسهم وحول الآخرين. **(هارلمبس هولمبورن: 2010، ص 93).**

في عام (1979) صاغ "تاجفيل" و"تيريز" أفكار نظرية الهوية الاجتماعية أو الجماعية مركزين على ما يحدث بين الأفراد، وقد قُسمت هذه النظرية إلى نوعين؛ الجانب الأول منها يتناول العلاقات الاجتماعية بين الجماعات، وينبثق من هذا النوع جزئين؛ جزء يعالج تحليل الصراع، والآخر تحليل التغير الاجتماعي، أما الجانب الثاني فيهتم بتصنيف الذات.



شكل رقم (06) يوضح: تصنيف الهوية الاجتماعية

المصدر: من تصميم الباحثة

جادَل "تاجفيل" طوال السبعينيات من القرن العشرين بثبات ضد التفسير ذي المنحى الفردي للسلوك بين الجماعات، واتفق مع "شيريف" على رفض الفكرة التي تقول أن الصراع الاجتماعي يمكن تفسيره في ضوء مصطلحات من الباثولوجيا الفردية، أو اختلافات في أنماط الشخصية أو من عمليات داخل الفرد، ويذكر "تاجفيل" أن الاتجاهات بين الجماعات والأفكار النمطية في الأصل تتمثل في مدى كبير من الظواهر الاجتماعية التي تكونت عن طريق أفراد كانوا أعضاء في جماعات اجتماعية تطورت مشاركتهم الاجتماعية وتمثيلاتهم كجماعة معيارية نتجت من خلال سياق اجتماعي كبير أو كوظيفة له. **(أحمد زايد: 2006، ص ص 11،12).**

ووجد "تاجفيل" أن جوهر نظرية الهوية الاجتماعية يهتم بسمات الهوية التي تُشتق من عضوية الجماعة التي تقف كقوة وحالات ارتباط وعلاقات بين الواحد والآخر، وبذلك فإن التفكير في تشكيل الهوية يستند إلى عملية المقارنة الاجتماعية داخل الجماعة مثل: نوع الجنس، العمر وخارجها كنموذج للمعايير العامة لتمييز الذات وتماثلها.

(فريال حمود، عيسى الشماس: 2011، ص ص 563، 564).

وبالتالي نجد الشباب المراهق أو الطالب الجامعي وفق هذه النظرية يحتاج إلى ذات قوية وشخصية ثابتة، يستطيع التمييز بين الجانب الإيجابي والسلبي، بين جماعة وجماعة أخرى من

خلال القيم والسلوكيات والمعتقدات الأكثر ملائمة لمرحلته العمرية، لكن في معظم الأحيان يقع فريسة صراع وتغيير اجتماعي؛ مما يخلق له أزمة هوية على مستواه الفردي، خاصة لما تكون إحدى الجماعات التي تُشكِّل هويته الاجتماعية غريبة عن المجتمع الذي هو أحد أفراده.

ويمثل تشكل هوية الأنا أزمة النمو الاجتماعي في المراهقة، وقد اعتبرها "إريكسون" مرحلة تحوُل وعلامة انتقال من الطفولة إلى الرشد، تتميز بوجود صراعات وقلق لدى المراهق من أجل تحقيق مجموعة من المطالب والتحديات من أبرزها الاستقلالية والتفرد، وهذه التحديات تُسبب أزمة نمائية تستمر حتى تحقيق مطالب الرشد. **(فريال حمود: 2011، ص 565).**

يرى "تاجفيل" و"تيرنر" أن الاتجاهات والسلوكيات التي تحدث بين الجماعات يمكن التنبؤ بها عن طريق التفاعل بين الحاجة إلى هوية اجتماعية إيجابية، والتعريفات الجماعية لأعضاء الجماعة، وإدراك وفهم البناء الاجتماعي للعلاقات بين الجماعات، وهذا على سبيل المثال يعتمد على أن الأفراد مدركون حدود الجماعة بوصفها نافذة أو غير نافذة، وعلاقات الأوضاع الاجتماعية آمنة أو مهددة (مستقرة ومشروعة أو متقلبة وغير مشروعة)، فقد يقرأ أعضاء الجماعة الأقل مستوى إستراتيجية الحراك الفردي أو الإبداع الاجتماعي أو يُقرون إستراتيجية المنافسة الجماعية والعنصرية. **(أحمد زايد، 2006، ص 16).**

والشكل التالى يشرح أهم نقاط نظرية الهوية الاجتماعية.

نضال الأفراد من أجل الانتماء إلى جماعات لها هويات متميزة وإيجابية

تحدد المقارنات الاجتماعية كون الفرد يستمد؛

هوية اجتماعية ملائمة

يسعى إلى توسيع التفوق المقارن

يسعى إلى تأكيد التفوق المقارن

هوية اجتماعية غير ملائمة

يبحث عن التغيير

إستراتيجية البحث عن التغيير

تعتمد الاستراتيجيات الفردية أو استراتيجيات الجماعة على البدائل المعرفية للموقف الاجتماعي بين الجماعات أو البدائل

البديل المعرفي للموقف الاجتماعي بين الجماعات مدرك (عدم المشروعية-التغيير)

الاستيعاب

إعادة تعريف الخصائص

الإبداع

المواجهة المباشرة

البديل المعرفي للموقف الاجتماعي بين الجماعات غير مدرك (المشروعية-الثبات)

المقارنة بين الجماعات

الحراك الاجتماعي

شكل رقم (07) وصف تخطيطي لنظرية الهوية الاجتماعية

المصدر: (أحمد زايد: 2006، ص 17)

وكما أشرنا سابقا أن نظرية الهوية الاجتماعية تعكس جانبين جانب الصراع والتغير الاجتماعي، والجانب الآخر الخاص بتصنيف الذات، هذه الأخيرة هي نظرية قائمة بذاتها تقدمت مع بداية النصف الأول من الثمانينات.

يُعرّف "تيرنر" تصنيف الذات على أنه ميل دافعي معرفي لدى الفرد إلى تصنيف نفسه والأفراد أو الجماعات وفق مبدأ التشابه والاختلاف القائم على أبعاد المقارنة الاجتماعية من حيث السمات والسلوكيات والاتجاهات مع أفراد أو جماعات أخرى.

(حاتم جاسم عزيز، هند دغيش علوان: 2014، ص 261).

تُعد هذه النظرية كامتداد للنظرية الخاصة بالهوية الاجتماعية وليست بديلا عنها؛ وإنما هي تكملة لما تقدم به "تاجفيل وتيرنر".

فمفهوم الفرد لذاته يمكن أن يُعرف على مدى المتصل من تعريف الذات في سياق من الهوية الشخصية إلى تعريفها في سياق من الهوية الاجتماعية؛ فضلا عما افترضه عن وظيفة مفهوم الذات من أنه بمنزلة ميكانيزم معرفي يدعم المتصل السلوكي الذي وصفه "تاجفيل". **(أحمد زايد: 2006، ص 27).**

ثامنا/ الثقافة والهوية:

للثقافة علاقة وثيقة بالهوية، فلُب الحضارة أو الثقافة هي الهوية، وما تتكون من مكونات سواء أكانت ثابتة راسخة أو متغيرة بفعل الإنسان؛ فالخصوصيات والعموميات والبدائل التي هي مكونات الثقافة وعناصرها من صنع الفرد، وهي ضمنيا تتكون من العادات والتقاليد واللغة والتاريخ أساسيات الهوية، فثمة طبيعة علائقية وثيقة بين الثقافة والهوية.

وقد تتعدد الثقافات في الهوية الواحدة، كما أنه قد تتنوع الهويات في الثقافة الواحدة، وذلك ما يُعبَّر عنه بالتنوع في إطار الوحدة، فقد تنتمي هوية شعب من الشعوب إلى ثقافات متعددة

تمتزج عناصرها، وتتلاقح مكوناتها، فتتبلور في هوية واحدة، وعلى سبيل المثال، فإن الهوية الإسلامية تتشكل في ثقافات الشعوب والامم التي دخلها الإسلام سواء اعتنقته أو بقيت على عقائدها التي كانت تؤمن بها، فهذه الثقافات التي امتزجت بالثقافة العربية الإسلامية وتلاقحت معها العربية الإسلامية، فهي جماع هويات الأمم والشعوب التي انضوت تحت لواء الحضارة الإسلامية، وهي بذلك هوية انسانية متفتحة وغير منغلقة. **(جمال كانون: 2010، ص ص 73، 74).**

وفي زمن تُفرض فيه العولمة الغازية للهويات والماحية للخصوصيات الثقافية علة العالم، يفترض أن تخلق الحداثة بنزوعها الكوني ثقافة عالمية وكونية، وإذا كانت صور من هذه الثقافة قد تخلفت عبر العالم خلال تاريخ الحداثة، فإن الصورة المعاصرة عن عولمة الحداثة قد عجّلت بتكوين هذه الثقافة، ولا تُفهم ثقافة العولمة إلا في ضوء مفهوم الثقافة المحلية والوطنية، فتلك الأخيرة تتكون من جماع أساليب السلوك والأفكار والرموز والفنون التي تميز شعبا من الشعوب، وعلى الرغم من تنوعها الداخلي تتميز الثقافة الوطنية بالتجانس، أما ثقافة العولمة فإنها الثقافة التي تتجاوز الثقافة الوطنية، متخطية حدود الدول، وتُنشَر من خلال آليات تدفق السلع والأفراد والمعلومات والمعرفة والصور.

(جمال كانون: 2010، ص ، 74).

ترتبط فكرة الهوية بإحكام إلى فكرة الثقافة والهويات، يمكن أن تتشكل عبر الثقافات الرئيسية والثقافات الفئوية التي ينتمي لها الأفراد أو التي يشاركون فيها، والعديد من نظريات الهوية ترى العلاقة بينهما تأخذ أشكالا مختلفة، فالباحثين الذين تأثروا بالنظريات الحديثة للثقافة والهوية ينظرون إلى الهوية باعتبارها نشأت بطريقة واضحة من الانخراط في الثقافات وثقافات فئوية معينة. **(هارلمبس وهولبورن: 2010، ص 14).**

وعليه، مما سبق نتوصل إلى أن الهوية ليست منغلقة؛ وإنما هي دائمة الاستمرار والتحول، لكن ضمنيا تبقى ضرورة المحافظة على الأصل والرواسخ الأساسية التي تميز مجتمع عن الآخر، من خلال صفاته الجوهرية الثابتة شكلتها عوامل جغرافية تعكس الامتداد الجغرافي لكل منطقة؛ ضف إلى ذلك متغيرات وعناصر تاريخية تتيح فهم الحاضر والمستقبل في ظل الرجوع إلى السجل التاريخي لأحداث حصلت في تلك المنطقة أو المجتمع، كما لا نغفل على أهم عامل ثابت هو الدين الذي ميز الثقافة العربية الأصلية وهويتها الإسلامية.

يعتقد "الغزالي" أن الحضارة الإسلامية في فنون الحياة ومجالات العمران والمقادير الجزلة التي حصّلها المسلمون من المعارف الكونية، والتفوق المادي الذي أحرزوه، خلال العصور الذهبية، كل ذلك ما كان ليتسنى لهم إلا عقب تشبعهم بالثقافة الإسلامية وتفاعلهم مع ما فيها من حرية وانطلاق وسماحة وإشراق، فلما فسدت هذه الثقافة بفعل أيديهم باؤوا بالفشل، والتخلف في أحوالهم جميعها، لا فرق في ذلك بين العبادات والعادات، وبين الأدبيات والماديات، وبين تخطيط الجانب الاجتماعي والأخلاقي، وبين تخطيط الجانب المادي والمعاشي فيها، وهو بهذا يعتبر الثقافة الإسلامية معيارا لصعود أو هبوط المجتمع العربي على سلم الحضارة الإنسانية. **(حسن علي خاطر: 2001، ص 79).**

وهنا نجد الباحث "حسن النقيب" يرى بأن الثورة في الثقافة والمعلومات وفي أنماط الاستهلاك التي أدخلتها الحداثة في مجتمعاتنا العربية قد أفرزت ثورة صامتة من القيم والاتجاهات، وفي المهارات التي يحتاجها الفرد. **(سلطان بلغيث: 2011، ص 357).**

وما أفرزته هذه الثورة الصامتة الكامنة، أنها هزت كل المكونات وأحدثت بداخلها زلازل استهدفت منظومة القيم خاصة لدى الشباب؛ مما انعكس سلبا في معظم الأحيان

لا إيجابا على هويته وثقافته الفرعية، فأصبح في مهب بين الثقافات الوافدة العالمية والثقافة المحلية الوطنية.

وبما أننا بصدد عرض العلاقة بين الهوية والثقافة، فمن الضروري أن نُعرج قليلا على الهوية الثقافية التي هي كيان يصير ويتطور، وليس معطى جاهزا ونهائيا، فلكل مجتمع مهما كانت طبيعته السوسيولوجية له هوية ثقافية تميزه وإرثه التاريخي الذي لا ينجلي ولا يندثر.

فنجد العديد من الكتابات التي تناولت هذا المفهوم على نحو غير مسبوق تتعرض لموضوع الهوية، فكتَب "هنتغتون" عن الصراع الثقافي، وعن صدام الحضارات، وكتب "فوكوياما" عن ضرورة انصهار الثقافات المحلية والإقليمية في ثقافة العالم الغربي، ويتخذ "أوزيرمان" و"ساكاموتو" "Oyserman & Sakamoto" من الولايات المتحدة نموذجا للمجتمع الذي يعيش في ظل تعدد ثقافي وعرقي منصهر في بوتقة واحدة، بقولهما "إن أمريكا مجتمع متعدد الثقافات ومتعدد العرقيات؛ بيد أنه مجتمع واحد".

(محمد إبراهيم عيد: 2001، ص 112).

وفي حوار أجرته الباحثة مع البروفيسور "طارق هاشم خميس" من جامعة تكريت بالعراق قسم علوم التربية؛ الذي أدلى بدلوه في هذه النقطة وذلك من خلال ما نجده على أرض الواقع، إذ أوضح أن أمريكا ليست دولة تشبه دولتنا العربية، أمريكا أشخاص، لديهم رؤوس أموال ضخمة وشركات متعددة الجنسيات والتقانة الثقيلة يبحثون عن سوق لمنتجاتهم، يشكّلون دولة عملاقة من دون أن يبحثوا عن الهوية الخاصة بهم والدليل أن رئيسهم أسود في كينيا بالرغم من عدم وجود تاريخ يربط أحدهم بالآخر، لا تاريخ ولا ثقافة ولا هوية معينة.

ويحذر "فليبس جيري" "Jerry" في كتابه "مصير الأرض" من وهم التمسك بالهوية الثقافية مؤكدا على أن مصير الأرض مرتبط بتجاوزهم الهوية الثقافية.

(محمد إبراهيم عيد: 2001، ص 112).

خلافا لذلك إذا كانت الهوية فعلا اجتماعيا بنَّاء، وناشئة عن التصور وليست معطى، فهي ليست وهْمًا يتعلق بمجرد ذاتية الفاعلين الاجتماعيين، إن تكوين الهوية يتم داخل الأطر الاجتماعية التي تحدد موقع الفاعلين وتوجه تصوراتهم وخياراتهم، ومن جانب آخر فإن تكوين الهوية ليس وَهْمًا، لأنه يتمتع بفاعلية اجتماعية وله آثار اجتماعية حقيقية. **(شيهب عادل: نقلا عن الموقع: www.aranthropos.com).**

وعليه، مما سبق نتوصل إلى أن الهوية هي مجموعة الصفات الجوهرية والثابتة في الأشياء والأحياء، فللمكان هويته الخاصة، كما للإنسان هويته المتفردة عن غيره من الناس، ومن ثم فإن الثوابت الجغرافية، والمتغيرات التاريخية، والموروثات الثقافية عناصر مكونة للهوية، والهوية الثقافية هي الرمز أو القاسم المشترك، أو النمط الراسخ الذي يميز فرد أو مجموعة من الأفراد أو شعبا من الشعوب عن غيره. **(محمد إبراهيم عيد: 2001، ص 120).**

تاسعا/ تداعيات العولمة على الهوية:

أصبحت العولمة موضة الخطابات، المقالات والأحداث حتى في الحوارات اليومية بين الأفراد، وسواء فهموا ما تحمله أم لا، مركزين على أنها تمس الاقتصاد، وتعمل على خلق اقتصاد عالمي موحد متناسين الجانب الأكبر الذي تسعى لطمسه وجعله يتماشى مع نمطهم المعولم الاستهلاكي، هذا الجانب هو الهوية وما تحمله من معاني ودلالات شاسعة؛ فالدول الرأسمالية صاحبة العولمة تعي جيدا أهمية الهوية بالنسبة للوطن العربي، فهي تمثل تاريخها البشري الزاخر بأهم الأحداث، واللغة العربية الأصيلة؛ بالإضافة إلى قيّمها الوطنية والدينية، فلما

تطمس الهوية العربية تصبح المهمة أكثر تيسيرا لتحقيق أهدافهم العالمية خاصة كوكبة العالم تحت نمط واحد.

حسب "مارينا ريكسيار ديلي" ظهرت العولمة التي تعود طفرتها الحقيقية إلى الخمسة والعشرين عاما التي خلت، وقد تأثرت أساسا بالعمليات الاقتصادية.

إعادة تنظيم مكثف للنظم الإنتاجية وتدويل سوق رأس المال التمويلي والتقدم في تكنولوجيا الحاسوب... وبالتالي فإن أنماط شتى في الإشكاليات من الضروري التطرق لها حول هذا الموضوع. **(MARINA RICCIARDELLI, SABINE URBAN: 2000, p.23).**

تنطوي ظاهرة العولمة "Mondialisation" بوصفها نزعة شمولية توسعية على أشكال خاصة للتوسع والتعامل على الصعيد المحلي والعالمي، وعلى نحو فريد تعبر نطاق الزمان والمكان وضغوط المكان، وتميل أغلب الدراسات إلى اعتبار هذه الظاهرة نِتاجا للتطور التقني المتسارع في مجال المعلوماتية والنقل والاتصال، وكمحطة لتطورات اقتصادية وسياسية وثقافية أدت إلى اشتداد النزوع الشمولي والتوسعي للرأسمالية لدرجة أنها أصبحت توصف "بالرأسمالية النفاثة". **(زمام نور الدين: 2001، ص 136).**

إضافة إلى أن العولمة أسلوب يعمل على ترسيخ ثقافة واحدة تسيطر على الثقافات الأخرى من خلال أساليب العمل والتفكير، طرق التعامل والابتعاد عن اللغة العربية الأصيلة، وحتى الذوق يُتقمص وجدانيا كل الأذواق الأمريكية العالمية، خاصة لما يتم اكتساح كل الأسواق العربية بكل المنتوجات الغربية، هدفها الأساسي هو نشر ثقافة الاستهلاك؛ بحيث تسلعن الثقافة والهوية، كتحصيل حاصل لِما مرت به الثقافة العربية على وجه الخصوص من عمليات الطمس والبتر.

إذن توجد بين مفهومي الهوية والعولمة وشائج علاقات جدلية فريدة من نوعها في طبيعة العلاقة بين المفاهيم والأشياء، إنهما مفهومان متجاذبان متقاطبان متكاملان في آن واحد، وفي دائرة هذا التجاذب والتقاطب والتكامل يأخذ مفهوم الهوية على الغالب "دور الطريدة بينما يأخذ مفهوم العولمة دور الصياد"، حسب تعبير الدكتور علي وطفة أسعد.

(خلف بشير مراد، نقلا عن الموقع: www.ahewar.org)

ولئن كانت هذه الظاهرة اليوم (العولمة) عنوانا على البعد الاقتصادي، أو النظام الاقتصادي العالمي، أو إعطاء الغطاء النظري لحركة اقتصاد السوق الحر تحت شعار "دعه يعمل، دعه يمر" أو لأنشطة مجموعة الدول الصناعية السبع أو الشركات متعدد الجنسيات، من أجل فتح أسواق أمام الصناعات الغربية، واستنفاذ خامات وطاقات العالم، لصالح الأقوى، إنتاجًا ومعلومة وخبرة.

(نقلا عن: بركات محمد مراد: Boulmekahel Yolasite.com ، ص 13).

يرى الدكتور "محمد شومان" أن العولمة تعني تصغير العالم وحرية تداول عناصر الإنتاج والمنتجات المادية والثقافية؛ فضلا عن حرية انتقال الأفراد المتميزين مهنيا أو ماليا، وبهذا المعنى المبسط للعولمة فإنها آلية تاريخية ذات آثار إيجابية على البشر كلهم وأهم آثارها المنتظرة تشجيع التجارة وتحقيق مزيد من الرفاهية والتقدم للبشرية، لكن أنصار العولمة بدؤوا أخيرا يتحدثون عن الآثار السلبية للعولمة فيما يتعلق بنشر وتدويل الإرهاب أو على وجه الدقة عولمة الإرهاب، وكيف يمكن أن تتحول إجراءات مكافحة الإرهاب على الصعيد العالمي إلى الإضرار بجوهر العولمة والآليات التي تستخدمها. **(سهيل حسين الفتلاوي: 2009، ص 38).**

مما سبق، يُعد الإرهاب وجه من وجوه العولمة، وهو أقصى تجلياتها العالمية خاصة بالنسبة للوطن العربي، لكن يُنسب الإرهاب لا للعولمة وللدول الرأسمالية التي تعمل على نشر ثقافة

الحروب والقتل والتدمير؛ وإنما يُنسب للدول العربية ليست كلها، ففيه دول متواطئة معهم لتكريس قيّمهم بكل أشكالها، وهذا ليس موضوعنا، وإنما نحاول الإلمام بكل تجلياتها على جميع الأصعدة.

تُعد العولمة تحديا الهوية للقوميات جميعها بصورة عامة، فعلى الرغم من أنها تختص بالقضايا التجارية والاقتصادية الدولية ولا علاقة لها بالهوية القومية؛ إلا أن المسائل الثقافية تُعد من الأهداف الأساسية للعولمة التي تستخدمها عبر منظمة التجارة العالمية بحجة تجارة المواد المرئية والصوتية وغيرها، مما يتعلق بعرض الموضوعات الثقافية التي تحمل الثقافة الأمريكية بمالها من تأثير على الشباب المراهقين؛ إذ نشأت العولمة في بيئة مهاجرين مختلفين لا يتمتعون بهوية قومية خاصة لاختلاف المنابع التي هاجروا منها. **(سهيل حسين الفتلاوي: 2009، ص 226).**

وحسب "عبد الله عويدات" فإن العولمة لم تنته إلى حد الآن، وإنما مازالت تتطور منذ عقدين من الزمان، وهو الأمر الذي يُفضي إلى أن المحتوى الذي تهدف إليه هذه العولمة، ومن يقف وراءها يكمن في السعي إلى إلغاء الزمان، وفتح المكان إلى الدرجة التي يستطيع فيها المواطن العادي والمواطن العالمي إلغاء الفجوة بين الأزمنة والأمكنة، شريطة أن يكون هذا المواطن قد وعى طبيعة هذا الإلغاء وهذا التقريب؛ بمعنى أن هناك محاولة للبحث عن صيرورة تضع البشرية في قالب ما يتنازعه طرفان؛ الأول هو صانع هذا القالب، والآخر هو من يقاوم على الأقل طبيعة فضاء القالب، وكيف ينبغي أن يكون. **(عزام أبو الحمام: 2009، ص 102).**

لكن المشكلة التي حدثت للشباب أنهم يعيشون مرحلة لا وعي ولا معيار لكل مجريات الحياة، فما بالك بالعولمة وتجلياتها على ثقافتهم الفرعية والهوية، خلقت لهم "أزمة الهوية"

(Identity–Grisis) التي تنشأ من عدم قدرة الشباب على فهم ذواتهم "الجديدة" وتقتلها، والتعامل معها، وهي أزمة يتوقف على حلها واستمرار نضوج الشخص بشكل سوي من أهم جوانب أزمة بدايات الشباب. **(سامية الساعاتي: 2003، ص 21).**

وإذا أردنا أن نستحضر جوانب أخرى للعولمة وتداعياتها على الهوية نجد التكنولوجيا الإعلام والاتصال؛ فضلا عن تنامي خطاب العولمة والشمولية إحدى وسائل تنميط وتأطير الأفراد والجماعات لا على مستوى الإنتاج المادي والمعرفي؛ فحسب بل وعلى مستوى الاستهلاك المادة الإعلامية والاتصالية. **(يحي اليحياوي: 2002، ص 38).**

هذه الكميات الهائلة من الطاقة العقلية التي تولّدها تقنيات الإعلام تملك أو تدار غالبيتها العظمى مؤسسات إعلامية تعمل عبر الدول، والشركات الخاصة والمتعددة الجنسيات، ومما لا شك فيه أن نجاح الدول الغربية في توظيف هذه الوسائل في مجال نشر الثقافة الغربية يمثل ثورة كبيرة وإدارة الحروب من بعيد دون أن تتضرر بشيء ودون استخدام الجيوش...؛ فالعولمة نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية من كل محتوى، ويدفع للتفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم مشتت أو يغرقهم في آتون الحرب الأهلية، ومع التطبيع، ومع الهيمنة والاستسلام لعملية الاستبشاع الحضاري يأتي فقدان الشعور بالانتماء لوطن أو لأمة أو لدولة، وبالتالي إفراغ الهوية الثقافية من كل محتوى.

(سهيل حسين الفتلاوي: 2009، ص ص 226، 227).

ولعل من أبرز مخاطر العولمة التي باتت تهدد الهوية العربية الإسلامية لدى الشباب تراجع اللغة العربية في مواجهة اللغات الأخرى لا سيما منها الإنجليزية، زيادة الشعور بالاغتراب، ضعف الانتماء الوطني وزيادة التفكك الداخلي، تزايد احتمالات نشر وتعميق الثقافة الاستهلاكية

والرغبة في الثراء السريع، التسطيح الفكري والثقافي، والحد من القدرة على الإبداع. **(سلطان بلغيث: 2011، ص 359).**

وعليه مما سبق نستخلص بعض النقاط التي تتمثل من خلالها تداعيات العولمة على الهوية:

- ❖ تسعى العولمة إلى الوحدة النمطية مقابل التنوع والتعدد الذي تقربه الهوية.
- ❖ تهدف العولمة إلى القضاء على خصوصيات المجتمعات؛ بينما تعترف الهوية بالاختلافات.
- ❖ تنتقل الهوية من العام إلى الخاص، ومن الشامل إلى المحدود، أما العولمة تنتقل من العام إلى الشامل إلى اللامحدود إلى اللاتجانس.
- ❖ العولمة تمثل اختراقا ثقافيا له آثاره السلبية على الثقافات المحلية.
- ❖ إن انتشار اللغة الانجليزية في أي مجتمع على حساب لغته الأم، يمثل تهديدا للهوية الثقافية. **(آمنة ياسين بلقاسمي، محمد مزيان: 2012، ص 47).**

مراجع الفصل الرابع

أولا/ المراجع باللغة العربية:

-الكتب:

31.أحمد زايد (2006): **سيكولوجية العلاقات بين الجماعات**، قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.

32.أحمد زكي بدوي (1987): **معجم المصطلحات الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.

33.بنيامين سطورا (2002): **مصالي الحاج رائد الوطنية الجزائرية 1898-1974م**، تر: الصادق عماري، مصطفى ماضي، منشورات الذكرى الأربعين للاستقلال.

34.جليلة مليح الواكدي (2010): **مفهوم الهوية مساراته النظرية والتاريخية في الفلسفة في الأنثرويولوجيا وفي علم الاجتماع**، مركز النشر الجامعي، المغرب.

35.سامية الساعاتي (2003): **الشباب العربي والتغيير الاجتماعي**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.

36. سهيل حسين الفتلاوي (2009): **العولمة وآثارها في الوطن العربي**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

37. عبد اللطيف محمد خليفة (2003): **دراسات في سيكولوجية الاغتراب**، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

38. فضيل دليو (2007): **تاريخ وسائل الاتصال**، ط3، دار أقطاب الاتصال، قسنطينة، الجزائر.

39. مالك بن نبي (1984): **مشكلة الثقافة**، ط4، تر:عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا.

40.محمد الكوخي (2014): **سؤال الهوية في شمال إفريقيا**، **التعدد والإنصهار في واقع الانسان واللغة والثقافة والتاريخ**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.

41.محمد عبد الرؤوف عطية (2009): **التعليم وأزمة الهوية الثقافية**، ط1، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

42.محمد عمارة (1999): **مخاطر العولمة على الهوية الثقافية**، ط1، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر .

43.مصطفى خلف عبد الجواد (2002): **قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع**، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، مصر.

44. هارلمبس وهولبورن (2010): **سوسيولوجيا الثقافة والهوية**، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا.

45.يحي اليحياوي (2002): **العولمة والتكنولوجيا والثقافة، مدخل على تكنولوجيا المعرفة**، دار الطليعة، بيروت، لبنان.

-المجلات والدوريات:

46.الجريدة الرسمية الجزائرية رقم 14 المؤرخة في 7 مارس 2016، القانون رقم 16-01 المؤرخ في 06 مارس 2016.

47.سلطان بلغيث (2011): **تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد05، عدد خاص بأشغال الملتقى الدولي الأول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة ورقلة أيام 27، 28 فيفري، الجزائر.

48.عبد الله الجسمي (2005): **الهوية وثقافة العولمة**، مجلة العربي، عدد 560، 01 يوليو، الكويت.

49.فريال حمود، عيسى الشماس (2011): **مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين- دراسة ميدانية في المدارس الثانوية العامة في مدينة دمشق**، مجلة جامعة دمشق، المجلد 27، (غ.م)، كلية التربية، دمشق، سوريا.

50.محمد إبراهيم عيد (2001): **الهوية الثقافية العربية في عالم متغير**، مجلة الطفولة والتنمية، العدد 03، المجلد 1.

51.محمد العربي ولد خليفة (2003): **المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية**، دراسة في مسار الأفكار وعلاقتها باللسان والهوية ومتطلبات الحداثة والخصوصية والعولمة والعالمية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

52.مخداني نسيمة، (2011): **الهوية، المثقف والعولمة**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد05، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر.

53.مصطفى عوفي، زينب عمراني (2012): **الهوية الوطنية في ظل تكنولوجيا الاعلام والاتصال الحديثة**، مجلة العلوم الانسانية، العدد 04، ديسمبر، بسكرة، الجزائر.

54.ناصر بودبزة، شوقي الشاذلي (2011): **مقومات الشخصية وتشكل الهوية الوطنية الجزائرية من خلال مكتسبات التلميذ دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ ولاية ورقلة**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري.

55.نصر الدين جابر، يمينة غسيري (2014): **مشكلات الشباب في المجتمع الجزائري بين أزمة الهوية واللامعيارية**، نظرة تشخيصية نفسية اجتماعية، 24 فيفري، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

56.نورة قنيفة: (2012): **الاشكال الهوياتي اللغوي الجزائري أو إشكالية أزمة الانتماء**، مجلة العلوم الاجتماعية، العدد 16، جامعة فرحات عباس، سطيف، الجزائر.

- الرسائل الأكاديمية:

57.أسماء بن تركي (2011): **الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التغيرات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري.

58. آمنة ياسين بلقاسمي، محمد مزيان (2012): **العولمة الثقافية وتأثيراتها على هوية الشباب والمراهقين الجزائريين**، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد 08، جامعة وهران، السانيا، الجزائر.

59.جمال كانون (2010): **الأنترنات مجال للتفاعل وتشكل الهوية**، دراسة لعينة من مستخدمي الأنترنات بمدينة ورقلة، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة الماجستير، تخصص علم الاجتماع الاتصال في المنظمات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر.

60.سميح حمد الكراسنة، وليد أحمد، علي محمد جبران وآخرون **<u>الانتماء والولاء الوطني في الكتاب والسنة النبوية</u>**، ، مذكرة ماجستير التربية في الاسلام، كلية الشريعة، جامعة اليرموك، نقلا عن: www.alijubran.com: تاريخ الزيارة: 2015/12/20 الساعة: 23:45.

61.طاوس وازي (2012-2013): **<u>اضطراب الهوية الشخصية والاجتماعية والسلوك الانتحاري بولايتي تيزي وزو وورقلة</u>**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر، الجزائر.

62.عز الدين معزة، 2004/2005، فرحات عباس ودوره في الحركة الوطنية ومرحلة الاستقلال (1899-1985)، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة.

63.ميمونة مناصرية (2011-2012): **<u>هوية المجتمع المحلي في مواجهة من منظور أساتذة جامعة بسكرة</u>**، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم في علم اجتماع التنمية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.

ثانيا/ المراجع الأجنبية:

64. AHMED HANECHE (1990) : **<u>La langue marche de l'algérie combattante (1830-1962)</u>**, Edition Dahleb, Alger.

65. Annales publiées Trimestriellement par l'université de Toulouse (1979): **<u>Le mirail</u>**, nouvelle série, Tom XV,1979, Fixicule 2, Homo perspections et pratiques de la relation.

66. DRIDI MOHAMED (2007) : **<u>Longues et identité 54</u>**, collective en Algérie, universsité Kasdi merbeh, Ouargla, ALGER.

67. JEAN CHARLESSCAGNETTI (2003) : **Identité ou personnalité Algérienne ? l'édification d'une algérianité (1962-1988)**, cahiers de la méditerannée.

68. MARINA RICCIRDELLI, SABINE URBAN (2000): **Mondialisation et sociétés multiculturelles l'incer tain de futur**, presses universsitaires de France, Paris.

ثالثا/المواقع الالكترونية:

69. algerianembassy-kuwait.com، تاريخ الزيارة: 2016/01/09، الساعة: 20:15.

70. edourous.com/phelosophie-574، تاريخ الزيارة: 2016/03/20، الساعة: 10:30.

71. nador.nadorcity.com

72. أحمد كافي، **الدين وأثره في فكر مالك بن نبي**، نقلا عن الموقع: www.binnabi.net، تاريخ الزيارة: 2016/08/20، الساعة: 20:15.

73. آسية مجوري، (2014): **الهوية الجزائرية هل هي في خطر**، نقلا عن الموقع www.djazairess.com، تاريخ الزيارة: 2016/07/04، الساعة: 00:15.

74. اقتباسات من مقالات **حسن يحي**، نقلا عن: https://hassan yahya.wordpress.com)، بتاريخ: 2015/12/20، الساعة: 11:00.

75. بركات محمد مراد: **ظاهرة العولمة بين رفض العرب والإسلاميين، رؤية نقدية**، نقلا عن: **Boulmekahel Yolasite.com**. تاريخ الزيارة: 2016/02/01، الساعة: 12:25.

76. حاتم جاسم عزيز، هند دغيث علوان (2014): **بناء مقياس تصنيف الذات لدى المرشدين التربويين**، نقلا عن الموقع: www.alfatelmag.uodiyala.edu.iq، تاريخ الزيارة: 2016/02/01، الساعة: 17:25.

77. حكيمة بولشعب، **تحديات الهوية الثقافية العربية في ظل العولمة**، نقلا عن الموقع: www.aranthropos.com، تاريخ الزيارة: 2016/04/12، الساعة: 14:30.

78. دومينيك شابنر (2007): **ما هو الإندماج الاجتماعي؟**، نقلا عن www.elbayen.ae.

79. شيهب عادل، **الثقافة والهوية**، إشكالية المفاهيم والعلاقة، نقلا عن الموقع: www.aranthropos.com تاريخ الزيارة: 2016/02/20، الساعة: 14:15.

80.عباس الجراري، (دس)، **<u>الهوية الوطنية والجهوية</u>**، نقلا عن الموقع: www.abbesjirari.com، تاريخ الزيارة: 2016/08/20، الساعة: 23:30

81.**<u>علماء إفريقيا عبد الحميد بن باديس</u>** نقلا عن بالموقع: www.sis.gov.eg، تاريخ الزيارة: 2016/09/03، الساعة: 16:03.

82.علي بن محمد، (2012)، **<u>مرجعيات الهوية الجزائرية في فكر الإمام بن باديس</u>**، نقلا عن الموقع: www.echoroukonline.com، تاريخ الزيارة: 2015/10/20، الساعة: 09:10.

83.مبروك بوطقوقة، **<u>مصطلحات أنثروبولوجية</u>**، نقلا عن الموقع:www.aranthropos.com، التاريخ: 2015/12/20، الساعة: 13:15.

84.مؤسسة عمل اللجان الصحي، ص2، نقلا عن الموقع:www.opgi.org، تاريخ الزيارة: 2016/12/20، الساعة: 12:15.

85.http://elachraf.com، بتاريخ: 2016/06/01، الساعة: 12:15.

الفصل الخامس:

الشباب والتغيرات الاجتماعية

أولا/ مفهوم الشباب.

ثانيا/ فئات الشباب.

ثالثا/ المفاهيم القريبة للشباب.

رابعا/ خصائص الشباب.

خامسا/ الثقافة الفرعية.

سادسا/ أزمة الهوية لدى الشباب.

سابعا/ آثار الثقافة الجماهيرية على الشباب.

ثامنا/ أثر البيئة الجامعية على الشباب.

تاسعا/ مشكلات الشباب.

عاشرا/ سُبل المحافظة على الهوية.

أولا/ مفهوم الشباب :

1.1.اللغـوي:

شَبَّبَ: الشَبَابُ : الفَتَاءُ والحداثة، والشَبَابُ والُشبان : **جماعة الشاب والشباب : جمع شاب** وكذلك شبان الشاب لغة كما جاء في لسان العرب المحيط لابن منظور وغيره من المعاجم العربية تعني الفتوة، والفتاء بمعنى الحيوية والقوى الدينامية، وكلمة شَبَّ من شَبِيب وأنَّ الشاب هو الفتاء والحداثة، وشَابَ الشيء أوله، وتجمع على شباب وشبان وشواب. **(ابن منظور:2008، ص10)**

2.1.مفهومه الاصطلاحي:

يبدو لنا مفهوم الشباب وأهم موضوعاته من الموضوعات سهلة الاحتواء والإحاطة بكل مدلولاته الاجتماعية والنفسية والديمغرافية؛ فالاختلاف على مستوى ما يحمله هذا المصطلح من دلالات معينة حسب كل مجال يُصعّب وضع تعريف واحد وموحد له، لكن تبقى اجتهادات الباحثين مستمرة باستمرار البحوث حول الشباب وموضوعاته.

لذلك فلا يوجد تعريف واحد للشباب، وهناك صعوبة في إيجاد تحديد واضح لهذا المفهوم، وعدم الاتفاق على تعريف موحد وشامل، يعود لأسباب كثيرة أهمها اختلاف الأهداف المنشودة من وضع التعريف وتباين المفاهيم والأفكار العامة التي يقوم عليها التحليل السيكولوجي والاجتماعي الذي يخدم تلك الأهداف. **(www.Bahrainyouth.org)**

يُعرِّف "محمد علي محمد" الشباب بأنه: «ظاهرة اجتماعية تُشير إلى مرحلة من العمر تعقب مرحلة المراهقة، وتبدو خلالها علامات النضج الاجتماعي والنفسي والبيولوجي واضحة». **(محمد علي محمد: 1985، ص 06).**

وهذا ما أبرزه "محمد مصطفى زيدان" إلى أن: «الشباب فترة يسودها الكثير من القلق والانفعال، وهذا القلق هو ناتج عن التغيرات النفسية والجسمية التي تحدث في هذه الفترة، فهو(الشاب) الذي لم يعد ذلك الطفل الذي لا يهتم به الناس؛ بل أصبح رجلا في طريقه إلى الرجولة والنمو المتكامل»، ويعتبر "عبد الله بوجلال" أن الشباب هو: «يُشكّلون فئة اجتماعية لها مميزاتها وخصائصها التي تنفرد بها عن بقية الفئات العمرية الأخرى، ويأتي في مقدمة تلك السِمات؛ بالإضافة إلى عامل السن: الجرأة والديناميكية وحب الإطلاع والرغبة في التغيير والقلق على المستقبل وحب الظهور ورفض الواقع والإقبال على الجديد من الأفكار والقيم وأنماط السلوك...وغيرها» وهناك من لا يحدد مفهوم الشباب على أساس عدد سنوات مرحلة حياة الفرد؛ وإنما يعتبرها حالة نفسية ليس لها علاقة بالعمر الزمني، من هذا المنظور يحدد " D.MORTON" مفهوم الشباب على أساس أنه: «بمقدار ما يشعر الفرد بأنه يتمتع بالحيوية والشباب، وبمقدار ما يستطيع أن يولِّد في الآخرين الرغبة في الحياة يكون شابا؛ وحين يخفق في ذلك يشعر باليأس والإحباط والرغبة في الهروب من الحياة هذه بدايات الشيخوخة».

(السعيد بومعيزة: 2005، ص 178).

يتضح من خلال ما سبق أن الشباب فئة مهمة من بين فئات المجتمع، وما تتميز به من قوة ونشاط وفعالية، لا يعني أنها تنتهي بانتهاء هذه الفترة؛ بل قد تستمر باستمرارية حياة الفرد الذي يكون قد تخطى مرحلة الشباب.

بَرَز مفهوم الشباب باعتباره يشير إلى فئة لها نشاطها وفاعليتها في بناء المجتمعات المعاصرة؛ فالشباب يُعتبر حقيقة اجتماعية بالأساس وليس هناك ضرورة بيولوجية لعرض الفكرة التي تؤكد أنه ينبغي استمرار عزل الأشخاص الصغار عن عالم البالغين؛ ومن ثم منحهم ممارسة الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والجنسية؛ ففي حدود السنة الثامنة عشر على الأمثل

يصبح كل إنسان بالغ من الناحية الفيزيولوجية؛ بل يكون قد وصل إلى حالة النضج، فظهور الشباب كمفهوم يشير إلى متغير واقعي برز بالنظر إلى بُعدين أساسيين أولهما يتمثل في الفاعلية التي ارتبطت بهذه الفئة الفاعلة التي تُشكِّل جوهر لحركة مضمون الجديد في النسيج الاجتماعي؛ بينما يتصل الثاني بطبيعة الوضع الثقافي الذي يعيشه النظام العالمي. (www.waha4ar.com).

وفي الآتي أهم التعريفات لمصطلح الشباب من مقاربات واتجاهات مختلفة:

1.2.1.الاتجاه البيولوجي (علم الأحياء):

هذا الاتجاه يؤكد الحتمية البيولوجية باعتبارها مرحلة عمرية* أو طور من

أطوار نمو الإنسان، الذي فيه يكتمل نضجه العضوي الفيزيقي، وكذلك نضجه العقلي والنفسي والذي يبدأ من سن الـ(15 – 25 سنة)، وهناك من يحددها من (13 –30سنة).

(محمد علي محمد: 1985، ص 26).

فالاتجاه البيولوجي يؤكد على أن نقطة البداية في فترة الشباب هي تلك التي تحدث فيها تحولات واسعة وعميقة وسريعة في ملامح جسم الشباب؛ إذ تتلاشى عندهم الرهافة ودقة القسمات المميزة للطفولة، وتحُل محلها الفظاظة النسبية الناتجة من اختلاف نسب أعضاء الجسم وأطرافه، وكل هذا يكون له تأثير على جوانب فيزيولوجية عديدة في جسم الشباب.

(السعيد بومعيزة: 2005، ص 177) .

هذا الاتجاه يُركز على التطورات الفسيولوجية البيولوجية للشباب، خاصة وما يصاحب هذه المرحلة من تغيرات على مستوى الجسم لكلا الجنسين إناثا وذكورا.

---

* **العمر "Age"**: "العمر والجنس هما الميزتان البيولوجيتان اللتان تميزان الإنسان، ويمكننا من خلالهما التمييز بين الناس".

(Dictionnaire de sociologie, Raymond boubon, Philipe Bernard, mohamed Cherkaoui, Bernard-Pierre lécuyer, Larousse, 1999.)

كما يُسمونها في بعض الكتابات مرحلة بلوغ الحُلم، أو اكتمال النضج الجنسي، بلوغ القدرة على التناسل، وتيقض الحاجة الجنسية، ويحدث ذلك عند سن الـ 15 سنة أو قبلها بقليل، وتغطي مرحلة الشباب مدة (10) سنوات تقريبا، فتنتهي في الخامسة وعشرين أو ما حولها، فمصطلح بلوغ الحُلم يشير إلى الناحية الجنسية من النضوج والارتقاء.

(عزت حجازي: 1985، ص 27).

2.2.1.الاتجاه السيكولوجي (علم النفس):

يرى هذا الاتجاه أن الشباب حالة عمرية تخضع لنمو بيولوجي – النمو العضوي – من جهة؛ ولثقافة المجتمع من جهة أخرى، بدءًا من سن البلوغ وإنتهاءا بدخول الفرد إلى عالم الراشدين الكبار؛ حيث تكون قد اكتملت عمليات التطبيع الاجتماعي، فهذا التعريف يحاول الدمج بين الاشتراطات العمرية والثقافة المكتسبة من المجتمع الثابت والمتغير.

(محمد علاء الدين عبد القادر: 1998، ص 26).

فما وضّحه هذا الاتجاه أن الشباب ليس مرحلة عضوية فقط؛ وإنما تكون فيها تحولات على المستوى النفسي بشكل جلي وقوي جدا، خاصة وأن بعض المنظّرين يطلقون عليها "مرحلة القلق والانفعال" نتيجة المؤشرات النفسية التي تطبعها.

إضافة لما سبق يوضح الاتجاه السيكولوجي أن مرحلة الشباب تبدأ من بناء المجتمع وتأهيل الشخص لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي دورا في بنائه.. وتكوين الذات باكتمال البناء الدافعي للفرد لتلبية حاجياته البيولوجية والبسيكولوجية. **(www.waha4ar.comبتاريخ: 2015/09/28)**

فالشباب من المنظور السيكولوجي وفق المعيار الزمني عادة يبدأ من المراهقة، وينحصر ما بين السادسة عشرة والخمسة والعشرون عاما، وهي الفترة التي يكتمل فيها النمو الجسمي والعقلي؛ بمعنى أن المرء يصبح قادرا على أداء وظائفه.

(عبد المحي محمود حسن صالح: 2002، ص 105).

3.2.1.الاتجاه السوسيولوجي (علم الاجتماع) :

ينظر هذا الاتجاه للشباب باعتباره حقيقة اجتماعية وليس ظاهرة بيولوجية فقط؛ بمعنى أن هناك مجموعة من السِمات والخصائص إذا توافرت في فئة من السكان كانت هذه الفئة شبابا. (www.Bahrainyouth.org).

فكما يقول "بورديو" أن الشباب ما هي إلا كلمة.

(Bordieu Pierre : 1980, p 143)

بمعنى أنه توجد صعوبة في تحديد كلمة الشباب ومدلولاتها السوسيولوجية.

كما يعتبرها آخرون مرحلة الإعداد لتحمُل المسؤوليات الاجتماعية؛ كالزواج، تكوين الأسرة، عضوية المنظمات السياسية، الاجتماعية، الشبابية وتحمُل التبعات والمسؤوليات والتكاليف الشرعية والقانونية، فمنهم من يوضح مفهوم الشباب وفق المعيار الزمني "السن" ومنهم من يتناوله من خلال الخصائص والحاجات في ضوء البلوغ الجنسي والنمو الجسمي، ومع ذلك فإن المفهوم الذي يلقى قبولا هو أن الشباب مرحلة يكون فيها الشاب أو الإنسان قادرا أو مستعدا على تقبُل القيّم والمعتقدات الجديدة؛ حيث أصبحت لهم مطالب قد لا تتصل بإشباع حاجات أساسية، ولكنها تتصل بالتأكيد بإشباع حاجات اجتماعية محلية يتطلب إشباعها عادة بإعادة صياغة النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بكامله. **(www.waha4ar.com بتاريخ: 2015/09/28).**

فإن فترة الشباب تبدأ حين يحاول بناء المجتمع تأهيل الشخص الذي يمثل مكانة اجتماعية، ويؤدي دورا أو أدوارا في بنائه، وتنتهي عندما يتمكن الشخص من احتلال مكانته، وتنتهي عندما يتمكن الشخص من احتلال مكانته ودوره في السياق الاجتماعي وفقا لمعايير

اللعبة الاجتماعية، ويؤكد علماء الاجتماع على أن الشخصية تبقى شابة طالما أن صياغتها النسقية لم تكتمل بعد؛ وبالتالي فهم يعتمدون في تحديدهم لفئة الشباب على الطبيعة ومدى اكتمال الأدوار التي تؤديها الشخصية الشابة.

(السعيد بومعيزة: 2005، ص 177).

فمفهوم الشباب يرتبط بكل المجالات، سواء النفسية أو الاجتماعية أو النفسية الاجتماعية معا، من خلال بداية ونهاية مرحلة الشباب بمدى اكتمال بنائهم الدافعي، وتذهب هذه النُظُم العقلية أنه إذا اصطلحنا على تسليم دورة حياة الإنسان بين الطفولة والشباب والرجولة والشيخوخة، فإن المرحلة الأولى في غالبها ذات طابع بيولوجي؛ بينما الثانية بيولوجية نفسية اجتماعية، وتُعتبَر الثالثة امتدادا لهذا الاكتمال إلى أقصى مستويات النضج وهو المستوى الذي يبدأ في التحليل خلال المرحلة الرابعة؛ حيث الشيخوخة والمرحلة الثانية هي مرحلة الشباب وهي مرحلة المعاناة لأنها مرحلة الاكتمال؛ والاكتمال مرحلة فيها، ذلك يعني أن الشخصية الشابة تُعتبَر بناءً يتكون من مجموعة العناصر البيولوجية.

(www.waha4ar.comبتاريخ: 2015/09/28).

4.2.1.الاتجاه الديمغرافي (علم السكان):

في هذا السياق يشير باحثون إلى أن علماء السكان هم من حاولوا تقديم مفهوم الشباب، ويستندون في تحديدهم لمفهوم الشباب إلى العمر الذي يقضيه الفرد في التفاعل الاجتماعي؛ إلا أنهم يختلفون أنفسهم بخصوص نقطة بداية ونقطة نهاية لهذا العمر الشبابي.

فالبعض يقول أن الشباب هم من تحت سن العشرين، والبعض الآخر يؤكد على من هم تحت سن الخامسة والعشرين، وهذا الاختلاف يعكس طبيعة السياق بالنسبة لعالم السكان والشاب على حد سواء؛ مثلا : فإن المدى العمري الذي تقع فيه الفئة الشبانية في البلدان النامية يختلف عن نظيره في البلدان المتقدمة؛ حيث تمتد فترة الشباب والمراهقة في الأخيرة عنها في الأولى، وأن الحد الأقصى لسن الشباب ينتهي في الأولى مبكرا عن الثانية. **(السعيد بومعيزة: 2005، ص177)**.

وقد اعتمدت الأمم المتحدة عام (1980) معيار العمر كمحدد لفترة الشباب، بأنها الشريحة التي تمتد بين 15 و 30 سنة. **(محمد سيد فهمي: 2007، ص 86)**.

يتضح من خلال ماسبق أنه بالرغم من أهمية الشباب على أكثر من صعيد والاهتمام بهم كظاهرة اجتماعية واقتصادية وثقافية؛ إلا أن هناك صعوبة في تحديد مفهوم الشباب أو بالأحرى غياب اتفاق حول تعريف المصطلح الشبابي.

ثانيا/ فئات الشباب:

الشباب قطاع اجتماعي عريض، لا يمكن التعامل معه باعتباره وحدة واحدة متساوية، فإنه يتباين من فئات في المواقف والتعليم والثقافة وكذلك موقع العمل والسكن والوضع الطبقي، ويمكن تقسيم الشباب اعتمادا على ثلاثة أسس وهم:

- ❖ **فئة الشباب المتعلم:** أو المثقف، فهي فئة تعتمد على الخبرة، وتُصنّف على أنها فئة قيادية في المجتمع.
- ❖ **فئة الشباب الواعي:** هي تلك الفئة التي تُلِّم بقدر من الثقافة والتعليم، وامتلاك بعض الخبرات، لكنها من ناحية النشاط والفعل المباشر تبدو خاملة، أو أن نشاطها لا يتوازى مع إمكانياتها، وجزء من هذه الفئة فاعل ونشِط ويمكن أن يتقاطع مع الفئة الأولى.
- ❖ **فئة الشباب التابعون:** وهي فئة واسعة وعريضة، ولكنها تتصف بتدني الوعي
- ❖ والتعليم وغير مبادِرة، هؤلاء يشاركون في النشاط، ولكنهم لا يبادرون إلى فعله؛ بل ينتظرون من يقودهم ويوجههم إليه. **(www.bahrainyouth.org 25/10/2016).**

ثالثا/ المفاهيم القريبة للشباب:

هناك العديد من المصطلحات والمفاهيم القريبة من مفهوم الشباب، ومن بين هذه المفاهيم التي سنوضحها في هذه الدراسة هي:

1.3.المراهقة: يُقصد بها لغة أنه راهق الغلام؛ أي قارب سن الحلم وبلغ مبدأ الرجال. **(عبد الغني الديدي: 1995، ص 7).**

إن كلمة المراهقة (Adolescence) مشتقة من الفعل اللاتيني (Adolescere)، ومعناها التدرج نحو النضج الجنسي والانفعالي والعقلي، وكثيرا ما تستخدم المراهقة والبلوغ على

أنهما مترادفتان، وفي الحقيقة أن ثمة اختلاف في معنى اللفظين فكلمة البلوغ (Puberty) يقتصر معناها على النمو الفسيولوجي والجنسي وهي مرحلة تسبق مرحلة المراهقة مباشرة وفيها تتضج التناسلي، وكلمة (مراهقة) تُطلق على مرحلة تبدأ بالبلوغ وتستمر حتى مرحلة النضوج. **(بوبكر جيملي: 2009، ص 99).**

من بين التعريفات التي قدَّمها الباحثون لمرحلة المراهقة تعريف "**سانتروك**" لمرحلة المراهقة بأنها الفترة الارتقائية للانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد المبكر، والتي تبدأ تقريبا في الفترة العمرية من (10 إلى 12 سنة)، وتنتهي عند الفترة من (18 الى 20 سنة)، وتؤكد معظم تعريفات مرحلة المراهقة على الخصائص السيكولوجية لهذه المرحلة ومن ذلك تعريف "**بيوكنار**" بأنها المرحلة التي يبحث فيها الفرد عن ذاته بانضمامه لجماعة بعلاقة حميمة وتكوين شلة الأقران، واكتشاف القيّم والمثُل العليا، وارتقاء الشخصية، وتشكيل الذات وتحقيق مكانة الراشد من خلال المهارات والمسؤوليات الاجتماعية، وترى "**كونوفا**" أن المراهقة موقف هامشي يتم فيه تحقيق أشكال جديدة من التوافق، وهي بصفة خاصة الفترة التي تُميّز بين سلوك الطفل وسلوك الراشد في مجتمع معين. **(بوبكر جيملي: 2009، ص 100).** وهذا ما تطرق له "دوبيس" " De Besse" على أنها تحولات جسمية ونفسية تحدث بين الطفولة ومرحلة الرشد.

(De Besse :1971, p.8).

قبل أن نشرح لماذا لا يحتاج المراهق لنموذج لكي يبني هويته، يجب أن نعرف فترة المراهقة.

أولا تعريف "Erik Erikson" توجد هناك في السلسلة الحيوية للفرد فترة طبيعية للاستئصال من الجذور للفرد الشاب في الفترة التي ينطلق فيها من الداخل، يجب أن يطلق من تمسكه الطلب بالطفولة لكي يمسك ويسيطر بقوة على وضع الراشد، المراهقة يمكنها أن تمنحه

شعور باثنين من ردة الفعل النموذجي لهذه الفترة الحياتية، يمكن له أن يرتعب من الانخراط في حياة الراشدين، لأنه يشعر ببعض الشك حول ذاته والآخرين، ويبدي ضرورة لتجديد نفسه وتعريفها مقارنة بالأكبر سنا.

(**Simon Caudry**, **Simon Longlois**, selon:www.collectionscanada.gc.ca)

وتتصف فترة المراهقة بما يلي :

- أنها مرحلة عاصفة تتخللها توترات شديدة مؤثرة في السلوك، وتوترات سلوكية لدى المراهق.
- أنها مرحلة ضغوط تتميز بالتغيرات البيولوجية والاجتماعية والانفعالية، يحاول فيها المراهق أن يحقق استقلاليته، وأن يدعم هويته، وأن ينشىء علاقات حب مع الآخرين خارج نطاق الأسرة.
- أنها مرحلة يعاني فيها المراهق من أزمة الهوية؛ إذ يحاول فيها أن ينفصل عن والديه، ويبدأ السعي لتكوين شخصية وهوية متميزة، ويحاول الخروج عن القيود التي فرضَها الوالدان عليه، فيُظهر الآباء تذمرا من ذلك ومن عدم قدرتهم على تحقيق الانسجام والتفاهم مع أبنائهم.
- أنها مرحلة تتطلب اتخاذ قرارات؛ فالانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد والبحث عن هوية متميزة كلها عوامل تساعد في ضغوط وأعمال غير تكيفية لدى المراهق.
- هي مرحلة يواجه فيها المراهق الكثير من المشكلات التي يعاني منها أقرانه عموما كإقامة علاقات مع الآخرين والعلاقات العائلية، الحب، الزواج، فلسفة الحياة، الجاذبية الشخصية والشعور بالأمان... **(عمر أحمد الهمشري: 2003، ص 239، 240).**

وبالتركيز على المفاهيم المستخدمة في علم النفس لمصطلح المراهقة، نجد أنها تشير إلى الشباب إما على أنهم "كبار المراهقين" أو على أنهم "صغار البالغين"؛ فأما أولئك الذين

يستخدمون المفهوم الأول، فنراهم يميلون إلى اعتبار سلوك الشباب كما لو كان بقايا من مظاهر عدم النضج الذي تتميز به مرحلة الطفولة، ثم يميلون إلى استخدام لفظة "المراهقة" يصفون بها عدم ثبات السلوك لدى الشباب، فيتخذون من معارضة الشباب للحرية والعنصرية والتلوث والإمبريالية، على أنها شكل من أشكال التمرد في فترتي الطفولة والمراهقة، وفي المقابل نجد من يستخدم المفهوم الثاني "صغار البالغين" أكثر تفاؤلا، ليعني الإشارة إلى النضج والمسؤولية والعقلانية التي تكمن وراء ما يُبديه هؤلاء الشباب من سلوكيات مضطربة وغير مستقرة، هذا في الوقت الذي ينتقد فيه البعض مثل "**كينيث كينستون**" وجهتي النظر السابقتين مؤكدا أن الشباب ببلوغه سن الرابعة والعشرين يكون قد تخطى مرحلة التمرد المعروفة عند المراهق بما لا يقل عن عشر سنوات، كما تتحدد في هذه السن وجهات نظره ويستقر لديه معنى وإحساس ثابت عن نفسه، على نحو يختلف كثيرا عما تكون عليه حال المراهق في سن الرابعة عشر، كما أنه في نفس الوقت يختلف عن البالغ أو الراشد الذي تحددت مكانته في المجتمع فالتحق بالعمل، أو تزوج، أو أنجب أطفالا. **(بوبكر جيملي: 2009، ص 101، 102).**

ففي هذه السن يصبح الشاب يشعر بالهدوء والسكينة وبزيادة القدرة على العمل وإقامة علاقات متبادلة مع الآخرين وعلى إيجاد نوع من التوازن مع العالم ومن أهم سِمات هذه المرحلة تطور النمو الاجتماعي بشكل ملفت للنظر. **(حامد عبد السلام زهران: 1995، ص 339).**

إن بناء الهوية عند الطفل والمراهق تسمح لنا بفهم كيف يكون الآخر بناءً ومُشيدا للهوية عبر تطور سيرورة الهوية عبر الانفصال أو الرفض، الانخراط أو التجنيد.

(Annales publiées Trimestriellement par l’université de Toulouse: 1979, p. 08).

2.3. مفهوم الجيل: يقترن مصطلح الجيل بالشباب لدرجة كبيرة؛ هذا الأمر يقتضي توضيح وتحديد أكثر دقة، مما يُعين على تحديد معالم المصطلح، وتجنب الخلط المفاهيمي، ويُستَخدَم مصطلح "الجيل" للإشارة إلى عدة معاني، فهو قد يعني:

- ❖ كافة أعضاء المجتمع الذين ينتمون إلى أصل قرابي مشترك ويمثلون جماعة عمر واحدة.
- ❖ كافة أعضاء المجتمع الذين وُلدوا في فترة متزامنة ولكن تربطهم روابط قرابية.
- ❖ فترة زمنية تفصل بين أعضاء المجتمع الذين وُلدوا في فترة واحدة، وبين الجيل التالي وتُقدّر هذه الفترة بحوالي 30 سنة. **(بوبكر جيملي: 2009، ص 105)** .

ويُعد مفهوم الجيل مفهوما أساسيا في دراسة الشباب كفئة اجتماعية مخصوصة، وفي تفسير الظواهر المرتبطة بالتطور التاريخي وتحليل العوامل المحددة للتغيير الاجتماعي، فكلمة "Generation" ذات تأصيل إغريقي وهي مصطلح أساسي في الفلسفة اليونانية؛ فالإغريق القُدامى كانوا واعين متفطنين للنتائج الاجتماعية والسياسية للتعارض بين الأجيال، فالفيلسوف "أفلاطون" كان يرى في الصراع الجيلي قوة محركة للتغيير الاجتماعي، و"أرسطو" كان يُفسِّر الثورات بالصراع بين الأبناء والآباء، وليس فقط بالصراع بين الطبقات التي يمكن أن تكون السنة المدنية، أو الأشخاص الذين عاشوا في نفس الوقت حدثا محددا مثل الحصول على دبلوم.

(بوبكر جيملي: 2009، ص 105).

وقد استعمل "ابن خلدون" هذا المفهوم في بناء نظرية نشأة وانحلال الدولة، التي اعتبر أن لها أعمارا طبيعية كما أن لها أشخاص، وقدر الجيل بأربعين عاما، ومن ثمة فإن عمر الدولة لا

يزيد في الغالب على مائة وعشرين عاما، على اعتبار أنها تمر بثلاثة أجيال هي جيل الترف والانحلال والهرم. **(بوبكر جيملي: 2009، ص 105).**

رابعا/ **خصائص الشباب:**

تعتبر مرحلة الشباب من أهم المراحل التي يمر فيها الفرد؛ حيث تبدأ شخصيته بالتبلور، وتتضح معالم هذه الشخصية من خلال ما يكتسبه الفرد من مهارات، معارف ونضوج جسماني عقلي، والعلاقات الاجتماعية التي يستطيع الفرد صياغتها ضمن الاختيار الحر، وإذا كان معنى الشباب أول الشيء فإن مرحلة الشباب تتلخص في أنها مرحلة التطلع إلى المستقبل بطموحات عريضة وآمال كبيرة.

أما خصائص الشباب في هذه المرحلة فهي عديدة وإن كانت هناك خاصيتان أساسيتان للشباب بشكل عام وهما:

❶ أن الشباب اجتماعي بطبعه وهذا يعني الميل الطبيعي للانتماء لمجموعة اجتماعية يعطيها وتعطيه.

❷ أن الشباب طاقة قابلة للتغيير والتشكيل.

أما الخصائص و المميزات الأخرى للشباب فهي:

❸ طاقة إنسانية تتميز بالحماسة، الحساسية، الجرأة، الاستقلالية، ازدياد مشاعر القلق،المثالية المنزهة عن المصالح والروابط. **(www.bahrainyouth.org 25/10/2016).**

❹ الفرد يُعدُ شابا بمقدار ما يشعر بالحيوية والحماس والحركة والطموح والأمل في الحياة، وبمقدار ما يستطيع أن يُولِّد في الآخرين الرغبة في العمل والحياة ويكون

شابا، وحين يُخفِق في ذلك يشعر باليأس والإحباط والرغبة في الهروب من الحياة.

(بوبكر جيملي: 2009، ص 89).

الفضول وحب استطلاع، فهو يبدو دائم السؤال والاستفسار في محاولة لإدراك ما يدور حوله، والإلمام بأكبر قدر من المعرفة المكتسبة مجتمعيا.

❺ دائما ناقد، لأنه ينطلق من مثاليات أقرب إلى الطوباوية ونقده يقوم على أساس أن الواقع يجب أن يتطابق مع تفكيره المثالي.

❻ لا يقبل الضغط والقهر مهما كانت الجهة التي تمارس هذا الضغط عليه، سواء كانت سلطة أو أسرة، وهذا السلوك جزء من العنفوان الداخلي للشباب والاعتداد بالنفس وعدم الامتثال للسلطة كتوجه تقدمي.

❼ درجة عالية من الديناميكية والحيوية والمرونة المتسِمة بالاندفاع، الانطلاق، التحرر والتضحية.

❽ بدء التفكير في خيارات الحياة، المستقبل، الزواج التعليم والثروة.

❾ اضطراب اتزان الشخصية وارتفاع مستوى توترها؛ حيث تصبح معرضة لإنفجارات انفعالية متتالية، واختلال علاقاتها الاجتماعية مع الأسرة والأصدقاء وغيرهم.

❿ القدرة على الاستجابة للمتغيرات مع من حوله وسرعة في استيعاب وتقبل الجديد المستحدَث والتنبيه والدفاع عنه، وهذه السمات تعكس قناعة الشباب ورغبته في تغيير الواقع الذي وُجد فيه ويشارك في صنعه. **(www.bahrainyouth.org 25/10/2016).**

وعليه، من الخصائص السابقة نستنتج ارتباط مفهوم الشباب بمصطلح المراهقة؛ إذ تتداخل خصائص كل مرحلة مع مرحلة أخرى، وتبين سِمات الطفولة والطفولة المبكرة، فإذا كانت

الطفولة تُعرّف بأنها مرحلة الاعتماد على الغير، فإن الشباب مرحلة من مراحل النمو بين الطفولة والرجولة (البلوغ)، تتضمن انتقالات متعددة في المكانة والأدوار ولا شك أن هذه الانتقالات تُصاحبُها تغيُرات اجتماعية وسيكولوجية مرتبطة بعملية التحول من الطفولة إلى البلوغ؛ حيث يتضح الاستقلال الشخصي والدفاع عن النفس واحترام الذات وتحمُل المسؤولية نتيجة الارتباط بأداء أدوار جديدة، تتماشى مع المرحلة العمرية من الخامسة عشرة إلى الثلاثين، ويمكن تحديد خصائص تلك المرحلة العمرية التي تعكس سن وميول احتياجات الشباب:

1- الخصائص الجسمية: إن نقطة البداية في تحوُل الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الشباب هي البلوغ ومفهوم البلوغ يُستخدَم للإشارة إلى المظاهر الفيزيقية للنضج الجسمي، على سبيل المثال تُشير مرحلة ما قبل البلوغ إلى الفترة التي تسبق تطور الخصائص الجنسية الأولية والثانوية، وتتميز هذه المرحلة بظهور معالم جسمية وفسيولوجية معينة سواء عند البنين أو البنات، والناحية الجسمية تتميز بالاستمرار في النمو نحو النضج الكامل؛ مع التخلص من الاختلال في التوافق العضلي العصبي، كما أن المناعة ضد الأمراض العضوية الخطيرة، تكون هذه الفترة أقوى منها في المراحل السابقة، كما يزداد أيضا الطول والوزن وتتغير قوة الجسم وتحاول الغرائز التعبير عن نفسها؛ بالإضافة إلى التغيرات الأخرى في الشكل والصوت والطاقة التي يتمتع بها الإنسان. **(نورهان منير حسن فهمي: 1999، ص 243).**

فتشهد هذه المرحلة تحولات واسعة وعميقة في ملامح جسم الشباب؛ إذ تتلاشى الرهافة ودقة القسمات المميزة للطفولة، وتحُل محلها حالة من الفضاضة النسبية الناتجة من اختلال نسب أعضاء الجسم وأطرافه، وبخاصة بالنسبة لليدين والساقين والأنف.

(عزت حجازي: 1985، ص 30).

2- الخصائص الاجتماعية:

تُعد مرحلة الشباب مرحلة تتسم بالقابلية والتغيُر في آن واحد لتحقيق أعلى مستويات الذات الفردية والانتماء الاجتماعي للجماعة، ليبين أنه قادر على تحمل المسؤولية الاجتماعية رغم ما يتخللها من تغيرات، وتعتبر الجماعة بالنسبة لهذه المرحلة أهم عامل مؤثر على الشباب، خاصة جماعة الرفاق أو الأقران.

ومع ذلك بالرغم من تكوينهم لهذه الجماعة، فهذا لا يعني أن الشباب ليسوا جماعة متجانسة يتفق أعضاءها في قسماتهم، فلما كانت مرحلة الشباب تغطي فترة من العمر تزيد على 10 سنوات عادة، وفي ضوء الاختلافات الهائلة أحيانا في الظروف التي يعيش فيها الشباب، ويتأثرون بها، فإن من الطبيعي أن يختلف الشباب فيما بينهم في ملامحهم العضوية والنفسية والاجتماعية، ومع هذا فإنه من الممكن أن نميزهم كجماعة عن كل من جماعتي الأطفال والراشدين. **(عزت حجازي: 1985، ص 30).**

يرى "**كلوز**" أن الشباب يواجه الكثير من صور الحِراك الاجتماعي حتى يصبح مواطنا مندمجا في مجتمعه؛ حيث ينتقل من حالة الاعتماد على الغير إلى حالة الاستقلال النسبي؛ فالشباب ينتقلون من مرحلة التعلُم إلى سوق العمل، وينتقل من المنزل إلى البيئة الخارجية، كذلك من العيش مع الأسرة إلى تكوين أسرة مستقلة، في هذه المرحلة العمرية يميلون إلى الارتباط بالشباب الآخر المنتمي إلى كيانات اجتماعية وثقافية مغايرة لهم، ويزيد في هذه المرحلة التضامن كما يبدو أنه متمردا، ثم يتجه إلى الرغبة في السلطة الضابطة، ثم يتجه إلى التعقل في النقض الذاتي، كما يبدو عليه الرغبة في الإصلاح، ثم الاتجاه نحو ممارسة الإصلاح، كما يبدو بعدم مواصلة المشروعات حتى نهايتها ثم يعمل لإنجاز الأعمال.

(سعد عويس: 1979، ص 55) .

3 – الخصائص النفسية :

المسألة الجوهرية أثناء مرحلة الشباب هي التوتر بين الذات والمجتمع؛ فالشباب والشابات يميلون إلى قبول وصف مجتمعهم لهم بأنهم: متمردين، هاربين من المدرسة، ممتثلين، أبطال رياضيين، وتتعقد العلاقة بين القيّم المحددة اجتماعيا والشباب، وتتسم بالنفور والصراع وعدم قبول الواقع الاجتماعي في الكثير من الأحيان.

(محمد مصطفى الأسعد: 2000، ص 105).

إجمالا فجُل الخصائص السابقة مرتبطة ببعضها البعض، فليس ثمة خلاف كبير حول طبيعة التحولات البيوكيمياوية التي تطرأ على الشخص مع بلوغ الحلم وبحدة، فهي تبدأ بزيادة إفراز الغدة الدرقية، وتمتد إلى مجالات ومظاهر عديدة، فتحدث تغيرات على مستويات عدة؛ وعلى أية حالة ترجع أهمية هذه التغيرات العضوية من الناحية النفسية إلى ما لها من تأثير في الوضع الاجتماعي للمراهق، وما يترتب على ذلك من إثارة اهتمامه بذاته بوجه عام...فإذا أضفنا إلى ذلك الاضطراب الذي يظهر في السلوك الحركي للمراهق حتى يُعيد تنظيم عاداته الحركية بما يلاءم م النمو الجديد، وإذا تخيلنا أثر هذا الاضطراب في نظرات من حولنا، أمكن لنا أن نتصور الأثر العميق غير المباشر الذي تتركه هذه التغيرات الجسمية في نفسية المراهق، والذي يمكن أن نلخصه في تنبيه "الشعور بالذات" إلى درجة بعيدة. **(عزت حجازي: 1985، ص 32).**

4- الخصائص العقلية :

يُعتبَر النمو العقلي والانفعالي في هذه المرحلة نِتَاج التجارب والتفاعل والنمو في المراحل الأولى، لهذا تتميز هذه المرحلة بالاختلاف الكبير بين الأفراد وفي درجة نموهم النفسي والعقلي والبدني، وتلعب العاطفة دورا هاما في حياة الشباب وتمكّنه من التحكم في انفعالاته ومشاعره، واشتداد النزعة الاستقلالية لديه ويمكن إيجاز هذه الخصائص فيما يلي:

يتميز بالرومانسية والمثالية المطلقة، وينعكس ذلك على أسلوب تعامله ونظرته إلى الحياة، فيحاول دائما أن يكون له رأيه الخاص وموقفه المتميز في كل قضية ومسألة، ناقدا دائما بحكم مثليته؛ عادة ما ينقد الواقع قياسا بما يجب أن يكون، والشباب يحاول التخلص من كافة الضغوطات المسلطة عليه لتأكيد التعبير عن الذات والرغبة في التحرر، باستحداثه أنماط ثقافية جديدة في المجتمع، كطراز الملبس الذي يرتديه.

(نورهان منير حسن فهمي: 1999، ص 201).

وهذا ما سهّل عملية الثقافة الاستهلاكية بنقده الواقع وقبوله الوافد الجديد حتى وإن كان مغايرا لكل الضوابط الاجتماعية الخاصة بمجتمعه، كما تظهر في هذه المرحلة قسمات الهويات، والميول الخاصة بأن تطفو للسطح خاصة لما يلقى التنشئة والدعم المناسبين لبروزها ضمن هذه المرحلة الحساسة، مستعينا في ذلك بالخيال الذي يُعد الميكانيزم الأساسي الذي يؤثر على هذه المرحلة في حياة الفرد، وبالمقابل تزداد نسبة الانتباه، النمو والتذكر لديه، وتبقى الاختلافات التي تحكم الأفراد فيما بينهم نتيجة الفروق الفردية.

خامسا/ الثقافة الفرعية:

تعبّر ثقافة الشباب عن ثقافة فرعية ناتجة عن توجهات هذه الفئة العمرية، تعبيرا على خصوصيتهم الثقافية، وطريقة عيشهم وحتى تواصلهم مع باقي الشرائح المجتمعية التي بدورها تمثل ثقافات فرعية أخرى حسب طبيعة الشريحة التي ينتمون إليها.

يُعرّف "السيد عبد العاطي" ثقافة الشباب بقوله "إن ثقافة الشباب هيكل من القيّم والاتجاهات والمعتقدات ومعايير وأنماط السلوك التي يصنعها جيل الشباب كحلول يتصورها لبعض المشاكل البنائية. **(أسعد علي وطفة: 1992، ص 13).**

فمثل هذه الثقافات لا تختلف عن الثقافة الأصلية على أساس أنها نابعة منها مع تغيرات على مستوى قيّمها السائدة من طرف الشباب، ومع ما تحمله هذه المرحلة من تطورات مستقبلية تجعله يعتقد أن كل ما هو موروث ثقافي فرعي حداثي بالنسبة بهم حلول لمشاكل خاصة بفئتهم العمرية وتعبيرا على أنماط سلوكية خاصة بهم.

الاهتمام بموضوع ثقافة الشباب يرجع بالخصوص إلى الجدل الذي برز منذ ظهور مصطلح "المراهقين الأثرياء" في البلدان الغربية بعد الحرب العالمية الثانية، وكان الاهتمام الأول يركز على الشباب الذكور، وبرزت عدة دراسات أكاديمية كتلك التي أجراها "ديك هيبدايج" على جماعة "البانك" أو ما يسمون بـ"المتشردين المتمردين"، وفي السبعينيات والثمانينيات بدأت بعض الكتابات مثل: أنجيلا ماكرومي برفض تعريف "ثقافة الشباب" كنوع من الممارسات العامة، وأدخلت الطقوس الخاصة للشابات والفتيات في سياق هذا المفهوم. **(بن مهرة ليندة لطيفة: 2014، ص 62).**

وفي هذا الخصوص يمكن القول أن المجتمعات الحديثة تتكون من ثقافات فرعية ميدانية، لكل منها طائفة من المعايير والقيّم والخاصة بها، التي ترسم أهداف الحياة لأفرادها، وتحدد الثقافات الفرعية شأنها في ذلك شأن الثقافات العامة نمط السلوك الذي يتوجب على أفرادها وتحدد لأفرادها على المستوى القيمي ما يجب فعله، وما لا يجب.

(أسعد علي وطفة: 1992، ص 09).

يرى بعض علماء الاجتماع المعاصر أن ثقافة الشباب في المجتمع الحديث هي ثقافة فرعية، ويلاحَظ أن هذا التشخيص كان موضع جدل مهم ومثير بين كُتاب المدرسة الوظيفية من ناحية؛ ونُقادهم من ناحية أخرى، وتُفسِّر الدراسات السوسيولوجية ثقافة الشباب من خلال العوامل الفعالة في تجربة المراهقة أو تلاعب الكبار بأساليب الشباب في تمضية وقت الفراغ بفعل الإعلانات وغيرها، من خلال تأثيرات وسائل الاتصال الجماهيري، وتؤكد تلك الدراسات أن الفصل في الوظائف بين البيت والمدرسة ومكان العمل يجعل المراهقين يزدادون اختلافا عن البالغين، كما يجعلهم أكثر وعيا بذاتهم وأكثر تأثُرا بجماعات الرفاق من تأثرهم برعاية الوالدين وغير ذلك من المؤثرات المرتبطة بعالم الكبار، ويذهب بعض علماء الاجتماع إلى أن الصدام الثقافي بين الأجيال قد حلَّ محل الطبقة الاجتماعية، بوصفها الشكل الأساسي للصراع في المجتمع الصناعي، ومع ذلك فإن الطبقة نفسها تلعب دورا بارزا في تشكيل مضمون ثقافات الشباب المختلفة.

(محمد سيد فهمي: 2007، ص 120، 121) .

إذن ما نستشفه هنا أن الثقافة الفرعية تدل على ثنائية الاستخدام، بين المفهوم الذي يدل على الأنساق المعيارية لتجمعات الأفراد، التي تختلف عن المجتمع بصفة عامة، وهذا هو مدلول

الثقافة الفرعية من جهة، و تدل على فكرة الصراع بين هذه التجمعات المشكلة للثقافة الفرعية وبين المجتمع من جهة أخرى ، وهذا يدل على الثقافة المضادة.

ما يميز الثقافة الفرعية الخاصة بالشباب بأنها:

- ✓ ثقافة مميزة لفئة عمرية اجتماعية داخل المجتمع، نابعة من الثقافة الكلية.
- ✓ بقدر تمييز هذه الشريحة عن باقي الشرائح المجتمعية ينعكس على طبيعة ثقافتها؛ مما يجعلها تتسم بصفة الشمولية والاستقلالية وديمومة تغيُرها بشكل ديناميكي.
- ✓ تميُز ثقافة الشباب بخصائص ثقافية ومميزات سلوكية تجعلها تتميز على باقي أنواع الثقافات الفرعية المتواجدة بالمجتمع.

ورغم ما تتسم به الثقافة الفرعية للشباب؛ غير أنه هناك العديد من الدراسات التي تعتبرها ثقافة مضادة ومعارضة للثقافة الكلية، خاصة في ظل ما تتميز به مميزات على مستوى السلوكيات وما تحمله من دلالات على مستوى الحوارات الخاصة بهم وطريقة لباسهم وحركاتهم، إجمالا فهم يعتبرونها مغايرة تماما للضوابط المجتمعية.

وهذا ما أوضحته بعض الدراسات المصرية حول الشباب؛ بحيث سجلت أن ثقافة الشباب المعاصرة هي ثقافة مضادة تعبر عن تحدٍ سافر للقيّم والمعايير التي يعتبرها المجتمع أساس النظام القائم. **(محمد سيدي فهمي: 2007، ص 121).**

فمع التطور التكنولوجي الحديث تغيرت العديد من المفاهيم على مستوى الثقافة الفرعية الخاصة بالشباب المراهقين على الصعيد الاستهلاكي، فانقلبت من ثقافة فرعية تتسم بخصوصيات ثقافية مختلفة على النموذج الثقافي الكلي، إلى ثقافة تصطبغ بنوع من المادية والفردانية التي عملت عليها الإمبراطوريات الإعلامية الكبرى.

وهنا نطرح التساؤل: هل أعددنا شبابنا ليختار ما يشاهده، ويحمي نفسه مما ينبغي أن يحترس منه؛ ويستفيد مما يمكن أن يكون مفيدا له؟ وهل تنبهنا إلى ثقافة الاستهلاك التي تنفذ إلى الكتلة الشبابية في كل مجتمع؟ فالاستهلاك يذكي الموضات ويشجع عليها بتضخيم صورة الشخص الذي يساير الموضة، فماذا يفعل الشباب الذي لا يملك ما يمكّنه من مسايرة هذه الموضة.

وهنا يمكننا أن نَسُوقَ تعريفا للموضة ورد في "قاموس علم الاجتماع"، والذي ورد فيه أن الموضة هي «عناصر أو أنماط سلوكية لا منطقية وانتقالية تعاود الظهور في المجتمعات التي لا توجد بها رموز مستقرة للمكانة، في الوقت الذي يسعى أعضاؤها للحصول على اعتراف بمكانتهم، وتعبير عن ذواتهم من خلال الميل إلى محاكاة الصفوة، هذا التقليد يمثل قنوات التعبير عن الأذواق الجماعية؛ مما يؤثر بدوره في إحداث تغييرات أساسية في الحياة الذاتية للأفراد وفي نظامهم المعياري».

(محمدعاطف غيث: 1985، ص 184).

فالموضة تعتبر أهم سِمة من السِمات المميزة للثقافة الفرعية الخاصة بالشباب، فهي تقدم لهم اجتماع وانتماء اجتماعي لفئتهم العمرية عن طريق القبول والمساواة فيما بينهم، لتعبر عن استقلاليتهم وفردانيتهم المجتمعية، كما تُضفي صبغة الانفتاح على ثقافة الآخر بغض النظر إذا كانت تحمل في طياتها إيجابيات أم سلبيات، وهذا كله ينطوي على دلالات الاختراق والغزو الثقافي الذي يعارض الثقافة الفرعية ويعمل على انسلاخها.

لكن أخطر شيء في الغزو الأجنبي يكمن في الجانب غير المادي؛ أي المعنوي من الثقافة الذي يشمل: الأفكار، الآراء، المعتقدات، المعايير والقيّم التي تُملي على الشباب ألوانا من السلوك، إذا يتكرر بانتظام وأصبحت لهم عادات وأعرافا وتقاليد وبِدعًا يتمسكون بها وبشدة،

وهكذا يصبحون بدون أدنى تفكير انسياقا لهذا الغزو الأجنبي بصرف النظر عما إذا كان متطرف أو هدام، منحرف إباحي يزيد الأمر خطورة عندما يصبح لمدخلات الغزو الأجنبي غير المادي؛ أي المعنوي قيمة كبيرة بين الشباب؛ بحيث يصبح مختزنها بها والداعي لها، مرموقا بينهم، يلتفون حوله ويقدّرونه ويقلّدونه؛ على حين يصبح النافر منها والمفنّد لها والمحذر من شرورها، تقليديا، محافظا وجامدا متأخرا يبتعد عنه من فقدوا هويتهم من الشباب المبهورين بالثقافة الأجنبية غير المادية.

(سامية الساعاتي: 2003، ص 58، 59).

وقد أشارت بعض الدراسات المصرية حول الشباب إلى أنه من الضروري النظر إلى انتشار الشباب بصورة لم تحدث من قبل على نحو جذب اهتمام الشباب ومشاركتهم بعيدا عن الانتماء الطبقي الاجتماعي، أو الانتماء الإقليمي أو المستوى التعليمي الذي حصَّلوه، ويسجل الدكتور "محمد علي محمد" دور ثقافة الشباب في إحداث نوع من الانفصال أو التباعد بين المراهقين والشباب من جهة والكبار من جهة أخرى، وكان نتيجة ذلك تطوير ثقافات فرعية تتصارع فيما بينها في كثير من الأحيان، كما تُسجّل نفس الدراسة ما تنطوي عليه ثقافة الشباب المعاصرة من الاتجاه الواضح نحو المعارضة، وترى أن كثيرين هم الذين يتحدثون عن ثقافة الشباب ولا يعتبرونها بمثابة خبرة انتقالية؛ وإنما هي في نظرهم ثقافة مضادة تعبّر عن تحدٍ سافر للقيّم والمعايير التي يعتبرها المجتمع أساس النظام القائم.

(محمد سيد فهمي: 2007، ص 121).

فثقافة الشباب إذن واقع وطني ومحلي في الوقت ذاته، وهو آخذ في التشكيل والتبلور، وبوسعنا أن نرصُد إرهاصاته الأولى، وفي جميع الأحوال يجب أن تتبلور رؤيتنا على أساس التعامل مع متغيراته التي تؤكد على أن شباب اليوم شيء مختلف لأنه يعيش واقعا مختلفا عما

عرفناه أو عما نعرفه الآن، وأن هذا الاختلاف لا يصح أن نُقويه بمعايير الصواب والخطأ، ولا الحلال والحرام، ونشير هنا إلى أن تلك المقولات فيها ظلم لهؤلاء الشباب؛ مما يؤدي إلى سوء الفهم والتفاهم، وهناك بعض النُظم الاجتماعية الحديثة التي أسهمت وتُسهم في إبراز الشباب كجماعة اجتماعية صانعة لثقافة خاصة.

إن ثورة الشباب أصبحت ظاهرة عامة لا تقتصر على المجتمعات الليبرالية المتقدمة فحسب؛ ولا هي وَقْف على المجتمعات النامية التي تعاني آثار التخلف؛ فالتخلف والثروة مجلَبَة لنوع من الرفض الشبابي، والفقر والحرمان مبررا لهذا الرفض، تلك نقطة بالذات هي التي تفرض علينا توجيه النظر إلى ثقافة الشباب في ضوء ثورات العولمة وتفاعلاتها التي نشهدها اليوم، فتجعلنا نسدد فواتير الآخرين.

ومما لا يخفى على أحد أن وسائل الاتصال الجماهيري المعاصرة وخاصة الشبكات العالمية أصبحت تُروج إما لعروض الجنس، عروض الرياضة، عروض كلامية والتغطية الإخبارية المؤثرة.

سادسا/ أزمة الهوية لدى الشباب:

أكد "علي حرب" المفكر العربي أن العالم اليوم لم يعُد كما كان عليه بعد النسق الاتصالي الجديد وثورة المعلومات والتكنولوجيات الحديثة، وما أفرزته من مفاهيم جديدة أثرت بشكل أو بآخر على مناحي الحياة الاجتماعية خاصة بالنسبة للشباب، فأصبح إقبالهم على هذه التكنولوجيا الحديثة يتزايد بوتيرة متسارعة دون وعي أو معيار يسمح لهم بالتمييز بين إيجابياتها وسلبياتها؛ فالأزمة هي لحظة تغيير واختلال توازن على مستوى الهوية، وحتى على مستويات أخرى كالسلوك والقيم.

ويخضع شباب المجتمع المعاصر في تنشئتهم لمؤثرات متعددة توجهها مبادئ وأهداف مختلفة، وربما متناقضة ولا سيما أن المجتمع المعاصر يتميز بتعدد مؤسساته ونمط حياته فوجد الشباب المعاصر نفسه أمام وضع مشتت ومبعثر سواء في عالم الاقتصاد أو في النظام التربوي أو الإعلام أو...، وهذا كله زاد من عوامل القلق والاضطراب والفوضى لديهم؛ مما أدى إلى وقوع الشباب في أزمات ثقافية وقيمية تهدد المجتمعات، وتقوِض الجهود المبذولة لتنميتها وتقديمها.

(ماجد الزيود: 2006، ص ص 40، 41).

وينطوي مفهوم الأزمة على تناقض بين أمرين أو أكثر وينطوي هذا التناقض بدوره على صراع يُفترض به أنه يكون على درجة عالية من الشدة، وعلى المستوى الأخلاقي تبرز عندما يقع الفرد ضحية واجبين متكافئين من حيث الأهمية مثل الصراع بين واجب الطاعة لإرادة أم أو أب متعارضين في الرأي.

(أسعد علي وطفة، ص 2، نقلا عن: www.toorathtripol.org).

وتمر الهوية عبر سيرورة دائمة يتوسطها بالضرورة مراحل تتميز بالاستمرار والتواصل أو الانقطاع وبتر كل ما له صلة بهويتنا الوطنية، هنا يقع الشباب بين مفترق طرق وتبرز لديه الأزمة بشكل جلي؛ فالانتقال من مرحلة إلى أخرى يجد نفسه بين متناقضات من العيار الثقيل، بين الهوية المحلية الوطنية التي تسعى للحفاظ على كل الموروثات القومية الوطنية وبين كل ما تقدمه التكنولوجيا المتطورة؛ العولمة، والعالم الرقمي.

لقد عملت هذه التكنولوجيا، الإعلام والاتصال الحديثة على تكريس وإشاعة قيّم الاستهلاك الغربي، وفرض النموذج الثقافي الأرور–أمريكي، وترسيخ قيم الامتثالية والقضاء على التنوع للمجتمع، وهذا ما تسعى إليه كل من الإمبراطوريات الإعلامية الكبرى. **(محمد شطاح: 2003، ص 91).**

ويؤكد "حجازي" (1985) أن الشباب العربي عموما يعيش في مناخ من الأنومي (Anomie) –اللامعيارية، تضعف فيه القيم التي استقرت طويلا حتى لتمتلئ الحياة بالمتناقضات، وبخاصة تناقض أنساق القيم بين الأجيال المختلقة وتناقض حياته اليومية مع نسق القيم والمعايير إلى حد يتعذر الاتفاق على شيء مشترك يلتزم به المجتمع... يذكر هنا الباحث السرحان (1994) أهم المؤثرات التي يتعرض لها الشباب فتختلف لديهم الأزمة وهي:

- تفسخ الأمة بسبب حالة التشرذم والتجزئة والتبعية والتخلف.
- شيوع قيم الاستهلاك التفاخري.
- الانفجار المعرفي والمعلوماتي والغزو الاتصالي عبر الأقمار الاصطناعية.
- شيوع الفردية والأنانية. **(ماجد الزيود: 2006، ص 41).**

ويُرجع البعض التغيرات التي تَطال ثقافة الشباب إلى جملة آليات تشكل في مجموعها عوامل انتشار العولمة مثل التقنية العالية الدقة، الفضائيات، الانترنيت، الهجرة، أسواق المال؛ غير أن الخطورة لا تكمن في الانفتاح المعقلن على ثقافة الآخر؛ وإنما في الانغماس في هذه الثقافة والانبهار بها إلى درجة تفضيلها على ثقافة مجتمعه، وهكذا تستحيل هذه الفئات من المنبهرين إلى آليات لاختراق ثقافي يستهدف النسيج الثقافي، ويهدده بالذوبان في ثقافة الآخر المغاير؛ مما يخلق حالة من التناقض البنيوي داخل النسيج الاجتماعي في المجتمع الواحد بفعل ضعف الانسجام بين ثقافة الشباب وثقافة المجتمع، ولا شك أن هذا هو أحد أهم أهداف العولمة وبمنظومتها المختلفة التي ترقى على المدى البعيد إلى تشكيل سلوك الإنسان وتغيير عاداته

وقولبة أفكاره بما يستجيب لمتطلبات النموذج الاجتماعي الغربي بكل ما يتضمنه ذلك من اغتراب الإنسان العربي المسلم عن ذاته الثقافية واستلابه من أصالته الحضارية.

(سلطان بلغيث: 2011، ص 353)

وهو ما انعكس على الهوية الوطنية والثقافة الفرعية للشباب، ويمكن إجمال هذه الانعكاسات الأساسية فيما يلي:

❶ الزحف الكبير للثقافة الاستهلاكية والمادية ومنطق الربح السريع وتصاعد النزعة الفردية الذي قابله تراجع مماثل لدور الدين والأخلاق في الحياة وانهيار القيم بسبب الانجازات العلمية الهائلة.

❷ تزايد الإحساس بغربة الذات الفردية وتمزقها بسبب التحولات الكبيرة التي شهدتها المدينة الغربية وما حملته من عزلة للذات، وبسبب إحساس الإنسان الغربي بفقدان القدرة على التحكم في العالم بعد تراجع أهميته في العالم الحديث.

❸ أدى هذا الإحساس إلى تراجع دور الإنسان وقيمته وإلى تكريس مذهب الشك في الحقيقة المطلقة واليقينية وتزايد الاعتقاد بمذهب النسبية في كل شيء.

❹ أدى تراجع دور الدين وتقدم البيولوجيا وما حملته من اهتمام بجسم الإنسان إلى انتقال التقديس إلى مجال الجسد، فحل الجنس محل الدين. **(أسماء بن تركي:2011، ص 635)**.

مما سبق نجد أن الشباب في مهب تناقضات مختلفة لا هو قادر على استيعاب الثقافة العربية أو الإلمام بما تبقى له من هويته العربية.

ولعل ابسط دليل على ذلك ليس فقط جهلهم بتراث آبائهم، بل حبهم وتذوقهم لموجة من الغناء الهابط والتسطيح الثقافي الحالي. **(ماجد الزيود، 2006، ص 105)**.

وهذا الوضع يقود صاحبه إلى ما سمته عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية "مارغريت ميد" "بعهر الهوية. **(سلطان بلغيث، 2011، ص 360).**

سابعا/ آثار الثقافة الجماهيرية على الشباب:

قبل التطرق إلى هذه الآثار على الشباب لابد من الإشارة إلى مصطلح له علاقة بعمل هذه الوسائل في أثرها على الفرد، وهو مفهوم (الاغتراب)، لقد تحدث بعض المؤلفين عن الإنسان كفرد، ويبدو ذلك واضحا من خلال تعريف الاغتراب في قاموس اليونسكو للعلوم الاجتماعية على النحو التالي: يشير الاغتراب إلى انفصال بين أجزاء من الشخصية أو الشخصية برُمتها وبين جوانب هامة من عالم التجربة.

وقد حدد "سيمان" خمس طرق أساسية يستخدم بواسطتها مفهوم الاغتراب؛ حيث قام بتحديد الظروف الاجتماعية التي تنتج هذه المتغيرات الخمسة للاغتراب ونتائجها السلوكية، وقد أخذ "سيمان" أن الفرد بفعل الاغتراب يفقد خمسة عناصر هامة متعلقة بشخصيته كفرد وهي:

❖ **فقدان القوة:** أي الإحساس بفقدان القوة على ضبط الحوادث ونتائجها وقد عبّر عنها علماء آخرون في مجال الاتصال بالشرود والخمول.

❖ **فقدان المعنى:** وهو يشير إلى عدم إحساس الفرد بفهم الأحداث التي يرتبط بها ويصبح غير قادر على الاختيار بين البدائل، وقد أشار العديد من المفكرين إلى أن السيولة الإعلامية المتدفقة بكثافة على الفرد تجعله يفقد القدرة على التركيز، ويصبح غير قادر على فهم الأحداث وارتباطاتها المختلفة، وهو ما يعبّر عنه كذلك بالتجزئة.

(جمال العيفة: 2003، ص 117، 118).

وهذا يظهر جليا في طغيان الثقافة الاستهلاكية على كل القيّم المادية وغير المادية، الفكرية وغير الفكرية لكل ما هو إنتاج، وذلك بطريقة هستيرية تجعل كل ما هو إنتاج موزع

عالميا عن طريق الإعلان والتسويق، قابل للاستهلاك بشكل كبير، وتهدف هذه الثقافة إلى تكريس الفردية والنفعية والربح السريع، وهناك من يعتبرها نوع من أنواع السيطرة. **(قزية الشوفي: 2005، ص 29).**

ج-فقدان المعيار العزلة: حيث أصبحت المعايير الاجتماعية التي تُنظّم السلوك الفردي متصدعة أو غير فعالة كقواعد للسلوك وبالتالي يؤثر ذلك على الحقيقة، وبالتالي عزلتهم وتشتتهم بفعل تدخُل عدة عوامل بسيطة تحُول بين التفاعل المباشر بينهم.

(جمال العيفة: 2003، ص 118).

فالنمو الكبير للثقافة الجماهيرية والتي تتصف بالسطحية والظرفية والتي أخذت تثأر لنفسها؛ حيث أصبحت مركز اهتمام المستثمرين؛ في حين أخذت الثقافة المدرسية والعلمية، والتي كانت وراء كل تقدم تتراجع ليقتصر انتشارها على نوادي ضيقة يعاني أصحابها من الشعور بالعزلة، وما يُلاحَظ على هذه الرؤية التي شكّلَتها الثقافة الجماهيرية أنها تدفع بالإنسان للابتعاد عن حاجاته الحقيقية ليتبَع الأوهام والتفاهات والشكليات في المأكل والملبس.

(قزية الشوفي: 2005، ص 30).

وفي هذا الإطار أثار "إياد البكري" بعض المضامين الإعلامية الغربية وتأثيرها على الشباب من بينها: الغلو في اللامنطقية وإلغاء العقل في فهم الأشياء والعلاقات والأحداث، ويتمثل ذلك في مجموعة كبيرة من الأفلام العلمية والخيالية مثل أفلام الفضاء؛ إضافة إلى تمجيد المغامرة الفردية والشعور بالعظمة الذاتية وقتل الإحساس بالجماعية، ولا ننسى الترويج للعنف والوحشية والقتل كما في معظم أفلام الغرب التي تمتلئ بها دُور السينما ومحطات التلفزيون في العالم الثالث. **(جمال العيفة: 2003، ص ص 120، 121)**

فالعالم أصبح مُقبِلا على رموز ومعطيات وسلع ثقافية استهلاكية كما هو مقبل عليها الآن، ولقد تمكنت هذه الثقافة من الوصول إلى قطاعات واسعة من الأفراد والشعوب، وهي تُوجَه بشكل خاص للشباب، هذا الأخير في أغلب دول العالم يأكل الوجبات السريعة التي يأكل منها الشباب الأمريكي كـ: الهمبورغر والبيتزا ودجاج كنتاكي وماكدونالد وشوارمة، ويشرب المشروبات الغازية نفسها كـ: البيبسي والكوكا كولا، ويستمع في معظم دول العالم إلى الأغاني الراقصة لفرق "سبيس جيرلز" و"مادونا" و"مايكل جاكسون"، ويلبسون الملابس العالمية نفسها من الجينز ومن ماركات "كالفن كلاين"، ويشاهدون الأفلام المثيرة كفيلم "التايتانيك" "Titanic"، إن هذه السلع الاستهلاكية تحمل دلالات اجتماعية ورمزية تتجاوز قيمتها المادية المحسوسة لتربط العالم بقيّم وسلوكيات وعادات مشتركة تتجاوز الحدود، ولقد حققت الثقافة المادية المصنَعة أكبر انتصاراتها خلال هذه السنوات ولا شك أن ذلك يُؤرِقُ الدول التي هي في طريقها – مع العولمة – إلى فقدان السيطرة على الوضع الثقافي. **(حسن إبراهيم عبد العال: 2005، ص 28)** .

ثامنا/ أثر البيئة الجامعية على الشباب الجامعي:

تُعد الجامعة من أهم مؤسسات التعليم العالي في أي مجتمع من المجتمعات؛ فالجامعة حلم كل شاب وشابة، تعمل على تطوير المجتمع بتطوير كل الطاقات الشبانية الطلابية الموجودة فيها على مستوى كل التخصصات والتكوينات الأكاديمية، فدورها فعال ومميز في صناعة الأجيال الحضارية حاضر الدولة ومستقبلها خاصة لما يُربط ما يقدَّم في الجامعة بالحياة الاجتماعية، فإذا كانت هي المُعدَة لمواجهة الحياة برمتها، فيجب أن تتوفر في بيئتها الدراسية ليس فقط كل البرامج العلمية والتعليمية لممارسة البحث العلمي على أكمل وجه، بل حتى البيئة التربوية المحافظة على كل الضوابط الاجتماعية والقيم المختلفة.

من هنا نلحظ أن التعليم العالي ومؤسساته حظيت باهتمام واسع في الدول المتقدمة والنامية على حد سواء بتوفير جامعة ناجحة للشباب الجامعي.

لكن مع التطور التكنولوجي والثقافي وانتشار شبكات التواصل الاجتماعي والانترنت تأثرت هذه البيئة التكوينية من جانبين، جانب إيجابي من خلال إدخال كل الميكانزمات العلمية المتطورة على التعليم، مما انعكس بالسلب على الشباب في حد ذاته على مستوى قيّمه وأخلاقه؛ فالانبهار بالحياة الجامعية والجامعة أصبح محصورا لا على المستوى العالي في الرتب العلمية فقط؛ بل حتى على المستوى الظاهري المرتبط بالموضة وطريقة الكلام والحوار...

فالجامعة بالنسبة لهم قوانين اجتماعية موضوعة من طرف الجماعة وشرط النجاح في بيئتها الخضوع لقانون الجماعات الموجودة فيها، ومن ثم القبول الاجتماعي، وإن تم الرفض على مستوى الشباب فيُلغى من هذه الجماعة.

وتأتي أهمية البيئة الجامعية والجامعة في دورها الأساسي وهو المحافظة على الثقافة والهوية الخاصة بالمجتمع الجزائري كونها تحتضن أكبر فئة من فئات وشرائح المجتمع وهي شريحة الشباب؛ فهي وسيلة من وسائل التنشئة الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية في الدولة، خاصة لما يتوفر المناخ الفعال لإعدادهم.

وتعرّف الجامعة من حيث اللغة من حيث مادة (ج م ع)، جاء في معجم مقاييس اللغة لأحمد فارس، جاء في معجم مقاييس لأحمد بن فارس زكريا "إن الجيم والميم والعين أصل واحد وهو يدل على نظام الشيء، يقال: (جَمَعْتُ الشَيءَ جَمْعًا)، وفي لسان العرب لـ"ابن منظور" "جمع الشيء عن تفرقة يجمعه وجمعه وأجمعه فاجتمع، والمجموع الذي جمع من هنا وههنا وأن يجعلا كالشيء الواحد، واستجمع السيل اجتمع عن كل موضع، وجمعتُ الشيء إذا جئت في من ها هنا وها هنا.

(قاسم عمر أبو الخير آدم: 2014، ص ص 2، 3).

أخذت كلمة الجامعة في كلمة "Universitas" والتي تعني الإتحاد أو التجمع الذي يضم أقوى الأسر نفوذا في المجال السياسي في المدينة من أجل ممارسة السلطة.

(محمد منير مرسي: 2002، ص 09).

ويُقصد بالجامعة أنها مؤسسة تربوية علمية منظمة، والتي تقع على قمة السلم التعليمي في المجتمع، وتقوم بإعداد الفرد مهنيا بالإضافة إلى قيامها بالأبحاث العلمية التي تخدم خطط التنمية الشاملة وإعداد الباحثين لخدمة النسبة العامة عن طريق الخدمة العامة.

(أميرة محمد علي أحمد: 2009، نقلا عن:Sustech.edu).

وتُعرَّف البيئة الجامعية على أنها المناخ الجامعي الذي يعيش ويتفاعل فيه الطلبة، ويتأثرون به طوال دراستهم فكرا وسلوكا ويوّلد لديهم انطباعات وتوجهات إيجابية أو سلبية تُجاه مؤسسة التعليم التي ينتمون إليها بشكل خاص، وتجاه المجتمع والسياسة العامة من جهة أخرى، والبيئة الجامعية تتشكل من مجموعة من المقومات المادية والبشرية التي تحيط بالطلبة، وتتمثل المقومات المادية بالمباني الجامعية والتقنيات الحديثة، أما المقومات البشرية فتتمثل في الإدارة والأنشطة والبرامج والمناهج وكافة الوسائل التي توجّه فكر وسلوك الطلبة بما يخدم أهداف العملية التعليمية وتنمية الفكر والسلوك لديهم.

(محمد أحمد المقداد وصايل، وفلاح الريحان وآخرون: 2013، ص 84).

يرى "سعيد إسماعيل" على أن البيئة الجامعية هي "السياق الإنساني والاجتماعي الذي يتم فيه وبه التفاعل بين العناصر الأساسية للعمل الجماعي في مكان أو هيئة تدريسية، طلاب وإدارة، وتنظيمات طلابية، ونواد، والعلاقات مع المجتمع"، كذلك يُقصد بها كافة العناصر التي تشكل كُلا متكاملا والتي تؤثر مجتمعة بقوة في بناء شخصية الطالب الجامعي، وتشمل هذه

العناصر الأستاذ الجامعي والمنهاج الدراسي، والأنشطة الجامعية وكذلك الإدارة الجامعية والمكتبات الجامعية. **(ماجد الزيود: 2006، ص 121).**

إذن مما سبق نستنتج أن البيئة الجامعية بيئة متنوعة تتنوع العناصر المكونة لها سواء كانت مادية أو غير مادية، ففي إطار بعد الطلبة الجامعيين في مرحلة عمرية مهمة (مرحلة المراهقة)، لذا يصبح هذا الشباب نِتاج هذه البيئة بكل مقوماتها.

تُعد فئة الشباب من أهم الفئات المجتمعية، عليهم تُبنى الآمال ومستقبل الدولة، لذلك يُشكّل الطلبة الجامعيين عتادَ وعُدة هذا المستقبل خاصة وإن تكَوّن تكوين قاعدي صحيح لا تؤثر عليه أية متغيرات وافدة مهما كانت طبيعتها، فهو العنصر البشري المموِل لجُل المشاريع المستقبلية لإحداث نوع من التغيرات الإيجابية.

وقد كانت الجامعات في أكثر المؤسسات التربوية تأثرا بالتجديدات؛ بل إن بعض العاملين فيها أسهموا في هذا الأمر؛ حيث تُعد الجامعة ومؤسساتها العلمية والتربوية البحثية التابعة لها من العناصر الأساسية في قيادة المجتمع وتوجيهه التوجيه الصحيح والفاعل نحو التطور والرقي واللحاق بعجلة التغيير المتسارعة في العالم، كما يواكب هذا المجتمع تلك التطورات ويتعامل معها ويستجيب لإفرازاتها في جوانب الحياة المختلفة ويستثمرها في عملية البناء والتنمية الاجتماعية الشاملة في مختلف الميادين.

(هند بن لافي بن لفاي الثاماني: 2014، ص 247).

ويهدف التعليم الجامعي إلى تنمية شخصية الطالب بجميع جوانبها، وإعداده ليكون عنصرا بناءًا، وعاملا في الحاضر والمستقبل، وتكوين الاتجاهات الإيجابية لديهم من خلال الحوار والتفاعل، وتوليد المعارف بالأسرة كمنشئ للقيّم، ومن يولون اهتمامهم بجماعة الأقران ووسائل الإعلام، هناك من يرون في الحياة الأكاديمية مصدرا أساسيا للتنشئة القيمة، فقد أكد "ليهمان"

على أن "للحياة (البيئة) الجامعية أثرا كبيرا في القيّم الخلقية والسياسية والاجتماعية والدينية عند الطلاب"، كما أكد على أن "التفكير النقدي عند الطلاب يزداد بازدياد سنوات دراستهم الجامعية، كذلك فهم أكثر تقبُلا للآراء والأفكار الجديدة، وأنهم أكثر ميلا إلى التوجهات القيمية الحداثية، وأقل توجها للقيم التقليدية.

(ماجد الزيود: 2006، ص ص 126، 127).

هذا النقد يُشكّل جانبين، جانب تقبلهم للآخر والتكيّف مع كل المستجدات، لكن الجانب الثاني هو الابتعاد عن الحياة الاجتماعية التي يتميز بها مجتمعهم؛ فالنقد هنا ليس بَنَّاء وإنما رفض الثقافة التقليدية واعتبارها نمط تقليدي كلاسيكي لا منفعة منه، وبالتالي قبولهم للنمط الغربي الحديث؛ مما يخلق لديهم اغتراب ثقافي–اجتماعي وحتى سياسي واقتصادي.

هنا تظهر مهمة كل المؤسسات من الأسرة إلى الجامعة، فعلى المستوى "Magro level" تعد الأسرة هي الأساس لغرس كل القيم الإيجابية في شخصية الشباب المراهق بضرورة التكيّف مع الوضع رغم ما يحمله من تأثيرات على جميع الأصعدة، خاصة لما يدخل فيها تأثير وسائل الإعلام، وما تقدمه من مواد إعلامية تؤثر على الشباب في تكوينهم الفكري والعلمي والاجتماعي، إذن ضرورة التنشئة الاجتماعية عمرية متقدمة وتأثيرات مرحلة المراهقة عليه.

أما على المستوى "Magro level" الجامعة المكون الأساسي للشباب الطالب خاصة لما تعتمد على مناهج علمية مفيدة لهم في حاضرهم ومستقبلهم الاجتماعي.

فقد توصل "الجادعي" (2012) في دراسة بعنوان "المناهج الجامعية ودورها في تكوين وتنمية الشخصية القيادية" التي استخدم فيها المسح الأدبي للدراسات المرتبطة بموضوعه، بغية معرفة مدى أهمية المناهج الجامعية ودورها في تكوين وتنمية الشخصية القيادية، وأهم معوقات المناهج الجامعية في تكوين وتنمية هذه الشخصية، والحلول المناسبة لتلك المعوقات، توصَل إلى

أن الجامعات هي المفصل الرئيسي في المجتمعات، ولذا عليها القيام بالمسؤولية على أكمل وجه، وأن مهمة المناهج الدراسية الجامعية مهمة عظيمة في تكوين وتنمية جيل قيادي، لكونها السبيل الوحيد الذي تُقدَم من خلاله الخبرات والمعارف والعلوم والمهارات. **(هند بن لافي لفاي الثاماني: 2014، ص 250).**

لكن ما نلاحظه اليوم أن الشباب الجامعي أو الطالب الجامعي، يضع الجامعة في منزلة حصوله على الشهادات لا غير، فهو لا يهتم لا بالمناهج ولا ما تحاول الوصول إليه في المقابل بالرغم من الجهود المبذولة من طرف الجامعة والتعليم العالي في إخراج طاقات شبانية قوية من الناحية الفكرية والعلمية؛ إلا أنها غير مسؤولة على كل المتغيرات التي تحدث داخل الجامعة من انتشار قصات غريبة وألبسة أغرب بين الطلبة والطالبات، فإذا كان الطالب الجامعي ناجح علميا ومزود بفكر علمي ومنتوج جيد، نجده في المقابل متأثرا بالثقافة الاستهلاكية ومنتوجاتها العالمية.

وقد أثار المستشار والمدرب التربوي الأمريكي "سريد هارن"،(2010)، في مقال له بعنوان "مختبرات تنمية الشخصية هي احتياج الساعة"، إلى أن موضوع التنمية الشاملة للشخصية، وتعليم المهارات، لم ينل الاهتمام الكافي في المؤسسات التربوية في مدارس وجامعات، غافلين على أن النجاح الحقيقي للتعليم لا يكمن في الدرجة أو الشهادة فقط؛ بل في نوع الشخصية الناتجة عنه. **(هند بن لافاي لفاي: 2014، ص 250).**

وفي عصر يموج بالتغيرات العالمية المعاصرة، عصر العولمة والمعلوماتية، والذي أثر تأثيرا كبيرا على المجتمعات الأنانية وثقافتها وأنساقها القيمية السائدة، يذكر "وطفة" ذلك بقوله: "التأثير الكبير الذي يمارسه النظام عبر الانترنت والفضائيات ووسائل الميديا والاتصال، والتي تعمل بصورة مستمرة على تشكيل نظام تربوي ضوئي والكتروني يعمل على تعزيز قيّم العولمة الكبرى لمؤسساتنا والشركات العالمية"، ومن حيث انعكاسات هذه التغيرات على الجامعة بما فيها

البيئة الجامعية، ويُذكر أن المؤسسات التعليمية العربية أصبحت في كثير من الأحيان، وسائل مسخ للهوية العربية الإسلامية، فمعظم الجامعات العربية تعطي التربية العربية الإسلامية قدرا ضئيلا جدا مقارنة بما تخصصه للنظريات والأفكار والمذاهب التربوية الغربية، من حيث تاريخها ومؤسساتها.

(ماجد الزيود: 2006، ص ص 127، 128).

مما سبق أن نتوصل إلى أن للبيئة الجامعية والجامعة أدوارا أساسية، وآثارا مختلفة على الشباب الجامعي، بداية بالبناء المعرفي الفكري إلى تكوين شخصية قوية تتأقلم مع الواقع الاجتماعي وإفرازات التطور العلمي والتكنولوجي في العالم بصورة شباب جامعي واعي لا ينجر وراء الجانب المادي للصناعة الاستهلاكية،

تاسعا/ مشكلات الشباب:

إن كل مجتمع من المجتمعات العربية بصفة عامة والمحلية بصفة خاصة يحتوي على مجموعة من الضوابط والمعايير التي من خلالها يُشكّل الشباب الجامعي أهدافه وتطلعاته المستقبلية بالاشتراك مع الأدوار التي يمثلها ضمن حدود مجتمعه المحلي؛ فالمشكلات يمكن أن تتبع نتيجة سببين؛ إما أنه لا يعي واجباته داخل هذا المجتمع، أو عدم احترامه لهذه الضوابط والمعايير المختلفة.

يوضح "عزت حجازي" في كتابه "الشباب العربي ومشكلاته" إنه في تصورنا أن الشباب العربي "شباب في مشكلات" وليس شبابا "مشكلا" على الإطلاق، وشتان بين هاتين الصورتين لوضع الأزمة؛ ففي الحالة الأولى نتكلم عن واقع موضوعي لا يوفر فرصا كافية الإرضاء العضوي والنفسي والاجتماعي، ومواجهة مطالب الحياة المتجددة، ويضع الشباب من ثمة في أزمة، وفي الحالة الأخرى نتكلم عن جيل من الشباب يعجز –لعدم كفاية إمكاناته وربما عدم

سواء نسق قيّمه واتجاهاته وأساليب التصرفات –عن التكيف والتوافق مع واقع لا نشك في سوئه وسلامته.

وإذا كانت التحليلات المعاصرة لقضايا الشباب العربي تنطلق أساسا من إدراكها للمكانة التي يشغلها الشباب في المجتمع المعاصر، فمن الملاحظ عموما على هذه التحليلات أنها تصطبغ بصبغة تأملية إلى حد كبير مما جعلها تقدم تصورات مبالغة حول الأنماط السلوكية للشباب المعاصر، ولقد اتسمت تحليلات علماء النفس وعلماء الاجتماع ذوي النزعة الوضعية على وجه الخصوص بمثل هذه المبالغة على الأخص في تصوير ظواهر العنف والتمرد والاستقلال عند الشباب. **(محمد علي محمد: 1985، ص 17).**

فمرحلة الشباب بالنسبة للطلبة الجامعيين مرحلة انتقالية جد حرجة ومهمة، فهم ضمن مرحلة المراهقة من جهة ودخولهم الجامعة من جهة أخرى وانبهارهم بهذا العالم الواسع والمتنوع بتنوع الثقافات والأفكار الموجودة فيه (الجامعة)، فهنا الشباب الجامعي يكون في مد وجزر؛ مما يؤهله إما للتكيّف مع كل ما هو موجود أو أنه ينجر بطريقة سلبية وراء المظاهر المادية الموجودة فيها، وأيضا تطبُعه بأنماط سلوكية غريبة عن هذا المجتمع بثقافته التقليدية الراسخة.

غير أن أخطر هاته المشاكل التي يعاني منها الشاب الطالب هو أزمة المراهقة أو بداية الشباب، هي ما يُعرف باسم "أزمة الهوية" التي تنشأ من عدم قدرة الشاب على فهم ذاته "الجديدة" وتقبلها والتعامل معها، وهي أزمة يتوقف على حلها استمرار نضوج الشخص بشكل سوي، وهذا في نظر البعض هو مصدر كثير من المشكلات لهذه المرحلة، فمعظم مشكلاتها كما يقول "كارل يونج" رهينة بتيقظ الشعور (والذي يتم) حين يستطيع الفرد الربط بين المحتويات النفسية؛ أي تكوين الأنا، ثم التمييز بين السلسلة المتصلة بين المحتويات النفسية؛ أي الأنا بين الأبوين (والآخرين بصفة عامة) وهي العملية التي يسميها "يونج "الميلاد النفسي"، ويتم في سن البلوغ

في انبثاق الحياة الجنسية، فعلى تعبير "يونج" الشباب" يكون محبوسا في الجو النفسي لأبويه، أو يكون بمثابة (من لم يولد بعد)، فإذا صادف مشكلات في حياته، فإنها لا تُحدِث من التأثير في نفسه ما تُحدثه في نفس الشباب؛ فالحالة التي تسببها مشكلة ما تنشأ عندما تظهر جنبا إلى جنب مع مجموعة من محتويات الأنا، مجموعة أخرى لها القوة (نفسها) التي للأنا، وهذا يؤدي إلى انقسام الفرد على نفسه، وهي الحالة التي تدل على وجود مشكلة.

(عزت حجازي: 1985، ص ص 35، 36).

وبالتالي تُعد المشكلات النفسية إحدى المشاكل التي يعاني منها الشباب الجامعي، خاصة لما تقترن بالقلق والتوتر والانفعال بحكم مرحلة المراهقة التي يعيشونها؛ إضافة إلى شعورهم بإهمال الآخرين، أيضا صعوبة فهم ذاته وقبولها، وطبيعة التعامل مع الأفراد المحيطين به بصورة صحيحة سليمة أو مغايرة برفضه لتصرفات أهله والمربين، فهو في رحلة القبول والرفض معا.

وتحمل مرحلة الشباب أيضا مشاكل أخرى منها المشاكل الأسرية، التي تنتج عن الخلافات بينه وبين أفراد العائلة، والتي تكون نتيجة انعدام الحوار بينه وبين والديه أو إخوانه، كما نجد المشاكل الدراسية المتعلقة بالدراسة كصعوبة التأقلم بين ما يعيشه من مشاكل نفسية وأسرية؛ مما يؤثر بشكل أو بآخر على دراسته وتكوينه الجامعي ويُعقّد وضعه أكثر لما تكون المشاكل الاجتماعية موجودة، كعدم تكيّفه وشعوره بالغربة والرفض المجتمعي، انتشار قيم وسلوكيات غريبة وغير مقبولة بالمجتمع كالانحلال الأخلاقي.

تحتوي مرحلة الشباب مجموعة من المتناقضات غير اليسيرة، تجعله يعيش مرحلة انتقالية؛ إما تكلل بعدم مواجهته لهذه المشاكل بصنع مستقبل قوي، أو تجعله يدخل في بوتقة متنوعة من المشاكل، فهذا يتوقف على قدرته وشخصه في مواجهة هذه المشاكل.

يوضح "أسعد وطفة" أن الشباب الذين يعيشون في مجتمعات كثيرة التغير يواجهون الكثير من المشكلات التي لا يواجهها شباب المجتمعات الراكدة، إن شبابنا يعيشون في عصر سريع التغير، تصارعت فيه القيّم والغايات وانتشر فيه الاضطراب السياسي والقلق النفسي، وفقدان الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي.

(أسعد علي وطفة: 1992، نقلا عن: www.edusocio.net**).**

عاشرا/ سبُل المحافظة على الهوية:

إن المتصفح للعديد من الأعمال العلمية التي تناولت الهوية من المنظور السوسيولوجي، نجدها إما تتناوله كمصطلح يُعرج على أهم المفاهيم اللغوية والاصطلاحية أو المقاربات التي تفسره وفق رؤى نظرية متعددة، حتى وإن قدمت حلول تقدمها بصفة عامة موجهة لجُل الشرائح المجتمعية إجمالا.

لكن التركيز على الهوية والشباب يعتبر من الدراسات النادرة نظرا لتشعب كلا المفهومين، وتداخلهما مع مفاهيم أخرى؛ ضف إلى ذلك أن مسألة الهوية لدى العرب ككتلة بشرية متعددة؛ بحيث لا نجد هوية واحدة تجمعهم، والدليل أن لكل مجتمع قومي تاريخه الخاص به، وثقافته الفريدة المرتبطة بعاداته وتقاليده المميزة لذلك المجتمع، حتى اللهجات واللغات المتواجدة داخل دولة تُصعّب عملية تجميعهم وكيفية الحفاظ عليها.

عموما ما يمكن تقديمه كحلول ناجعة للمحافظة على الهوية بالنسبة للشباب يجب الالتزام بمجموعة من الضوابط التي من شأنها تقييد بناء وهيكلة كل النظُم والقوانين الاجتماعية المهدَدة بالذوبان والانصهار وإعادة بنائها على الطريقة الغربية، بالموازاة مع ذلك الاهتمام بمؤسسات التنشئة الاجتماعية وأهمها الأسرة التي تُناط بها مهمة مراقبة الأبناء، ومراقبة الوسائل الإعلامية

الاتصالية على اختلافها، خاصة مع انتشار العولمة وما تحاول صناعته على جميع الأصعدة أهمها الثقافية بنشر ثقافة الاستهلاك، فهي تسعى لتسطيح فكر الشباب وثقافته.

بصفة رئيسية تعتبر الأسرة هي المحرك القوي جدا والداعم الرسمي لنجاح والحفاظ على الهوية باعتبارها النواة التي تُعنى بنجاح هذه الفئة العمرية، ومن ثمة ثقافتهم الفرية.

يرى كل من الباحثين "بدر بن جويعد العتيني" و"ثناء يوسف الضبع وآخرون" ضمن دراسة معنونة بـ"العولمة الثقافية وأثرها على هوية الشباب السعودي وقيّمهم وسُبل المحافظة عليها" أنه من بين الركائز المهمة للمحافظة على الهوية إلى جانب دور الأسرة هو الحفاظ على الثقافة الأصلية، ويجب أن تكون مؤثرة، وأن تأتي في أغلب سلم الأولويات لابد أن تحتكم إلى سلطان العقل، لأن الثقافة العقلانية هي الأقدر على صيانة الوعي الفكري والأكثر صلابة في حماية مقومات الهوية، فلا هوية بلا إنتاج فكري حضاري ولا سبيل أمام العرب للانخراط بكفاءة واقتدار في المنظومة الإنسانية بكل أبعادها إلا بجبهة ثقافية عتيدة.

تُعد الأسرة والثقافة ثنائية تُشكل أهم أساسيات حماية الهوية، فإذا ما كانت اللبنة الأولى للتكوين القاعدي الأسري الصحيح والمتين، كتحصيل حاصل، تكون نسب المحافظة على الثقافة عالية ومرتفعة جدا، ضمنيا تنمو مشاعر الانتماء، القومية وإحساس المواطنة لدى الشباب باعتبارهم مواطنين فاعلين.

ضف إلى ذلك فمدى المحافظة يُقاس بما فعلته الأزمة، وفي أي مقوم أو مكون أو جانب متأثر بما يفرزه الإعلام أكثر من الجوانب الأخرى، إجمالا ما لاحظناه بالواقع يستهدف الثقافة الجماهيرية، الجانب الديني بإضعاف الوازع الإيماني وزعزته بطرق شتى منها انتشار ثقافة اللباس، الأكل والرقص لدى الشباب الجامعي.

فما سبق يهدف إلى جعل المرأة والرجل ماديين من خلال استقطابهم للنموذج الغربي، وكذلك التآمر على اللغة العربية وتهميشها وسيطرة أفكار العولمة على الفئات المجتمعية وطمس الرموز والمعالم التاريخية وغيرها.

لذا فعملية المحافظة على الهوية تتطلب جهودا متضافرة وضخمة للتصدي لكل ما من شانه أن يعصف بها في تيار النموذج الغربي.

- على **المستوى الديني** يجب:

❖ المحافظة على معالم الدين الإسلامي والمحافظة عليها تتجاوز التحديات الغربية، المحافظة على فريضة الصلاة، قراءة القرآن الكريم، صلة الرحم، التفاعل الاجتماعي، ويجب توعية الشباب بأهمية العامل الديني في الحياة الاجتماعية، فمعظم الحلول موجودة في الدين الإسلامي للعديد من المشاكل المستعصية، لكن في وقتنا الحالي أصبح من مهام العولمة هي زعزعة الإسلام وإذابة هويته، حتى الرسول عليه الصلاة والسلام ذكر في حديث نبوي شريف "لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتم، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه) «أخرجه الحاكم في المستدرك: [4/502/1983]، صححه الألباني، وفي رواية: قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال :فمن إلا اليهود والنصارى؟!» (أخرجه الروياني في مسنده: [2/218/1073]؛ والطبراني في الكبير: [6/186/5943]، والحديث صححه الألباني. (**ar.islamway.net**).

❖ المحافظة على اللغة العربية، والاهتمام بها في عملية التقلين والحوار.

❖ الاهتمام بالخصوصيات الثقافية وسِماتها المميزة لمجتمعنا الجزائري النابعة منه أصلا.

- أما على **المستوى التاريخي**:

- ❖ ضرورة المحافظة على أصول الثورة الجزائرية المجيدة وترسيخ كل القيّم والرموز، والعناصر التاريخية التي تدل على تاريخ أمة كاملة ونضال شهدائها، بربط الهوية بالتاريخ، والتاريخ بأمة كاملة.
- ❖ الاهتمام بالشباب على المستوى "Migro level" من طرف الأسرة وعلى المستوى " Magro level" الجامعة ومؤسسات التنشئة الاجتماعية وتقوية الجانب الانتمائي لديهم ضمن البرامج التعليمية أو عملية التقلين.

ومن عوامل الحفاظ على الهوية؛ إضافة إلى ما سبق: تعزيز الاعتزاز بالذات، ويأتي ذلك عن طريق تنمية الثقة لدى أفراد المجتمع المسلم في أمته وحضارتها؛ فالأمة التي لا تثق بقدراتها، ولا تُقدّر إمكاناتها الذاتية حق قدرها، لا يمكن إلا أن تكون على الدوام ظلا للآخرين، تابعة لهم لا تعتمد إلا ما يقولون، ولا تُنفذ إلا ما يقررون، وهذا هو التسول الحضاري بعينه، الذي يمثل قمة العجز والفشل والاستسلام أمام التحديات التي تواجهها.

(محمد عمارة: 1999، ص 44).

مراجع الفصل الخامس

أولا/ المراجع باللغة العربية:

-المعاجم والقواميس:

1. ابن منظور(2008): **لسان العرب**، مادة (شبب)، المجلد الثاني، ط6، دار صادر، بيروت، لبنان.

- الكتب:

2. سعد عويس (1979): **القدوة في محيط النشئ والشباب** ، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر.
3. عبد الغني الديدي (1995): **التحليل النفسي للمراهقة، ظواهرها وخفاياها**، بيروت، لبنان، دار الفكر اللبناني، ط1.
4. عبد المحي محمود حسن صالح (2002): **الخدمة الاجتماعية ومجالات الخدمة المهنية**، دار المعرفة، الاسكندرية، مصر.
5. محمد سيد فهمي (2007): **العولمة والشباب منظور اجتماعي**، دار الوفاء للطباعة والنشر، مصر.
6. محمد علاء الدين عبد القادر (1998): **دور الشباب والتنمية**، منشأة المعارف، الاسكندرية، مصر.
7. محمد علي محمد (1985): **الشباب العربي والتغيير الاجتماعي**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
8. محمد منير مرسي (2002): **الإتجاهات الحديثة في التعليم الجامعي المعاصر**، ط1، عالم الكتب، القاهرة.
9. نورهان منير حسن فهمي (1999): **القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية**، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية، مصر.

- **المجلات والدوريات:**

10. عزت حجازي، (1985): **الشباب العربي ومشكلاته**، سلسلة عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
11. قاسم عمر أبو الخير آدم (2014): الجامعات دراسة في المفهوم والنشأة والرسالة، جامعة الجزيرة، جريدة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، العدد رقم (01)، دفعة 2011.
12. محمد أحمد المقداد وصايل، فلاح الريحان وآخرون (2013): **أثر البيئة الجامعية الثقافية المدنية لدى الطلبة**، جامعة آل البيت والجامعة الاردنية، دراسة ميدانية مقارنة، دراسات العلوم الانسانية والاجتماعية، المجلد 40، العدد 01.
13. محمد شطاح (2003): **التلفزيون والطفل**، مجلة المعيار، جامعة الأمير عبد القادر، ع7، ديسمبر، قسنطينة.
14. هند بن لافي لفاي الثاماني (2014): **دور الجامعة في بناء شخصية الطالب (جامعة طيبة نموذجا)**، مجلة جامعة طيبة للعلوم التربوية، المجلد 9، العدد 2، المملكة العربية السعودية.

- **الرسائل الأكاديمية:**

15. بوبكر الجيملي (2009-2010): **الشباب والمشاركة السياسية في الجزائر- دراسة ميدانية لعينة من الشباب الجامعي بجامعة قسنطينة**، رسالة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه في علم اجتماع التنمية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
16. السعيد بومعيزة، (2005-2006): **أثر وسائل الاعلام على القيم والسلوكيات لدى الشباب**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم السياسية والاعلام، قسم الاعلام والاتصال، جامعة الجزائر، الجزائر.
17. ليندة لطيفة بن مهرة (2014): **ثقافة الأجير الشاب وإستراتيجيات تحقيق حاجاته حالة المديرية الجهوية** ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل.م.د، تخصص علم الاجتماع التنمية البشرية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر.

ثانيا/ المراجع الأجنبية:

18. De Besse, (1971), L'adolescence, Paris, P.U.F

19. Dictionnaire de sociologie, Raymond boubon, Philipe Bernard, mohamed Cherkaoui, Bernard-Pierre lécuyer, Larousse, 1999.

20. Pierre Bordieu (1985) : Question de sociologie, Mnuit, Paris.

ثالثا/ المواقع الالكترونية:

21. أميرة محمد علي أحمد حسن (2009): **نحو توثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع**، نقلا عن: sustech.edu.

22. **www.Bahrainyouth.org**، بتاريخ: 2015/12/20، الساعة: 11:20.

23. www.waha4ar.com، بتاريخ: 2016/01/03، الساعة: 09:30.

24. Simon Caudry, Simon Longlois, selon: www.collectionscanada.gc.ca

الفصل السادس:

الإجراءات الميدانية

أولا/ منهــج الدراسـة

ثانيا/ مجـالات الدراسـة

ثالثا/ العينـــــة

رابعا/ أدوات الـدراسـة

خامسا/ الأساليب الإحصائية المعتمدة

أولا/ منـهج الدراسة:

يرتبط المنهج بطبيعة الدراسة، فإذا كانت الدراسة تحاول التعرف على دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي، فإن على هذا النحو تُعنى بدراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة الموضوع، فإن من هذا المنطلق يكون المنهج الوصفي أكثر ملائمة للدراسة النظرية والميدانية معا، خاصة لِما يقدمه من أدوات معينة تسهّل جمع المعطيات والبيانات، لتفسير كل ما تصنعه الثقافة الجماهيرية بهوية الشباب الجامعي؛ إضافة إلى أنه يوفر للباحثين الجانب الكمي والكيفي والنوعي لهذه البيانات، إذن الدراسة لا تتوقف على الوصف، وإنما تتعدى إلى التفسير والتحليل بالغوص في خبايا الدراسة إجمالا.

ويُعرّف المنهج الوصفي على أنه الطريقة المنتظمة لدراسة حقائق راهنة متعلقة بالظاهرة أو موقف، أفراد، أحداث أو أوضاع معنية بهدف اكتشاف حقائق جديدة أو التحقق من صحة الحقائق قديمة، آثارها والعلاقات التي تتصل بها وتغيرها، وكشف الجوانب التي تحكمها.

(بلقاسم سلاطنية وحسان الجيلاني: 2004، ص 168).

ثانيا/ مجالات الدراسة:

وتشمل المجالات الثلاث المعروفة، ذات البعد المكاني، البعد الزماني والبعد البشري، ويمكن تفصيلها فيما يأتي:

1.2.المجال المكاني:

أجريت هذه الدراسة بجامعة محمد خيضر بسكرة، وهي إحدى أهم جامعات القطر الجزائري، تم إنشاؤها في المرحلة الأولى (1984-1992) من خلال المعاهد الوطنية التي ضمت: المعهد الوطني للري، المعهد الوطني للهندسة المعمارية والمعهد الوطني للكهرباء التقنية؛ حيث كانت المعاهد الوطنية تتمتع باستقلالية إدارية بيداغوجية ومالية، وتتكفل هيئة مركزية بالتنسيق فيما بينها، تحولت هذه المعاهد إلى مركز جامعي بمقتضى المرسوم رقم (92-295) المؤرخ في: 1992/07/07، وعلى إثر صدور المرسوم رقم (98/219) المؤرخ في:1998/07/07 تحَوَل المركز الجامعي إلى جامعة تضم (07) معاهد، وبإصلاح التعليم العالي بموجب المرسوم التنفيذي رقم: 98/397 المؤرخ في: (1998/12/02) المتضمن القانون الأساسي النموذجي للجامعة تشكلت جامعة "محمد خيضر" من (03) كليات، وبصدور المرسوم التنفيذي رقم (255/04) المؤرخ في: (29 أوت 2004) والمتضمن إنشاء جامعة بسكرة أصبحت الجامعة تتكون من (04) كليات.

ثم جاء المرسوم التنفيذي رقم (09/09) المؤرخ في: (17 فيفري 2009) لتصبح الجامعة تتكون من (06) كليات؛ حيث قُسمت كلية العلوم وعلوم المهندس إلى كليتين:

1. كلية العلوم الدقيقة وعلوم الطبيعة والحياة.
2. كلية العلوم والتكنولوجيا.

وقُسمت كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية إلى:

1. كلية الآداب واللغات.
2. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

وبقيت الكليات الأخرى:

1. كلية الحقوق والعلوم السياسية.
2. كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير.

كما تم إنشاء معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية.

كما عدّل المرسوم التنفيذي المادة (04) من المرسوم التنفيذي رقم (98-219)؛ حيث أصبحت تضم مديرية الجامعة، زيادة على الأمانة العامة والمكتبة المركزية أربع (04) نيابات مديرية تُكلف على التوالي بالميادين الآتية:

1. نيابة مديرية الجامعة للتكوين العالي في التدرج والتكوين المتواصل والشهادات.
2. نيابة مديرية الجامعة للعلاقات الخارجية والتعاون والتنشيط والاتصال والتظاهرات العلمية.
3. نيابة مديرية الجامعة للتنمية والاستشراف والتوجيه.

(دليل جامعة محمد خيضر: 2016، ص 08).

2.2.المجال الزماني:

يمكن القول أن الانطلاقة الفعلية للعمل البحثي في الموضوع بدأت من أولى سنوات التسجيل في الدكتوراه، بعد مناقشة مع الأستاذ المشرف الذي وجهني وشجعني لتناول الموضوع ككل، وخلال السنوات الـ(05) الماضية عملتُ على ثلاث ميكانيزمات أساسية للبحث ككل، أولاها الجانب المنهجي، والتأصيل النظري خاصة لمفهوم الهوية، ثم الإطار الميداني، فكل مرحلة من تلك السنوات أخذت حيزا معتبرا لكل ميكانيزم، وبقي الأساس هو الإطار الميداني الذي تم تطبيقه بشكل فعلي مع بداية شهر (مارس 2016 إلى غاية جوان 2016)؛ حيث تم

تطبيق الاستبيان في هذه الفترة، وتحليل البيانات المقدمة وكتابة التقرير النهائي إلى غاية شهر سبتمبر 2016.

3.2.المجال البشري: (مجتمع البحث)

يشمل تحديد مجتمع البحث ومميزاته، وكذا عينة البحث وحجمها ونوعيتها.

مجتمع البحث:

يُعد تحديد مجتمع الدراسة أو مجتمع البحث الخطوة المهمة من بين خطوات البحث العلمي؛ حيث يتطلب من الباحث تحديد المجتمع الذي يود إجراء الدراسة عليه، وهذا له علاقة بالتحديد المكاني والزماني للبحث، لذلك فإن حصر مجتمع البحث أمر مهم، ويُعزى ذلك للأسباب التالية:

- ✓ يسهّل على الباحث القيام بدراسته بشكل منظم، دون التخبط في اختيار أفراد أو جماعات لا تخضع لمواصفات البحث المطروح.
- ✓ إن عدم تحديد مجتمع الدراسة بشكل يقترب من الدقة يؤدي لا محالة إلى فشل الدراسة ككل.
- ✓ إن عدم تحديد عناصر مجتمع الدراسة ومواصفاتها يُصعب على الباحث تحديد العينة التي تمثله. **(نبيل أحمد عبد الهادي: 2006، ص ص 260، 261).**

ويمكن اعتبار مجتمع البحث لهذه الدراسة هم الشباب الجامعي بجامعة محمد خيضر بسكرة للسنة الجامعية (2016/2015) بالكليات السبع (07) الموجودة بالجامعة ككل، والذين بلغ عددهم: 31689 طالب موزعين كالآتي:

جدول رقم (02): يوضح توزيع الطلبة حسب الكليات بجامعة محمد خيضر بسكرة:

الكلية	الجدد	التدرج (LMD) بما فيهم الجدد	طلبة الماستر	المجموع
كلية العلوم والتكنولوجيا	1359	4004	1709	5713
كلية العلوم الدقيقة وعلوم الطبيعة والحياة	1679	5198	1758	6956
كلية الحقوق والعلوم السياسية	570	1487	1257	2744
كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير	603	1474	1214	2688
معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية	361	910	525	1435
العلوم الإنسانية والاجتماعية	1249	3011	1005	4016
كلية الآداب واللغات	2114	6476	1661	8137
المجموع	**7935**	**22560**	**9129**	**31689**

المصدر: عمادة جامعة محمد خيضر، 2016

إذن العدد الإجمالي للطلبة هو: 31689 طالب، ومن الخصائص المعروفة على مجتمع البحث المعني بدراستنا المتمثل في المجتمع الطلابي كونه يتميز بقدر كبير من التجانس، وهذا نتيجة للتقارب الكبير بين مفرداته في عدد من المتغيرات الرئيسية كالسن، الجنس، المستوى التعليمي وحتى مقر السكن.

ثالثا/ العينـــة:

1.3. مراحل اختيار العينـة:

هي جزء من مجتمع الدراسة تُختار بطريقة علمية وعملية محددة للوصول إلى مجموعة من التحليلات والبيانات تم جمعها بأدوات محددة، شرط أن تكون هذه العينة ممثلة للمجتمع الأصلي ككل.

تعرَّف العينة على أنها جزء من مجتمع الدراسة الذي يتم جمع البيانات الميدانية منه، وهي تعتبر كجزء من الكل؛ بمعنى أنه تؤخذ مجموعة من أفراد المجتمع، على أن تكون ممثلة لمجتمع البحث؛ فالعينة إذن هي جزء معين أو نسبة معينة من أفراد المجتمع الأصلي، ثم تُعمم نتائج الدراسة على المجتمع كله. **(رشيد زرواتي: 2007، ص 334).**

إذن فالعينة هي الجزء الذي يختاره الباحث وفق طرق محددة لتمثل مجتمع البحث تمثيلا علميا سليما. **(محمد زيان عمر: 1983، ص 282).**

وقد أجريت هذه الدراسة خلال الموسم الجامعي (2016/2015)، ونشير في هذا الإطار إلى أن عدد الطلبة المسجلين لهذه السنة الجامعية قُدر بـ: (31689 طالب)، ولصعوبة تغطية هذا العدد الضخم اعتمدت الباحثة على عينة متعددة المراحل.

حيث يبدأ الباحث في دراسته لهذه العينة بتقسيم البحث إلى وحدات أولية يختار من بينها عينة بطريقة عشوائية أو منتظمة، ثم تُقسّم الوحدات الأولية المختارة إلى وحدات ثانوية يختار من بينها عينة جديدة، ثم تُقسم الوحدات الثانوية المختارة إلى وحدات أصغر يختار منها عينة عشوائية. **(فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة: 2002، ص ص 194، 195).**

ونظرا لضخامة الطلبة المسجلين لهذه السنة كما أشرنا إليه سالفا، فقد اعتمدت الباحثة على عينة متعددة المراحل، بأخذ عينة من الكليات الموجودة، ومن ثمة أخذ عينة من طلبة الماستر المسجلين ضمن هذه الكليات.

ويرجع اختيار طلبة الماستر كعينة للدراسة لعدة اعتبارات نذكرها في الآتي:

❶ صعوبة فهم مصطلحات الثقافة الجماهيرية والهوية بالنسبة للمسجلين الجدد.

❷ جهل الطلبة الجدد للقيمة العلمية للاستبيان، وفائدته البحثية بالنسبة للبحث وتحقيقا للأهداف.

❸ طلبة الماستر هم طلبة جامعيين استمرت دراستهم لأكثر من (04) سنوات)، مثلهم مثل باقي الطلبة المتواجدين بمجتمع البحث، سواء من ناحية الدراسة أو السِمات الشخصية والنفسية وحتى الاجتماعية؛ غير أن ما يميزهم هي المدة المستغرقة للتكوين؛ مما شكل لديهم ثقافة فرعية منقحة في مراحلها المتقدمة جدا، بمعنى أنهم ليسوا مثل الطلبة الوافدين الجُدد الذين يكونون في مرحلة الاكتشاف والاستطلاع، عكس طلبة الماستر مروا بالعديد من المراحل حتى شكلت الثقافة الجماهيرية والهوية لديهم بالشكل الذي يخدم الدراسة والتي هي أهم مصطلحات العمل البحثي الراهن.

❹ ضف إلى ذلك؛ من خلال الملاحظة التي أجرتها الباحثة لاحظت تشبُع الطلبة الجامعيين (طلبة الماستر) بأنماط استهلاكية منتشرة بكثرة بينهم، وهو ثاني أهداف الدراسة، باستشعار تأثيرات الثقافة الجماهيرية على مكونات الهوية والثقافة الفرعية من طرفهم.

مما سبق، وتوفيرا للوقت والجهد وتحقيقا للأهداف المرجوة من البحث، اعتمدنا على عينة متعددة المراحل وذلك وفق المراحل الآتية:

المرحلة الأولى:

اختارت الباحثة عينة في الكليات الموجودة بجامعة محمد خيضر بسكرة والمكون عددها من (07 كليات) بنسبة (28%) من المجتمع الأصلي، وذلك بطريقة عشوائية منتظمة؛ حيث تم تحديد العينة على الشكل الآتي:

07 كليات × (28%) ÷ 100 = 2,94 بالتقريب 03

وتم تحديد مسافة الاختيار التي تفصل بين وحدات المجتمع؛ بمعنى المدى المختار على النحو الآتي: **07 كليات ÷ 03 = 2,5 بالتقريب 03**

إذن (03) هو المدى المختار لهذه الدراسة، وتم اختيار رقم (01) كرقم عشوائي ليمثل الكلية الأولى وهي كلية العلوم والتكنولوجيا.

وتم اختيار الكلية الثانية التي ستجري بها الدراسة بالطريقة التالية:

4 = 03+1

يمثل رقم (04) الكلية الثانية وهي كلية الاقتصاد، ثم نختار الكلية الثالثة **4+03= 07** ، ورقم (07) هو ممثل للكلية الأخيرة وهي كلية الآداب واللغات.

وعليه الأرقام (01)، (04)، (07) هم الكليات الذين سنأخذ منهم عينة من طلبة الماستر، والجدول التالي رقم (03) يوضح ترتيب الكليات.

الجدول رقم (03): يمثل انتقاء الكليات في المرحلة الأولى

الرقم	الكلية	الجدد	التدرج (LMD) بما فيهم الجدد	طلبة الماستر	المجموع
1	كلية العلوم والتكنولوجيا	1359	4004	1709	5713
2	كلية العلوم الدقيقة وعلوم الطبيعة والحياة	1679	5198	1758	6956
3	كلية الحقوق والعلوم السياسية	570	1487	1257	2744
4	**كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير**	603	1474	1214	2688
5	معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية	361	910	525	1435
6	العلوم الإنسانية والاجتماعية	1249	3011	1005	4016
7	**كلية الآداب واللغات**	2114	6476	**1661**	8137
المجموع		**7935**	**22560**	**9129**	**31689**

المصدر: عمادة جامعة محمد خيضر، 2016.

المرحلة الثانية:

بعد اختيار الكليات كمرحلة أولى، سنمر لاختيار عينة من طلبة الماستر بطريقة عشوائية بسيطة بنسبة (10%) والعمليات الآتية ستوضح عدد الطلبة ضمن كل كلية:

- **الكلية رقم (01): كلية العلوم والتكنولوجيا عددهم:**

(1709×10%) ÷ 100 = **171 طالب**

- **الكلية رقم (04): كلية الاقتصاد عددهم:**

(1214× 10%) ÷ **121 طالب**

- **الكلية رقم (07): كلية الآداب واللغات عددهم:**

(1661 × 10%) ÷ 100 = **166 طالب**

وبمجموع عدد الطلبة من الكليات المنتقاة يكون العدد الإجمالي للطلبة كالآتي:

1709+1214+1661 = 4584 طالب

(4584 × 100%) ÷ 100 = **458 طالب**

171 + 121 +166 = **458 طالب**

إذن العينة هي: 458 طالب

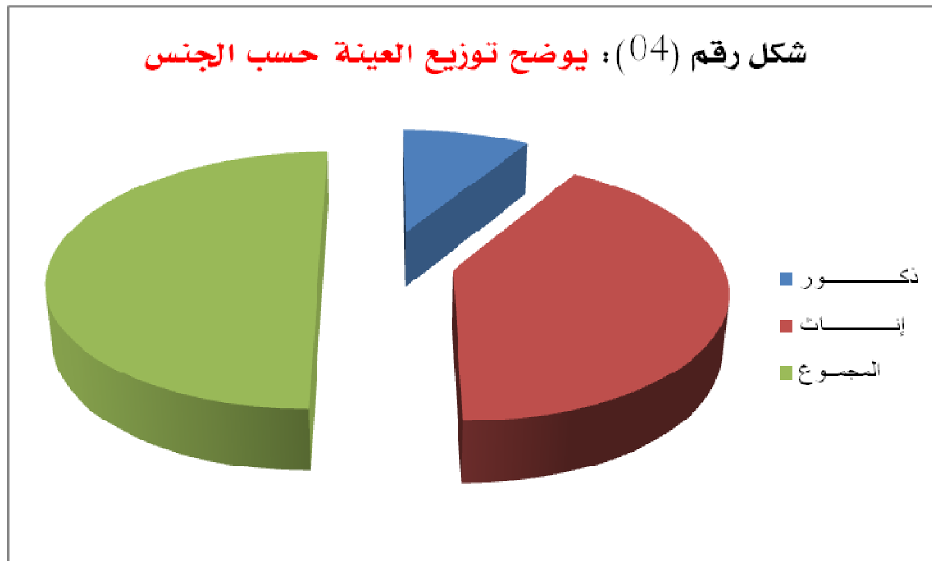
2.3. خصائص العينة بناء على تحليل وتفسير نتائج المحور الأول:

1.2.3. من حيث الجنس:

الجدول رقم (04): يوضح توزيع العينة حسب الجنس:

الجنس	التكرار	النسبة المئوية
ذكـــــور	82	%17,9
إنـــــاث	376	%82,1
المجموع	458	%100

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شملت الدراسة (458) مفردة ذكورا وإناثا، كما يوضحه الجدول أعلاه رقم (04)، الذي نلاحظ من خلاله أن العينة موزعة بين كلا الجنسين، مع ارتفاع جد محسوس في جنس الإناث بتكرار (376) بنسبة (82,1%) في مقابل (82) ذكر؛ أي بنسبة (17,9%)؛ أي بمعدل متوسط حسابي (1,82) بانحراف معياري (0,38).

ويرجع ارتفاع نسبة الإناث على غرار نسبة الذكور لعدة اعتبارات؛ منها أن تواجد الإناث أصبح بقوة في جُل الأطوار التعليمية ما قبل الجامعة، إذن تحصيل حاصل أنه نسبة تواجد الإناث بالجامعة في تزايد مستمر، ضف إلى ذلك حتى وإن وُجدت نسبة لا بأس بها من الذكور في الجامعة، إلا أنهم بمجرد إكمالهم لـ 03 سنوات ما قبل الماستر يتوقفون عن الدراسة، ويتجهون للحياة العملية، أما البنات فيفضلون إكمال مشوار دراستهم، وهذا ما أسفرت عليه المقابلة مع بعض المبحوثين في الكليات المختارة.

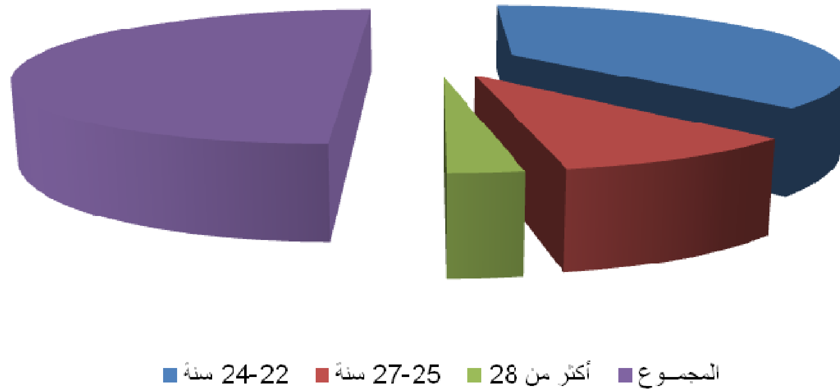
2.2.3.من حيث السن:

الجدول رقم (05): يوضح توزيع أفراد العينة حسب السن:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية
22-24 سنة	348	%76
25-27 سنة	85	%18,6
أكثر من 28	25	%5,40
المجموع	458	%100

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS

شكل رقم (05): يوضح توزيع أفراد العينة حسب السن



يتضح من الجدول رقم (05) أن أكبر نسبة تقدر بـ: 76% للفئة العمرية التي تتراوح بين (22–24 سنة)؛ في حين سُجلت نسبة (18,6%) للذين يتراوح سنهم بين (25–27 سنة)، أما أصغر نسبة للذين بلغ سنهم ما فوق (–28 سنة) بنسبة (5,40%)، وبصفة عامة فقد بلغ المتوسط الحسابي لسن العينة إجمالا: (23,14%) بانحراف معياري (2,76).

إذن، من الطبيعي أن يكون عمر أغلبية الطلبة الدارسين بالماستر ما بين (22–24 سنة) خاصة بعد حصولهم على شهادة البكالوريا في سن (18 و19 سنة)، وبعد إتمامهم لسنوات ليسانس، وبالتالي يكون سنهم ما بين (22–24 سنة) عند وصولهم للماستر.

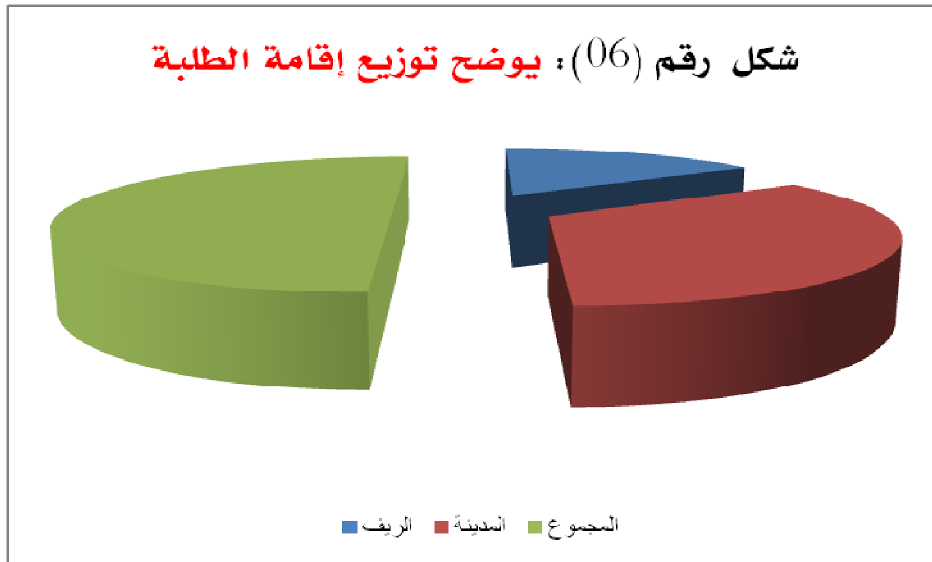
ويرجع الاختلاف في النسب أو بمعنى أصح التباعد خاصة مع النسبة الممثلة بـ: (76%) للفئة العمرية (22–24 سنة) إلا أن القبول في مرحلة الماستر يتم على أساس شروط تتمثل في: المعدل، وحتى السن في بعض الجامعات، وأغلبهم الذين استوفوا ما فوق (28 سنة) يفضلون الحياة العملية لا العلمية؛ ضف إلى ذلك أن معدل السن يتراوح بين (22–24 سنة) هو سن ملائم جدا لظهور تأثيرات الثقافة الجماهيرية على الشباب، وأيضا تَشكُل الهوية بمستوياتها الفردية والجماعية.

3.3.3.يوضح مكان إقامة الطلبة

الجدول رقم (06): يوضح توزيع إقامة الطلبة:

مكان الإقامة	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الريف	147	%32,1	1,66	0,47
المدينة	311	%67,9		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



من خلال الجدول رقم (06) الذي يوضح توزيع إقامة المبحوثين، تظهر لنا أن المدينة مثلت أعلى نسبة كمكان سكن للطلبة الجامعيين؛ إذ قُدرت بنسبة (%67,9)، وأن الإقامة بالريف مثلتها نسبة (%32,1)، وما يفسر هذه النتائج الإحصائية خاصة بعد الملاحظة والمقابلة الحرة التي أجريت مع بعض الطالبات، خاصة أن أغلب الإناث اللائي يقمن بالمدينة يطمحن

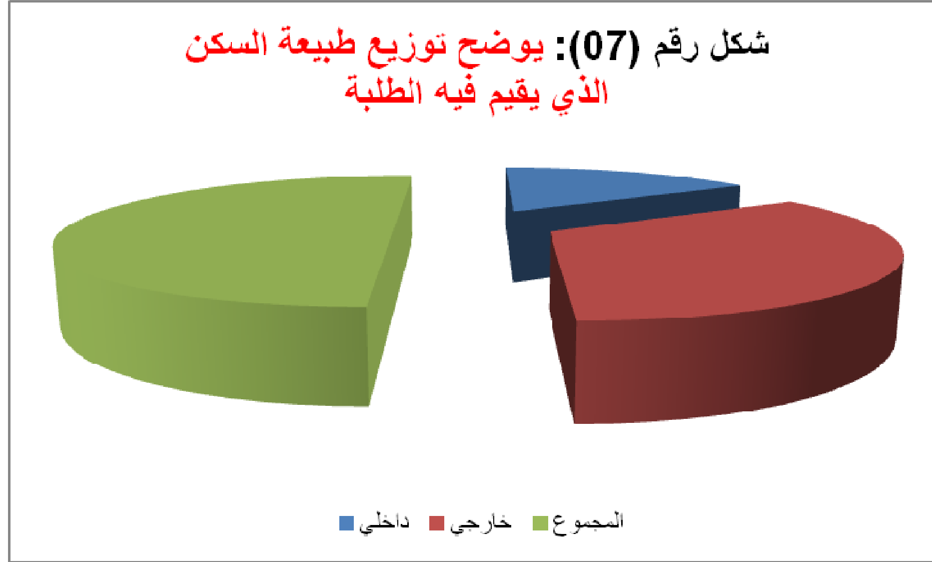
لإتمام دراستهن عكس مثيلاتهن من البنات اللائي يقطن بالريف، وذلك لعدة اعتبارات؛ منها توجههن للحياة الزوجية، وتأسيس أسر، وهذا أمر طبيعي مقارنة بسنهن، ومع طبيعة بعض الأسر وطريقة تفكيرها أن الفتاة بعد إتمام 03 سنوات من الضروري جدا الزواج؛ ضف إلى ذلك صعوبة الوصول إلى الجامعة والتنقل الدائم إلى المدينة للالتحاق بجامعة محمد خيضر ببسكرة، نتيجة بعض الظروف الصعبة التي تعيشها بعض الأسر هناك .

4.3.3.يفسر طبيعة السكن الذي يقيم فيه المبحوثين:

الجدول رقم (07): يوضح توزيع طبيعة السكن الذي يقيم فيه الطلبة

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
داخلي	148	%32,6	1,66	0,47
خارجي	310	%67,4		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



بالموازاة مع الجدول السابق رقم (06) تظهر لنا نسبة (67,9%) للمقيمين بالمدينة، وهذا ما أكده الجدول رقم (07) أعلاه أن طبيعة السكن تكون بنظام خارجي بنسبة (67,4%) فيه تطابق كبير جدا بين طبيعة السكن ومكان الإقامة؛ في حين أكدت نسبة (32,6) طبيعة السكن الداخلي للمقيمين بالريف بنسبة (32,1%)، إجمالا وضّح انحراف معياري لطبيعة السكن عند درجة (0,47) بمتوسط حسابي (1,66) لأفراد العينة بصفة عامة؛ فالإقامة الجامعية هي للطلبة المقيمين داخل الحرم الجامعي، والبيت بالنسبة للطلبة الخارجيين.

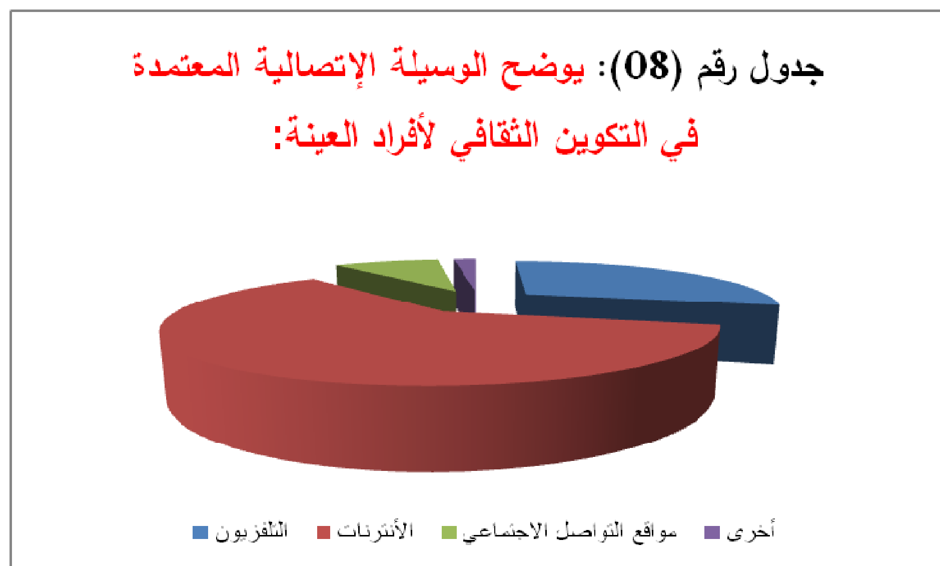
5.3.3.توزيع أفراد العينة للوسيلة الاتصالية التي يعتمدون عليها في تزويدهم بالثقافة:

الجدول رقم (08): يوضح الوسيلة الاتصالية المعتمدة في التكوين الثقافي لأفراد العينة

الوسيلة	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
التلفزيون	132	%28,3		
الأنترنات	276	%60,3		

مواقع التواصل الاجتماعي	41	%9,4	%1,85	0,65
أخرى	09	%2,0		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



جدول رقم (08): يوضح الوسيلة الإتصالية المعتمدة في التكوين الثقافي لأفراد العينة:

تُعد وسائل الاتصال على اختلافها أداة أساسية في تزويد الشباب الجامعي بالثقافة اللازمة، وهذا ما أثبته المتوسط الحسابي بـ: (1,85) بانحراف معياري (0,65)، وهي نسب دالة على أهمية ودور هذه الوسائل وما تقدمه من مواد إعلامية متنوعة.

فحسب الجدول رقم (08) أعلاه أوضحت نسبة (%60) بتكرار (276) أن الانترنت هي الوسيلة الأولى أكثر اعتمادا عليها بالنسبة للشباب، فمن خلال المقابلة التي أجريت مع العديد من الطلبة أجابوا أن للانترنت وشبكتها الواسعة دورا مهما في تثقيفهم وتزويدهم بكل المعلومات اللازمة وأيضا الترفيه، التسلية.

يأتي في المرتبة الثانية التلفزيون بنسبة (28,3%)، ثم مواقع التواصل الاجتماعي بنسبة (9,4%) ووسائل أخرى كالجرائد والراديو بنسبة (2%).

فأهم الوسائل الاتصالية تزويدا للثقافة بالنسبة للشباب هي التلفزيون والانترنت، فحسب الجانب النظري هما الأداتان الأساسيتان بالنسبة للثقافة الجماهيرية الاستهلاكية من خلال الأحزمة الثقافية المتنوعة كالمسلسلات والأغاني، إشهارات، إعلانات خلقت نزعة استهلاكية لديهم، فهي مواد لا تقل أهمية عن المواقع وشبكات والانترنت المتنوعة التي جعلت من عملية الانفتاح سهلة لدى هذه الفئة العمرية، وبالموازاة مع ذلك خلقت لهم تسطيح ثقافي، وفي نفس الوقت ضربت الهوية عن طريق مكوناتها ومقوماتها الأساسية، وهذا ما سيتم تفسيره في باقي الجداول الآتية ضمن التحليل الكمي والنوعي أو الكيفي للدراسة.

رابعا/ أدوات الدراسة:

تُعد أدوات جمع البيانات بالنسبة للباحث من التقنيات والوسائل التي يتم الاعتماد عليها للحصول على كل المعلومات الكمية والكيفية الضرورية لإتمام البحث، ويرتبط اختيار التقنية بنوع وكمية البيانات التي يحتاجها الباحث من أجل ذلك، ثم الاعتماد على الاستبيان كأداة أساسية رئيسية مع الاستعانة بأدوات ثانوية كالملاحظة والمقابلة.

1.4.الملاحظة:

الملاحظة هي إحدى الوسائل المهمة في جمع البيانات، وهناك قول شائع بأن العلم يبدأ بالملاحظة، وتبرز أهمية هذه الوسيلة في الدراسات الاجتماعية التي تتعلق بالسلوك الإنساني ومواقف الحياة الواقعية. **(كامل محمد المغربي: 2007، ص 130).**

والهدف من هذه التقنية هو الحصول على المعلومات التي لم يتم التوصل إليها عن طريق الاستبيان والمتعلقة خصوصا ببعض المظاهر الخاصة بالشباب كـ: أهم تسميات قصات الشعر،

أهم الألبسة لدى الشابات والشبان...، وباعتبار أن الجانب الميداني بجامعة محمد خيضر حاولنا ملاحظة هذا الوسط خاصة في فترة الدخول الجامعي، والمناسبات التي تلي العطل أو قبلها، فملاحظتي مست القصات وأهمها: (Emou) بالنسبة للشابات، و(Marins) للشباب، وأخرى يطلق عليها (Franchiskou) التي تستهلك نسبة كبيرة من الهُلام (Gel)؛ إضافة إلى ألبستهم المتعلقة بآخر ما أفرزه سوق الموضة، كالألوان الدارجة لهذه السنة وغيرها.

2.4.المقابلة:

من أجل تدارك بعض النقائص التي من الممكن أن تنتج عن استخدام الاستبيان كأداة أساسية في جانب الإجراءات الميدانية اعتمدت الباحثة على أداة ثالثة ثانوية مساعدة للاستبيان ألا وهي المقابلة غير المقننة؛ بمعنى إجراء مقابلة حرة مع بعض الطلبة من خلال طرح بعض الأسئلة حول التاريخ، أو الجانب التاريخي المكون للهوية الجزائرية وتناقشنا حول النشيد الوطني، ثم تطرقنا لتأثر الشباب بالثقافة الغربي وتفكيرهم بالهجرة بسبب عدم توفر مناصب الشغل، وبالتالي كانت المواضيع واسعة وشاسعة وأفادتني في الحصول على معطيات لم تُتَح لنا فرصة الحصول عليها من الملاحظة والاستبيان.

إذن المقابلة ليست محادثة عادية بين باحث ومبحوث لإشباع رغبة الحوار والحديث فقط؛ وإنما هي أفكار تُطرح على المستوى الشخصي، يتم من خلالها تبادل الأفكار ومناقشتها بطريقة علمية سلسة وبسيطة.

3.4.الاستبيان:

الاستبيان عبارة عن مجموعة من الأسئلة المكتوبة التي تعد قصد الحصول على معلومات أو آراء المبحوثين حول ظاهرة أو موقف معين، وتُعد الإستبانة من أكثر الأدوات المستخدمة في

جمع البيانات الخاصة بالعلوم الاجتماعية التي تتطلب الحصول على معلومات أو معتقدات أو تصورات أو آراء الأفراد.

(محمد عبيدات، محمد أبو نصار وآخرون: 1999، ص 63).

وهي الأداة الأساسية في هذه الدراسة، وهذا لطبيعة الموضوع المثار، المتمثل في "دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي"، فهي دراسة لأهم الممارسات والمظاهر الاستهلاكية على هوية الشباب، فهذه الأداة توفر لنا معطيات وبيانات كمية وكيفية؛ فالبعد المتمثل في المعطيات الإحصائية التي تم فرزها في جداول، وتحليلها هو البعد الكيفي النوعي، وعليه أداة الاستبيان هي الأكثر موائمة للموضوع على أساس فئة المبحوثين وهم طلبة جامعة محمد خيضر بسكرة، وبالتالي يسهل تطبيقه دون أية عوائق أو صعوبات ابستمولوجية، وتكييف محاوره وأسئلته وفق الإطار العلمي والاجتماعي والثقافي لهم، فهم فئة لديها مؤهلات علمية واستعدادات ثقافية تساعدهم في الإجابة؛ إضافة إلى أن هذا الموضوع يساعدهم في التعبير عن آرائهم وتوجهاتهم الشبانية؛ فالموضوع يمسهم أكثر من أي فئة أخرى، وقد مر استبيان هذه الأطروحة بمجموعة من المراحل حتى تم التوصل إلى الاستبيان الأكثر ملائمة للشباب، وبالتالي الحصول على المعلومات، وتمثلت هذه المراحل في:

❖ **مرحلة الصياغة الأولية:**

وتمت هذه المرحلة بناءًا على التساؤل العام والتساؤلات الفرعية، وأهم المؤشرات المعبرة عن كل تساؤل، لتحقيق الأهداف المرجوة، وقد تم الاعتماد على الدراسات السابقة من خلال التأصيل النظري والميداني، لكي لا يتم الانطلاق من الصفر.

❖ **مرحلة التحكيم:**

حيث تم عرض الاستبيان في شكله الأولي والمبدئي على (07) دكاترة من داخل الوطن وخارجه، وهم أساتذة جامعيين لديهم خبرة في ميدان البحث العلمي، ولكي تستوفي الاستبانة كل الجوانب العلمية، فقد نوعت الباحثة فيما بين المحكمين؛ فمنهم في مجال الاتصال بجامعة قسنطينة الدكتورة/ سكينة العابد، وعلوم التربية: الدكتور/ طارق هاشم خميس من العراق وغيرهم من الدكاترة المتمكنين من البحث العلمي ولديهم باع واسع من المعرفة العلمية ، وكان الهدف هو أن تكون الآراء متنوعة حتى تخدم الاستبيان في شكله النهائي.

وبعد إطلاعهم على إشكالية الدراسة وأهدافها ومدى تماشيها مع أسئلة الاستبيان، ففيهم من قدم ملاحظة تخص السؤال رقم (14) الذي جاء كالتالي: هل الشباب بالنسبة لك هو مرحلة بناء قرارات مصيرية أم مرحلة التمتع بالألبسة الفاخرة، أم مرحلة الانفتاح على الثقافات الأخرى بالشكل الصحيح، على أساس أن السؤال لا يخدم البحث، لكن من وجهة نظري إنه سؤال يربط بين ما تقدمه الثقافة الجماهيرية من مواد تؤثر على فكرهم ونمطهم السلوكي وبين هويتهم الممثلة للثقافة الفرعية الخاصة بهم، كما قدموا ملاحظات بالنسبة للسؤال رقم (17) وهي ضرورة إضافة اللغة الأمازيغية، أما باقي الأسئلة فكانت مقبولة وتصب في كل محاور الاستبيان، وتبقى هذه المرحلة مهمة لما قدمته من مساهمة في تعديل طفيف مس النسخة المبدئية للاستبيان.

❖ **مرحلة التجريب:**

قامت الباحثة في هذه المرحلة بتطبيق الاستبيان على مجموعة من الطلبة الجامعيين البالغ عددهم (60) طالبا، لمعرفة مدى اتساق الاستبيان مع أفكارهم والإطلاع على طريقة الإجابة بالنسبة لهم، وقد قدمت هذه المرحلة جوانب أخرى خفية عن الباحثة تساعدها على إجراء تعديلات بصفة نهائية للمرور للمرحلة الأخيرة وهي مرحلة التوزيع الفعلي.

❖ **مرحلة التطبيق والتوزيع النهائي:**

تضمن الاستبيان في شكله النهائي (54) سؤالا موزعا على أربعة محاور:

أولا/ محور البيانات الشخصية يضم: السن، الجنس، مكان الإقامة، نوع السكن، الوسيلة الاتصالية التي يعتمد عليها الشباب.

ثانيا/ العناصر الدينية المكونة للهوية بالنسبة للشباب الجامعي.

ثالثا/ الثقافة الجماهيرية، القيم الوطنية ولغة الشباب الجامعي.

رابعا/ الثقافة الجماهيرية والقيّم الاجتماعية للهوية بالنسبة للشباب.

1.3.4.صدق وثبات الاستبيان:

بعد صياغة الاستبيان كمرحلة أولية، ثم عرضه على الأستاذ المشرف والأخذ بكل ما قدمه لي من ملاحظات ونصائح تخدم الاستبانة، كتأخير بعض الأسئلة وحذف بعضها الآخر، وهي الملاحظات التي اجتمعت مع تلك التي قدمها الأساتذة المحكمين في مرحلة التحكيم، لتأتي مرحلة التجريب لتثبت مدى صدق وثبات الاستبيان.

ويُقصد بثبات وصدق الاستبيان، أنه يتم الحصول على نفس النتائج إذا أعيد توزيعه في شكله النهائي.

ومعامل الثبات الذي اعتمدناه هو ألفا كرونباخ باستخدام برنامج نظام الأحزمة الإحصائية (SPSS) للعلوم الاجتماعية؛ حيث تم تطبيق الاستبيان على (60) طالب، وكانت النتيجة كالآتي:

ألفا كرونباخ	**0,75**

معامل صدق وثبات قوي يسمح بجمع المعلومات ميدانيا، وبالتالي يجيب على تساؤلات الدراسة ويحقق الأهداف المرجوة.

خامسا/ الأساليب الإحصائية المعتمدة:

بعد جمع البيانات والمعطيات الأولية الأساسية للدراسة، قامت بالباحثة بالاعتماد على مجموعة طرق وإجراءات إحصائية للحصول على أهم النتائج التي تجيب على تساؤلات الدراسة، وتحقيقا للأهداف المرجوة.

في هذه الدراسة اعتمدت الباحثة على نظام الأحزمة الإحصائية (SPSS) للعلوم الاجتماعية؛ ضف إلى ذلك أن كل الأساليب المعتمدة التي سيتم ذكرها مناسبة للدراسة السوسيو- اتصالية وتتوافق مع المنهج الوصفي.

وعليه، فإن أهم الأساليب المعتمدة هي:

- ✓ معامل صدق وثبات معامل (ألفا كرونباخ) لدراسة صدق وثبات الاستبيان.
- ✓ النسب المئوية والتكرار لتحديد نسب إجابات المبحوثين لكل سؤال ضمن كل محور من محاور الدراسة.
- ✓ المتوسط الحسابي.
- ✓ الانحراف المعياري.

مراجع الفصل السادس

المراجع باللغة العربية:

- **الكتب**

1. بلقاسم سلاطنية، حسان الجيلاني: (2004)، **منهجية العلوم الاجتماعية**، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر.
2. رشيد زرواتي (2007): **منهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الاجتماعية**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر.
3. فاطمة عوض صابر، ميرفت علي خفاجة: **(2002)**، **أسس ومباديء البحث العلمي**، مكتبة الإشعاع الفنية، الاسكندرية، مصر.
4. كامل محمد المغربي (2007): **أساليب البحث العلمي في العلوم الانسانية والاجتماعية**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
5. محمد زيان عمر (1983): **البحث العلمي ومناهجه وتقنياته**، ط4، جدة، دار الشروق.
6. محمد عبيدات، محمد أبو نصار وآخرون: (1999)، **منهجية البحث العلمي"القواعد والمراحل والتطبيقات"**، دار وائل، عمان، الأردن.
7. نبيل أحمد عبد الهادي: (2006)، **منهجية البحث في العلوم الانسانية**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

- **المجلات والدوريات**

8. دليل جامعة محمد خيضر 2016.

الفصل السابـع:

مراحل تفريـغ وتحليل البيانات

في ضوء أدوات الدراسة

والدراسات السابقة

أولا/ تفريغ وتحليل بيانات نتائج المحور الثاني من الاستبيان

ثانيا/ تفريغ وتحليل بيانات نتائج المحور الثالث من الاستبيان

ثالثا/ تفريغ وتحليل بيانات نتائج المحور الرابع من الاستبيان

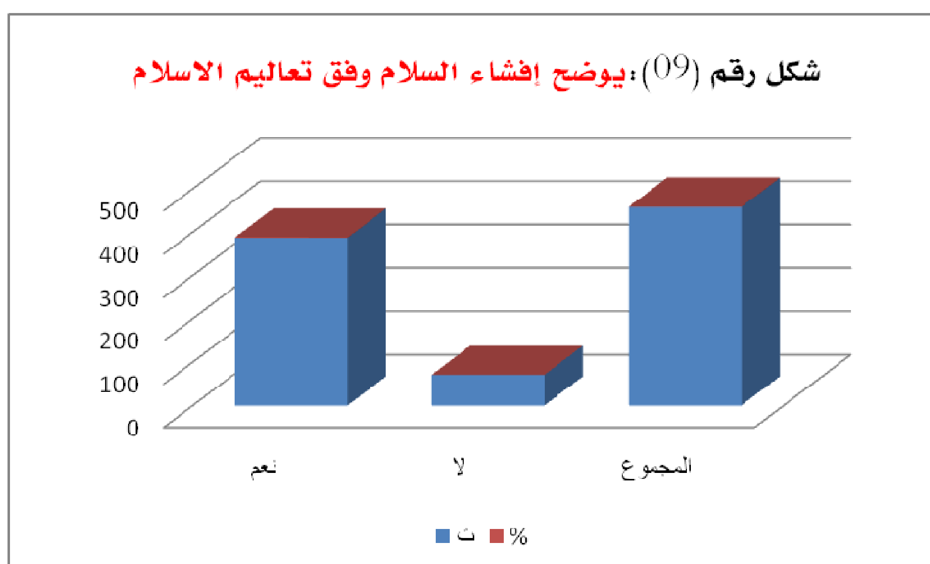
أولا/ تفريـغ وتحليل بيانات نتائج المحور الثاني من الاستبيان:

المحور الثاني: العناصر الدينية المكونة للهوية بالنسبة للشباب الجامعي:

جدول رقم (09): يوضح إفشاء السلام وفق تعاليم الإسلام:

إفشاء السلام	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الإنحراف المعياري
نعم	387	%84,5	1,19	0,52
لا	71	%15,5		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام spss



ما نستشفه من الجدول أعلاه رقم (09) أن الشباب الجامعي يفشي السلام فيما بينه بنسبة (%84,5) والذين لا يفشون السلام بنسبة (%15,5)، وبصفة إجمالية يتم إفشاء السلام لدى الشباب الجامعي بمتوسط حسابي (1,19) وبانحراف معياري قدره (0,52).

وهذا ما يدل أن الشباب الجامعي محافظين على دينهم من خلال مفتاح السلام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «خَلَقَ اللهُ آدَمَ وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا»، ثُمَ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أولَئِكَ مِنَ المَلاَئِكَة، فَاْستمِعْ مَا يُجيبُونَكَ، تَحِيَّتَكَ وَتَحِيَةَ ذُرِّيَتِكَ، فَقَالَ: السَلاَمُ عَلَيكُمْ، فَقَالُوا: السَلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةِ الله» [متفق عليه]. (**مهران ماهر عثمان: نقلا عن:https//saaid. Net**).

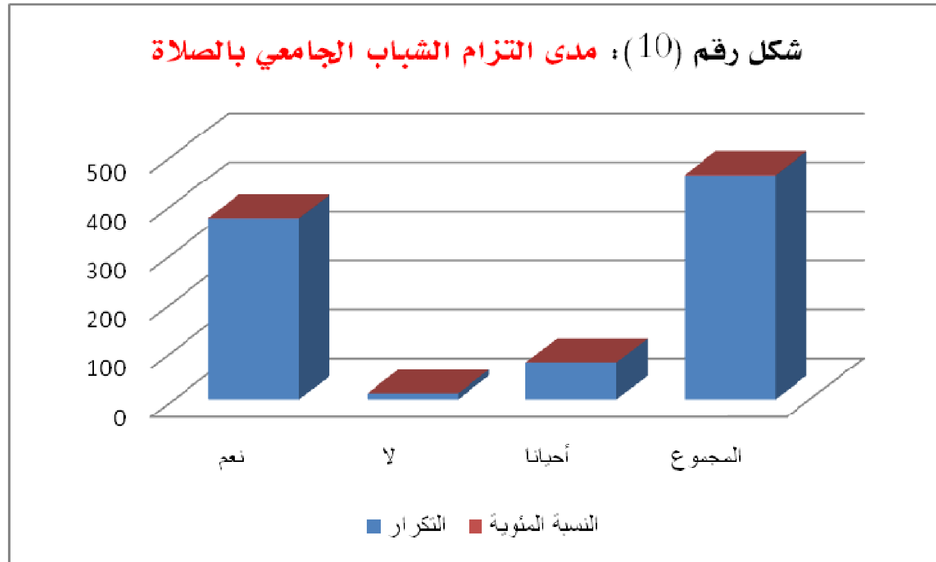
فحسب (**محمد عبد الرؤوف عطية: 2009، ص 44**) فإن الدين هو من أهم العناصر التي تشكّل وتقوم عليها الهوية والثقافة، لكن في خِضم التطورات التكنولوجية وانتشار وسائل الاتصال الجماهيرية نجدها تعمل على تراجع الدين في أبرز صوره كطريقة التحية متأثرين بالأحزمة الثقافية المتنوعة خاصة المسلسلات الأجنبية التركية، التي هي أساسا أحد أوجه الثقافة الجماهيرية وتأثيرها على العناصر الدينية المكونة للهوية.

ومن خلال إجراء المقابلة مع بعض المبحوثين تبين أن أبرز وأهم التحيات التي يُلقونها مقارنة بنسبة عدم إفشاء السلام، والمقدرة بـ (15,5%)، ومن بين هذه التحيات مثلا: "صباحو، Good morning، أهلا..."، وهذا ما تم ملاحظته على أرض الواقع.

الجدول رقم (10): يبين مدى التزام الشباب الجامعي بالصلاة:

ملتزمون بالصلاة	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	370	%80,8	%1,35	0,75
لا	12	%2,6		
أحيانا	76	%16,6		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



تبين لنا من خلال الجدول رقم (10) أن أغلبية المبحوثين ملتزمين بالصلاة بتكرار (370) ممثلة في نسبة (%80,8)؛ في حين أجاب (76) شاب جامعي بأن مدى التزامهم متذبذب بين

الحين والآخر، وهذا ما فسرته نسبة (16,6%)، وأخيرا نسبة (2,6%) ممن أجابوا بلا، ومعدل التزامهم بالصلاة وتأديتها بصفة إجمالية بمتوسط حسابي (1,35) عند انحراف معياري (0,75).

مما سبق، تُعد هذه النتائج المتحصل عليها نفس النتائج التي توصلت إليها الدراسة السابقة للباحثة سليمة فيلالي؛ حيث استنتجت أن الطلبة الذين يؤدون الصلاة بنسبة (84,79%) ونسبة (04,25%) للذين أجابوا بـ: لا، وأما نسبة الذين أجابوا بـ: أحيانا فتقدر بـ: (10,96%).

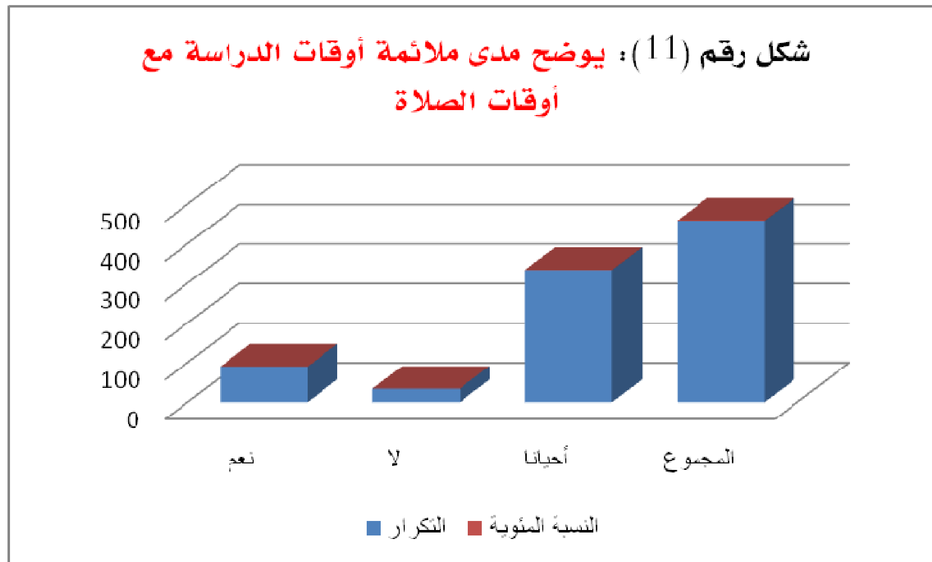
ما نفسر به هذه النتائج أن الدين أحد المقومات التي تتشكل بها الهوية (خاصة الدينية)، وأهم مظاهرها لكن ما تتعرض له الهوية من هجومات شرسة خاصة عامل الدين، يجعل الحياة الدينية لدى الشباب في تغير وتقلب وتغير دائم.

وكما هو واضح ومعروف أن المجتمع الجزائري مر بالعديد من المراحل والحقب التاريخية خاصة المرحلة الاستعمارية واستهدافها للدين، باعتباره الحاجز القوي الذي يقف ضد تحقيق سياستهم الإستدمارية فبقيت مخلفات الاستعمار من خلال طمس الهوية على مختلف الأصعدة وبشتى الوسائل.

جدول رقم (11): يبين مدى ملائمة أوقات الدراسة مع أوقات الصلاة:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	97	%21,2	2,28	0,78
لا	139	%30,3		
أحيانا	222	%48,5		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



تدل نتائج هذا الجدول رقم (11) أن المواظبة على تأدية الصلاة مع أوقات الدراسة ليست دائمة، وهذا ما دلت عليه نتيجة (48,5%) كإجابة على احتمال (أحيانا)؛ في حين عبرت نسبة (30,3%) بالإجابة بـ (لا)، أخيرا أجاب المبحوثين بـ: نعم بنسبة (21,2%).

كما دلّ المتوسط الحسابي (2,28) على احتمال "أحيانا" بانحراف معياري يُقدر بـ(0,78)، وهو ما أكد أن الطلبة لا تساعدهم أوقات الدراسة على تأدية الصلاة في وقتها خاصة وقت الظهر والعصر، لأنهم يكونون ضمن حصة الأعمال الموجهة أو محاضرة لا تتلاءم نتائج هذه الدراسة مع الدراسة السابقة للباحثة "سليمة فيلالي"؛ فهي تعتبر إضافة لمفهوم الهوية، ومدى تمسك الشباب الجامعي بتأدية فريضة الصلاة قِوام الدين الإسلامي، هذا إن دلّ فإنما يدل على وجود مجموعة من الأسباب التي لا تسمح للطلبة بأداء الصلاة في وقتها من بينها: تزايد أعداد الطلبة سنويا، وبالتالي كثرة الأفواج وعدد البرامج يتزايد أيضا، ومن تصريحات الطلبة أثناء المقابلة الحرة هو عدم وجود مصلى بالكليات المنتقاة ضمن العينة، ومن خلال الدراسة الاستطلاعية تبين أنه لا وجود لأي مصلى في جل كليات جامعة محمد خيضر؛ باستثناء الإقامات الجامعية، لذا يتحتم عليهم الغياب من بعض الحصص للرجوع إلى مكان الإقامة وأدائها في وقتها، لكن بصراحة تامة لا يوجد إلا قِلة قليلة يمارسون هذه الفريضة على أكمل وجه، وهذا ما أسفرت عنه تصريحات الطلبة.

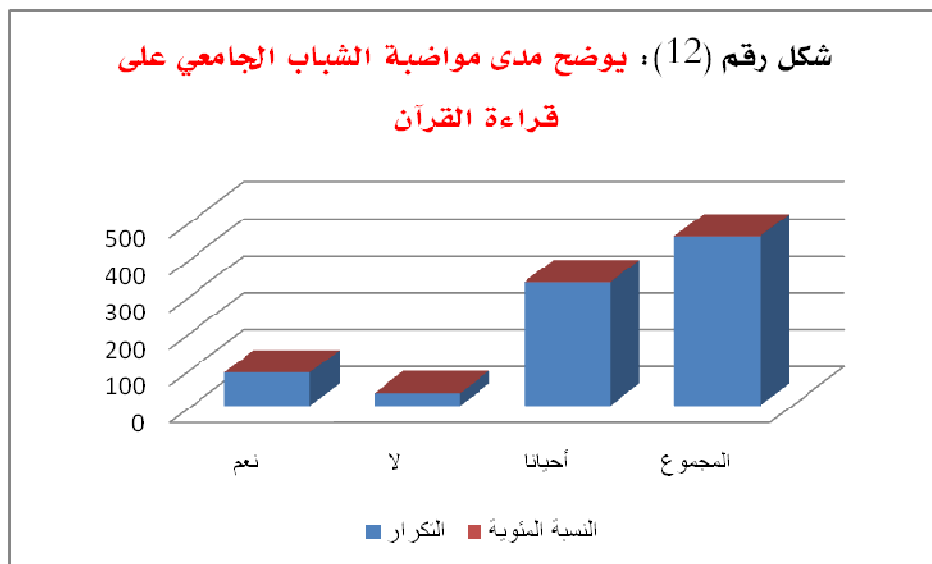
تُعد هذه النتائج مخيفة لأنها تدق ناقوس الخطر والحذر من انحراف معظم الطلبة على التمسك بأساسيات الدين والتدين، ومن ثمة المحافظة على الهوية.

فالدين الإسلامي هو البصمة المميزة لكل من الحضارة والثقافة، ومن ثمة هوية إسلامية، فأهم المبادئ والقيم الإسلامية تمثل الهوية العربية عن الغربية.

الجدول رقم (12): يوضح مدى مواضبة الشباب الجامعي على قراءة القرآن:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	90	%19,7	2,53	0,80
لا	34	%7,4		
أحيانا	334	%72,9		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



بعد الحصول على نتائج إفشاء السلام، وتأدية الصلاة، ومحاولة المواظبة عليها، تأتي أهم نقطة في الدين الإسلامي وقِوامه هو القرآن الكريم، وأساس الهوية العربية الإسلامية، لكن بالحصول على هذه النتائج التي تفسر إهمال الشباب لكتاب الله؛ وبالتالي انصهار الهوية والثقافة الفرعية في ثقافات غربية أساسها النزعة الاستهلاكية والانبهار بكل ما هو عالمي.

فقراءة القرآن الكريم كانت بصفة غير دائمة، وهذا ما دلت عليه نسبة (72,9%) أي "أحيانا"، ونسبة (19,7%) للمجيبين بـ:نعم، ولا دلت عليها نسبة (7,4%)؛ بمعنى مدى قراءة القرآن عند الشباب الجامعي بمتوسط حسابي (2,53)، وانحراف معياري (0,80).

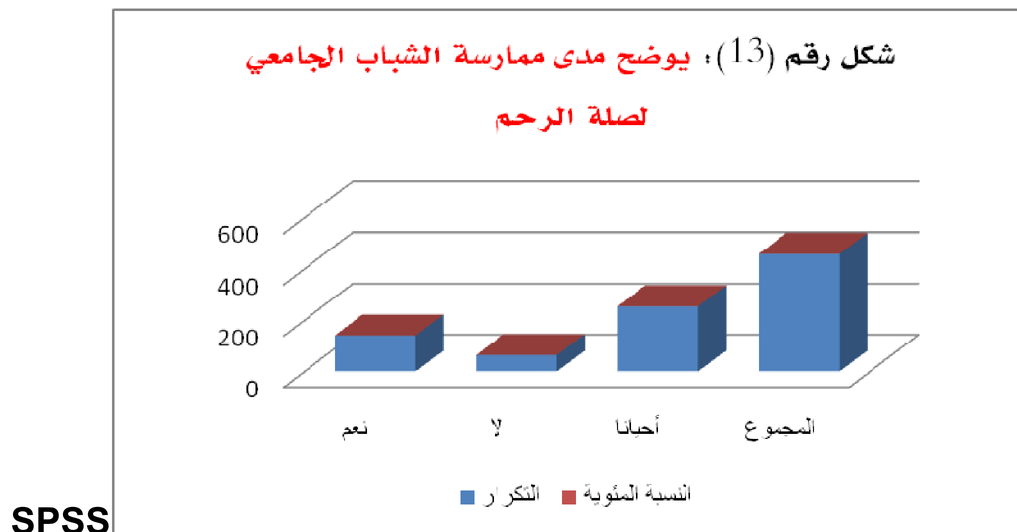
فإجابة معظم الطلبة باحتمال "أحيانا" يعني احتمالية قرائنه بين الفينة والأخرى أو لا، وهذا يدل على غياب الجانب الديني عند الطلبة الجامعيين في هويتهم وثقافتهم، وذلك لعدة أسباب حاولنا استنباطها من المقابلة، فبعض الطلبة قالوا بأنهم لا يملكون الوقت لقراءة القرآن الكريم إلا خلال شهر رمضان الفضيل أو في أيام الجمعة، مبررين ذلك بانعدام الوقت نظرا لكثرة البحوث والواجبات ومشاغل الحياة اليومية من: مذكرات التخرج، التفكير بالعمل وغيرها، متناسين أن قراءة كتاب الله هو مفتاح وحلول جاهزة لكل ما تم ذكره سابقا، فكيف لا وهو أساس الشخصية العربية ومناط ثقافتها قال تعالى: "إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا" [الإسراء (9)]

الجدول رقم (13): يمثل مدى ممارسة الشباب الجامعي لصلة الرحم:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	140	%30,6	2,52	0,89
لا	64	%14		

أحيانا	254	%55,4		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (13): يوضح مدى ممارسة الشباب الجامعي لصلة الرحم

ما يمكن استخلاصه من الجدول رقم (13) الذي يمثل مدى اهتمام الطلبة أو الشباب الجامعي بصلة الرحم والتواصل مع الأقارب؛ حيث مثلت نسبة (%55,4) للمجيبين بـ:أحيانا، و(%30,6) للإجابة بـ: نعم؛ في حين مثلت نسبة (%14) الذين لا يقومون بواجب صلة الرحم والتفاعل الاجتماعي بصفة عامة، قُدر المتوسط الحسابي بـ (2,52) على أنه لا تكون صلة الرحم بصورة دائمة ولا منقطعة، وإنما متواترة في فترات مختلفة عند انحراف معياري مقدر بـ(0,89).

تُعد صلة الرحم صورة من الصور الدينية والاجتماعية، تحمل في طياتها أشكال الهوية والثقافة معا، فهي واجب يجب على كل فرد القيام به، وهي تدل على طبيعة العلاقات الاجتماعية على المستوى (Magro livel) أو المستوى (Migro Livel) حسب المنظور الوظيفي؛ فالمجتمع عبارة عن نسق؛ ولتكامل النسق يجب القيام بالأدوار والواجبات المجتمعات حتى يكون

التكامل النسقي العام؛ في حالة تقصير شاب من الشباب الجامعي الذين يمثلون وحدة من الوحدات المكونة للمجتمع يؤدي إلى اختلال التوازن، والجماعة تتفكك، وبالتالي ذوبان الهوية الدينية والاجتماعية معا.

فمن بين الأسباب التي نتجت عنها نسبة (55,4%) على أساس لا تكون بصفة فعلية بسبب:

–سيطرة الروح المادية على العلاقات الاجتماعية.

– استبدال العلاقات فيما بين الأفراد إلى علاقات مصطنعة تحكمها التكنولوجيا والآلات المقننة.

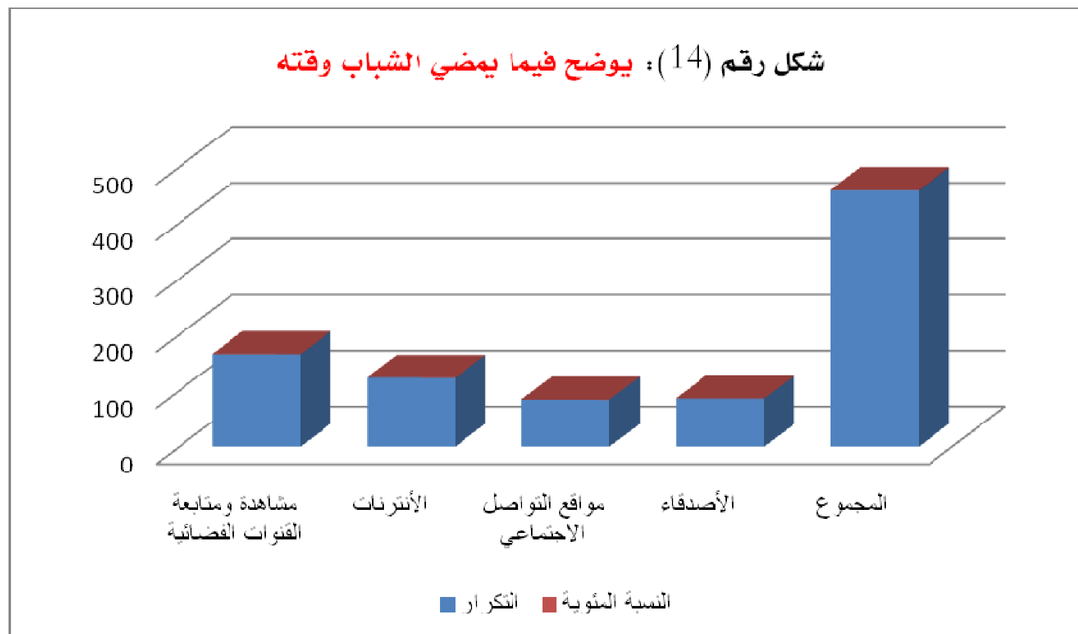
فأضحى التعامل بين الوسيلة والفرد لا بين الفرد والفرد، وكأنها معادلة نتجت عما كرّسته عولمة الثقافة، ومن مخرجاتها اغتراب اجتماعي–ثقافي، واختراق للهوية، كل ذلك يؤدي إلى اضطراب في منظومة الثقافة الفرعية للشباب بصفة خاصة، والثقافة العربية بصفة عامة، وهذا ما مثلته "مارغريت ميد" بعهر الهوية.

ضف إلى ذلك أن صلة الرحم هي أحد أشكال الانتماء للمجتمع، فبتوطيد العلاقات فيما بين الأفراد تزداد روح الجماعة، وبالتالي الحفاظ على الهوية، فكثيرا ما يُنظَر للانتماء على أنه يمس الجانب السياسي فقط؛ وإنما أهميته تبرز بشكل فعلي في جل الجوانب، والاجتماعية بشكل خاص

الجدول رقم (14): يوضح فيما يمضي الشباب وقته:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
مشاهدة ومتابعة القنوات الفضائية	165	%36	2,51	1,18
الانترنت	123	%26,9		
مواقع التواصل الاجتماعي	84	%18,3		
الأصدقاء	86	%18,8		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام spss



يوضح الجدول رقم (14) ما يقوم به الشباب الجامعي في معظم أوقاته، خاصة لما لا تكون له علاقة بكل المقربين منه؛ أو بمعنى أصح أداء الزيارة للأقارب أو حتى قراءة القرآن أو أعمال أخرى؛ حيث مثلت نسبة (36%) صدارة مشاهدة ومتابعة القنوات الفضائية؛ أي (TV)، ثم في المرتبة الثانية الانترنت بما يقارب (26,9%)؛ غير أن النسبة التي مثلت مواقع التواصل الاجتماعي كانت بنسبة (18,3%) فيما قدرت نسبة (18,8%) لجماعة الأصدقاء، ما معناه أن الشباب يمضي جُل وقته في متابعة برامج القنوات الفضائية المختلفة بمتوسط حسابي قدره (2,51) بانحراف معياري (1,18)، وما يفسر هذه الإحصائيات هو تأثير القنوات الفضائية على الجانب الديني وعناصره المكونة لهوية الشباب الجامعي.

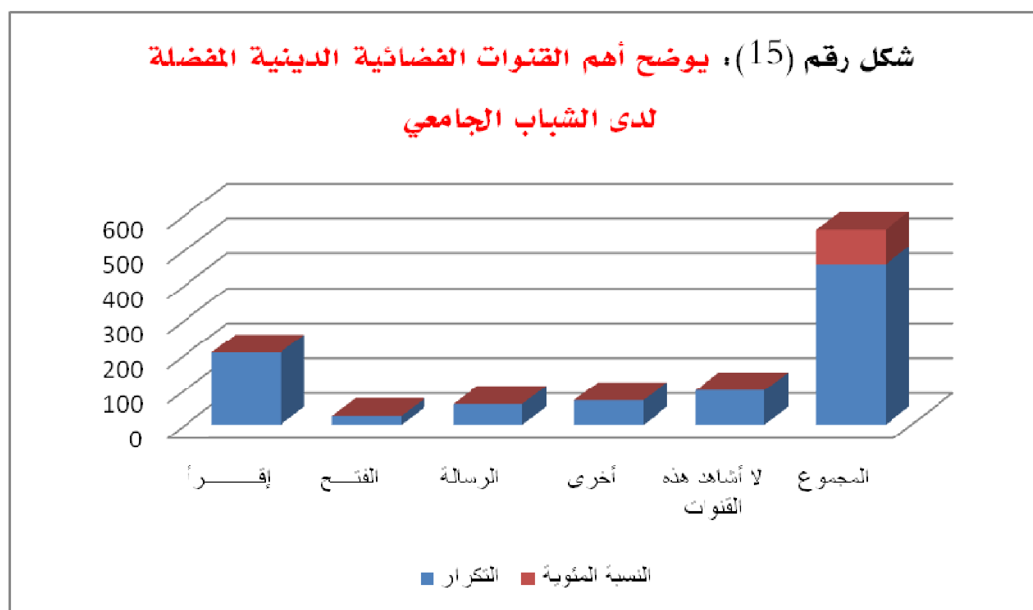
تُعد القنوات الفضائية إحدى وسائل الثقافة الجماهيرية، فهي تُعرض عبر التلفزيون، هذا الأخير يعمل على غرس أفكار، قيّم ومعتقدات متنوعة بشكل رسائل وصور ذهنية تعبّر عن الاتجاه السائد.

الجدول رقم (15): يبين أهم القنوات الفضائية الدينية المفضلة:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
إقـــرأ	206	%45	2,64	1,65
الفتــح	25	%5,5		
الرسالة	59	%12,9		
أخرى	70	%15,3		

لا أشاهد هذه القنوات	98	%21		
المجموع	458	100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (15): يوضح أهم القنوات الفضائية الدينية المفضلة لدى الشباب الجامعي

بما أننا في محور العناصر المكونة لهوية الشباب الجامعي، ارتأت الباحثة اكتشاف أهم القنوات الفضائية الدينية المؤثرة على الجانب الديني المكون لهويتهم وثقافتهم، فتوصلنا إلى النتائج الإحصائية كما هي، مبينة في الجدول أعلاه رقم (15).

وقد حازت قناة اقرأ حصة الأسد، فكانت هي القناة الأولى بامتياز وحصدت ما نسبته (%45)؛ في حين أقَرَّ (98) طالب بما نسبته (%21) بعدم مشاهدتهم لهذه القنوات، أما قناة الفتح فمثلتها نسبة (%5,5)، وقناة الرسالة (%12,9) وقنوات أخرى متنوعة كالمجد، فور شباب، الرحمة... بنسبة (%15,6) بصفة إجمالية يتم متابعة القنوات الفضائية بمتوسط حسابي قُدر (2,64) بانحراف معياري (1,65).

وما نفسر به هذه النتائج أن الشباب الجامعي لديه برامج وقنوات دينية تساعده في تنمية الجانب والوازع الديني لديه، خاصة أن الدين أهم عوامل الثقافة والهوية عنده، فالأهم هو الحصول على الثقافة الدينية شريطة أن تكون له خلفية قوية عن أهم ما يتم تقديمه، خاصة وأنهم في الآونة الأخيرة أصبح الطلبة متذبذبين بين اختلاف الأديان خاصة مع الحملة الشرسة التي تشنها بعض الأطراف على الدين الإسلامي، حتى وأن بعض الجامعات بها نسب معتبرة من الطلبة اعتنقوا ديانات أخرى دون أدنى علم بمعتقدات هذه الديانات ولا أسسها.

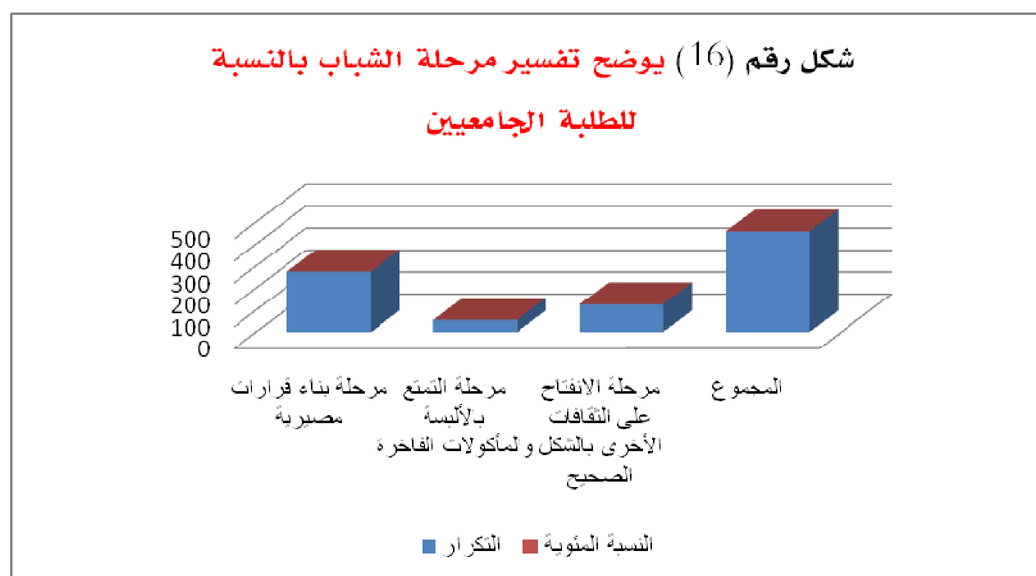
ولا يمكننا أن نمر دون الإشارة إلى أن هذه الحملة ضد الدين الإسلامي لم تكن وليدة اللحظة؛ بل هي موجودة منذ وقت الرسول صلى الله عليه وسلم مرورا بحقب زمنية متعاقبة، أهمها الفترة الاستدمارية التي شهدتها الجزائر، والتي سعت إلى طمس معالم الدين الإسلامي لدى الشعب الجزائري خصوصا وهويته الوطنية عموما، ونفس الأمر ينطبق على الوطن العربي الذي لم يكن في يوم من الأيام في منأى عن هذه التغيرات والاضطرابات التي تضرب ديانات هذه الأمم في الصميم.

الجدول رقم (16): يوضح تفسير مرحلة الشباب بالنسبة للطلبة الجامعيين:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
مرحلة بناء قرارات مصيرية	275	%60	1,67	0,88
مرحلة التمتع بالألبسة والمأكولات الفاخرة	56	%12,2		
مرحلة الانفتاح على الثقافات الأخرى	127	%27,8		

بالشكل الصحيح				
المجموع	**458**	**%100**		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (16) يوضح تفسير مرحلة الشباب بالنسبة للطلبة الجامعيين

يتبين من الجدول أعلاه رقم (16) أن أعلى نسبة كانت للخيار المتمثل في: مرحلة الشباب عبارة عن مرحلة بناء قرارات مصيرية بنسبة (60%)؛ في حين قُدرت النسبة التي أجابت بأن مرحلة الشباب هي عبارة عن عملية انفتاح على الثقافات الأخرى بالشكل الصحيح بـ: (27,8%)؛ في حين كانت أقل نسبة حول التمتع بالألبسة والمأكولات الفاخرة بـ: (12,2%)، إجمالا يُعد المتوسط الحسابي المقدر بـ: 1,67 الذي يفسر مرحلة الشباب بالنسبة للطلبة الجامعيين على أنها مرحلة بناء قرارات مصيرية بدرجة انحراف معياري تقدر بـ: 0,82.

ونفسر رُؤى الشباب بالنسبة لمرحلتهم العمرية على أنها مرحلة بناء القرارات المصيرية، باعتبار أنهم في مرحلة نمو ووعي تام بما يعيشونه حاليا، وما هم بصدد التخطيط له، فمرحلة إتماما الدراسة على أساس العينة المختارة هم طلبة ماستر، تدل على ربط الأغلبية التفكير حول المستقبل من خلال إستراتيجية قريبة المدى بإتمام الدراسة والحصول على الشهادة، في المقابل

الإستراتيجية بعيدة المدى، وهي العمل والزواج وقيام الذكور بواجب الخدمة الوطنية حسب ما تحصلت عليه الباحثة من الملاحظة والمقابلة.

فالعديد من الطلبة أقروا بأهمية هذه المرحلة على قدر التطورات والانقلابات والتغيرات التي تحدث في مثل هذه المرحلة العمرية؛ إلا أنهم دائموا التخطيط حول المستقبل.

في حين أن نسبة معتبرة من الشباب والشابات يفكرون بطريقة متكاملة أنها مرحلة بناء وانفتاح على الآخر، ومن بين الوسائل التي ذكروها أثناء المقابلة الحرة هي التواصل والاتصال بالآخرين مستعينين بوسائل الاتصال مثل: الانترنت والشبكة العنكبوتية خاصة منها الفايسبوك، إضافة للسفر والتجوال والتعرف على الثقافات الأخرى، ما لاحظته الباحثة هو تمييز هذه الفئة العمرية أو بمعنى أصح صفة موجودة عند الأغلبية هو عنصر الخيال والتخيل حتى لبناء المستقبل.

في المقابل توفرت لدينا نتيجة إحصائية تُنم عن رأي مُخالف تماما، وهو دليل على تفشي وانتشار الثقافة الجماهيرية وتأثيرها على الهوية؛ ففي الحالتين ومن خلال النتيجتين السالفتين يتبين أن الطلبة بصدد التفكير والتطلع للمستقبل في ظل الحفاظ على الثقافة والهوية، وكأنهم فئة واعية عكس الفئة الثانية التي يعتبرون أن مرحلة الشباب هي مرحلة معايشة الموضة واللباس والمأكولات الفاخرة، حتى من خلال الملاحظة؛ إذ لاحظت الباحثة أن الشباب والشبان متأثرين بالموضة والألوان الدارجة لهذه السنة؛ وقصات الشعر التي سيتم التطرق لها بشكل مفصل في عنصر لاحق، كما لاحظت الباحثة ارتداء الشباب لسراويل جينز برسومات معينة، البنات بماكياج ذو ألوان فاقعة، حقائب يد متنوعة ومتناسقة مع الملبوسات، عطور وساعات بماركات مختلفة.

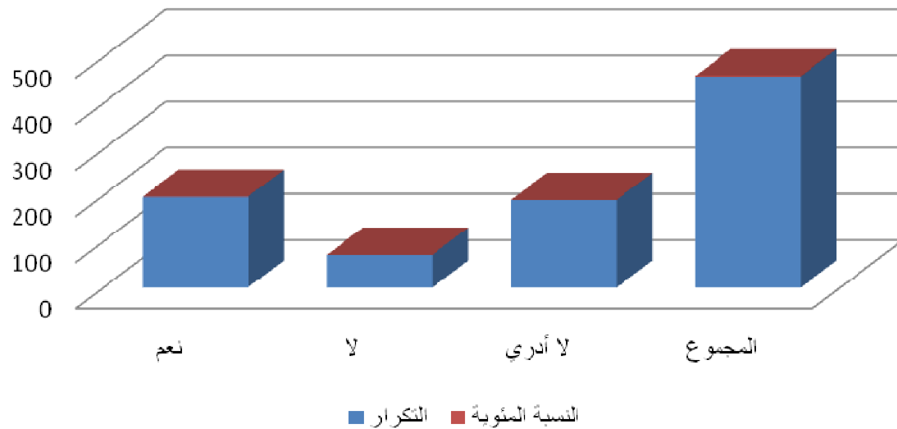
فمرحلة التمتع باللباس والأكل الفاخر تدخل ضمن سوسيولوجية الموضة، وتُعرّف على أنها الممارسات الجديدة التي تستعملها الجماعة وتتقبلها، فتنتشر بين كثير من الأفراد، والموضات هي عادة لا تتصف بالاستقرار والدوام؛ فهي في الغالب قصيرة المدى سريعة الزوال، وبعد فنائها تتلوها موضات أخرى. **(فوزية دياب: 1980، ص 217).**

وما تريد الباحثة أن تنوه به فيما يخص هذه النقطة –الموضة– ليست بمعناها الأصح للتقليد، فهذا الأخير هو محاكاة التقاليد، وما قدموه الذين من قبلهم، أما الموضة هي عملية محاكاة للعصر وما تفرزه عروض الأزياء ووسائل الإعلان والإشهار.

الجدول رقم (17): يبين مدى تمرد الشباب على القيّم الدينية المكونة لعناصر الهوية:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	197	%43	1,98	0,92
لا	71	%15,5		
لا أدري	190	%41,5		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



ما توصلنا إليه من خلال الجدول رقم (17) الخاص برؤية الشباب للتمرد على القيم الدينية من طرف فئتهم العمرية، فتحصلنا على الإجابة بـ "نعم" بنسبة (43%)، وتتقارب مع نسبة (41,5%) لاحتمال "لا أدري"؛ في حين مثلت (15,5%) لخيار "لا"، وبصفة إجمالية تمت الإجابة على هذا السؤال الثاني الخاص بالعناصر الدينية المكوِنة للهوية بمتوسط حسابي يقدر بـ: 1,98 عند انحراف معياري قدره (0,98).

تُعد هذه النتائج حقيقية معبّرة عن مدى تمرد الشباب الجامعي على القيّم الدينية، فتبين أن أغلبية الشباب متمردين على القيّم الدينية، هذا التمرد كان من مفرزات الثقافة الجماهيرية التي تعمل على تكريس منظومة قيّم نفعية فردية لا علاقة لها بالواقع العربي ولا الدين الإسلامي.

وبما أن الدراسة الراهنة هي تشخيص للواقع الحي، لاحظت الباحثة أن هناك قيّم بعيدة كل البُعد عن مجتمعنا وقيّمنا وأخلاقنا الدينية؛ منها عقد الصداقات بين كلا الجنسين بطريقة مخلِة، حتى أنه من خلال الحوارات التي عقدتها الباحثة مع بعض الطالبات فتحت الباب واسعا لمناقشة موضوع العنوسة عند الشابات، وخوفهن المتزايد من أن يكون الحصول على الشهادة والتحصيل العلمي من تأخير الزواج؛ فالحل في نظرهن هو تحقيق الدراسة من جهة والحصول على زوج

في الوسط الجامعي من نفس المستوى العلمي من جهة أخرى، حتى أن إحدى الطالبات قدمت للباحثة عبارة قامت بتسجيلها وذلك بقولها "Diplôme avec Homme".

إلا أن تفكير الشباب مختلف تماما، فتفكيره بالزواج لا يقتصر على كونه مشروع؛ حتى أن بعض الطلبة الشباب صرّح لي أنه لا يستطيع الزواج من طالبة، لأنهم لا يملكون إمكانيات مادية تساعدهم على توفير مستقبل لهذه الزوجة؛ إذن فالحل بالنسبة لهم هو الزواج من عاملة في أي قطاع من شأنها أن تكون عونا له.

إذن ما توصلت إليه الباحثة هو أن طريقة التفكير تختلف تماما فيما بين الطلبة والطالبات الشباب حتى في طريقة الزواج، فهذا النمط من التفكير يعتبر تمرد حقيقي على أهم القيّم الدينية للزواج، بابتعادهم عن كل الضوابط والنوايا التي تحكم هذه المسؤولية الكبيرة؛ فالعديد من الطلبة تشجعوا لفتح مثل هذه المواضيع، أما الصعوبة التي واجهت الباحثة أثناء إجرائها المقابلة هو رغبة بعض الطلبة في الابتعاد عن مناقشة مواضيع تخص الزواج والعمل، وكأنهم بتوفر هاتين الوسيلتين الضرورتين في الحياة يكونون قد حققوا الهوية الجزائرية وتأكد انتماؤهم للدولة الجزائرية، أما إذا كان العكس فلا وجود للدولة ولا للهوية.

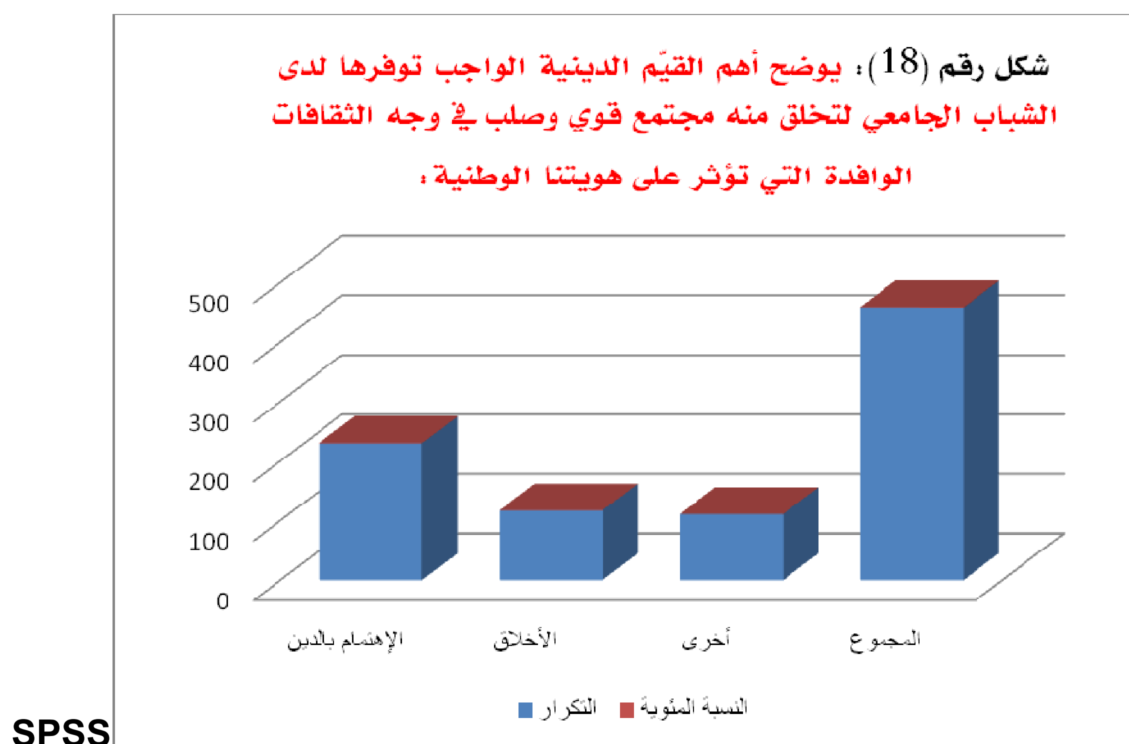
في المقابل مثلت نسبة قريبة جدا، أنه لا دراية لهم إن كان الشباب متمردين أم لا، وهذه النسبة دليل على لامبالاة، لا دراية، لا علاقة بالواقع والشباب هل فيه تمرد أم لا؟

فالملاحَظ حسب الباحثة هو بروز الأنانية لدى فئة الشباب أثناء مناقشة بعض الأمور والنقاط المتعلقة بالدراسة، وفيه تذمر كبير وسخط على الواقع الحياتي بالجزائر عموما والجامعة الجزائرية على وجه الخصوص.

الجدول رقم (18): يوضح أهم القيّم الدينية الواجب توفرها لدى الشباب الجامعي لتخلق منه مجتمع قوي وصلب في وجه الثقافات الوافدة التي تؤثر على هويتنا الوطنية:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الاهتمام بالدين	230	%50,2	1,52	0,68
الأخلاق	117	%25,5		
أخرى	111	%24,3		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (18): يوضح أهم القيّم الدينية الواجب توفرها لدى الشباب الجامعي لتخلق منه مجتمع قوي وصلب في وجه الثقافات الوافدة التي تؤثر على هويتنا الوطنية:

يتضح من خلال الجدول رقم (18) أن معظم الطلبة وعددهم (230) طالب جامعي بما نسبته (50%) أجمع على أن من أهم القيّم الدينية التي يجب أن تتوفر لدى الشباب لتخلق منه مجتمع قوي

وصلب لمواجهة مختلف الثقافات الوافدة إليه، والتي تضرب الهوية الوطنية في الصميم هي الاهتمام بالدين، ثم تأتي الأخلاق في المرتبة الثانية بما نسبته (25,5%)؛ في حين اقترحوا إجابات أخرى بنسبة (24,3%)، فعموما الإجابات ككل كان متوسطها الحسابي بـ(1,52) بانحراف معياري قدره (0,68).

كما سلف توضيحه في الجانب النظري أن الدين هو العنصر المهم واللاحم لشتات عناصر النهضة وشروطها حسب مالك بن نبي، وهذا ما جسدته إجابات الطلبة التي تثبت تقديرهم للجانب الديني لكل من الثقافة والهوية.

لكن ما تعمل عليه الثقافة الاستهلاكية بشتى الطرق التكنولوجية المتطورة على إفراغ الهوية عن طريق أهم عنصر مُقوِم للهوية الوطنية؛ فالثقافة الفرعية للشباب أساسها هو إكسابهم مميزات وسِمات تختلف عن باقي الثقافات خاصة في طريقة تعاملهم، مأكلهم، ملبسهم وحتى مشربهم وكيفية تفكيرهم.

فما قدمه الطلبة من إجابات عن أهم القيم الدينية التي تساهم في الحفاظ على الهوية هي الجانب الديني والأخلاقي معًا، فلو قدمنا الدين وأهمية بشكل أو بآخر نكون قد لمسنا القيمة الأخلاقية داخل الدين الإسلامي.

غير أن بعض الشباب المنفتح بطريقة خاطئة على الثقافات والهويات الأخرى، يرى بأن الدين حاجز لتحقيق أحلامه، فما إتباعه لهذه القيّم الغربية إلا لحاجته الأولى وهي تأمين مستقبله على حد قول بعض الشباب الجامعي.

في نظرهم هي قيّم عصرية تسعى للتخلي على القيّم التقليدية مفسرين ذلك بالتخلي على التخلف في مقابل التقدم والتحلي بروح العصرنة وتقاليد المجتمعات الغربية.

لكن بوجود مثل هذه النتائج نجد أن شبابنا الجامعي يسعى للمحافظة على دينه وأخلاقه، ورؤى أخرى منها المواظبة على العمل والتحلي بروح المسؤولية.

ثانيا/تفريغ وتحليل بيانات نتائج المحور الثالث من الاستبيان:

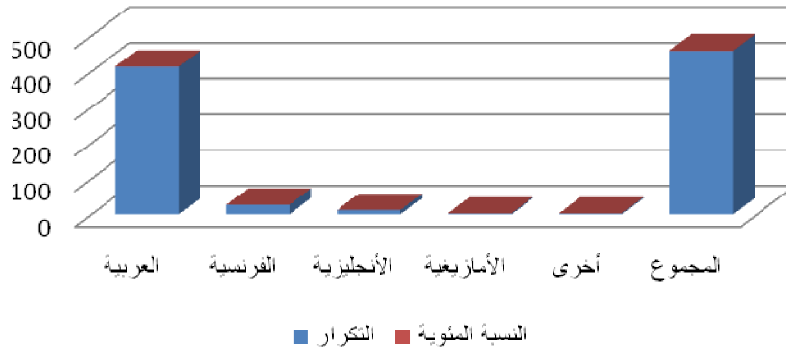
المحور الثالث: الثقافة الجماهيرية، القيم الوطنية ولغة الشباب الجامعي:

جدول رقم (19): يبين أهم اللغات التي يجيدها الشباب الجامعي

اللغة	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
العربية	413	%90,2	1,52	0,68
الفرنسية	27	%5,8		
الانجليزية	12	%2,6		
الأمازيغية	03	%0,7		
أخرى	03	%0,7		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS

شكل رقم (19): يبين أهم اللغات التي يجيدها الشباب الجامعي



انطلاقا من إنبناء هذا الجدول الإحصائي حول الثقافة الجماهيرية القيّم الوطنية ولغة الشباب الجامعي، نستخلص أن أهم اللغات لديهم هي اللغة العربية بنسبة (90,2%)، ثم الفرنسية في المرتبة الثانية، وقُدرت نسبتها بـ (5,8%)، الإنجليزية بنسبة (2,6%)، الأمازيغية (0,7%)؛ في حين مثلت لغات أخرى (0,7%) ما بين الإسبانية والألمانية حسب تصريحات بعض الطلبة.

أي بمعدل متوسط حسابي يُقدر بـ (4,66) عند انحراف معياري قدره (1,05) بالنسبة للغة التي يفضلها ويجيدها الطلبة وهي اللغة العربية.

تُعد اللغة العربية هي وعاء الثقافة العربية ومنبت هويتها وثباتها خاصة في وجه الحملات التي تسعى منذ الأزل لطمس اللغة العربية وجعلها تنصهر ضمن بوتقة اللغة الفرنسية خاصة في الحقبة الاستعمارية، فتفضيل الشباب الجامعي اللغة العربية أمر يستحق الثناء على هذه الفئة.

في المقابل لا نغفل عن أهمية اللغات وتنوعها ضمن الحقل الجامعي، باعتباره إطار لتنمية المعارف والبحوث، فهي من جهة أمر يطمئن على أنه شباب محافظ على لغة القرآن الكريم، لكن تبقى الفجوة العلمية إن لم تتوفر لغات أخرى.

إضافة لكل هذا فاللغة تُعد من أهم الروابط التي تجمع الأفراد حولها بتحديدها الطابع القومي الهوياتي للمجتمع، وكما أوضحنا في الجانب النظري ضمن مقومات الهوية أن اللغة العربية والأمازيغية لغات رسمية للدولة وللجزائريين باعتبارها رصيد مشترك لجميع أبناء الوطن، غير أن إجابة الطلبة تتنافى وإتقانهم اللغة الأمازيغية، وذلك لأن معظم الطلبة عرب وليسوا أمازيغ، ونجد هذه الأخيرة عند القِلة القليلة وهي ما مثلتها نسبة (0,7%)، لكن باعتبارها لغة رسمية وإدخالها ضمن البرامج التربوية سترتفع نسبتها لدى الطلبة والتلاميذ، وهذا ما ستقدمه الدراسات المستقبلية الحديثة حول هذا الموضوع.

وقد أوضحت "قنيفة نورة" في مقال لها حول الإشكال الهوياتي اللغوي...أو إشكالية أزمة انتماء أن الرهان اللغوي بالجزائر قد فشل في كسبه بعد الاستقلال ليتحول إلى أزمة لغوية حقيقية جعلت من التواصل اللغوي شتاتا من المفردات التي تُجمع من هنا وهناك، بل وأحيانا كثيرة مزيجا من المفردات اللغوية للعربية، الدارجة الفرنسية واللهجات البربرية لدرجة جعل التواصل اللغوي في الكثير من المناطق الجغرافية محدودا لعدم القدرة على استيعاب المفردات اللغوية...، لنصل لعدم القدرة على استيعاب المفردات اللغوية، لنصل إلى عجز لغوي؛ وبالتالي ثقافي غالبا ما يُطرح في شكل أزمة هوية ثقافية عكست القدرة على تحقيق ما يصبو إليه المجتمع من تقدم فكري كغيره من المجتمعات الأخرى. **(قنيفة نورة: 2012، ص 02).**

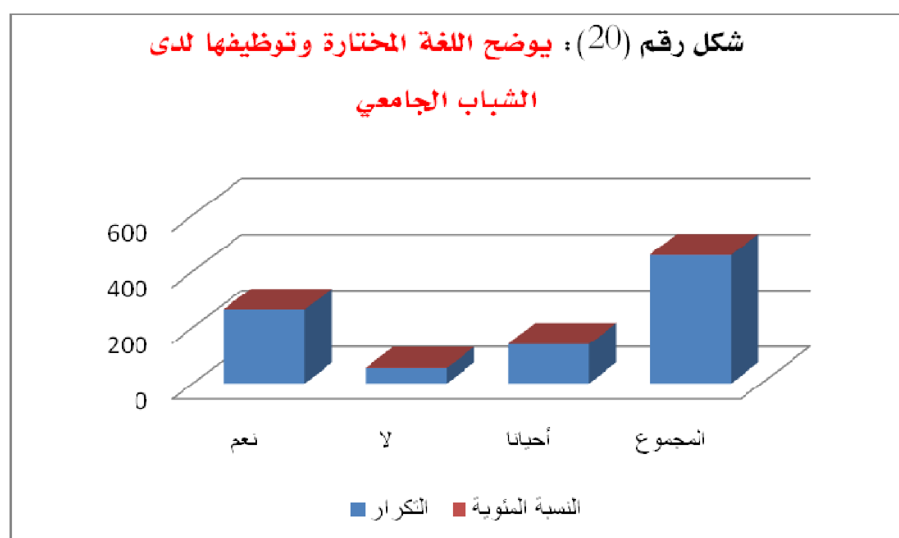
الجدول رقم (20): يوضح اللغة المختارة وتوظيفها لدى الشباب الجامعي

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	263	%57,4		

لا	55	%12	1,72	0,91
أحيانا	140	%30,6		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS

شكل رقم (20): يوضح اللغة المختارة وتوظيفها لدى الشباب الجامعي



من الطبيعي جدا أن يُفضّل الشباب اللغة العربية ويجيدونها، لذا فإنهم يستخدمونها في حواراتهم اليومية بنسبة (57,4%)؛ في حين أجاب (140) طالب على أنهم يستخدمونها أحيانا خاصة إذا كانوا على اتصال بمواقع التواصل الاجتماعي، وهذا ما مثلته إجاباتهم بالنسبة لاحتمال "أحيانا" بنسبة قدرها (30,6%)، وأجاب (55) شاب جامعي أنهم لا يستخدمونها أي العربية بنسبة (12%).

حتى وإن استُخدمت اللغتين العربية والفرنسية فتكون حسب الثقافة الفرعية المنتشرة بين الشباب فكأنها عملية تهجين ناجحة بالنسبة لفئة فاشلة بالنسبة للهوية الجزائرية؛ فالتعامل لا يكون على أساس لغة عربية صحيحة أم فرنسية أصح.

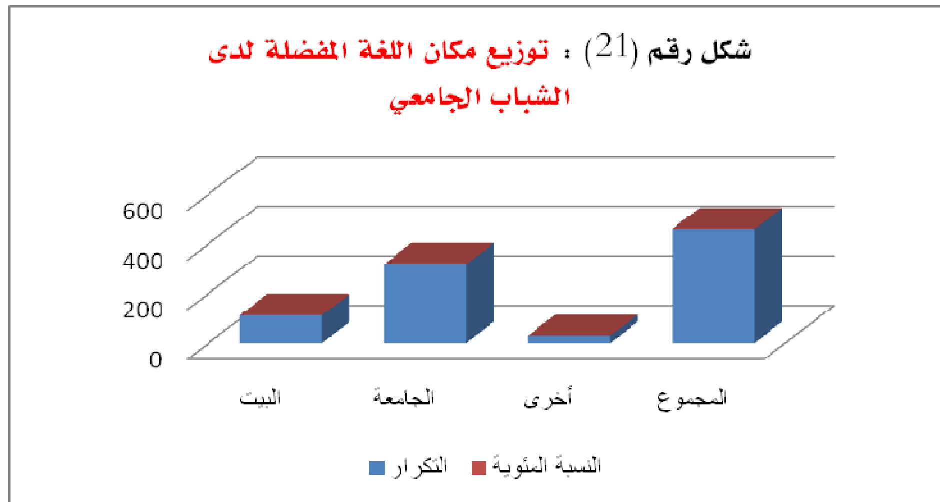
فنجد لغة أو حروف فرنسية ومضمون عربي كـ: "سلام عليكم" "Salamou 3alikom" أو تُختصر بـ "SLT"، و"إن شاء الله" "INCHALAH" أو "INCH"، كما نجد حروف عربية بمضمون فرنسي مثلا "Taxi phone" "طاكسي فون" "Invitation" "انفيتاسيون"، "فاست فود" " Fast Food"....

إذن ما نستخلصه، أنه حتى وإن تم اختيار اللغة العربية عند الشباب، باعتبار أن جامعة محمد خيضر بسكرة ضمن الجامعات بالجنوب؛ إلا أن هذا الاستخدام يطرح مشاكل على مستوى الهوية؛ فاللغة في حد ذاتها تُستخدم بطرق خاطئة وليست على أسس اللغة العربية الصحيحة.

الجدول رقم (21): يبين توزيع مكان اللغة المفضلة لدى الشباب الجامعي

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
البيت	112	%24,5	1,86	0,50
الجامعة	317	%69,2		
أخرى	29	%6,3		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



ما نستخلصه من الجدول أعلاه رقم (21) الذي يوضح مكان توظيف اللغة المختارة لدى الشباب الجامعي، فعبَّرت نسبة (69,2%) لـ (317) مبحوث على أنهم يستخدمونها في الجامعة، ودلت النسبة (24,5%) على استخدامها في البيت مع الأسرة، وأماكن أخرى بنسبة (6,3%) فتوظيفهم للغة داخل الجامعة بمتوسط حسابي (1,86) بانحراف معياري (0,50).

فاستخدام اللغة العربية (اللغة المفضلة) داخل الجامعة نتيجة لطبيعة المجال الذي يتميز بالبحث والبحوث العلمية المستمرة، وبوتيرة متسارعة مع ضرورة التنويع في اللغات، كما يستعملونها داخل أسرهم في الحوارات والعمليات الاجتماعية المختلفة.

أما الأماكن الأخرى نسبة استخدامها ضئيلة لأنها تُحتم عليهم لغات أخرى كالفرنسية، ولكن مضمونها لغة عربية، وهو حال كل الحوارات الفايسبوكية، كما أجاب معظم الشباب الجامعي أثناء المقابلة مثلا: (صباح الخير SABAH AL KHIR)، (شكرا CHOKRAN) (أهلا AHLAN)...

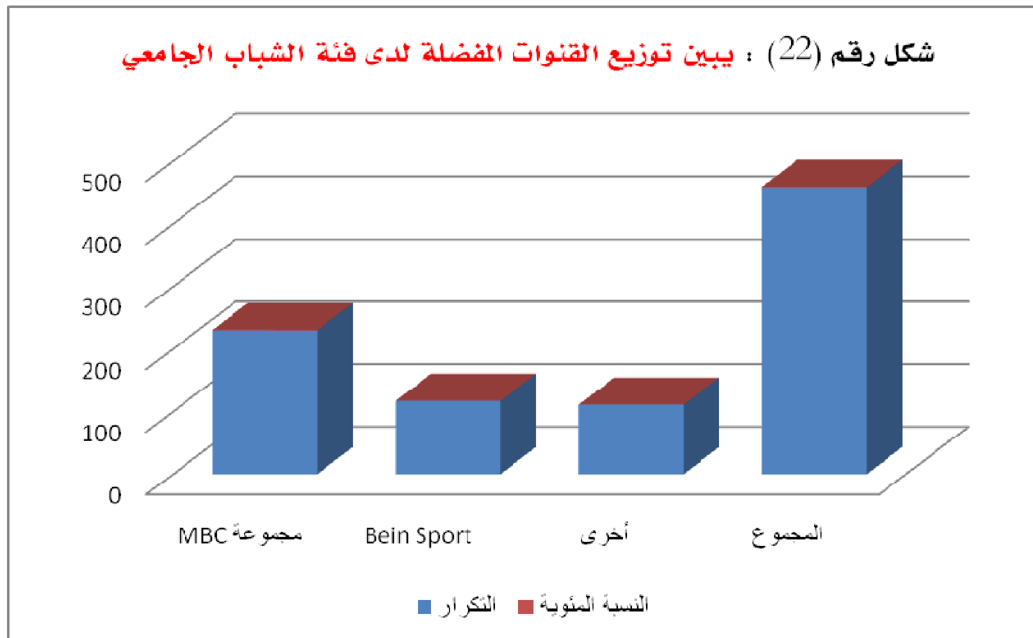
فهي لغة عربية بحروف فرنسية، يدل على صعوبة إتقانها حروفا ومعنى بالنسبة للطلبة، وهي أزمة لغوية يعاني منها أغلب الطلبة، وحتى التلاميذ في المراحل والأطوار التعليمية الأخرى.

عموما، فإن استخدام اللغة العربية بالبيت مع الأسرة ليست اللغة العربية بأصولها؛ وإنما هي العامية أو الدارجة الجزائرية.

الجدول رقم (22): يبين توزيع القنوات المفضلة لدى فئة الشباب الجامعي

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
مجموعة MBC	230	%50,2		
Bein Sport	117	%25,5		
أخرى	111	%24,3		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



أوضح الجدول رقم (22) أهم القنوات الفضائية المفضلة لدى الشباب الجامعين فمثلت نسبة (50,2%) بالنسبة لباقة (MBC: MBC1, MBC2, MBC3, MBC4, MBC Max,)، وانحصرت إجابات الطلبة أيضا في اختيارهم لقناة (Bein Sport) بنسبة (25,5%)، وقنوات أخرى بنسبة (24,3%).

تُعد شبكة قنوات (MBC) من أقوى القنوات الفضائية العربية، إذ تُعد إعلام قوي ذو حضور أقوى، وذلك من خلال اعتمادها على التطور التكنولوجي والثقافة الثقيلة جُسدت بكل المعاني نظرية الحتمية التكنولوجية الوسيلة هي الرسالة، مؤكدين تأثير الوسيلة على بلورة فكر الفرد والمجتمع، بعرض مواد إعلامية متنوعة تغرس قيّم وأفكار وأراء جديدة، وهذا ما تم طرحه في نظرية الغرس الثقافي.

تحتوي قنوات (MBC)على قنوات متنوعة، فكل قناة موجهة لشريحة معينة في المجتمع، فـ (MBC1) موجهة لجل الشرائح المجتمعية مع خصوصية بعض البرامج لكل فئة، قناة (MBC2) للشباب والمراهقين، أما (MBC3) فهي موجهة للأطفال، أما (MBC MAX) و(MBC4) موجهة أيضا للمراهقين والشباب، فانتقائهم لفئة الشباب ليس عشوائيا، فهي الفئة البناءة والهدامة بالمجتمع، وما تعرضه هذه القنوات من أفلام ومسلسلات بنسب عالية أثر على فكر الشباب وتربيته ومعتقداته؛ بمعنى الإلمام بكل جوانب ومقومات الهوية الوطنية بتأثيرهم على اللغة، وخاصة لغة الحديث، أيضا التأثير واضح جدا في لباس الشباب الجامعي، مقلدين أبطال المسلسلات والأفلام الأجنبية، وتعدى هذا التأثير ليصل إلى المأكولات وقصات الشعر وطريقة الحوار.

ونحن لا نغفل في هذا المقام على أهمية هذه القنوات الفضائية في عملية الترفيه، التسلية والتثقيف، إلا أنها سلاح ذو حدين خاصة إذا ما وجّهته هذه القنوات العربية لنفسها؛ بمعنى أصح

لمجتمعنا العربي خاصة الشباب منه؛ فالتثقيف والتسلية بالنسبة لهم هو الإعلان الاستهلاكي لأهم ماركات العطور والألبسة، فالترفيه هو تقليد المسلسلات التركية، وهو ما تنطبق عليه المقولة "دس السم بالعسل"، من خلال معايشة قصص الحب الخيالية التي تبدأ بمعارك طاحنة بين الأبطال لتنتهي في الأخير بالزواج الأبدي، كل هذه الأفكار للأسف كانت معول تهديم ضرب الهوية الوطنية في الصميم في دينها وأخلاقها، لغتها وحيادهم عن ثقافة المجتمع العربي.

فحتى قناة (MBC3) الموجهة لفئة الأطفال ما يُعاب عليها أنها تعرض الأفلام الكرتونية بصيّغ أقل ما يُقال عليها بأنها بصيغة موجهة للكبار بعرضها لقصص الحب وعرض حتى القُبَل في الصور الكرتونية؛ مما يجعلهم يعايشون مرحلة بعيدة كل البُعد عن عالم البراءة الخاص بهم؛ هاته الأفلام التي يُفترَض بها أن تكون وسائل لغرس التربية والتثقيف والتعليم للأجيال الصاعدة، لكنها نجدها عملية عكسية وكأنها تُطبّق نظرية "الحقنة تحت الجلد" من خلال تجهيزهم ليصبحوا شباب مغتربين ومختَرَقين هوياتيا، من خلال الصورة الوهمية التي تُرسّخها هذه المواد الإعلامية الملغَمَة في أذهانهم.

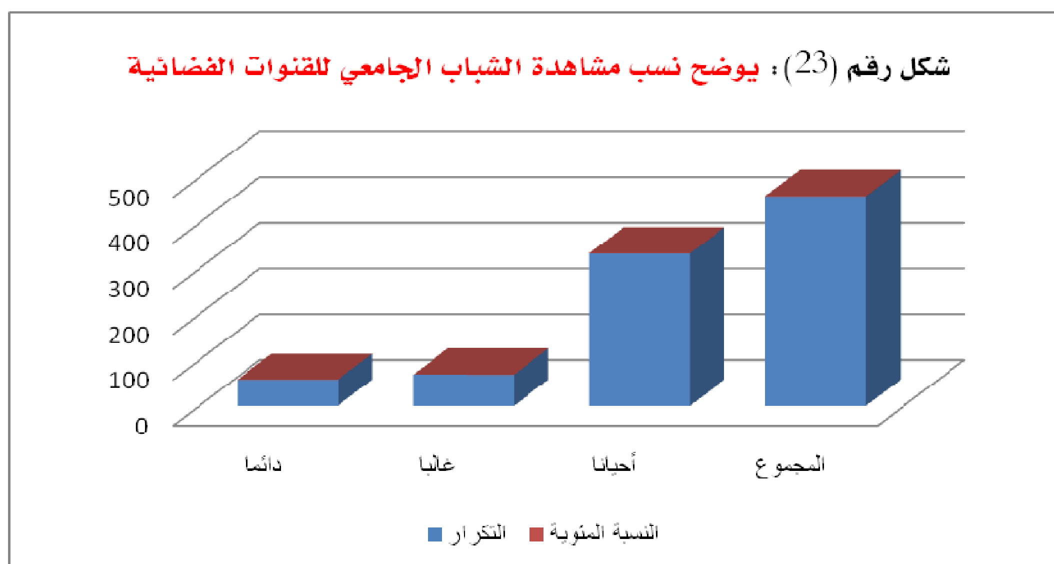
وبالموازاة مع ذلك، فإن العديد من القنوات المفضلة لدى الشباب من بينها قناة (Bein Sport)، وهي قنوات رياضية جد عالية المستوى؛ إذ تهتم بعرض كل المباريات والأنشطة الرياضية؛ غير أن شبابنا لا يكتفي بالمشاهدة؛ بل يمتد تأثير تلك المباريات لعملية التقمص الوجداني لأهم اللاعبين العالميين، متأثرين بكل ما يميزهم من ألوان وقصات الشعر، وأهم الألبسة، فنأخذ على سبيل المثال اصطباغ شعر أحد اللاعبين باللون الأصفر أو حتى جزء منه فقط، نجد التقليد المباشر للشباب لتلك الصبغة حتى وإن كانت منافية لها وبغض النظر إذا كانت ذات معنى أو لا!!

فهذه المظاهر الدخيلة على هويتنا العربية، ساهمت الثقافة الاستهلاكية في انتشارها من خلال اكتسائها أفخم وأحدث صورة وصوت هذا من جهة، كما أثّرت على القيّم الوطنية ولغة الشباب الجامعي على حد سواء.

الجدول رقم (23): يوضح نسب مشاهدة الشباب الجامعي للقنوات الفضائية

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
دائما	57	%12,8	2,66	0,63
غالبا	68	%14,9		
أحيانا	333	%72,7		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



يبرز الجدول رقم (23) مدى مشاهدة الشباب الجامعي لهذه البرامج والقنوات الفضائية؛ حيث مثلت نسبة (72,7%) فيما يخص المجيبين الذين قُدر عددهم بـ (333) مبحوث على احتمال "أحيانا"؛ بينما أجاب الطلبة الجامعيين على احتمال "غالبا" بنسبة (14,5%)، أما نسبة (12,8%) لخيار "دائما"، وبصفة عامة فمتوسط الإجابات على هذا التساؤل (2,66) بانحراف معياري قُدر بـ (0,63).

فقد تبين للباحثة من خلال المقابلة الحرة التي أجرتها مع الشباب الجامعي المتواجد بجامعة محمد خيضر بسكرة، أن متابعتهم لهذه القنوات الفضائية تكون بين الفينة والأخرى، بسبب الدراسة والبحوث والبرامج الدراسية المكثفة؛ خاصة وأنهم في مرحلة تجهيز مذكرة الماستر، وهذا ما استوحيناه من إجابات بعض الطلبة أثناء المقابلة، فحتى مشاهدتهم لهذه القنوات تقتصر على فترات متفاوتة، كالأمسيات بالإقامة الجامعية أو بالبيت، وفي أيام العطلة الأسبوعية – الجمعة والسبت–وهنا تطفو إلى السطح مجموعة من الأسباب الأخرى التي تؤثر على الهوية الوطنية ومقومات الثقافة، من بينها الوسائل الإعلامية الجماهيرية الأخرى كالانترنت والهاتف الذكي، فأثناء إجراء المقابلة لاحظت الباحثة إمساك كل الشباب لهواتفهم الذكية واتصالهم الدائم بشبكات الانترنت والفايسبوك، السكايب، فايبر، وهذا يعني اتصال وتواصل دائم مع مختلف الشرائح المجتمعية، ولما طُرح السؤال عليهم: لماذا تمسكون دائما بالهواتف النقالة؟ ضحكوا وأجابوا: أستاذة تعارف...وراكي عارفة...

من خلال ما سبق؛ يتبين كيف جعل الشباب الجامعي العالم قرية كونية بانتقائهم الهاتف الذكي، وهو ما انعكس سلبا على علاقاتهم الاجتماعية، وطريقة تفاعلهم وتواصلهم مع الآخرين؛ مما جعلهم يعيشون عزلة اجتماعية وثقافية سببها الأول هو قوة التقانة المتطورة والتطور التكنولوجي

الباهر، والذي أثر بالسلب على جانب الثقافة وما انجر عنه من تخريب للهوية الوطنية، حتى أنه بات البحث عن الهوية والثقافة موضوع تقليدي كلاسيكي لديهم.

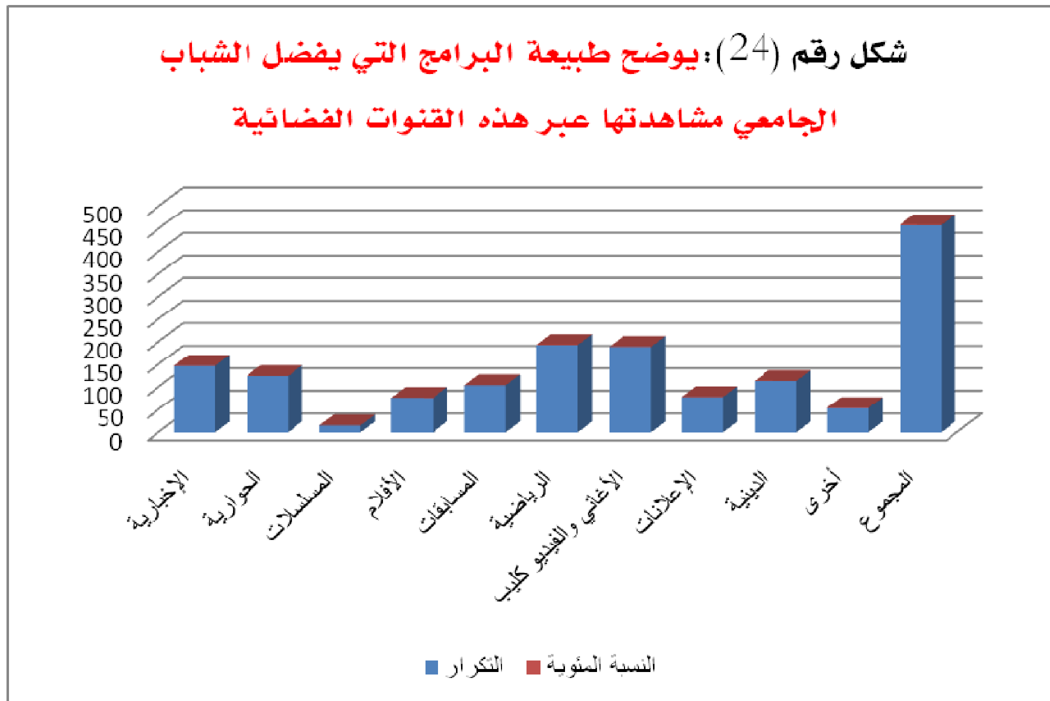
الجدول رقم (24): يوضح طبيعة البرامج التي يفضل الشباب الجامعي مشاهدتها عبر هذه القنوات الفضائية:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الإخبارية	147	%32,1	1,66	0,47
الحوارية	124	%27,1	1,72	0,44
المسلسلات	15	%3,9	1,96	0,18
الأفلام	76	%16,6	1,82	0,37
المسابقات	104	%22,7	1,76	0,42
الرياضية	193	%42,1	1,56	0,49
الأغاني والفيديو كليب	189	%41,3	1,57	0,49
الإعلانات	78	%17	1,82	0,38
الدينية	113	%24,7	1,74	0,43
أخرى	53	%116	1,88	0,32
المجموع	*1092	%443,5 **		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS

* مجموع التكرارات: 1092 وهو أكثر من مفردات العينة لأن الطلبة المبحوثين اختاروا أكثر من بديل ضمن هذه البرامج، وإعطاء العمل أكثر مصداقية تم وضع النتائج كما وردت في الواقع.

** نسبة: 443,5 % تحصيل حاصل، وبما أن مجموع التكرارات كان (1092) جاءت النسبة بهذا الشكل.



ما نستخلصه من الجدول أعلاه رقم (24) الذي يبين طبيعة البرامج التي يفضل الشباب الجامعي متابعتها عبر هذه القنوات الفضائية ومدى تأثير هذه البرامج على لغة الشباب والقيّم الوطنية المشكِلة للهوية الوطنية، فقد مثلت أعلى نسبة البرامج الرياضية بنسبة (42,1%)؛ في حين حصلت البرامج الخاصة بالأغاني والفيديو كليب على نسبة (41,3%) محتلةً بذلك المرتبة الثانية، كما احتلت البرامج الإخبارية المرتبة الثالثة بنسبة مشاهدة تقدر بـ: (32,1%)، ثم تأتي الحوارية بـ:(27,1%)، ومثلت البرامج الدينية نسبة مشاهدة تقدر بـ: (24,7%)، وبرامج المسابقات بـ: (22,7%)، الأفلام: (16,6%)، وتسبقها الإعلانات بنسبة (17%)، أما المسلسلات فاحتلت المرتبة الأخيرة بنسبة (3,3%).

حيث مثّل متوسط البرامج الرياضية (1,56) بانحراف معياري يقدر بـ (0,49)، أماي الأغاني والفيديو كليب فقدر المتوسط الحسابي الخاص بها بـ (1,57) عند انحراف معياري قدره (0,49) ففيه تقارب كبير بين البرنامجين على أساس الفئة العمرية الشبانية؛ ففي مثل هذا العمر

يفضلون البرامج الرياضية خاصة مع التظاهرات الرياضية والأنشطة المتنوعة على المستويين المحلي والعالمي معا، وهي برامج تتميز بها فئة الطلبة على غرار الطالبات، والملاحَظ أن الفتيات أصبحن يتابعن الأنشطة الرياضية.

أما فيما يخص برامج الأغاني والفيديو كليب؛ فهي تعتبر من بين البرامج الخفيفة حسب آراء بعض الطلبة والطالبات تعبّر عن حاجاتهم النفسية والعاطفية والاجتماعية، فهي تمثل فيلم قصير يحتوي على كلمات ترافقها موسيقى وعُري كبير في بعض الأحيان، وأهم المواضيع التي تعالجها هذه الأغاني هي عبارة عن منها على أنها تعبير على اهتماماتهم العاطفية النفسية.

لكن ما يُعاب على مثل هذه المواد الاستهلاكية أنها انعكاس لثقافة غربية بحتة بكل المقاييس نظرا لما يصاحبها من عُري وخلاعة بعيدة كل البعد عن الضوابط الاجتماعية للعالم العربي وهي صورة من صور الجنس الالكتروني الذي تدعو إليه هذه البرامج المنافية للقيّم الأخلاقية والبعيدة كل البُعد عن الضوابط الاجتماعية للمجتمع العربي، فكيف للشباب أن يهتم بمثل هذا المحتوى الهابط، أن يعي مفهوم الهوية ومقوماتها الأساسية من لغة ودين ووطن، فما بالك بالثقافة التي أصبحت تتجسد لديهم في شكل مهرجانات كمهرجان تيمقاد، جميلة، قسنطينة؛ هذه الأخيرة التي كانت مؤخرا عاصمة للثقافة العربية، ففعلا هي كذلك لكن من يقومون على مثل هذه التظاهرات جعلوها مدينة للرقص بكل أنواعه، وكأنهم جسدوا الثقافة على أنها مجرد رقص وأغاني كلاسيكية يعاد إحياؤها من جديد، متناسين أن الثقافة هي صورة ومرآة المجتمع أمام المجتمعات الأخرى؛ فالواجب أن تنقل أحسن الصور على المجتمع الجزائري وثقافته وهويته والحفاظ عليها.

إذن؛ تعمل الثقافة الجماهيرية على إفراغ الهوية الوطنية من معناها الحقيقي، وذلك بضرب المعالم الأساسية للثقافة الفرعية الخاصة بالشباب من جهة، وطمس كل ما من شأنه أن يسمو به

في مصاف الدول المثقفة من جهة أخرى من خلال نشرها لما من شأنه أن يعكر ذوقه بمثل هذه المحتويات ذات المستوى الرديء.

أما فيما يخص البرامج الإخبارية، فقد صرّح بعض الطلبة أنهم يتابعون كل هذه البرامج المهمة، خاصة مع ما تتعرض له الدول العربية من إستدمار تحت مسمى "الربيع العربي" الذي جعل دولا عربية كانت تزهو بحضاراتها وتاريخها دمارا يبكي عليه الإنسان دما جراء ما تكبده العالم من خسارة انعكس أثرها على مختلف المجالات وبدّلت الخارطة السياسية للعالم وكسرت بنود المقولة السائدة بأن البقاء للأفضل؛ إذ أصبح البقاء للأردأ.

هذا المجال الذي أسال الحبر ولازال إلى يومنا هذا؛ لفت انتباه الفئة المثقفة التي التقيناها وجعلها ملزمة بمتابعتها لمعرفة آخر المستجدات ورصد التطورات ليكون على إطلاع بما حدث ويحدث لحظة بلحظة.

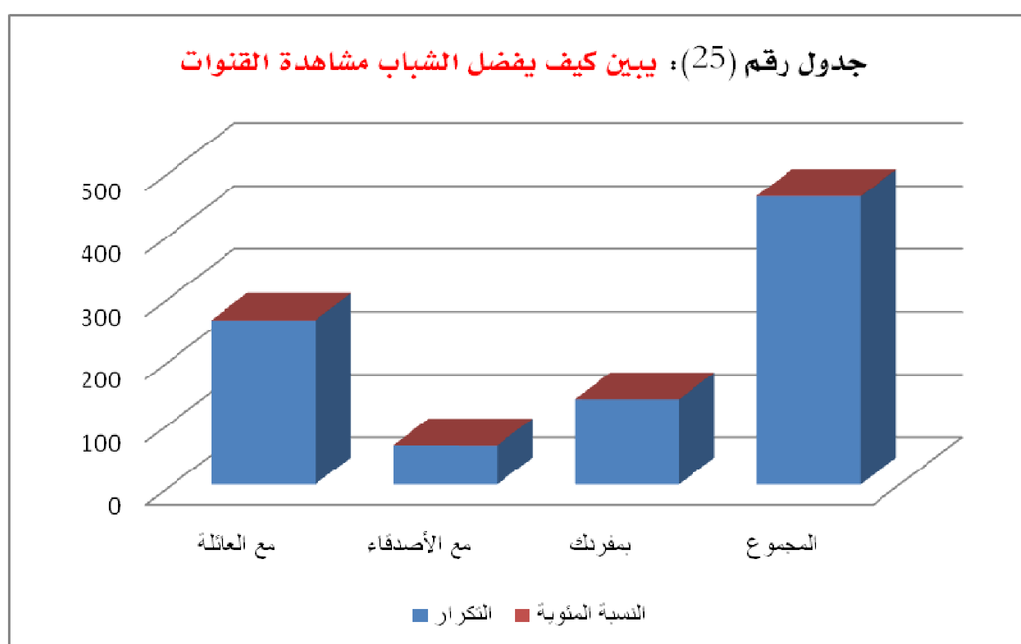
كما نشير إلى التفاوت الطفيف فيما بين هذا النوع من البرامج الحوارية، المسابقات والبرامج الدينية.

لكن ما يجب الوقوف عليه هنا هو تراجع نسبة مشاهدتها بـ (3,3%)، وهو تراجع مسّ أهم الدول التي كانت تضطلع بإنتاج هذه المسلسلات التي كانت في وقت بعيد من أحسن البرامج التلفزيونية "المسلسلات"؛ منها دولة سوريا صاحبة أضخم الأعمال الدرامية، والتي أفل نورها بعدما حل بها من حرب أتت على الأخضر واليابس، ولا ننسى هنا دولة مصر التي كانت في وقت مضى مكتبة لأقوى المسلسلات العربية، وما نتج عن ذلك من تنافس قوي في الإنتاج بين الدولتين تراجع بسبب تهديم أضخم الاستوديوهات وهجرة الفنانين لبعض الدول والذي نتج عنه الازدواجية بين الثقافات.

الجدول رقم (25): يبين كيف يفضل الشباب مشاهدة القنوات

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
مع العائلة	261	%57,0	1,71	0,90
مع الأصدقاء	62	%13,5		
بمفردك	135	%29,5		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



جدول رقم (25): يبين كيف يفضل الشباب مشاهدة القنوات

ما نستخلصه من الجدول أعلاه رقم (25) أن الشباب الجامعي يشاهد القنوات الفضائية برفقة العائلة في معظم الأحيان بنسبة (57%)؛ في حين يشاهدها بمفرده بنسبة قدرها

(29,5%)، أما مع الأصدقاء مثلتها بنسبة (13,5%)، وبصفة إجمالية المتوسط الحسابي لمشاهدة هذه البرامج مع العائلة يُقدر بـ: (1,71)، بانحراف معياري (0,90).

هذه النتيجة توحي أن الشباب الجامعي لازال محافظا على العلاقات الأسرية داخل العائلة، فهي علاقات تفاعلية جماعية تشجع على مناقشة البرامج الرياضية والإخبارية المنتقاة سابقا، لكن نسبة المشاهدة مع العائلة متقاربة مع نتيجة مشاهدة هذه البرامج بمفرده بنسبة (29,5%) لـ (135) شاب جامعي، هذه النتيجة تدل على حب الشباب للفردانية التي طغت على تفكيره وميوله للوحدة داخل الأسرة.

فالفرق بينهما؛ أي النتيجتين متباينتين؛ فالأولى تدل على وجود وتوفر هوية اجتماعية أساسها التفاعل الأسري، والنتيجة الثانية الخاصة بتفضيل الشباب متابعة البرامج بمفردهم تمثل الهوية الفردية.

فالأولى مستوى عام، والثانية مستوى خاص، لكن شتان بين النتيجتين.

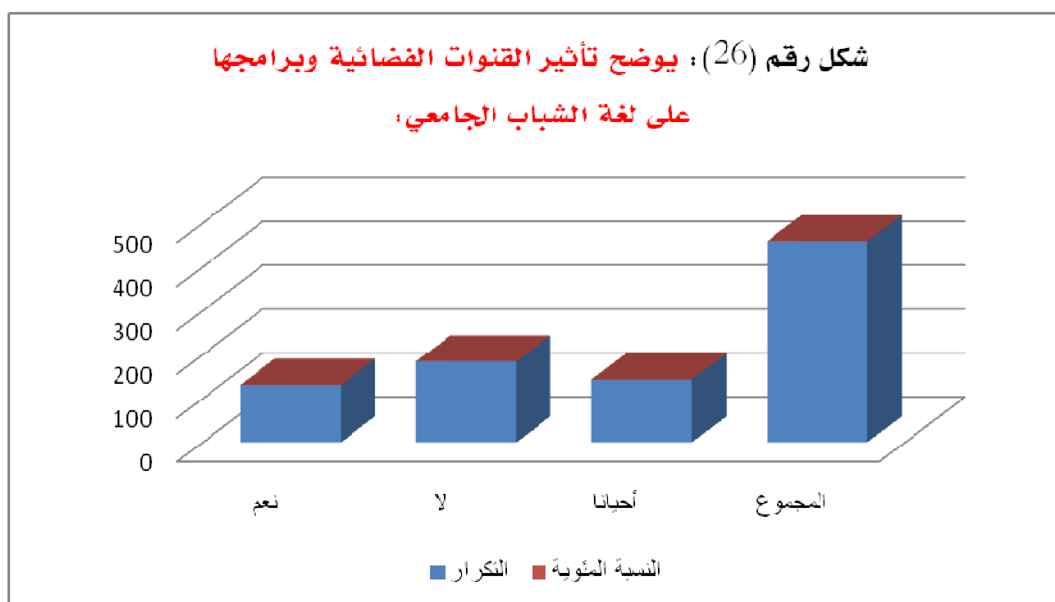
فالشاب الجامعي الذي يشاهد هذه البرامج بمفرده هذا دليل انعزاليته؛ ورغم ذلك فهناك العديد من الدراسات التي استنتجت أن مستوى المشاهدة بالنسبة للشباب عالي جدا، نظرا لوجوده في غرفته بمفرده؛ الأمر الذي من شأنه أن يُنقص من الحوارات العائلية والتفاعل بين أفراد الأسرة الواحدة.

أما النتيجة الخاصة بمعدل المشاهدة مع الأصدقاء يكون خلال تواجده بالإقامة الجامعية مثلا أو أثناء مشاهدة بعض المباريات في المقاهي من شأنها تشجيع المنافسة بين المشجعين للفرق أو المنتخبات المشاركة.

الجدول رقم (26): يوضح تأثير القنوات الفضائية وبرامجها على لغة الشباب الجامعي:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	131	%28,6	2,07	0,75
لا	184	%40,2		
أحيانا	143	%31,2		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



يبين الجدول رقم (26) نتائج تأثير متابعة القنوات الفضائية على لغة الشباب، فأجاب معظمهم بـ"لا" بنسبة (%40,2) مع أنه فيه تقارب كبير جدا بينها وبين إجابة المبحوثين على احتمال "أحيانا" بنسبة (%31,2)، أما (131) من المبحوثين أجابوا بـ"نعم" بنسبة (%28,6)

وبصفة إجمالية معدل المتوسط الحسابي لهذا السؤال قُدرت بـ(2,07)، بانحراف معياري (0,75).

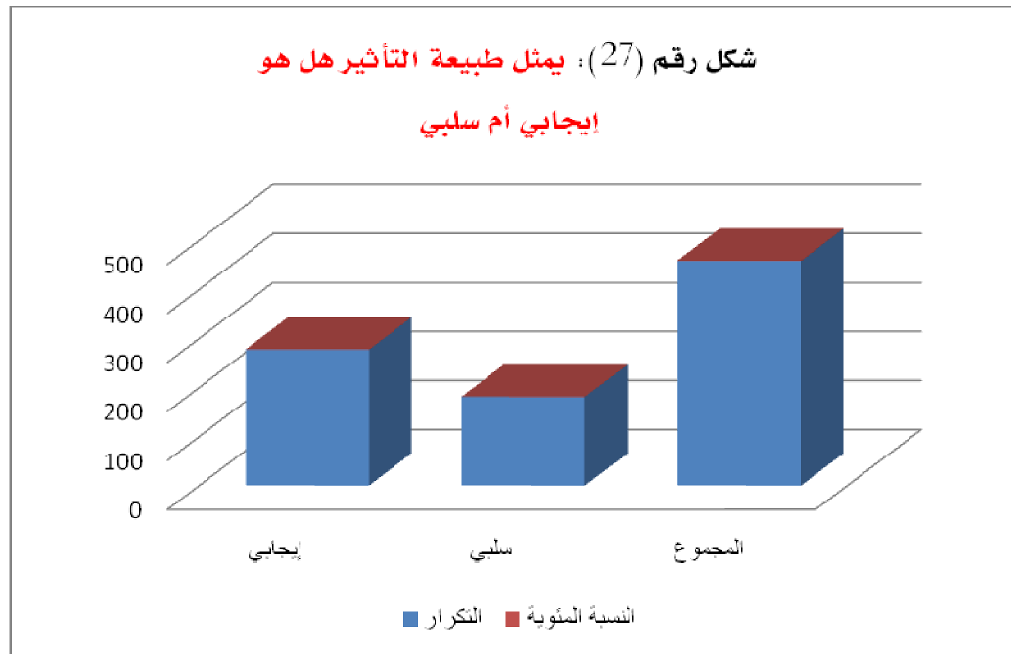
ما نستنتجه من خلال هذه البيانات الإحصائية الكمية أنه فيه تقارب بين النتائج؛ فالشباب الجامعي المجيبين بـ"لا" يوضحون أن هذه القنوات لا تؤثر في لغتهم؛ وإنما في طريقة التفكير ومعالجة الأفكار خاصة وأن أهم البرامج لديهم هي الرياضية، ثم تليها الأغاني والفيديو كليب، فما يعجبهم في هذه البرامج هي طريقة الألبسة والموضة الدارجة لهذه السنة، وأيضا انفتاحهم على الأفكار الجديدة والثقافات، وهذا ما دلت عليه إجابة المبحوثين ضمن السؤال الـ (14) بنسبة (27,7%).

ومع أن نتائج الإجابات متقاربة، غير أن النتيجة الخاصة بـ"لا" توحي بعدم تأثير هذه البرامج على لغتهم؛ فاللغة عامل أساسي في تكوين هوية الفرد والمجتمع.

جدول رقم (27): يمثل طبيعة التأثير هل هو إيجابي أم سلبي:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
إيجابي	**277**	**60,5%**	**1,17**	**0,73**
سلبي	**181**	**39,5%**		
المجموع	**458**	**100%**		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (27): يمثل طبيعة التأثير هل هو إيجابي أم سلبي

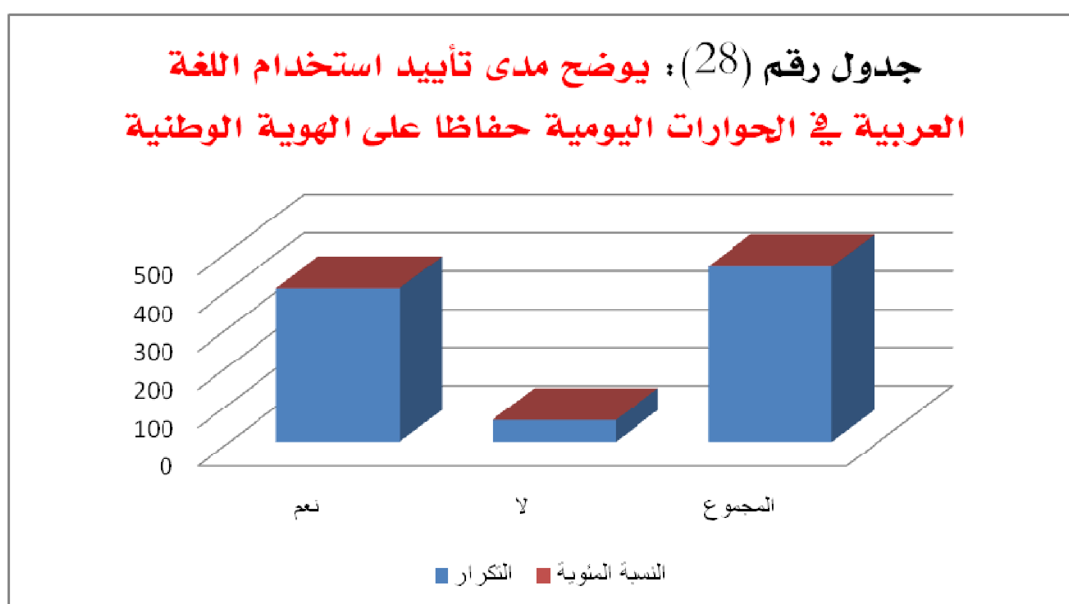
ما نستشفه من الجدول أعلاه رقم (27) أن التأثير الإيجابي لهذه القنوات والبرامج الفضائية بنسبة (60,5%)، وهذا ما أثبتته تكرارات (277) شباب جامعي؛ في حين أجاب (181) شاب جامعي بنسبة (39,5%) على أن التأثير سلبي، وعموما معدل الإجابات حسب المتوسط الحسابي (1,17) بانحراف معياري (0,37).

فإذا كانت إجابات المبحوثين توحي بإيجابية التأثير؛ غير أن الواقع يثبت العكس، إذا كان هذا التأثير إيجابي، لماذا زادت معدلات انقطاع صلة الرحم، إذا كان هذا التأثير أحد سلبيات انتشار الفضائيات والانترنت ووسائل الاتصال الجماهيرية التي عملت على انقطاع وجفاء العلاقات الاجتماعية، لماذا تراجع معدل المواظبة على الصلاة وقراءة القرآن؟ لماذا تراجع الشباب على ترسيخ المحافظة على القيّم الدينية؟ أسئلة وأخرى توحي بضرورة الاستمرارية في مجال البحث هذا.

الجدول رقم (28): يوضح مدى تأييد استخدام اللغة العربية في الحوارات اليومية حفاظا على الهوية الوطنية:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	401	%87,6	1,07	0,26
لا	57	%12,4		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



جدول رقم (28): يوضح مدى تأييد استخدام اللغة العربية في الحوارات اليومية حفاظا على الهوية الوطنية

يوضح الجدول أعلاه رقم (28) مدى موافقة الشباب الجامعي باستخدام اللغة العربية في الحوارات اليومية فأجابوا (401) بنسبة (87,6%) و(57) بنسبة (12,4%) "بلا"، وبصفة إجمالية معدل استخدام اللغة العربية في الحوارات اليومية بقيمة متوسط حسابي (1,07) بانحراف معياري (0,26).

تدل هذه النتائج على إدراك الشباب الجامعي قيمة اللغة العربية في الحوارات اليومية، لكن يبقى الاستخدام نسبي لأنه معظم الطلبة واستخدامهم اللغة العربية ينحصر فقط في الجامعة أثناء انجاز البحوث وقراءتها أو الإطلاع على أخبار الجرائد، أما اللغة العربية التي يقصدونها في حواراتهم هي الدارجة والعامية.

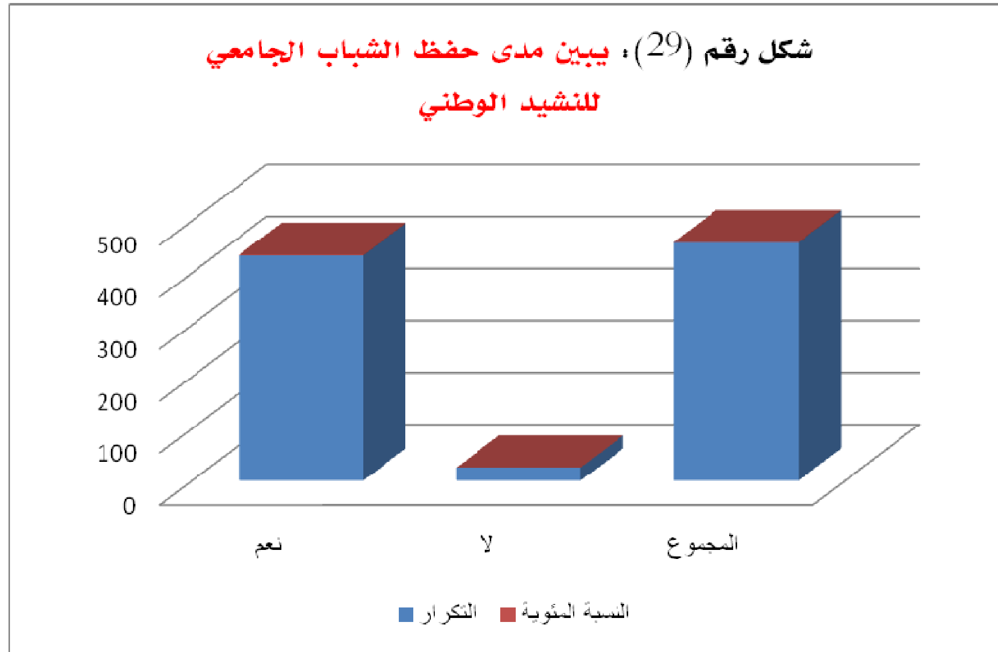
فلو كانت لغة عربية مستخدمة بالشكل الصحيح لأجابوا على أسئلة المقابلة الحرة باللغة العربية؛ إنما طريقة الإجابة بالعامية البحتة، بحكم الباحثة أستاذة بجامعة محمد خيضر بسكرة، ملاحظتها لطريقة إلقاء الطلبة للبحوث بالتقريب نسبة (60%) إلقاء عامي بالدراجة، حتى يتم تقديم الملاحظات بضرورة إلقاء البحوث باللغة العربية.

فهناك صراع ما بين اللغة العربية والفصحى والعامية، فنجد أن لغة الشباب لغة هجينة تجمع بين لهجات ولغات عديدة، فعملية تشجيعهم للغة العربية في الحوارات اليومية تبدأ بصلاح لغتهم الأولى باعتبارهم عماد الأمة وقوتها ومؤسسي أسر جديدة، فصلاح أسرهم لغتهم وحواراتهم يتوقف عليهم، فهم مستقبل الأمة الجزائرية وهويتها.

الجدول رقم (29): يبين مدى حفظ الشباب الجامعي للنشيد الوطني:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	**433**	**%94,5**	**1,02**	**0,15**
لا	**25**	**%5,5**		
المجموع	**458**	**%100**		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (29)، يبين مدى حفظ الشباب الجامعي للنشيد الوطني

يوضح الجدول أعلاه رقم (29) مدى حفظ الشباب الجامعي للنشيد الوطني، فكانت إجاباتهم بـ"نعم" بنسبة (94,5%)؛ في حين أجاب (25) شاب منهم بنسبة (5,5%) بـ"لا"، وأثبت معدل حفظهم للنشيد الوطني بمتوسط حسابي مقداره (1,02) بانحراف معياري قدره (0,15).

إن طرح مثل هذا السؤال على الشباب الجامعي كان لحاجة في نفس يعقوب، تمثلت في شغف الباحثة لاكتشاف مدى حفظ الشباب الجامعي لكلمات النشيد الوطني ووعيهم بمدى أهمية هذا النشيد باعتباره أحد مقومات الهوية الوطنية الجزائرية والدولة الجزائرية أم لا؟

فوجدنا النتائج إيجابية ومشجعة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إحساسهم بالروح الوطنية، وحب الوطن.

فالنشيد الوطني الجزائري يروي تفاصيل مأساة شعب ودولة تجرعت مرارة الإستدمار الفرنسي، وهو وسام نجاح الدولة والهوية الوطنية الجزائرية على المستعمر الخارجي، فهو رمز

من رموز أمتنا، ويوحي بالهوية الفردية، الجماعية، المواطنة، الانتماء والقومية، كل هذه المعاني تتجسد في النشيد الوطني للدولة الجزائرية.

وما نفسر به عدم حفظ النشيد الوطني من طرف (25) شاب جامعي بنسبة (5,5%) هو عدم شعورهم بالانتماء للدولة الجزائرية؛ ضف إلى ذلك أن معظم من تحاورت معهم الباحثة في إطار المقابلة يتناسون ويخلطون بين الكلمات الخاصة بالنشيد الوطني، حتى أن إجابة طالبة كانت بصراحة: أستاذة نسيته عندي مدة كبيرة لم أسمع النشيد...!! وهذا معناه أن الطالبة تتملق على النشيد الوطني، وعلّلت ذلك بانشغالها بالدراسة والحياة اليومية والعمل، حتى أنها شنت عليّ هجوما شرسا بعد انتقادي لعدم حفظها لنشيد "قسما"، فردت "ماذا قدمت لي الجزائر؟ وهي كلمة رددها العديد من الطلبة الجامعيين الذين إلتقيتهم، مقرين بأهمية الهجرة من الجزائر، وبأنها أحسن حل خاصة في ظل حالة الركود الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي الذي تشهده البلاد.

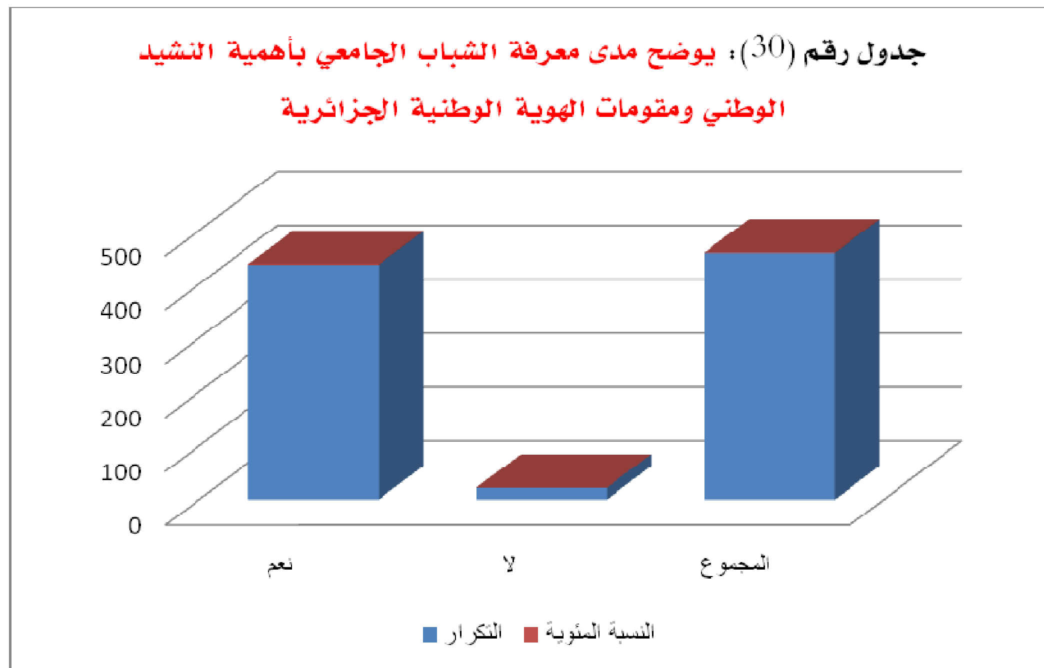
وبالرغم من ذلك تبقى الجزائر دولة قائمة بذاتها ونعتز بهويتنا الوطنية، وضروري أن نزرع في النشء القادم حب الوطن من جهة، ونلقنه النشيد الوطني بكل أجزائه وأهم معالم الدولة الجزائرية من خلال تشبعهم بالروح الوطنية من جهة، وعلمهم بالثمن الباهظ الذي قدمته الجزائر قربانا لهذه الحرية التي نحياها اليوم، والتي دفع ثمنها جحافل الشهداء والشهيدات الذين كانوا سببا في رفع راية الوطن خفاقة في كل الدول.

جدول رقم (30): يوضح مدى معرفة الشباب الجامعي بأهمية النشيد الوطني ومقومات الهوية الوطنية الجزائرية:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط	الانحراف

			الحسابي	المعياري
نعم	436	%95,2	1,01	0,10
لا	22	%4,8		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



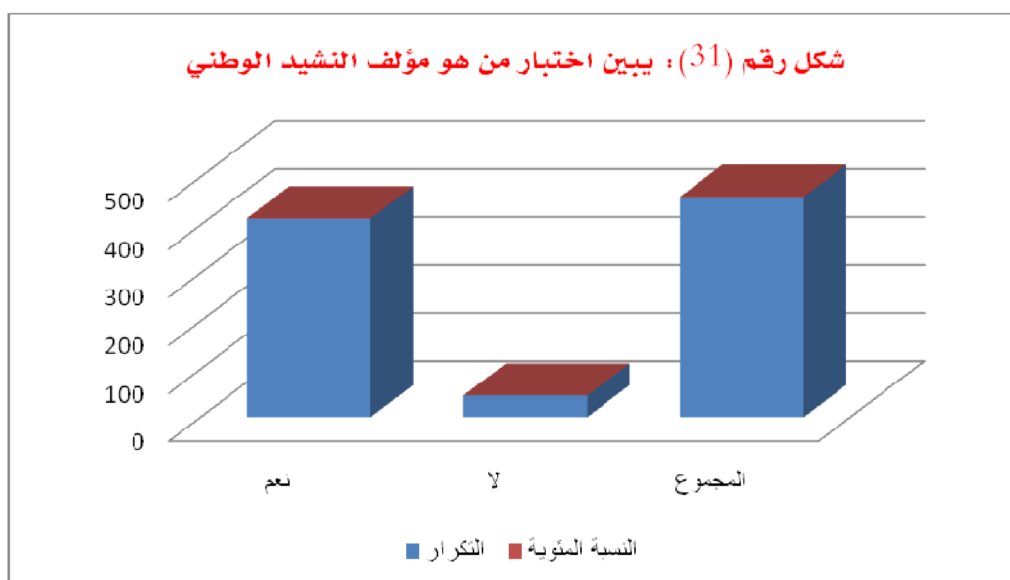
يُعد النشيد الوطني من بين أهم رموز الدولة الجزائرية ومقومات، فقد عبّر (436) شباب جامعي بما نسبته (%95,2) على أنهم يدركون ذلك جيدا؛ في حين عبّر (22) شاب جامعي بما نسبته (%4,8) على أنهم لا يعتبرونه أحد المقومات الرمزية للمواطنة والانتماء للجزائر وهويتها، وكما هو معلوم في المادة (06) من الدستور الجزائري أن العلم الوطني والنشيد الوطني من مكاسب ثورة الفاتح نوفمبر 54، وهما غير قابلين للتغيير (**الدستور الجزائري: 2016، ص 6**).

فالمعلوم أن النشيد الوطني تتوحد تحت لوائه الدولة الجزائرية وقيّمها الوطنية والرمزية بتكريس حب الوطن وأهم معامله التاريخية والاعتزاز بها أمام باقي الهويات والدول الخارجية.

جدول رقم (31): يبين اختبار من هو مؤلف النشيد الوطني:

الخيارات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	413	%90,2	1,03	0,18
لا	45	%9,8		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



يوضح الجدول رقم (31) مدى علم الطلبة بمؤلف النشيد الوطني، وهو شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكرياء*، فتحصلت الباحثة على نسبة (90,2%) للمجيبين بـ"نعم" وعددهم (413) شاب جامعي؛ في حين أجاب (9,8%) للمجيبين بـ"لا" وتحصلنا على متوسط الإجابات لهذا السؤال قدره (1,03) بانحراف معياري يُقدر بـ (0,18).

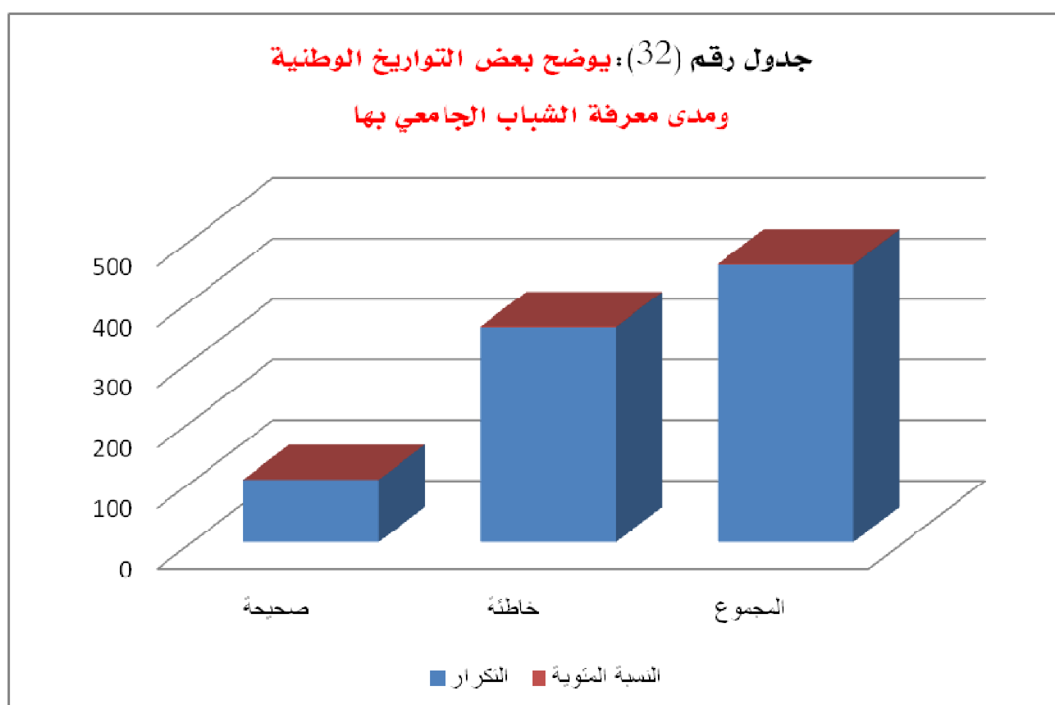
بمقارنة حفظ الشباب الجامعي للنشيد بنسبة (95,2%) ومعرفتهم مؤلف النشيد الوطني بنسبة (90,2%) نستنتج أن رموز الهوية الوطنية من بينها النشيد الوطني متوفرة لدى الشباب الجامعي دليل على حفاظه على أحد؛ بل جُل المعالم والقيّم الوطنية للهوية الجزائرية خاصة مع ما تتعرض له معظم الدول العربية بما يُعرف بالربيع العربي لعمليات تهديم وتحطيم لهذه الدول الشقيقة؛ فالمعرفة بالأمور الوطنية نتوقع اهتمام الطلبة بالوقائع والأحداث والشخصيات التاريخية، وهذا ما سنجيب عليه في باقي الجداول، محاولين اكتشاف الجانب التاريخي المكون للقيّم التاريخية لدى الشباب الجامعي وكيفية تأثير الثقافة الجماهيرية على تذويب الجانب الهوياتي للشباب.

* **مفدي زكرياء:** من مواليد: 12 يونيو 1908 ببني يزقن ولاية غرداية، واسمه الحقيقي: ولد زكري بن سليمان، بدأ تعليمه الأول في الكتابين بمسقط رأسه فدرس القرآن ومبادئ اللغة العربية، ثم رحل إلى تونس، وفيها واصل تعليمه باللغتين العربيتين والفرنسية بمدرسة العطارين والمدرسة الخلدونية، ثم التحق بالزيتونة، فحصل على شهادتها، صدر له من الدواوين الشعرية اللهب المقدس 1961، تحت ظلال الزيتون 1965 من وحي الأطلس1976 انتقل إلى رحمة الله يوم : 17 أغسطس 1977.

جدول رقم (32): يوضح بعض التواريخ الوطنية ومدى معرفة الشباب الجامعي بها:

طبيعة الإجابات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
صحيحة	103	%22,5	1,16	0,37
خاطئة	355	%77,5		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



يُعد الجدول أعلاه رقم (32) عبارة عن معدل الإجابات التي قدمها الطلبة حول بعض التواريخ ومدى إلمامهم بالجانب التاريخي، وأهم حوادثه، فتحصلنا على (77,5%) للإجابات الخاطئة لـ (355) شاب جامعي؛ في حين أجاب (103) مبحوث بنسبة (22,5%) على الإجابات بالصحة؛ أي بمعدل متوسط حسابي يقدر بـ (1,16) بانحراف معياري (0,37).

والإجابات الصحيحة بالنسبة للجدول الذي تم وضعه في الاستبيان كالآتي:

جدول رقم (33): يوضح التواريخ الوطنية وصحتها مقارنة بالإجابات الخاطئة من طرف الشباب الجامعي

التاريخ	المناسبة
19 مارس 1962	عيـــد النصـــــــــــر
05 جويلية 1962	عيـــد الاستقـــــــــلال
11 ديسمبر 1960	مظاهرات الشعب الجزائري
18 فيفري	اليـــوم الوطني للشهيـــد
19 ماي 1956	يـــوم الطـــالــــــب

هذه التواريخ كانت بمثابة اختبار وضعته الباحثة لقياس مدى إلمام الطلبة الجامعيين بأهم الأحداث التاريخية بشكل عشوائي، فكانت النتيجة كما هي مبينة في الجدول أعلاه، وهي جُل الإجابات خاطئة بنسبة (77,5%)، وهي نتائج مخيبة تدُل على إهمال الشباب الجامعي لتاريخ بلاده.

وما نفسر به هذه النتائج الكارثية هي عدم امتلاك الشباب الجامعي لهوية تاريخية، فإذا كان التاريخ هو ماضي الدولة الجزائرية، حاضرها ومستقبلها، فكيف لشباب يمثلون النخبة المثقفة في المجتمع لا يدركون أبسط معالم هذا التاريخ، شباب أغوته المشاغل اليومية والمادية فأهمل أهم مقومات هويته الوطنية وتاريخ بلاده، شباب مجوف عن طريق الانترنيت والتلفزيون، أغوته الألبسة والمأكولات الفاخرة وحب تملك المناصب العليا مع جهله لتاريخ بلاده.

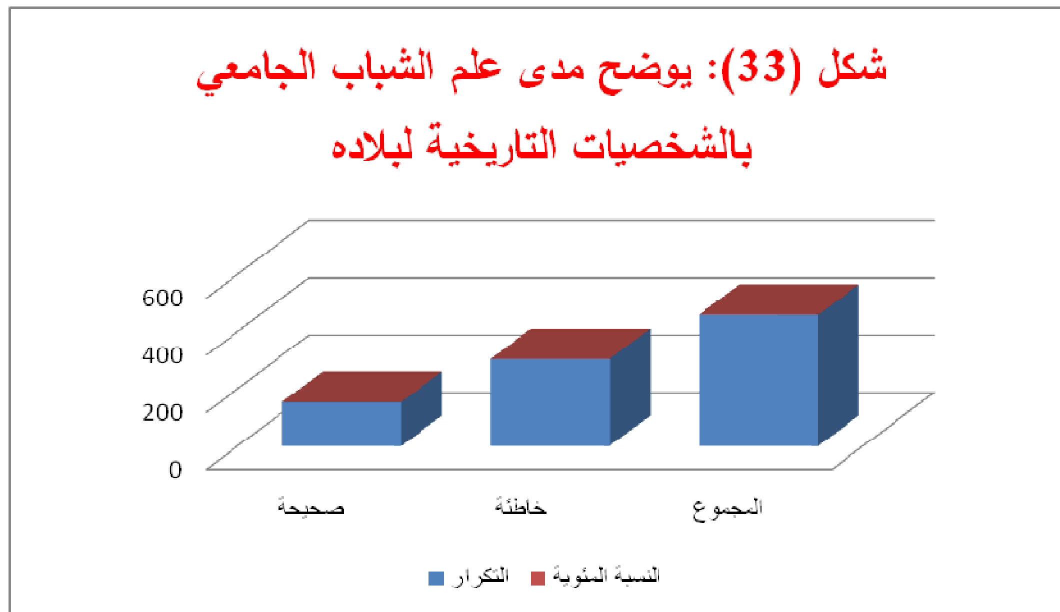
إن التمسك بتاريخ الجزائر وهويتها ليس حفظ للأناشيد فقط؛ وإنما السعي الدائم للحفاظ عليه بتلقينه للأطفال منذ المراحل العمرية الأولى، فمن مظاهر اعتزاز الدول التاريخ، فهو سجل الأحداث لما مر به هذا المجتمع حتى أصبح لما هو عليه؛ فالشباب الجامعي الجزائري يعاني أزمة هوية على مستوى التاريخ، فقد نجحت الثقافة الجماهيرية ووسائلها في انصهار التاريخ الجزائري ضمن بوتقة ثقافة العولمة أو عولمة الثقافة، بجعله يعيش حالة من اختراق تاريخي؛ فالاغتراب بكل أشكاله.

فنتائج هذه الدراسة فيما يخص هذا السؤال تختلف مع نتائج دراسة الباحثة "سليمة فيلالي" لتحصلها على نسبة (80,96%) من المبحوثين الذين يرغبون في معرفة تاريخ بلادهم، والنتائج الحالية تثبت العكس تماما لأن الشباب الجامعي يعيش حالة من التغييب التاريخي الذي فرضه الواقع من جهة، والظروف المحيطة به من جهة أخرى.

الجدول رقم (34): يوضح مدى علم الشباب الجامعي بالشخصيات التاريخية لبلاده:

طبيعة الإجابات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
صحيحة	154	%33,6	1,46	0,37
خاطئة	304	%66,4		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



يعتبر هذا الجدول ثاني جدول يندرج ضمن الجانب التاريخي، فهو يكشف عن مدى إلمام الشباب الجامعي بتاريخ بلاده وأهم شخصياته، فقد أثبت نفس النتائج الكارثية التي توصلت إليها الباحثة في الجدول السابق، وهو ما يعكس ذلك الاغتراب التاريخي الذي يعيشه الشباب الجامعي

الجزائري هذا الاعتداء الصارخ على مقومات الهوية والذي أذكته العولمة التي طمست كل المعالم التي من شأنها أن تسمو بالشعوب.

فقد مثلت الإجابات الخاطئة ما نسبته (66,4%) والإجابات الصحيحة جاءت بنسبة ضئيلة قُدرت بـ(33,6%)؛ أي بمتوسط حسابي قدره (1,46) عند انحراف معياري قدره (0,37)، وأهم الشخصيات التي تم تناولها ضمن هذا السؤال أدرجناها في الجدول الآتي.

جدول رقم (35): يوضح الشخصيات التاريخية التي كانت ضمن الاستبيان، من والإجابات الصحيحة مقارنة بالإجابات الخاطئة من طرف الطلبة:

الشخصية التاريخية	مسارها ودورها في السجل التاريخي
هواري بومدين	**محمد إبراهيم بوخروبة** الرئيس الثاني للجزائر المستقلة استمر على رأس السلطة حتى وفاته سنة 1978 من أبرز رجالات السياسة في الجزائر والوطن العربي في النصف الثاني من القرن العشرين، وأحد رموز حركة عدم الإنحياز، لعب دورا هاما على الساحة الإفريقية والعربية، وكان أول رئيس من العالم الثالث تحدث في الأمم المتحدة عن نظام دولي جديد.
الشهيد العربي بن مهيدي	(1933-1957)، ساهم في التحضير للثورة المجيدة، كان قائد المنطقة الخامسة (وهران)، اعتقل في بداية 1956

رابح بيطاط	ولد عام (1925)، انضم وهو في الـ:17 من عمره إلى حزب الشعب الجزائري عام (1942)، التحق بصفوف المنظمة السرية (OS) سنة 1948، كان من بين أعضاء مجموعة الـ22 التي أسست لاندلاع الثورة المجيدة، عُين وزيرا للدولة الجزائرية ضمن الحكومة المؤقتة.
حسين آيت أحمد	من أبرز قادة الثورة التحريرية، قاد الوفد الجزائري إلى مؤتمر باندونغ (1955)، أسس جبهة القوى الاشتراكية

تُعد الشخصيات المذكورة في الجدول أعلاه رقم (35) شخصيات فذَة تركت بصماتها على المستوى التاريخي للهوية الجزائرية الوطنية، شخصيات خلّفت سجلا حافلا بالأحداث والبطولات الخالدة، لكن للأسف شبابنا الجامعي المثقف قدّم إجابات خاطئة بنسبة (66,4%) لـ: (304).

ووفقا لما تم عرضه في الجانب النظري أن العامل التاريخي يُعد من أهم عوامل تشكيل القومية، فهو الذي يصنع وجدان الأمة ويكوّن ضميرها ويحدد فلسفتها ويبلور أهدافها، ولكي تكون جماعة من الناس أمة يجب أن تنصهر أولا في بوتقة التاريخ الذي يوحد الصفوف بين الأهداف وينمي الإحساس بالانتماء.

(محمد عبد الرؤوف عطية: 2009، ص 48).

إذن فالشباب الجزائري الجامعي يعيش حالة انشطار غريبة عن التاريخ الجزائري، وهنا تُطرح العديد من الأسئلة: هل فشلت الأسرة والمنظومة التربوية وكل المؤسسات الاجتماعية في ترسيخ القيّم

الوطنية المكونة للهوية الجزائرية؟ ما هي نظرة الشباب الجامعي لتاريخ الجزائري؟ ما هي مكانته بالمقارنة بما تعرضه القنوات الفضائية العربية والغربية؟

لقد أثبتت المقابلة التي أجرتها الباحثة مع الطلبة الجامعيين أن الطلبة لا يعتبرون أي حساب للتاريخ ولا روح الانتماء، وذلك مجسَد في إجابات طائشة منها: التاريخ ومجاهدوه صنعوا تاريخهم خلال حقبة تاريخية معينة، أما نحن مازلنا ندرس ومآلنا إلى البطالة، وكأنهم ربطوا العمل بالتاريخ، وبِرَاهِنهم ومستقبلهم، وقالوا أن المجاهدين الحقيقيين قد ماتوا وبقي أولئك الذين يفسدون السياسة الخاصة بالدولة، كلام نابع من أعماق طلبة معبئين سياسيا، اجتماعيا، ثقافيا نتيجة الظروف التي تمر بها البلاد.

كما أشار إليّ أحد طلبة الماستر وحتى خلال المناقشات الهامشية أن أغلب الناس صاروا من المجاهدين، رغم أن تاريخ ميلادهم لا يتوافق أبدا مع فترة الثورة الجزائرية، والأمَر من ذلك أن أغلب أولادهم أصبحوا في مصَاف "أبناء الشهداء" و"أبناء المجاهدين"، يستفيدون من منح الدولة وامتيازاتها أكثر من أبناء الشهداء والمجاهدين الحقيقيين الذين دفعوا دماءهم قربانا للوطن؛ إضافة إلى نقاط أخرى كانت ضمن المقابلة غاص فيها الطلبة كانت جد متشعبة.

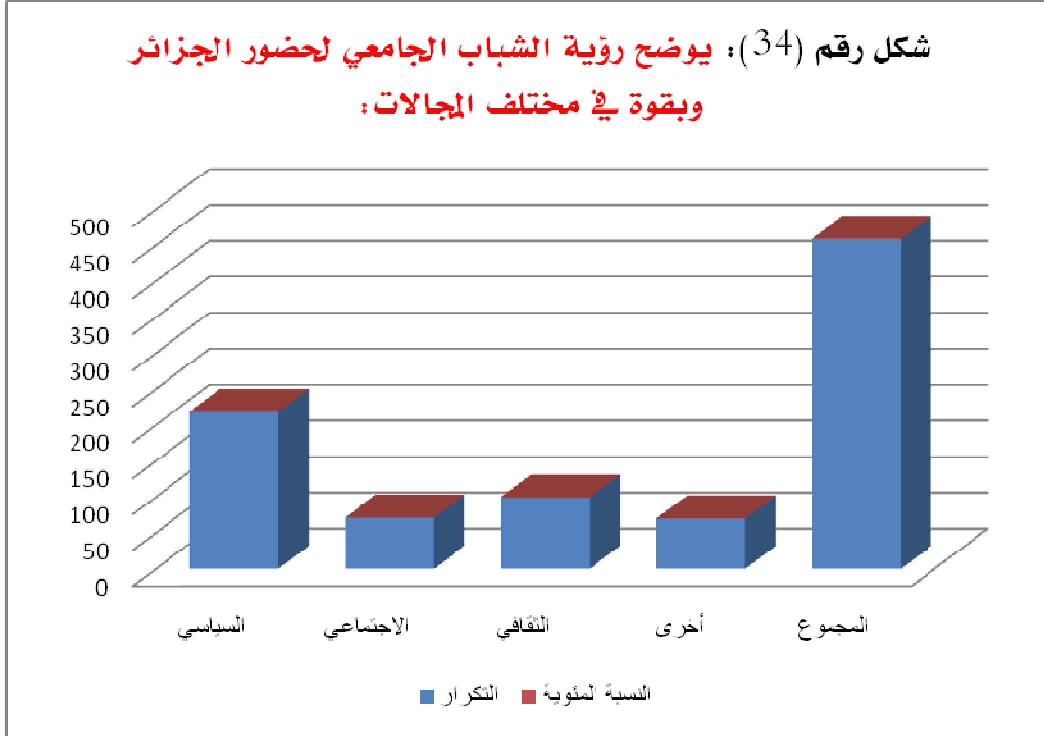
وأختم ضمن هذه النقطة بقول الطبيب فرانز فانون "كل جيل يكشف رسالته، فإما أن يتحملها أو يخونها". **(الهاشمي جيار: نقلا عن: www.al-fadjer.com).**

جدول رقم (36): يوضح رؤية الشباب الجامعي لحضور الجزائر وبقوة في مختلف المجالات:

المجالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
السياسي	218	%47,6	1,89	1,04
الاجتماعي	71	%15,5		
الثقافي	99	%21,6		
أخرى	70	%15,3		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS

شكل رقم (34): يوضح رؤية الشباب الجامعي لحضور الجزائر وبقوة في مختلف المجالات:



يبين الجدول رقم (36) رؤية الشباب الجزائري فيما يخص حضور الجزائر ضمن مجال من المجالات الكبرى، فجاء في المرتبة الأولى المجال السياسي بنسبة (47,6%)، ثم في المرتبة الثانية الجانب الثقافي بنسبة (21,6%)، ثم ثالثا الجانب الاجتماعي بنسبة (15,5%) أخيرا جوانب أخرى بنسبة (15,3%)، إجمالا فمعدل حضور الجزائر في الجانب السياسي وبقوة حسب رؤية الشباب الجامعي بمتوسط حسابي (1,89)، بانحراف معياري قدره (1,04).

يعد الجانب السياسي هو الجانب المهم الذي يجب أن تنجح فيه الجزائر وبقوة حسب وجهة الشباب الجامعي مبررين ذلك بأنها مرحلة حرجة لجُل الدول العربية كتونس، ليبيا، مصر، العراق، سوريا...، فيجب أن تكون سياسة محنكة ناجحة خاصة مع الأخطبوط الأمريكي، والدول العربية الأخرى المساندة ضمنيا لسياستها.

فالحضور السياسي للجزائر ينعكس سواء إيجابا أو سلبا على باقي المجالات الأخرى، فهو الحضور السياسي للهوية السياسية للمجتمع الجزائري أمام باقي الدول العربية والغربية، لكن

السؤال المطروح: هل تتوفر للشباب الجزائري تنشئة سياسية لتكون له رؤية سياسية متكاملة حول المواضيع التي تدور في فُلك الدول؟

ففي المرتبة الثانية يختار الشاب الجامعي الجانب الثقافي الأساسي الذي يجب أن تُتوج فيه الجزائر بنجاح، فقد لاحظنا مؤخرا وفي إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية أن جُل النشاطات التي تم تقديمها في إطار هذه التظاهرة انحصرت في لوحات فنية اختُزلت فيها الثقافة الجزائرية التي لا تعدو أن تكون سوى فن ورقص ومهرجانات غنائية في نظر الذين أشرفوا على وضع لائحة نشاطات هذه التظاهرة.

فالخلل لا يكمن في المدينة إطلاقا؛ فقسنطينة مدينة العلم والعلماء مهد الثقافة عبر كل الحضارات التي تعاقبت عليها من عهد ماسينيسا إلى يوغرطة، والتي خرج من رحمها رائد العلم عبد الحميد بن باديس وغيره من المثقفين الأفذاذ، إنما في أولئك الذين يسيّرون هذه الحملات الإعلانية الذين جعلوا من الأماكن الثقافية فُسحات للترفيه والتسلية، وهذا حسب بعض الطلبة أثناء المقابلة.

أما في المرتبة الثانية فقد أجمع معظم المبحوثين على أن الجانب الاجتماعي الذي لا يقل قيمة عن باقي المجالات، خاصة باحتوائه مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وتبقى مهمته الأولى هو وضع الخطوط العريضة لكل المجالات سالفة الذكر؛ فالجانب الاجتماعي يستوي مع الجانب السياسي بتوفير تنشئة سياسية سليمة تغذي الجانب الوطني والقومي للهوية الجزائرية، كما تستقيم معها المجالات الثقافية المتنوعة.

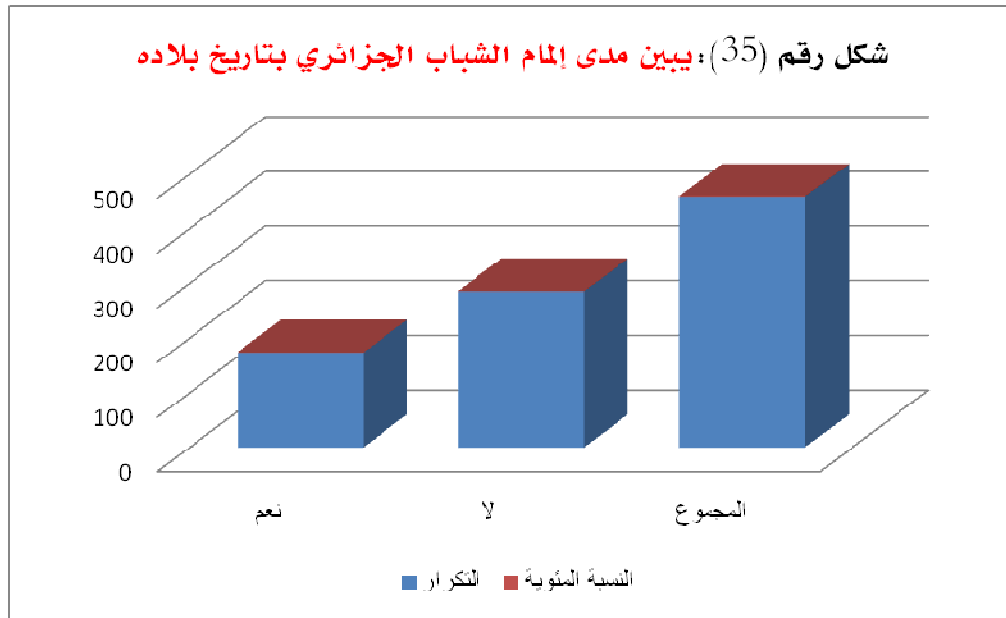
كما أجاب الطلبة بإجابات أخرى مثّلتها نسبة (15,3%) كأن تنجح الجزائر في مجال البحوث بإيجاد اللقاحات المهمة لأمراض مستعصية، وهو الحال بالنسبة للدكتور "صنهاجي" المقيم بفرنسا والذي أوجد لقاح ضد "الإيدز"، وأمثاله كُثُر ممن رفعوا راية الجزائر في مجال البحوث أحسن

تمثيل، أيضا فقد عبروا على ضرورة نجاح الجزائر في المجال الرياضي باحتلالها المراتب الأولى عالميا على مستوى العديد من الأنشطة والتظاهرات.

الجدول رقم (37): يبين مدى إلمام الشباب الجزائري بتاريخ بلاده

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	173	%37,8	1,58	0,49
لا	285	%62,2		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



أكد هذا الجدول رقم (37) نتائج الجدولين (33) (35) للسؤالين (30)، (31) أن الشباب الجزائري ليس على دراية بتاريخ بلاده، بنسبة (62,2%)؛ في حين وجدت الباحثة أن (173) شاب جامعي بما يعادل نسبة (37,8%) أجابوا بـ "نعم"؛ أي بمتوسط حسابي يقدر بـ(1,58) بانحراف معياري قدره (0,49).

نستنتج من النتائج الكمية الإحصائية المعروضة في الجدول رقم (37) أن الشباب الجامعي يعاني "أزمة هوية" على مستوى عامل ومُقوم التاريخ المكون للهوية الوطنية الجزائرية، فكما صر"ح الوزير الهاشمي جيار في مقال بعنوان "08 آلاف سنة من التاريخ" ليوم الخميس 18 أوت 2016 أن التقصير في سياسة الذاكرة التاريخية أدى إلى أزمة هوية لدى أجيال الاستقلال... بل ليس من حقه أن يشك في نفسه، مهما بلغت قساوة اللحظة التاريخية وضبابيتها، وفي رصيده التاريخي معالم ناصعة، لذا من المستحسن والجزائر تعيش لحظة شك حقيقية أن نتحدث عن الفاعلية التاريخية بدل أزمة الهوية. (**www.Al-fadjer.com**).

خاصة وأن الهوية مجموعة من الرموز المشتركة بين الجماعة، وكأن الثقافة الفرعية للشباب ألغت تماما عنصر التاريخ، فتشكلت لديهم فجوة تاريخية عميقة تُنم على مدى جهلهم بالتاريخ.

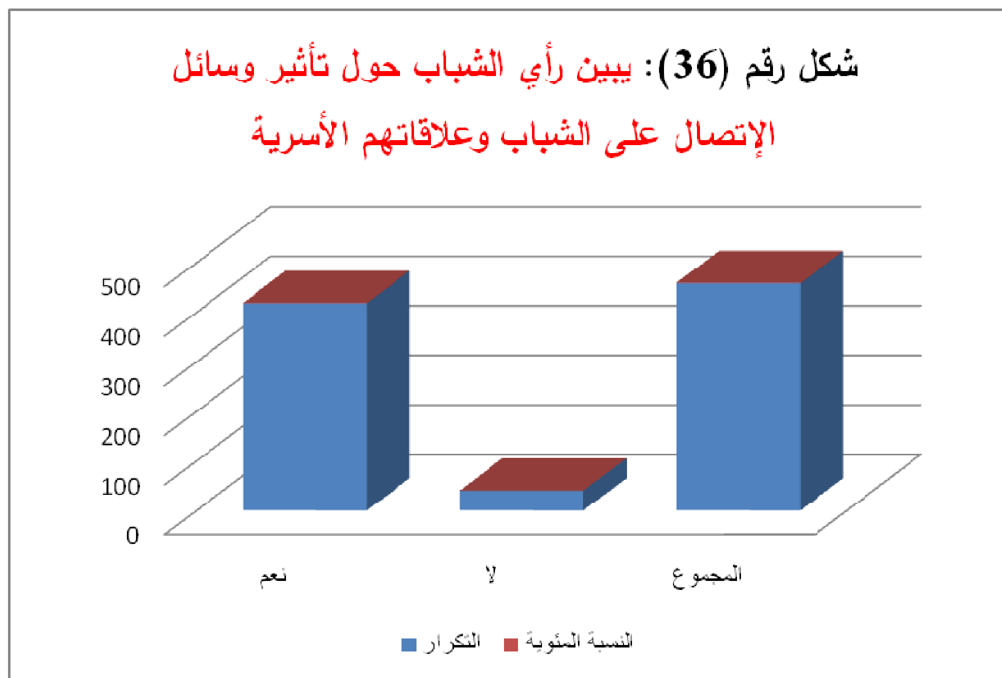
ثالثا/ تفريغ وتحليل بيانات نتائج المحور الرابع من الاستبيان:

المحور الرابع: الثقافة الجماهيرية والقيّم الاجتماعية للهوية بالنسبة للشباب الجامعي

الجدول رقم (38): يبين رأي الشباب حول تأثير وسائل الاتصال على الشباب وعلاقاتهم الأسرية:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	418	%91,3	1,02	0,16
لا	40	%8,7		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (36): يبين رأي الشباب حول تأثير وسائل الإتصال على الشباب وعلاقاتهم الأسرية

تعد العلاقات الأسرية مجموعة روابط مهمة تكون بين أفراد الأسرة الواحدة أساسها التفاعل الاجتماعي والتواصل الفعال، لكن بوجود وسائل الاتصال الجماهيرية تأثرت هذه العلاقات

الأسرية خاصة وأنها تدل على الهوية الاجتماعية الجماعية بين أفراد المجتمع الواحد، فقد أجاب الشباب الجامعي بتكرار (418) شاب/شابة بنسبة (91,3%) على أنها تأثرت بهذه التطورات التكنولوجية؛ في حين أجاب (40) من شباب الجامعة بنسبة (8,7%) على أنها لم تؤثر على هذه العلاقات والروابط الأسرية، ويُعد (1,02) المتوسط الحسابي لتأثير الوسائل الاتصالية على الروابط الأسرية بانحراف معياري قدره (0,16).

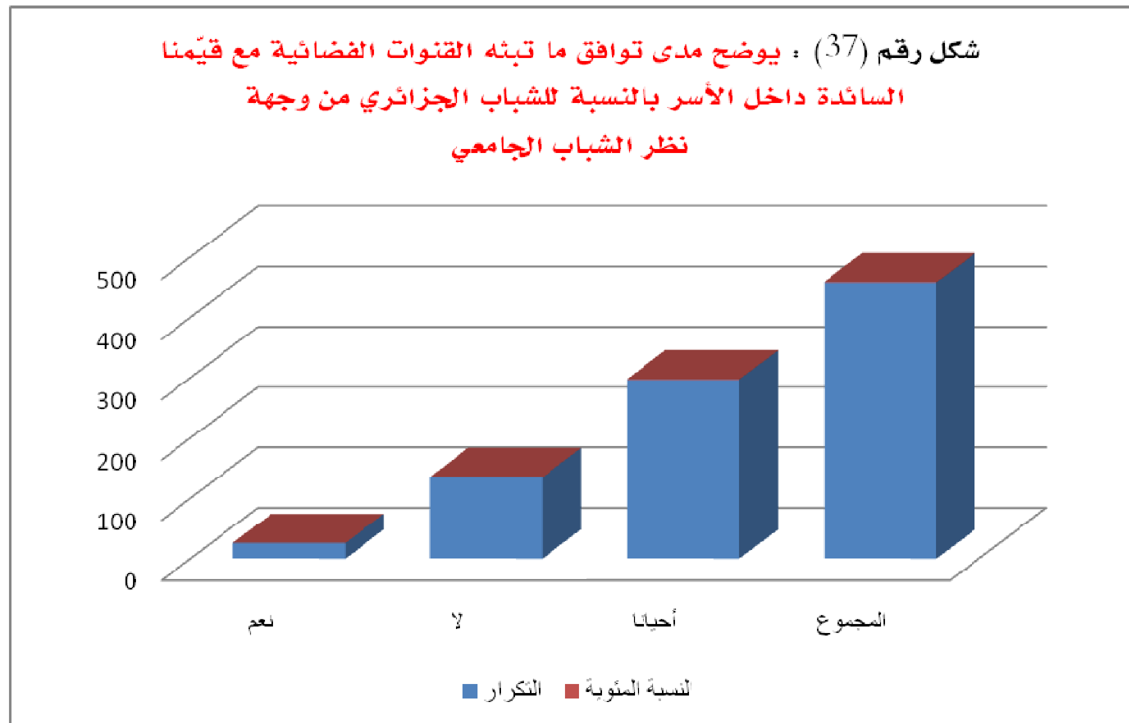
فعلاقة الشباب الجامعي بأسرهم تأثرت نتيجة التواصل التكنولوجي الذي دخل البيوت الجزائرية، فهدّم التفاعل الاجتماعي الحقيقي وحل محله تفاعل الكتروني تكنولوجي افتراضي؛ حيث تحولت وتغيرت سِمات التفاعل الحيوي إلى تفاعل جامد، حتى طغت الفردانية والانعزالية على روابط الهوية الجماعية الاجتماعية، وبالتالي اختفت كل المشاعر باستمرارية وديمومة هذه العلاقات، كما أوضح "أسعد علي وطفة" أن الهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في الشعور بالاستمرارية والتمايز والديمومة والجهد المركزي، وهذا يعني أن الهوية هي وحدة من العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز مع مما سواه ويشعر بوحدته الذاتية.

وهذا ما تم طرحه ضمن الجانب النظري وأفكار التفاعلية الرمزية التي أقرت بضرورة التفاعل الرمزي بين الفرد ومجتمعه؛ فالهوية المشكلّة بين الأفراد هي جسر روابط تفاعلية، وبحضور وسائل الاتصال الجماهيرية انصهرت كل الروابط وخلقت غربة اجتماعية بين الأفراد، وبالتالي اغتراب هوياتي على مستوى الأسر الجزائرية.

جدول رقم (39): يوضح مدى توافق ما تبثه القنوات الفضائية مع قيّمنا السائدة داخل الأسر بالنسبة للشباب الجزائري من وجهة نظر الشباب الجامعي:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	26	%5,7	2,16	0,51
لا	135	%29,5		
أحيانا	297	%64,8		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



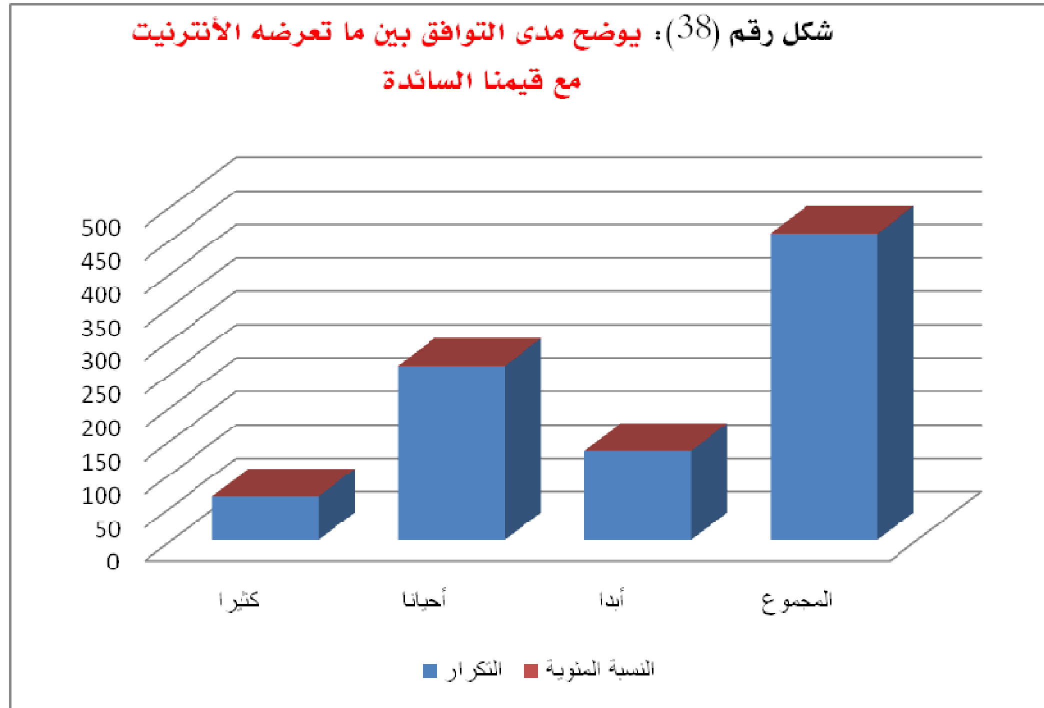
ما يوضحه الجدول أعلاه رقم (38) أن ما تقدمه القنوات الفضائية أحيانا يتوافق، وأحيانا لا يتوافق مع قيمنا السائدة في المجتمع بنسبة (64,8%)؛ في حين أجاب (135) شاب جامعي بعدم توافق هذه المواد الإعلامية مع القيّم السائدة داخل الأسرة خاصة فيما يخص المواد الإعلامية الموجهة لهذه الفئة، ومثلت نسبة (5,7%) بأن ما تقدمه هذه الأحزمة الفضائية من مادة إعلامية تتوافق؛ بحيث أثبت متوسط حسابي قدره (2,16) على عدم توافق هذه البرامج والحصص مع قيّمنا السائدة المكوّنة للهوية الوطنية بانحراف معياري قدره (0,51).

فما نفسر به النتائج الإحصائية هو أنه ما تعمل عليه هذه الفضائيات هو إحداث تغيير اجتماعي–ثقافي على مستوى منظومة القيّم الاجتماعية المكونة للهوية الفردية والجماعية، وهذا ما أبرزه (**محمد شطاح: 2003، ص91**) على أن هذه القنوات والتكنولوجيا المتطورة تعمل على تكريس وإشاعة قيّم الاستهلاك الغربي، وفرض النموذج الثقافي الأورو–أمريكي، وترسيخ قيّم الإمتثالية والقضاء على التنوع للمجتمع، وهذا ما تسعى إليه كل من الإمبراطوريات الإعلامية الكبرى.

الجدول رقم (40): يوضح مدى التوافق بين ما تعرضه الانترنيت مع قيمنا السائدة

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
كثيرا	65	%14,2	28,2	0,53
أحيانا	260	%56,8		
أبدا	133	%29		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (38): يوضح مدى التوافق بين ما تعرضه الأنترنيت مع قيمنا السائدة

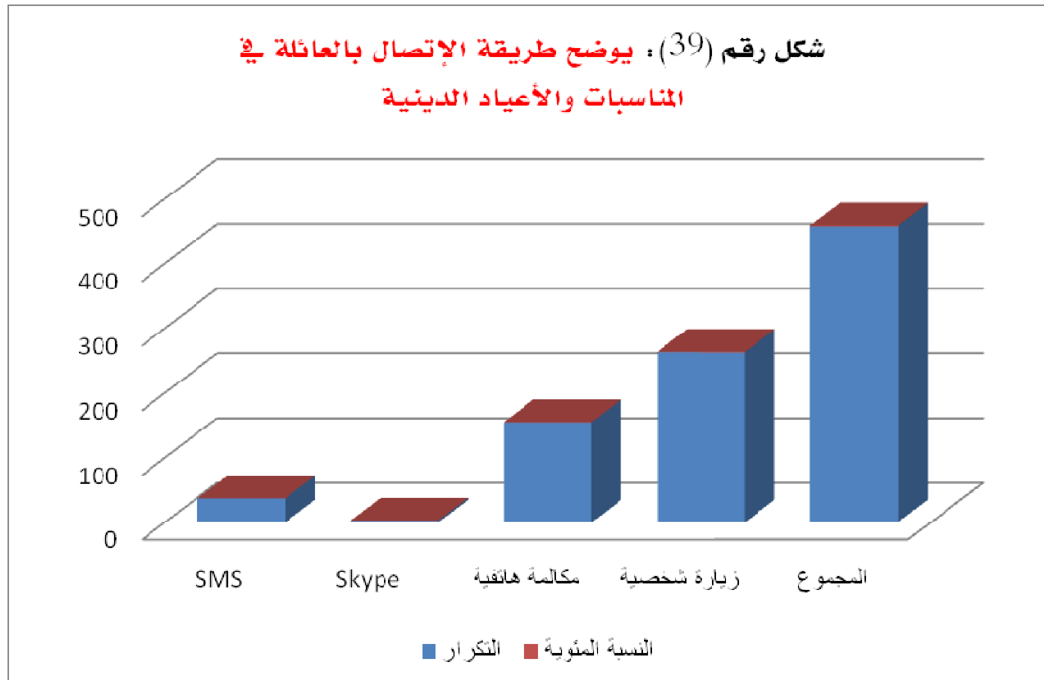
تُعد الأنترنيت من بين أكثر الوسائل التكنولوجية المتطورة التي تؤثر على الهوية ومقوماتها؛ بداية بتقديم مواد اتصالية تُبهر بها الشباب فتخلق لهم عالم مغاير في بعض الأحيان على منظومتنا الاجتماعية الخاصة بالهوية الجزائرية، وهذا ما مثلته نسبة (56,8%) التي بينت بأن ما تقدمه الانترنيت يتوافق ولا يتوافق مع ثقافتنا وهويتنا خاصة لفئة الشباب الجامعي؛ في حين أجاب عدد من المبحوثين بنسبة (29%) بأنها لا تؤثر أبدا على قيّمنا السائدة، أما نسبة (14,2%) أوضحت أنها تُحدث تغييرات على مستوى القيّم والهوية معا.

بصفة إجمالية فالانترنيت وما تعرضه من معلومات وصور تؤثر على قيّمنا السائدة في بعض الأحيان، فليس كل ما يُعرض سلبي فهي سلاح ذو حدين؛ إذ أدرك الشباب الجامعي انتقاء المادة التي يتوافق وأفكاره ومعتقداته، آرائه عاداته وتقاليده، خاصة لما يكون مستوى التوافق بين ما يُعرض ومحاولة الحفاظ على الهوية، فما تعمل عليه هذه المواقع المتنوعة هو ضرب الثقافة ثم تحصيل حاصل لتحطيم الهوية وخلق حالة من النفور الثقافي – الهوياتي.

الجدول رقم (41): يوضح طريقة الاتصال بالعائلة في المناسبات والأعياد الدينية:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
SMS	37	%8,1		
Skype	03	%0,7		
مكالمة هاتفية	155	%33,8	3,43	0,88
زيارة شخصية	263	%57,3		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (39): يوضح طريقة الإتصال بالعائلة في المناسبات والأعياد الدينية

ما نستشفه من أرقام هذا الجدول أن نسبة (57,4%) مثلت الزيارة الشخصية هي وسيلة الاتصال بالعائلة في المناسبات والأعياد الدينية، وتُعد هذه النتيجة إيجابية مقارنة بتأثيرات الثقافة الجماهيرية ووسائلها على القيّم الوطنية والرموز التاريخية، والقيم الاجتماعية والثقافية المكونة للهوية جلية بمظاهر جمة؛ غير أن مبدأ الزيارة يُعد من بين المظاهر والقيّم الاجتماعية التي تحافظ على العلاقات الأسرية والتضامن الجماعي في مناسبات تحتاج أفراد العائلة لبروز روح الجماعة والهوية الاجتماعية.

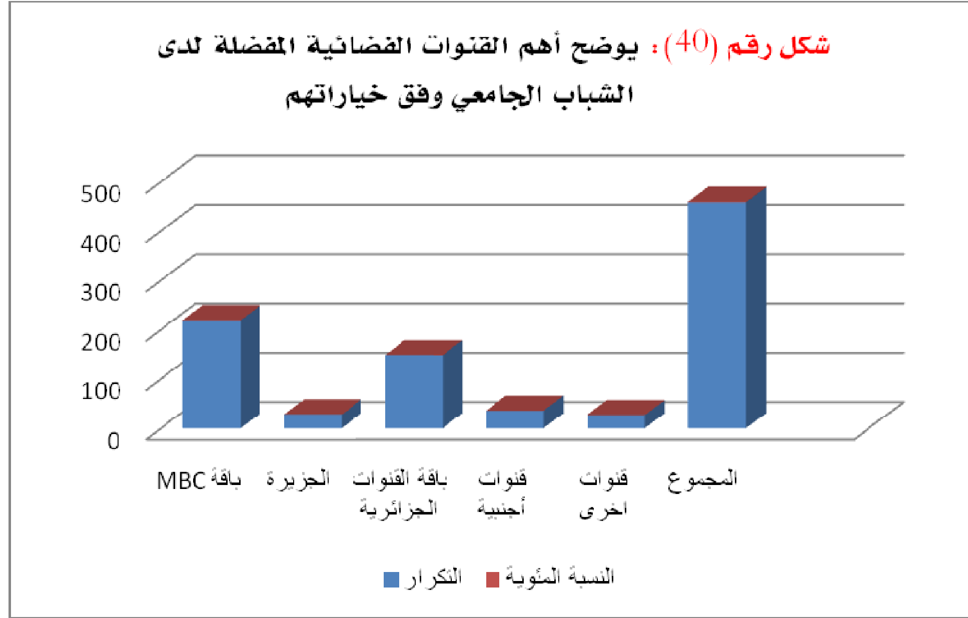
غير أن نسبة (33,8%) يفضلون التواصل عبر مكالمة هاتفية؛ فهي نسبة معتبرة؛ بمعنى خطر التكنولوجيا وما تفرزه من ثقافة استهلاكية يهدد حياتنا الاجتماعية، كما أن (37) شاب جامعي فضلوا الـ (SMS) الرسائل الهاتفية القصيرة كوسيلة للتقارب بنسبة (8,1%)، أما السكايب (Skype) مثلته نسبة (0,7%)؛ إجمالا يُعد المتوسط الحسابي (3,43) بانحراف معياري (0,88) هو ما يمثل طريقة الاتصال بالعائلة في الأعياد والمناسبات الدينية ما بين زيارة شخصية ومكالمة هاتفية.

تُعد المناسبات والأعياد الدينية مناسبة لإحياء أواصر العلاقات الاجتماعية وممارسة الثقافة على أصولها بالحفاظ على العادات والتقاليد التي تصبغ طبيعة هويتنا الوطنية، فالنتائج المتحصل عليها توضح أن شبابنا الجامعي مازال يحافظ على هذه الميزة المميزة للمجتمع الجزائري.

الجدول رقم (42): يوضح أهم القنوات الفضائية المفضلة لدى الشباب الجامعي وفق خياراتهم

	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
باقة MBC	219	%47,81	1,42	0,49
الجزيرة	28	%6,11		
باقة القنوات الجزائرية	148	%32,3		
قنوات أجنبية	36	%7,89		
قنوات اخرى	27	%5,89		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (40): يوضح أهم القنوات الفضائية المفضلة لدى الشباب الجامعي وفق خياراتهم

تعتبر باقة قنوات MBC من بين القنوات الرائدة في مصاف الفضائيات لما تمتلكه من قدرة فائقة لجلب الجماهير بمختلف الشرائح العمرية، لذا جاءت نسبة **(47,81%)** في الصدارة؛ حيث احتلت المرتبة الأولى بين القنوات التي يفضلها الشباب الجامعي.

فكما أوضحت الباحثة في السؤال (22، 21، 20، 13) طبيعة القنوات الدينية، وذلك لتعلقها بمحور القيّم الدينية المكونة لهوية الشباب الجامعي؛ ضف إلى ذلك توضيح أهم البرامج الدينية ضمن هذه القنوات، أما هنا فقد أرادت الباحثة توضيح أهم القنوات الفضائية التي تحتل الصدارة بين القنوات التلفزيونية العالمية.

وقد مثلت نسبة (32,3%) باقة القنوات الجزائرية؛ إذ تُعد نسبة معتبرة تمثل القنوات الجزائرية؛ ففي السنوات الفارطة أثناء قيام الباحثة ببحث الماجستير توصلت إلى أن نسبة متابعة القنوات الجزائرية بـ(05%)، فهذا دليل على تطور نوعي في ما يُقدم في هذه القنوات الجزائرية من ناحية طريقة عرض الأخبار، الأشرطة الوثائقية، المسابقات المسلسلات الجزائرية والعربية والتركية....

كما تُعد القنوات الأجنبية من بين القنوات المفضلة لدى الشباب الجامعي، لكن لصعوبة اللغة، وهذا حسب ما أوضحه الطلبة ضمن إجابتهم عن السؤال الخاص باللغة المختارة؛ حيث أجاب أغلب الطلبة على أن اللغة المستخدمة هي العربية بنسبة (99,2%) فمتابعة هذه القنوات تستلزم تمكن من اللغة الأجنبية، وهو ما يعكس نسبة المتابعة المقدرة ب: (07,89%)، وهي نسبة متقاربة نوعا ما مع باقة الجزيرة، والتي قدرت بـ(6,11%)، فهذه النسب حسب بعض الحوارات تدل على متابعة القنوات الرياضية فقط، لأن القنوات الإخبارية أصبح فيها تلاعب حقيقي لأن القنوات الإخبارية أصبح فيها تلاعب حقيقي مسّ الأحداث السياسية التي عرفها العالم بمختلف مشاربه، وذلك مرده للإيديولوجية السياسية المتبعة من طرفها، فانخفضت نسبة متابعتها بشكل فعلي و(هذا ما صرح به الشباب الجامعي في المقابلة الحرة).

كما توجد قنوات أخرى يتابعها الشباب الجامعي بنسبة (05,89%) منها، (France 24، أبو ظبي، دبي، Nessma)، فبالنسبة لباقة (MBC, MBC1, MBC2, MBC3, MBC4, MBC MAX)، تتميز بالنوعية في مادتها الإعلامية في عرض الأخبار، وسلاسة ولغة قوية جدا في عرضهم للمسلسلات المنتقاة الخاصة في السنوات الأخيرة خاصة التركية مثل "العشق الممنوع" فهو مسلسل ممنوع اجتماعيا، دينيا، ثقافيا، لكنه مباح لعرضه اتصاليا تلفزيونيا نوعية مثل هذه المسلسلات لم تغزو السوق العربية؛ بل طغت حتى على القيّم والمبادئ الأسرية أيضا وتأثر الشباب واضح جدا، من خلال الموضة المعروضة، السلوكيات المصطنعة، قصص الحب التي يحب التعايش بها، كل ذلك عمل على إفراغ الهوية وتزييف الثقافة الفرعية الخاصة بهم.



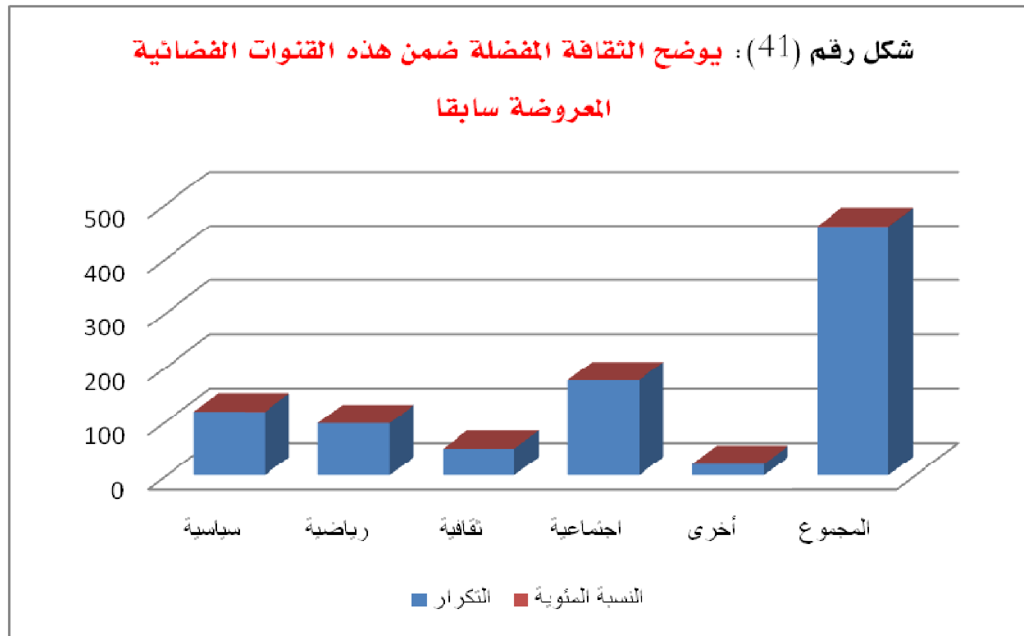




الجدول رقم (43): يوضح الثقافة المفضلة ضمن هذه القنوات الفضائية المعروضة سابقا:

طبيعة الثقافات المفضلة	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
سياسية	117	%25,5		
رياضية	96	%21,0		
ثقافية	49	%10,7	2.82	1.36
اجتماعية	175	%38,2		
أخرى	21	%4,6		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (41): يوضح الثقافة المفضلة ضمن هذه القنوات الفضائية المعروضة سابقا

تُعد البرامج الاجتماعية التي تُعرض على القنوات الفضائية هي الأولى ضمن اهتمامات الشباب الجامعي بنسبة (38,2%)، ثم تليها في المرتبة الثانية البرامج السياسية بنسبة (25,5%)، كما عبّرت نسبة (21%) بالنسبة للبرامج الرياضية؛ في حين مثلت البرامج الثقافية نسبة (10,7%) وتُعد البرامج الأخرى ضمن اهتمامات الشباب الجامعي بنسبة (4,6%)، وبصفة عامة مثل المتوسط الحسابي قدره (2,82) متوسط الإجابات حول الثقافة المفضلة لدى الشباب الجامعي؛ أي بانحراف معياري قدره (1,36).

وتعتبر وسائل الإعلام من بين وسائل التنشئة الاجتماعية خاصة بالنسبة للشباب؛ فلم تعُد هذه الوسائل مجرد مساهم في الترفيه والتسلية؛ وإنما أضحت ناقل مهم للعديد من المواضيع الاجتماعية المتنوعة التي تؤثر على التكوين الخاص بالثقافة الفرعية للشباب الجامعي، هذا الأخير يحمل قناعات معينة تتغير بناءً على ما يُقدَّم ضمن هذه البرامج خاصة لما تكون ضمن اهتماماته الشخصية.

وبما أن الشباب الجامعي يُفضل البرامج الاجتماعية، فهذا يدل على أن هناك تأثيرات اجتماعية تمارَس من طرف القنوات لجعل مثل هذه البرامج تستهدَف بالطريقة الناجحة، وبالتالي اختيارها ضمن أولويات اهتماماتهم؛ ضف إلى ذلك أن مثل هذه البرامج الاجتماعية لو تمعنا فيها لوجدنا معظمها برامج تنشر الجريمة والعنف والقصص الخيالية، الغرامية التي تضرب منظومة الهوية الفردية والجماعية في الصميم، معتمدة على تدمير القيّم الاجتماعية بالدرجة الأولى، وهذا ما عالجه الباحث "عيسى الشماس" في دراسة تأثير الفضائيات الأجنبية في الشباب –دراسة ميدانية على طلبة كلية التربية بجامعة دمشق– ضمنيا تطرق وبشكل فعلي للبرامج الاجتماعية وتأثيراتها على الشباب.

كما تُعد البرامج السياسية ضمن البرامج المفضلة لدى الشباب الجامعي ذكورا/إناثا، وهي ميزة إيجابية ضمن ثقافتهم الفرعية، وما تستهدفه الثقافة الجماهيرية بجعل هويتهم هوية مجوفة؛ فالجانب السياسي يُنم عن تنشئة اجتماعية سياسية بقضايا البلاد ومدى وعي الشباب الجامعي بمثل هذه المسائل، فهم يمثلون نخبة المجتمع المثقفة، فإدراكهم للجانب السياسي في وقت تستهدف العولمة الهوية القومية وتسعى إلى تفكيكها وطمسها، ومن ثمة إعادة صياغتها، وهذا ما ناقشته الدراسة السابقة لمحمد حسن البرغثي (2007) بعنوان: الثقافة العربية والعولمة.

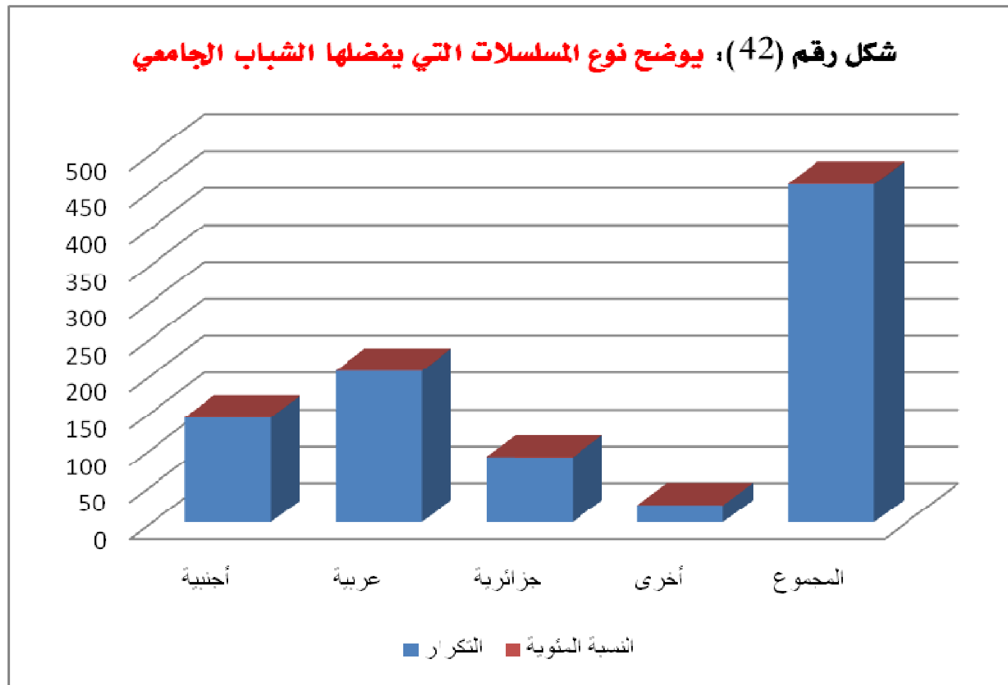
فالاهتمام بالمسائل السياسية يمثل مستوى المواطنة من جهة والانتماء للأمة الجزائرية من طرف أهم الشرائح المجتمعية من جهة أخرى، وكما لا يخفى على أحد فالأغلبية الساحقة من الشباب تنصب اهتماماتهم على الجانب الرياضي وبرامجه التي تُعرض على القنوات الفضائية وخاصة الرياضية منها، فنسبة (21%) نسبة معتبرة لمثل هذا الاختيار والتي تُنَمي فيهم روح المنافسة من جهة، والترفيه الرياضي ومن جهة أخرى.

بالموازاة مع ذلك تتنوع البرامج التي تستهوي الشباب لتمتد حتى للبرامج الثقافية وبرامج أخرى متنوعة؛ غير أن هذه البرامج تقتصر على مسابقات الغناء والرقص والماكياج، وحتى الطبخ، وهذه هي الثقافة المتواجدة التي تهتم بالجانب الثقافي ضمن هذه البرامج وفضائياتها، فالتأثيرات الثقافية في معظم الأحيان تمارس اختراق ثقافي يضرب بعمق الثقافة العربية الفرعية الخاصة بالشباب باعتبارهم الساعد المتحرك في الأمة ومستقبلها القادم.

الجدول رقم (44): يوضح نوع المسلسلات التي يفضلها الشباب الجامعي:

نوع المسلسلات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
أجنبية	142	%31,0	1,5	0,80
عربية	205	%44,8		
جزائرية	88	%19,2		
أخرى	23	%5		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (42): يوضح نوع المسلسلات التي يفضلها الشباب الجامعي

يمثل الجدول رقم (44) نوع المسلسلات التي يتابعها الشباب الجامعي عبر القنوات الفضائية المختلفة ، فجاءت في الصدارة المسلسلات العربية محققة نسبة (44,8%)، والمسلسلات الأجنبية (31,0%)، ثم الجزائرية بنسبة قدرها (19,2%)؛ في حين حصلت مسلسلات أخرى متنوعة يقبل الشباب الجامعي على مشاهدتها على نسبة (05%)، ويقدر المتوسط الحسابي لهذا السؤال بـ(1,85) بانحراف معياري (0,80).

تعتبر المسلسلات عبارة عن أحزمة ثقافية متنوعة تُدس فيها قصص تتعدد بين الواقعي والخيالي، تتأرجح بين الحب والكره، وما بين الانتقام وإعادة الاعتبار، والشباب يتلقى هذه الأفكار جُملة واحدة فلا يتسنى له غربلتها أو انتقاء ما يتماشى مع معتقداته وما يتنافى معها، ويعيش القصة بكل تفاصيلها وكأنها نُسِجت من أجله، فيترجمها في الواقع ويجسدها بكل حيثياتها.

وقد جاءت المسلسلات العربية في المقدمة؛ بحيث سهّلت مهمة الإعلام الغربي بإعادة بناء أفكار تتماشى وما تم عرضه.

والملاحَظ على ما ترويه هذه المسلسلات العربية أنها كلها قصص مُستمدَة من واقع دخيل عن قيّمنا وثقافتنا وهويتنا العربية الإسلامية؛ فالمتتبع لهذا الإعلام وما يُسوّقُه من سموم لشبابنا مركزين على الجانب العاطفي النفسي للتأثير عليه، فيبتعد الشباب عن القيمة الفعلية لدينه وهويته.

فحتى الإعلام العربي صار لا يعرض إعلاما عربيا بحتا؛ بل أغلبه مسلسلات مترجمة باللهجة السورية، التونسية والمغربية، بدايةً من المسلسلات التركية التي غزت البيوت والعقول معا، وسلبت الذكور والإناث على حد سواء نذكر منها على سبيل المثال: العشق الممنوع، إيزل، وادي الذئاب، دموع الورد، الأرض الطيبة، نور، سنوات الضياع، فريحة، العشق الأسود، حريم السلطان، عشق وجزاء وغيرها...

والمسلسلات المدبلجة التي كانت في وقت من الأوقات هي الموضة المتبعَة في كل شيء؛ إلى أن ظهرت المسلسلات التركية فاحتلت الصدارة وأزاحتها نوعا ما، واحتلت هذه الأخيرة حيزًا كبيرا من القنوات العربية، رغم أن المستوى لا يختلف بين الاثنين فكلاهما هابط ورديء، لا يحمل في ثناياه عِبرة يستفيد منها المشاهد؛ فالغالب عليها أنها تشجع على الحرية الغربية التي تدعو للعلاقات غير الشرعية الخارجة عن إطار الزواج في إطار ما يُطلق عليه علاقة جنسية بعيدة عن الوازع الديني من جهة، وبدون أدنى سلطة أبوية أو إلاهية من جهة أخرى، إضافة إلى تشجيعها ونشرها للعنف، وكل هذا مفسدة بعيدة كل البعد عن هويتنا العربية الإسلامية، وما يُعاب أيضا على مثيلات هذه المسلسلات والتي تفرض علينا أن نُطلق عليها مسلسلات عربية بالاسم فقط لأنها للأسف لا تحمل أي سلوكيات تَمُتُ للإسلام بصلة، تهتم بنشر القيّم الدخيلة على المجتمع الإسلامي والعربي، فتدفعه إلى نشر الخبيث، فيُصبح عبرها الحرام حلالا، والتبرج والسفور موضة تفرض قبولها اجتماعيا.

إضافة إلى كل هذا نجد من المسلسلات الأجنبية التي يفضلها الشباب بنسبة (31%) وهي نسبة تجعلنا ندق ناقوس الخطر لما لها من تأثير على مجتمعنا، فحسب دراسة "عيسى الشماس" تُعد الفضائيات الأجنبية ومسلسلاتها تحديا ليس للثقافة العربية فقط؛ بل خطر كبير ينخر كيان الأمة العربية وهويتها الإسلامية؛ إنها نوع من الهيمنة الثقافية الكاملة التي تمارسها الثقافة الجماهيرية على هوية الشباب وتشكيلها، فهي بمثابة احتلال تُحركُه أطراف أجنبية وتنشره عبر فضائيات عربية لتضرب الهوية العربية في الصميم وتحطم كيانها.

ولا يمكننا أن نختم الحديث في هذا الموضوع دون الإشارة إلى ما حققته المسلسلات الجزائرية والتي حصدت نسبة (19,3%) محتلةً بذلك المرتبة الثالثة، وهي نسبة لا يمكننا المرور عليها دون الإشادة بالتحسن الذي حققته هذه المسلسلات والتي كانت يُطلق عليها الشباب ولوقت قريب "اليتيمة".

في المقابل نجد فئة قليلة تتابع مسلسلات أخرى بنسة (05%) تتنوع بين الكورية والهندية...

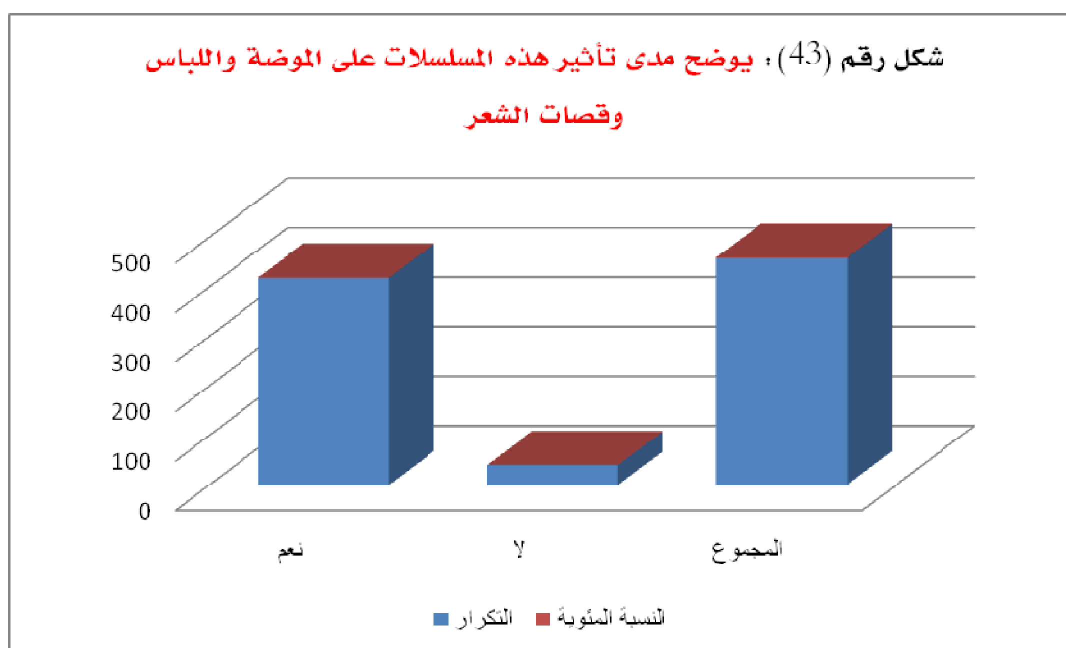
وما يُعاب على جُل هذه المسلسلات أنها كانت ولازالت مِعول تهديم ضَرَبَ الهوية العربية في الصميم وحَطَم صرحها المجيد.

جدول (45): يوضح مدى تأثير هذه المسلسلات على الموضة واللباس وقصات الشعر

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	418	%91,3		

لا	40	%8,7	1,00	0,084
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام spss



شكل رقم (43): يوضح مدى تأثير هذه المسلسلات على الموضة واللباس وقصات الشعر

أوضح "عزي عبد الرحمان" (1995) أن الثقافة الجماهيرية تحمل قناعات الثقافة الصناعية، تحاول عن طريق إشباع الجماهير بمواد إعلامية واتصالية وهمية أن تجعل هذه الأخيرة في حالة وعي مزيف دائم على حد تعبير "ماركيوز". (عزي عبد الرحمان، 1995، 149).

فهذه الوسائل عبر أساليبها المتبعة في عرض المادة الإعلامية كالمسلسلات، تحمل أنماطًا معيشية نفسية اجتماعية تتنافى والواقع المُعاش، فتخلق ثقافة سطحية نفعية تعمل على ترسيخ قيّم امتثالية كـ: قصات الشعر واللباس والموضة، وهذا ما أثبتته النسبة الإحصائية التي

توصلت إليها الباحثة في الجدول أعلاه؛ إذ بدا تأثر الشباب الجامعي بكل ما تعرضه هذه القنوات بنسبة (91,3)، وفي المقابل نفى (40) شابا جامعيا أي تأثير لهذه القنوات بما نسبته (8,7%)، وبصفة إجمالية عبر المتوسط الحسابي على متوسط التأثير بـ: (1,00)؛ أي بانحراف معياري قدره: (0,084).

وبطرحنا لفكرة المسلسلات وتأثيراتها على الشباب الجامعي وجب علينا بالضرورة أن نعرج على ما للصورة من تأثيرات على الشباب الجامعي؛ فموضة اللباس وقصات الشعر ما هي إلا انعكاس لما يُعرض عبر وسائل الإعلام في بهرجة تُبهر الشباب وتجعله يتعايش مع هذا الزخم من التطور كما يبدو لهم؛ مما يجعله يؤمن لا محالة أنه آخر ما أفرزته أسواق الموضة العالمية هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فلو تأملنا جيدا وألقينا نظرة ثاقبة على تأثير الصورة الموجودة في الإعلانات أو المسلسلات على حد سواء وجدنا أن معدل نجاح المسلسل أو الإعلان ينعقد أساسا على بناء الصورة وعلاقتها بالسلع المعروضة، فمعدل نجاح أي مادة إعلامية مربوط بمعدل الصورة والسلعة معا والإستراتيجية المتبعة من طرف الوسيلة الاتصالية.

فمن خلال احتكاك الباحثة بالوسط الجامعي تبين لها طغيان الموضة التي تعرضها وسائل الإعلام سواء على الإناث أو الذكور، وبرز ذلك من خلال طريقة اللباس، أو حتى قصات الشعر التي غلب عليها القَزَع الذي نهانا عنه الرسول المصطفى عليه أزكى الصلاة والتسليم عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: "نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم عن القَزَع*"؛ متفق عليه. (http://www.alukah.net)

* القَزَع: هوأن يَحلق بعض الرأس ويَترك بعضه - سواء كان من جانب واحدٍ، أو من كل الجوانب، أو من فوق، ومن يمين، ومن شمال، ومن وراء ومن أمام، المهم أنه إذا حلَق بعض الرأس وترَك بعضه، فهذا قزَع، وقد نهى عنه النبي - صلى الله عليه وسلم. (http://www.alukah.net)

فالاهتمام بالموضة في الجانب الخاص بقصات الشعر أو اللباس ليس إلا لتوضيح الجانب الاستهلاكي وطغيانه على الحياة الاجتماعية، فأصبحت المظاهر الخارجية هي التي تقيس مدى نجاحك وقبولك الاجتماعي.

ونشير في هذا المقام إلى أن الحرم الجامعي اليوم أضحى عبارة عن تكتلات بين الطلبة، مقياسهم في ذلك المظهر الخارجي، فكل أفراد المجموعة تطغى عليهم روح الجماعة بدايتها في التطابق من ناحية اللباس والحديث وقصة الشعر، فإذا كنت مختلفا عن أفراد المجموعة بطريقة ضمنية تُلغى منها.

فالإناث مثلا مبهورات بآخر صيحات موضة (2017/2016) وتذكرن حتى أسماء المصممين العالميين والألوان الدراجة لهذه السنة سواء في اللباس أو الشعر، ويذكرون حتى الحصص التلفزيونية التي تُروج لذلك كـ: جويل، ستايل، ماق زووم وغيرها، هذا النوع من الحصص الذي يُشجع على التبرج والسفور وأساسهم في ذلك المرأة التي صارت سلعة تُباع وتُشترى، متناسين أن الله عز وجل كرّم المرأة وجعلها في أحسن مقام، ضاربين بذلك الهوية الوطنية الجزائرية الأصيلة بكل ما تحمله من قيّم اجتماعية وثقافية عرض الحائط.

فمن خلال وقفتي الميدانية في جامعة محمد خيضر ببسكرة استوقفتني مظاهر بعض الطالبات وهن مرتديات لباس لا يتماشى وثقافتنا الجزائرية ولا هويتنا ولا ديننا الإسلامي، والحديث هنا لا يقصد اللباس الجزائري التقليدي؛ بل اللباس المحترم الذي يدل على أننا في حرم جامعي، ونتحدث عن طالبة جامعية محترمة وهي مظاهر يندى لها الجبين، ونحن في هذا المقام لا نُعمم الظاهرة لأن ثمَة من هن قدوة في اللباس والاحترام.

ونفس الأمر ينطبق على الشباب فطريقة لباسهم وسراويلهم خاصة من نوع الجينز (Jeans) الممزقة بشكل ظاهر ونهائي؛ والأمر في ذلك هو نزولها إلى تحت الأرداف وأحيانا

الكشف عن العورة في صورة تخدش الحياء بدعوى أن هذا من التحضر والموضة، وهي في الأصل ميزة خاصة بالشواذ جنسيا –أكرمكم الله– والتي تُرجعها بعض الدراسات إلى زمن النبي لوط وقومه، وهناك من ينسبها إلى تقليد لفرق الراب rap وهي بدايات كلمات ثورة ضد الشرطة حيث كان السود مضطهدين من طرف الشرطة وخلال تعرضهم للضرب من طرف الشرطة تسقط سراويلهم ويلفون جراح أيديهم بمناديل، وبعد حصولهم على المساواة ابتكروا ذلك اللباس من منطلق اديولوجي.(**http://www.djelfa.info**)

فشبابنا اليوم أصبح يقلدهم بعد أن طغت على أفكارهم الثقافة الغربية الصارخة البعيدة كل البُعد عن ديننا الحنيف وتشبثهم بما نهانا عنه نبينا الكريم حين قال صلى الله عليه وسلم: "عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم "لَتَتّبِعُنّ سَنَنَ الّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ. شِبْراً بِشِبْرٍ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ. حَتّىَ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبَ لاَتّبَعْتُمُوهُمْ " أخرجه البخاري في الصحيح. (**www.nabulsi.com**)

إذن فالواقع مُر والشباب في أزمة حقيقية، والأزمة هي أزمة هوية في المقام الأول، في ظل اختفاء القيّم والأخلاق، وانصهار الهوية في بوتقة القيّم الاستهلاكية التي أفرزتها الثقافة الجماهيرية.

إضافة إلى ما سبق نشير هنا إلى ظاهرة انتشار بعض المصطلحات التي ساهمت في انتشار الطابع الاستهلاكي المادي، فمعظم الطلبة مبهورين بكلمة "هذا أصلي" "L'original" أو "Le vrai" وكأنها ماركات عالمية لا تتمزق ولا تتآكل مع مرور الزمن كل ذلك يُعد هوسا ماديا استهلاكيا يعمل على إبعاد الشباب عن الهوية العربية الإسلامية، ويجعلهم مجتمع استهلاكي نفعي وقتي وسطحي ينصب اهتمامه على القشور كالموضة واللباس وقصات الشعر، وبذلك صاروا في منأى عن كل ما من شأنه أن يَسمُوا بهم وبأخلاقهم وهويتهم، وفيما يأتي بعض الصور الموضحة لما أسلفنا الحديث عنه.

آخر صيحات موضة الإناث







آخر صيحات موضة الذكور







فطريقة اللباس وقصات الشعر ما هي إلا وجه آخر للثقافة الفرعية الخاصة بالشباب من جهة، ومن جهة أخرى محاولة لإثبات الهوية الفردية ضمن الجماعة أو العكس، رغم أنها في الحقيقة هي مرحلة انغلاق وإفراغ الهوية من أهم مقوماتها الاجتماعية كالقيّم والأخلاق.

ويمكننا القول أن الهوية الوطنية والثقافة راسختين ولا غُبار عليهما؛ غير أن موضة اللباس وقصات الشعر لا تموت بانتهاء تاريخ الصلاحية؛ بل تندثر وتموت شكليا بانتهاء شعبيتها ومدة

انتشارها بين الشباب، وفيما يلي رصد أهم قصات الشعر المنتشرة بين الشباب فيما يُصطلَح عليه بـ"موضة تسريحات شعر الشباب".



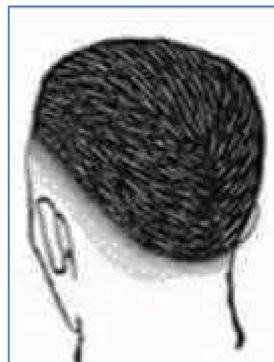
dobond korwazi



copa digradi corwazi



Copa Viya



Tour Digradi



Marinz normal



marinz sofaj



digradi lam korwaz



dobond digradi li7ya

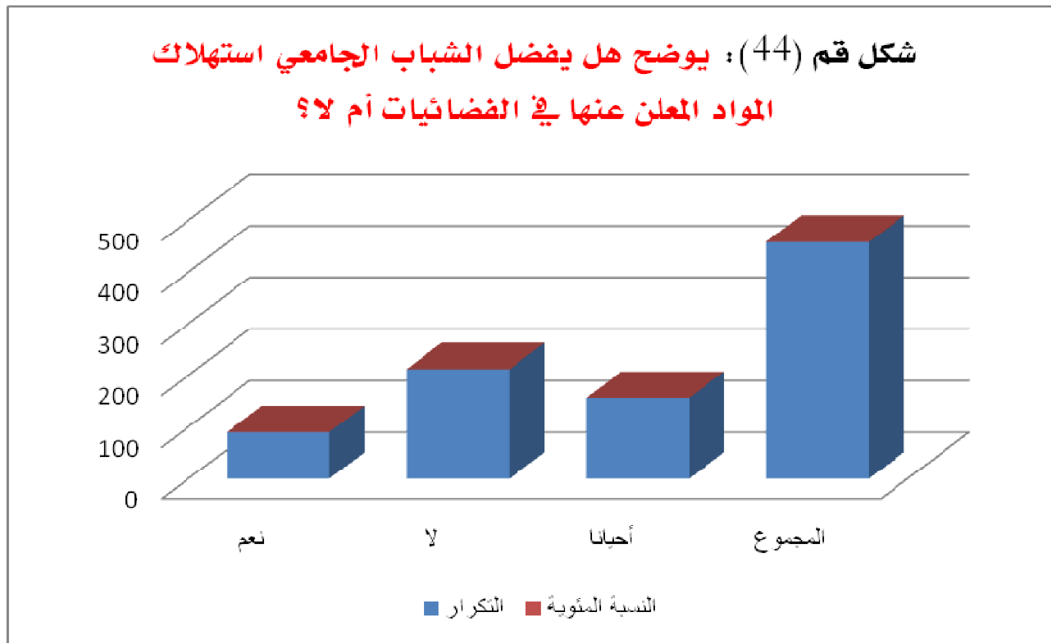


Copa saple

الجدول رقم (46): يوضح هل يفضل الشباب الجامعي استهلاك المواد المعلن عنها في الفضائيات أم لا؟

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	90	%19,6	2,25	0,65
لا	212	%46,3		
أحيانا	156	%34,1		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



تعمل الفضائيات على إعلان المواد الاستهلاكية المخصصة إما للاستهلاك بشكل فعلي أو سريع لدى الجمهور، أو أن نسبة استهلاكها عالية ويحاولون رفعها إلى أعلى درجات

الاستهلاك، والمواد المعلن عنها في أغلب الأحيان هي مكياجات ومواد تجميل لكلا الجنسين، وما استنتجناه من هذه المعلومات الكمية لا الإحصائية هو عدم استهلاك المواد المعلن عنها في الفضائيات بنسبة (46,3%)؛ في حين أكد (156) شاب جامعي (إناث/ذكور) أن استهلاكهم لها يكون في فترات مختلفة وليس بشكل دائم وذلك بنسبة (34,1%)، أما ما عدده (90) طالب وطالبة جامعية أقروا باستهلاكهم لهذه الماركات العالمية بنسبة (19,6%).

ما نستشفه من الجدول أعلاه هو استهلاك ظاهري يعتمد على اللباس وموضته، أما المواد المضرة بالوجه وأطراف الجسد الأخرى لا يستخدمونها متخوفين من الآثار الجانبية السلبية الأخرى المضرة بهم، فإذا كان متوسط إدراكهم لخطورة هذه المواد على الجسد، وذلك لما لا يعي الشباب ارتفاع خطورة العري الأخلاقي على هويته وثقافته.

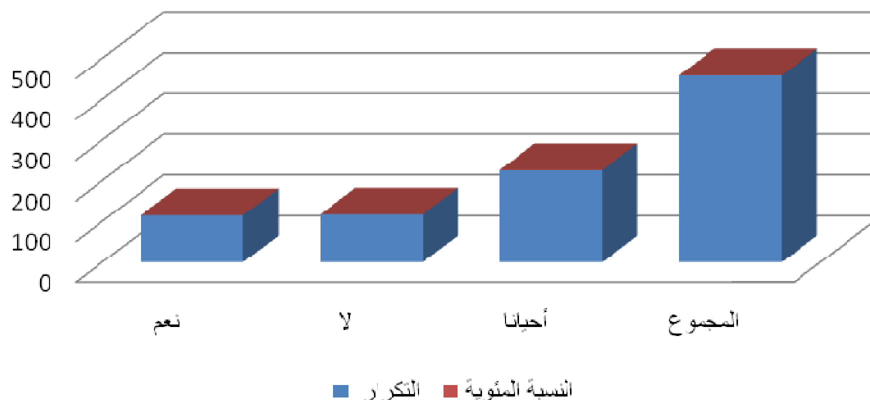
رغم ذلك فهم يستعملون عطور وماكياجات ومواد خاصة بالشعر كالهلام (Gel) رغم أنه يُعد من أخطر المواد المضرة بالرأس ومساماته وفروة الشعر، وهو ما يزيد من ارتفاع معدل الإصابة بسرطان الرأس عفانا الله وإياكم.

الجدول رقم (47): يوضح مدى تفضيل الشباب الجامعي للماركات العالمية في اللباس والعطور:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	115	%25,2		
لا	117	%25,5		
أحيانا	226	%49,3		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS

شكل رقم (45): يوضح مدى تفضيل الشباب الجامعي للماركات العالمية في اللباس والعطور:



يوضح الجدول أعلاه رقم (47) مدى تأثُر الشباب الجامعي بالماركات العالمية ومدى اقتنائه لها، فعبروا على أنهم يشترون المواد العالمية على غرار ماركات، وفي بعض الأحيان يمتنعون، وقُدرت نسبة الذين أجابوا بـ(49,3%)؛ في حين أفادنا (115) شاب جامعي إناثا وذكورا بأنهم يفضلون هذه الماركات بنسبة (25,2%)، كما أنها تعتبر نتيجة قريبة من الذين أجابو بـ: لا (25,3%)، فهناك تقارب كبير جدا بين النتيجتين، فمن خلال الملاحظة والمقابلة أثبت العديد من الشباب الجامعي اقتنائهم الماركات العالمية من اللباس والعطور وحتى حقائب اليد والساعات والنظارات بالنسبة لكلا الجنسين على غرار ماركات: Chanel, Louis Vitton, D-G, Gucci، وفيما يلي عرض مفصل لكل ما سلف ذكره حول أهم الماركات العالمية التي يفضلها الشباب الجامعي ويرتديها دون معرفته لاسمها الحقيقي، وهو ما لاحظته في الواقع بعد حديثي معهم، فهو تقمص وجداني دون معرفة المغزى منه.

جدول رقم (48): يوضح أهم الماركات العالمية التي يرتديها الشباب

	رجال	نساء
العطور	Lancome, Herera, Vercase	Chanel, dolice & Gabbana, Addit,
الماكياج	Max Factor	
الألبسة	Dior, Prada, Milano, Gucci, Vercase, Chanel	Gucci, Berberry, Armani, Louis Vuitton

Exotics, Zeadse, Bac Man, Jovial, Rado, Swatch, Pateck, Philippe, Calvin, Klein Piaget		الساعات
Fochya, Walter teiger, brain atwood, muimiu, Gucci	Louis Vitton	الأحذية
Lana marks,Hild paladino, Judith leiber, Chanel		حقائب اليد

المصدر : بحث وتصنيف الطالبة

عطور -نظارات-ساعات رجالية بماركات عالمية











عطور -نظارات-ساعات نسائية بماركات عالمية





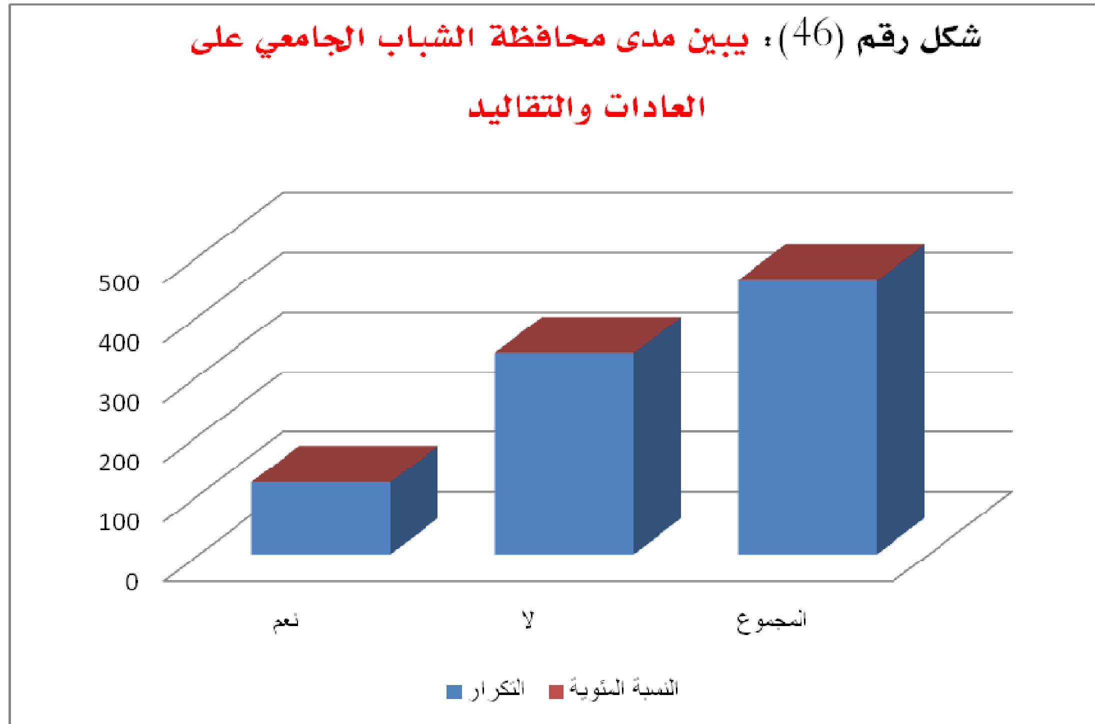





الجدول رقم (49): يبين مدى محافظة الشباب الجامعي على العادات والتقاليد

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	121	%24,4	2,09	0,67
لا	337	%73,6		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



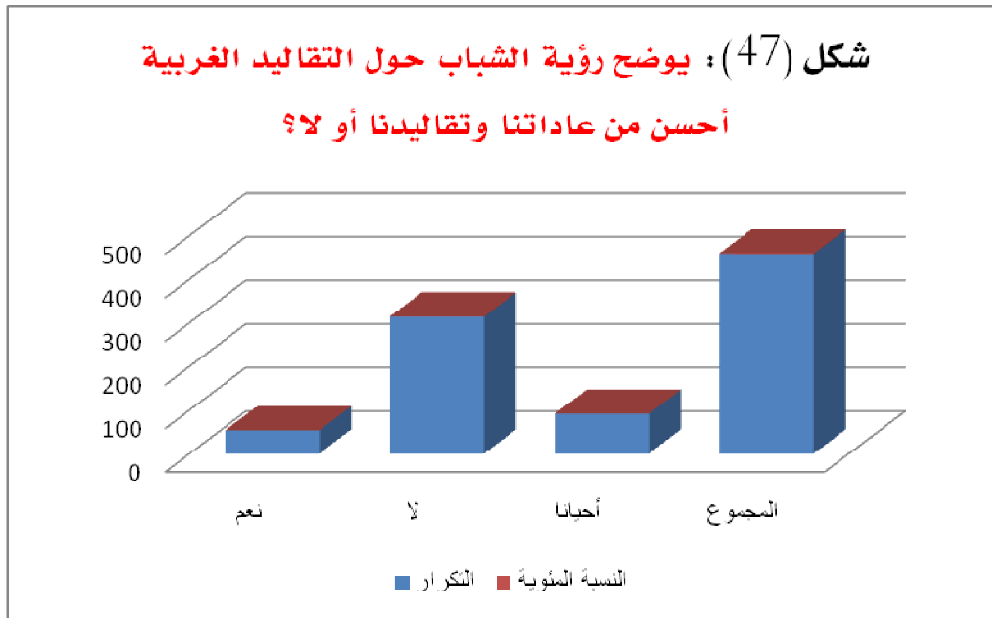
تُعد العادات والتقاليد جزء لا يتجزأ من الثقافة وأهم مكوناتها، كما أنها تعتبر ميزة تتميز بها الهوية الوطنية الجزائرية، وهي تدخل ضمن المواطنة ومستوى الحفاظ على الانتماء للمجتمع

الجزائري، لكن في خضم ما تفرزه العولمة على جميع الأصعدة حتى الجانب الاجتماعي وما يحمله من عادات وتقاليد قد طالته محاولةً التأثير عليه، وجعلها عادات تتسم بأنها عادات بالية تقليدية معتمدة على إبراز قيّم وعادات خاصة بمجتمعهم الغربي، فتجعل الشباب الجامعي يُقلد وينصهر إعلاميا في ثقافتهم الغربية، وهو ما أكدته إجابات المبحوثين في الجدول أعلاه رقم (48) بنسبة (73,6%) ؛ فالشباب الجامعي لم يعد محافظا على العادات والتقاليد المميزة لهويتنا القومية.

الجدول رقم (50): يوضح رؤية الشباب حول التقاليد الغربية أحسن من عاداتنا وتقاليدنا أو لا؟

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	53	%11,6	1,81	0,38
لا	314	%68,6		
أحيانا	91	%19,8		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل (47): يوضح رؤية الشباب حول التقاليد الغربية أحسن من عاداتنا وتقاليدنا أو لا؟

تُعتبَر العادات والتقاليد تراث لا يمكن الاستغناء عنه، كيف لا وهو الطابع المميز للهوية الوطنية، ورمز اعتزازها بالجنب الثقافي–الاجتماعي؛ بل وتشكّل رابط قوي بين أفراد المجتمع الواحد، لذا طرحت الباحثة تساؤل ضمن محور الثقافة الجماهيرية والقيّم الاجتماعية للهوية أرادت من خلاله عقد مقارنة بين العادات والتقاليد الخاصة بنا وبين العادات المغلوطة التي تُنقل إلينا من الدول الغربية، فكانت أكبر نسبة للرافضين لها بـ(68,6%)، أما المتأرجحين بين مؤيد ورافض فجاءوا بنسبة (19,9%)، ونسبة (11,6%) أي ما يعادل (53) كانوا مؤيدين لها، لذا جاء معدل الإجابة على هذا السؤال حسب المتوسط الحسابي (1,81) بانحراف معياري قدره (0,38).

إذن فعاداتنا وتقاليدنا تتميز بروح الجماعة، روح المواطنة وحب الانتماء للوطن، عادات تتسم بالتعاون والتفاعل والاتصال المجتمعي بين الأفراد؛ في حين تتسم الدول الغربية بعاداتها وتقاليدها التي تحمل الحرية الفردية، وتحمل المسؤولية تحت ما يسمى "بالدمقرطة" كلها تسعى لحرية الفرد المفرد وليس المجتمع، فلكل فرد طريقة عيش، وطريقة تفكير مختلفة عن أبناء الأسرة الواحدة، وهو ما يتجلى في رغبة الفتاة بعد سن الـ 18 سنة بالمعاشرة الجنسية بالطريقة غير الشرعية، وقبلها حب التعارف

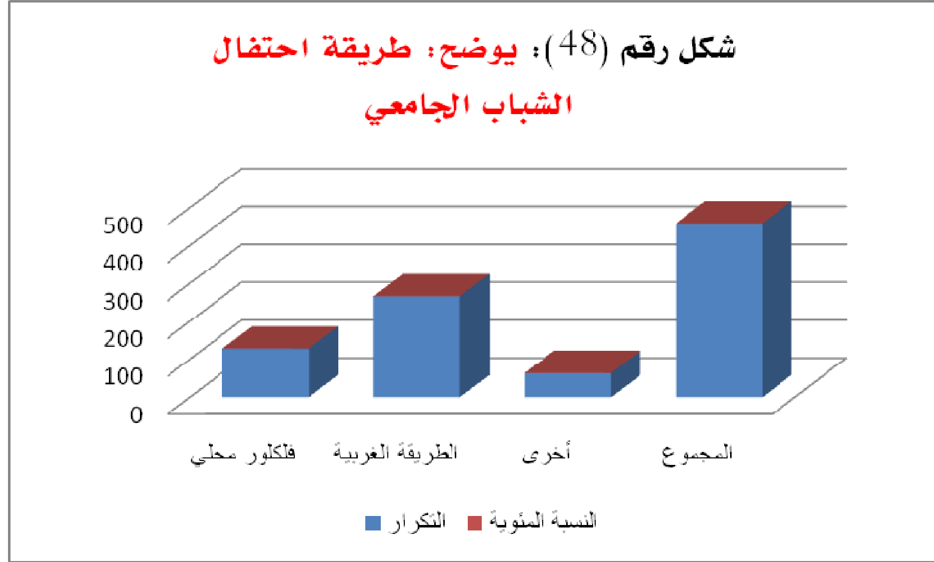
والمغامرة ابتداء من مرحلة المراهقة وسن البلوغ، وهذا ما يتنافى مع عاداتنا وتقاليدنا من جهة، وديننا الحنيف والضوابط الاجتماعية من جهة أخرى التي تقضي بنشأة الذكور والإناث في أُطُر إسلامية بحتة لا يمكن تجاوزها، حتى تحافظ على المجتمع من انتشار الأمراض الخطيرة التي تفتك بالعالم الغربي كالسيدا وغيرها من الأمراض التي تنجر على هذا الانفتاح غير المشروع الذي نهانا عليه ديننا وشريعتنا.

ولا يمكننا أن ننكر في هذا المقام ما لعادات وتقاليد الدول الغربية إيجابيات لا يمكننا أن نغض عليها الطرف؛ لكن تبقى السلبيات هي السِمة البارزة في كل هذا، هذه السلبيات التي يُفسرها شبابنا المولع بالبهرجة، ويفسرها على أنها إضافات من شأنها أن تُطبّع بها هويتنا، متناسين الاغتراب الديني، الاجتماعي والثقافي الذي يسقط في أوحاله شبابنا الجامعي ذكورا وإناثا على حد السواء.

جدول رقم (51): يوضح طريقة احتفال الشباب الجامعي

طريقة الاحتفال	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
فلكلور محلي	128	%27,9	2,17	1,68
الطريقة الغربية	266	%58,1		
أخرى	64	%14		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (48): يوضح: طريقة احتفال الشباب الجامعي

يوضح الجدول رقم (50) طريقة احتفال الشباب الجامعي، والاحتفال هنا يخص كل المناسبات الدينية والأعياد الوطنية، والمقصود بالفلكلور المحلي، وهو الطريقة المعهودة ضمن العادات والتقاليد الخاصة بالهوية الوطنية؛ بمعنى أنها تكون بطريقة محلية.

فقد عبّر (128) شاب جامعي إناثا وذكورا على أنهم يحتفلون بالطريقة المحلية الفلكلورية بنسبة (27,9%)؛ في حين عبرّت نسبة (58,1%) عن الطريقة الغربية بنسبة عالية جدا، كما توجد طرق أخرى للاحتفال جاءت بنسبة (19%).

يُعد الشباب الجزائري الجامعي فئة تعيش نوعا من الاختلاط على مستوى المفاهيم (ثقافة، هوية، عادات، تقاليد، وطن، مواطنة، انتماء) ففي الجدول السابق أقرّ الشباب الجزائري أن عاداتنا أحسن من عادات الدول الغربية ومثلتها نسبة (68,6%)، أما في هذا السؤال فالمميَز أن هناك تناقض فيما يخص رفضهم وقبولهم عاداتهم وتقاليدهم الغربية.

فكيف لشاب مسلم أو شابة مسلمة أن يحتفل بطريقة غربية؛ فنأخذ على سبيل المثال الاحتفالات التي تقام بمناسبة رأس السنة الميلادية (Révillon)، فقد أشيعت أنها عادة حميدة عند أغلب الشباب الجزائري يحتفلون بها، فإذا كان بالطريقة الغربية ذلك يعني إباحة كل

المحرمات والمحظورات في هذه الليلة، ونفس الأمر ينطبق على ما يُعرف بـ"عيد الحب" أو "عيد العشاق" "Vallentine" الذي يحتفل به كل عشيقين يعيشان علاقة غير شرعية محرمة دينيا والأمثلة كثيرة.

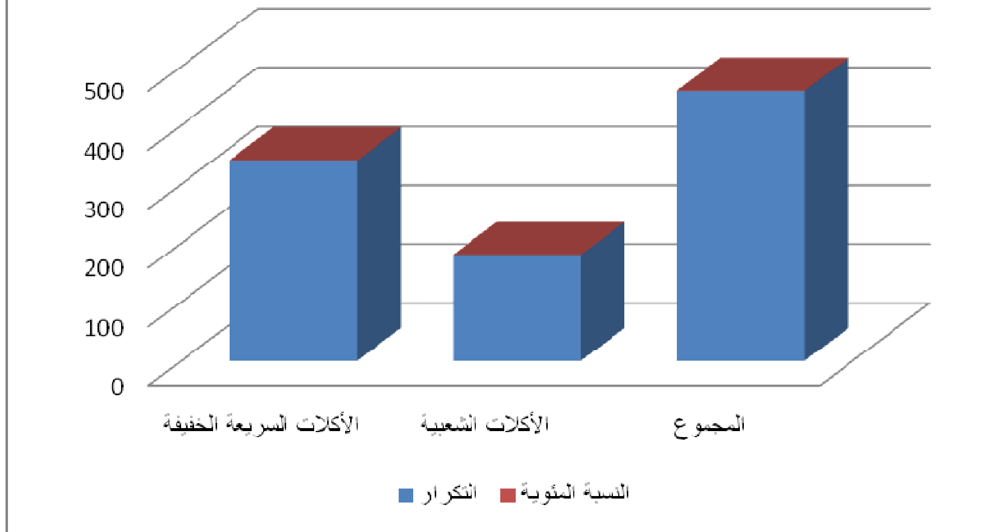
والملاحظ أن الطُرق الغربية في الاحتفال طالت حتى الخطبة والزواج الشرعيين، فتطورت الخطبة ما بين الماضي القديم الكلاسيكي بالنسبة لهم عن طريق الخطبة أو الزواج التقليدي إلى الخطبة الفايسبوكية أو عن طريق الفايبر والسكايب أو حتى مواقع الزواج الإسلامية إلى طرق غربية وأحدث.

وهنا تُطرح مجموعة من الأسئلة بالرغم من أننا ضمن الجانب التحليلي: هل باتت كل العادات والتقاليد بالية تعود للماضي؟ وهل العصرنة والتقدم التكنولوجي يُحتم على الشباب الجامعي إتباع كل الطرق والعادات الغربية حتى يصبح في مصاف الدول المتقدمة؟؟

الجدول رقم (52): يوضح الأكلات المفضلة لدى الشباب الجامعي

نوع الأكل	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الأكلات السريعة الخفيفة	340	%74,2	1,71	0,51
الأكلات الشعبية	180	%25,8		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل (49): يوضح الأكلات المفضلة لدى الشباب الجامعي:

امتدت تأثيرات وأدوار الثقافة الجماهيرية وعولمة الثقافة أو الصناعة الثقافية حتى للمأكولات التي يفضلها الشباب؛ فهي تدخل ضمن مميزات الثقافة الفرعية الخاصة بهم؛ بحيث تسعى لجعل النمط الغربي الشبابي هو الذي يطغى في المأكل والملبس والمشرب، مفرغين الهوية من أهم مميزاتها الاجتماعية الخاصة بالتراث العربي، وما يحمله في طياته من عادات وتقاليد راسخة.

أثبت الجدول أعلاه والنتائج الإحصائية أن الشباب الجامعي يُفضّل المأكولات الخفيفة والسريعة، وهو نِتاج الصناعة الاستهلاكية؛ أي بنسبة (74,2%)؛ في حين يفضل البقية من الشباب الجامعي المأكولات الشعبية بنسبة (25,8%)؛ بمعنى معدل التفضيل لهذه المأكولات الخفيفة يُقدر بالمتوسط الحسابي بـ: 1,71؛ أي بانحراف معياري قدره (0,51).

يُشبّه "أحمد مجدي الحجازي" هذا الجيل بأنه جيل البيبسي والكوكا كولا والمأكولات السريعة والخفيفة، جيل صنعته العولمة ومفرزاتها على المستوى الاستهلاكي، وهو الأمر ذاته طرحه "قزية

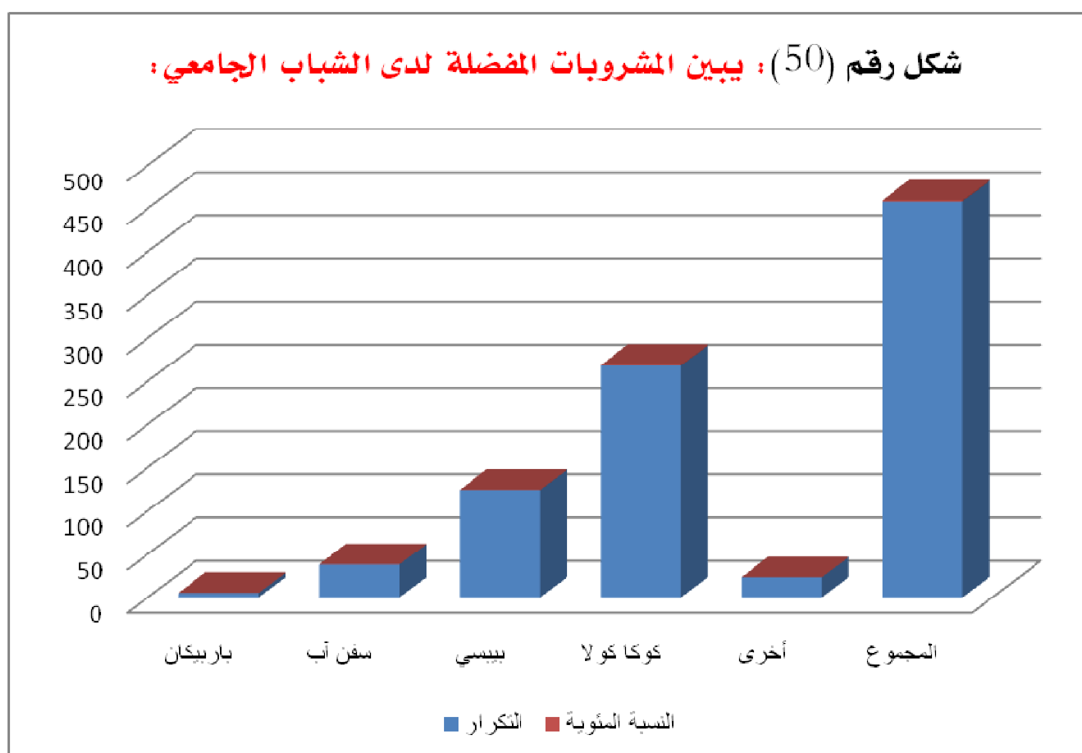
الشوفي (2005)، معتبرا أن الثقافة الجماهيرية تدفع الإنسان ليبتعد عن الحاجات الحقيقية ليتبع الأوهام والتفاهات والشكليات في المأكل والملبس والمشرب.

ومن بين المأكولات السريعة الخفيفة لدى الشباب الجامعي نذكر: البيتزا وأنواعها المختلفة، كنتاكي (الدجاج بأنواعه)، ماكدونالد، الأسماك بأنواعها، ويبقى الاختلاف في الأسماء قائما بين الشباب الجامعي.

الجدول رقم (53): يبين المشروبات المفضلة لدى الشباب الجامعي:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
باربيكان	05	%1,1	1,18	0,39
سفن آب	38	%8,3		
بيبسي	124	%27,1		
كوكا كولا	268	%58,5		
أخرى	23	%5		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (50): يبين المشروبات المفضلة لدى الشباب الجامعي:

استكمالا لطَرْحِنا للثقافة الفرعية الشبابية وتأثير الثقافة الجماهيرية عليها لتُشكل هوية شبابية متماثلة مع الثقافة الاستهلاكية عرجنا على المشروبات الشبانية والتي وجدناها في المرتبة الأولى مشروب كوكا كولا بنسبة تقدر بـ(58,5%)، ثم مشروب بيبسي بنسبة (27,1%)، وتليها "سفن آب" بنسبة (8,3%) و(باربيكان) بنسبة (1,1%)؛ في حين توجد مشروبات أخرى بنسبة (5%)، ويقدر المتوسط الحسابي لهذا السؤال بـ(1,18) بانحراف معياري قدره (0,39).

يعتبر مشروب كوكا كولا من أفضل المشروبات لدى الشباب الجامعي، فلا يمضي يوم إلا ونجد الطالب أو الطالبة قد تناول هذا المشروب رغم الأضرار الصحية المتعددة التي يسببها لجسمهم، فهي لا تحوي أي فوائد غذائية بل تزيد من الأحماض والسكر والمواد الحافظة والألوان الصناعية الضارة بالجسم، كما أن علبة الكوكا كولا تحتوي على كمية كبيرة من السكر تستطيع أن تقضي على فيتامين ب والذي يتسبب نقصه في ضعف البنية والاضطرابات العصبية وسوء الهضم والأرق وتشنج العضلات، كما أنها تحتوي على كمية كبيرة من الكافيين، وهو ما يزيد

عدد ضربات القلب ويرفع ضغط الدم ويزيد نسبة السكر في الدم ويزيد من حموضة المعدة ويزيد الهرمونات في الدم التي تجلب الالتهابات وقرحة المعدة وبذلك يرتد الطعام والأحماض من المعدة إلى المريء؛ إضافة إلى آثار وأخطار أخرى لا يتسع المقام لتعدادها. (www.elajweb.com)

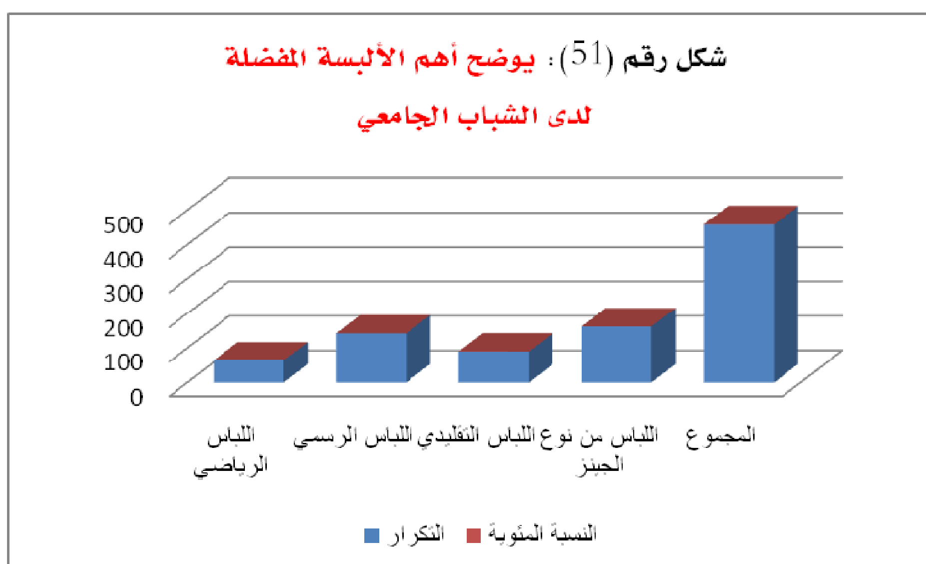
عموما فالشباب في هذه المرحلة العمرية يميلون إلى تناول المشروبات الغازية وكأنها متنفسهم المعنوي والعضوي من المكبوتات الداخلية؛ ضف إلى ذلك مشروب الـ"بيبسي"الذي يُعد المنافس الثاني لـ"كوكا كولا"، وهذا بسبب الإعلانات الشرسة لصدارة احد المشروبين، ومعهم مشروب "سفن آب"، هذا الأخير الذي يحتوي على مادة "بنزوات الصوديوم" المسرطنة والتي تؤثر على الجسم على المدى الطويل. (www.elajweb.com).

ونشير هنا إلى وجود بعض المشروبات المحلية التي تنافس هي أيضا في هذه الزحمة الشرسة علها تتبوأ مقعدا، وتكون محط اختيار الشباب الجامعي وذلك حسب ما صرح به الطلبة أثناء المقابلة، ومثال ذلك: مشروب حمود بوعلام، فرحة، توجة، نقاوس وغيرها.

جدول رقم (54): يوضح أهم الألبسة المفضلة لدى الشباب الجامعي

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
اللباس الرياضي	64	%14	3,53	0,39
اللباس الرسمي	142	%31		
اللباس التقليدي	90	%19,6		
اللباس من نوع الجينز	162	%35,4		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



يعتبر اللباس من أهم المستلزمات والضروريات الشخصية اليومية، وفي ذات الوقت تؤثر في النشاط الاجتماعي، ولذلك فهي راسخة وقوية في الحياة الاجتماعية والثقافية في أي عصر، ولكن طراز الملابس التي ترتديها والاختيارات الملبسية التي نحددها هي أولا وقبل كل شيء محددة ومقيّدة بنوع المجتمع الذي نعيش فيه. (عليه عابدين، 1996، ص 43).

فحسب المقابلة التي أجرتها الباحثة مع الشباب الجامعي حصد لباس الجينز ما نسبته (35,4%)، ثم اللباس الرسمي بنسبة (31%)، ثم يليه اللباس التقليدي بنسبة (19,6%)، أما اللباس الرياضي فقد احتل المرتبة الأخيرة بنسبة (14%)، وقدر المتوسط الحسابي بـ: (3,53) والذي يدل على تفضيل الشباب الجامعي للباس الجينز؛ أي بانحراف معياري قدره (0,39).

والجينز لا يقتصر على الشباب الذكور فحسب؛ بل امتد ليشمل الطالبات الجامعيات وهذا ما حمله الواقع في أسوار الحرم الجامعي بجامعة محمد خيضر بسكرة.

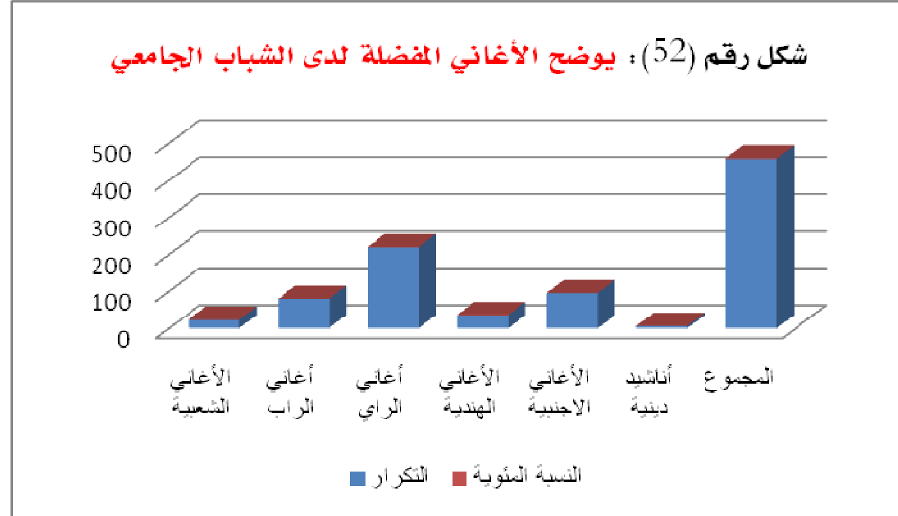
فهو يُعد من الألبسة السهلة التي تتماشى وكل الأوقات، وحتى الموضة المتجددة، ويبقى اللباس الرسمي يقتصر على الأفراد العاملين في الإدارات، في حين انحصر اللباس التقليدي في شهر رمضان الفضيل والأعياد والمناسبات الدينية؛ إضافة للأعراس وذلك بنسبة (19,6%).

أما اللباس الرياضي فهو لباس مميز يحمل أسماء وأرقام لاعبين مشهورين، انحصرت نسبته في (14%)، وقد لفتت انتباهي إجابة أحد الطلبة بقوله "أنه يلبسه يوم تكون هناك مباراة خاصة بالمنتخب الوطني أو يكون أحد أطراف هذه المباريات داخل النوادي أو الأحياء الشعبية والمراكز الرياضية، فهو لباس يتماشى والجانب الترفيهي والرياضي، لا الجانب الدراسي.

جدول رقم (55): يوضح الأغاني المفضلة لدى الشباب الجامعي:

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الأغاني الشعبية	23	%05,1	3,53	0,39
أغاني الراب	79	%17,2		
أغاني الراي	219	%47,8		
الأغاني الهندية	36	%7,9		
الأغاني الاجنبية	95	%20,7		
أناشيد دينية	06	%1,3		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (52): يوضح الأغاني المفضلة لدى الشباب الجامعي

تعتبر أغاني الراي حسب الشباب الجامعي أغاني شاعرية تلامس الأحاسيس وتفجر ما في داخلهم من مشاعر، فهي تعزف على أوتار القلب حسب تصريح بعض الطلبة المبحوثين، إذ أشاروا إلى أنها تعبّر عن حاجاتهم العاطفية، وتطرح مشاكلهم وقصص الحب الخاصة بهم، وقد مثلت أغاني الراي أكبر نسبة وقُدرت بـ (47,8%)، ثم تليها الأغاني الأجنبية بنسبة (20,7%)، ثم أغاني الراب بـ (17,2%)؛ في حين حصدت الأغاني الشعبية نسبة (5,1%)، والأغاني الهندية (7,9%) أما الأناشيد الدينية فاحتلت المرتبة الأخيرة بما نسبته (1,3%)، ويُقدر المتوسط الحسابي بـ(2,59) والانحراف المعياري بـ (1,04) أكثر تحديدا للأغاني المفضلة لدى الشباب الجامعي وهي أغاني الراي.

ففترة الشباب هي فترة انتقالية حساسة على كل المستويات النفسية- الاجتماعية الخاصة بهم، فهي تعالج الهجرة غير الشرعية (الحراقة)، الفقر، مختلف مواضيع الحب والغرام وما ينجر عنهما من قصص خيالية بعيدة عن الواقع.

وما استوقف الباحثة خلال المقابلة الحرة مع الطلبة اجتماع أغلب الطلبة في رأي واحد هو ولعهم وحبهم لأغاني "الشاب حسني" رحمه الله، الذي بقيت أغانيه خالدة على مر الزمن رغم

الزخم الكبير من الفنانين الذين لم يستطيعوا منافسته حتى بعد مرور سنوات من وفاته، ونشير هنا إلى الهوس الكبير للشباب بهذه الأغاني إلى درجة تحميلهم لكل الرنات عبر هواتفهم الذكية.

لكن ما أريد أن أنوه له هو عقد مقارنة بين أغاني المرحوم "الشاب حسني" التي كانت في وقت ما لها مدلولات رومانسية مربوطة بقصص حب واقعية أو خيالية على حد سواء، على الأقل هذا النوع من الأغاني كان فيما مضى يحمل قيّم ومعاني، وأفكار تلامس مشاكل ومشاعر الشباب، وما تفسير ما وصلت إليه الأغنية الجزائرية من مستوى هابط ورديء جراء ما يُطلق عليه أغنية "الواي واي" وما أحدثته من تأثير في عقول الشباب من تأثيرات سلبية؛ إضافة إلى مثيلاتها من الأغاني لفنانين وفنانات تشجع على القتل والانتحار وتناول المخدرات والخمور وغيرها من الآفات، وهي كلها أغاني لا تحمل قيمة ولا مضمون ولا تمُت للقيم والأخلاق بأية صلة؛ الأمر الذي يجعل الشباب الجزائري شباب مجوَّف خالٍ من أدنى قيّم أخلاقية، فكيف ومتى سيَعي هذا الشباب قيمة الثقافة والهوية، وكل الآمال معلقة عليه على اعتبار أنه حامل مشعل الغد !!

كما توسعّت دائرة اهتمامات الشباب على مستوى الأغاني المفضلة رغم ما يواجههم من صعوبة على مستوى اللغات، وهذا ما أثبتته الدراسة الحالية؛ إلا أنهم يستمعون إلى الأغاني الأجنبية حتى وإن كان الاستماع للموسيقى دون استيعاب المعنى، حتى أن بعض الطلبة عدّد لي جملة من الفنانين الأجانب على غرار: سيلين ديون، جستن بيبر، أدال، أكون، ماريا كاري، سلينا غوماز، جنيفر لوباز، شاكيرا...

وقد تنوعت دائرة الأغاني المفضلة لدى الشباب الجامعي لتصل لأغاني "الراب" أو أغاني "الشارع الجزائري" أو "ثورة الشباب الجزائري" على حد قول "عبد السلام فيلالي" في مقاله المعنون بـ: "بحث في أزمة الهوية لدى الشباب الجزائري من خلال أغاني الراب"، فهو احتجاج الشعب

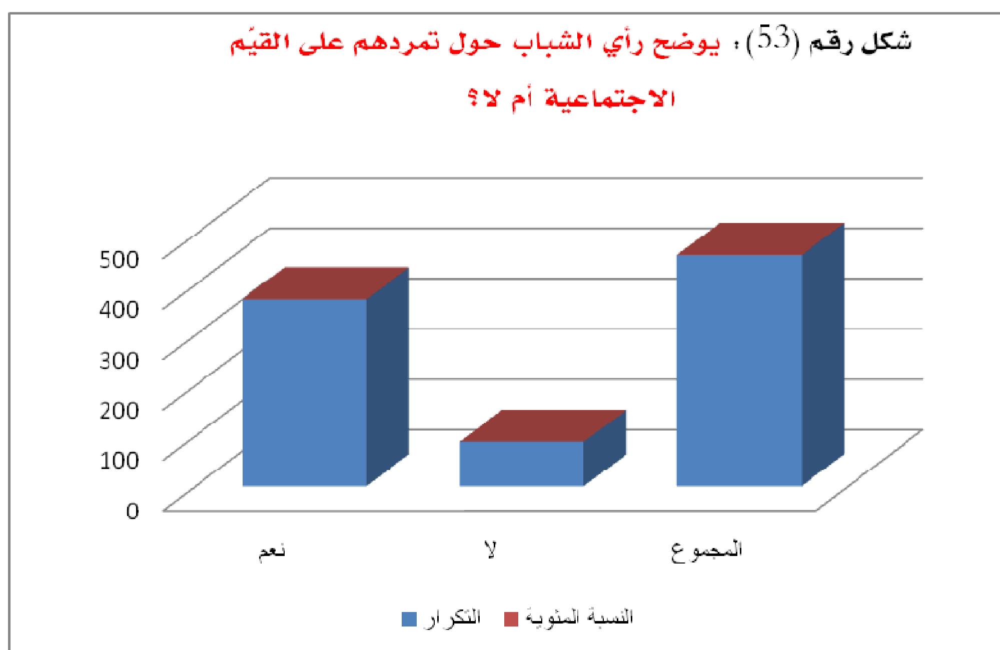
الجزائري وخاصة الفئة الشبانية على الواقع المعاش بكل ما يحمله من مشاكل، فهذا النوع من الأغاني هو حصيلة مؤشرات ظاهرة العولمة على الشعوب العربية خاصة، والشباب الجزائري في هذه المرحلة العمرية يحاول أن يثبت ذاته وهويته الفردية معبّرا بالطريقة التحريرية التي تدعو إليها العولمة والصناعة الثقافية على حساب الهوية الوطنية من خلال غرس قيّم دخيلة على مجتمعنا تجعله يرفض الواقع الاجتماعي كاعتبار الأسرة هي تسلُّط وسيطرة وضرورة الحرية الفردية.

أما الأغاني الهندية والأغاني الشعبية والأناشيد الدينية فكانت أغاني لا تستهوي الشباب الجامعي بقدر كبير لأنهم يعتبرون الأغاني الهندية خيال في خيال وهي لا أساس لها من الصحة، والأناشيد الدينية حسبهم تكبُت أنفاسهم وتقيّدهم في وقت الحرية التي يزعمونها.

الجدول رقم (56): يوضح رأي الشباب حول تمردهم على القيّم الاجتماعية أم لا؟

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	370	%80,8	3,09	1,06
لا	88	%19,2		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (53): يوضح رأي الشباب حول تمردهم على القيَم الاجتماعية أم لا؟

ما يبيّنه الجدول أعلاه رقم (56) هو رؤية الشباب الجامعي لتمرد الشباب بصفة عامة على القيم الاجتماعية المكونة للهوية بشقيها الفردي والجماعي، فأجاب معظم الشباب الجامعي (إناثا/ذكورا) بأنهم متمردين بنسبة (80,8%)؛ في حين أجاب (88) مبحوث بنسبة (19,2%) على أنهم ليسوا متمردين، وأثبت المعدل الحسابي المقدر(3,09) تمرد الشباب على الجانب الاجتماعي للهوية بانحراف معياري قدره (1,06).

والتمرد هنا يُقصد به كسر كل الضوابط المجتمعية وانصهار الهوية ضمن ثقافات وهويات غريبة تُخلّف حالة من الاغتراب على مستويات عِدة.

وهذا ما أشارت إليه الباحثة من خلال دراسة (أسماء بن تركي) ضمن الجانب النظري لهذا البحث بإبرازها لأهم انعكاسات هذا الاستلاب والاغتراب الثقافي –الاجتماعي من بينها:

1. الزحف الكبير للثقافة الاستهلاكية والمادية ومنطق الربح السريع.

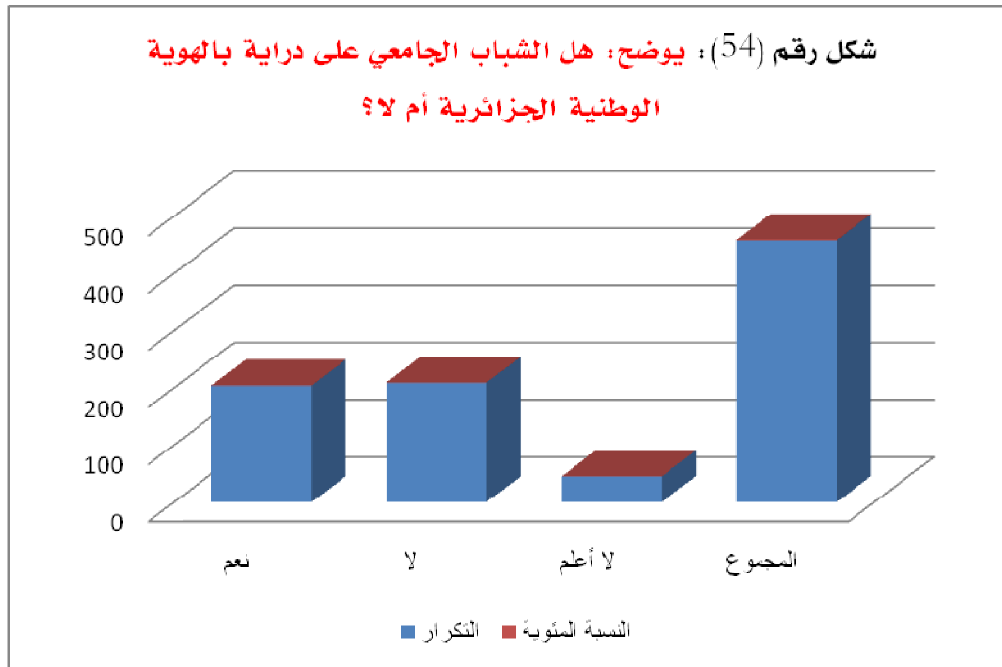
2. تزايد الإحساس بغربة الذات الفردية وتمزقها بسبب التحولات الكثيرة التي شهدتها المدينة الغربية وما حملته من عزلة للذات.

3. تراجع الدين ونقد البيولوجيا وما حملته من اهتمام بجسم الإنسان إلى انتقال التقديس إلى مجال الجسد فحل الجنس محل الدين. (**أسماء بن تركي، 2011، ص 635**).

الجدول رقم (57): يوضح هل الشباب الجامعي على دراية بالهوية الوطنية الجزائرية أم لا؟

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	204	%44,5	1,12	0,32
لا	209	%45,6		
لا أعلم	45	%9,9		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



شكل رقم (54): يوضح: هل الشباب الجامعي على دراية بالهوية الوطنية الجزائرية أم لا؟

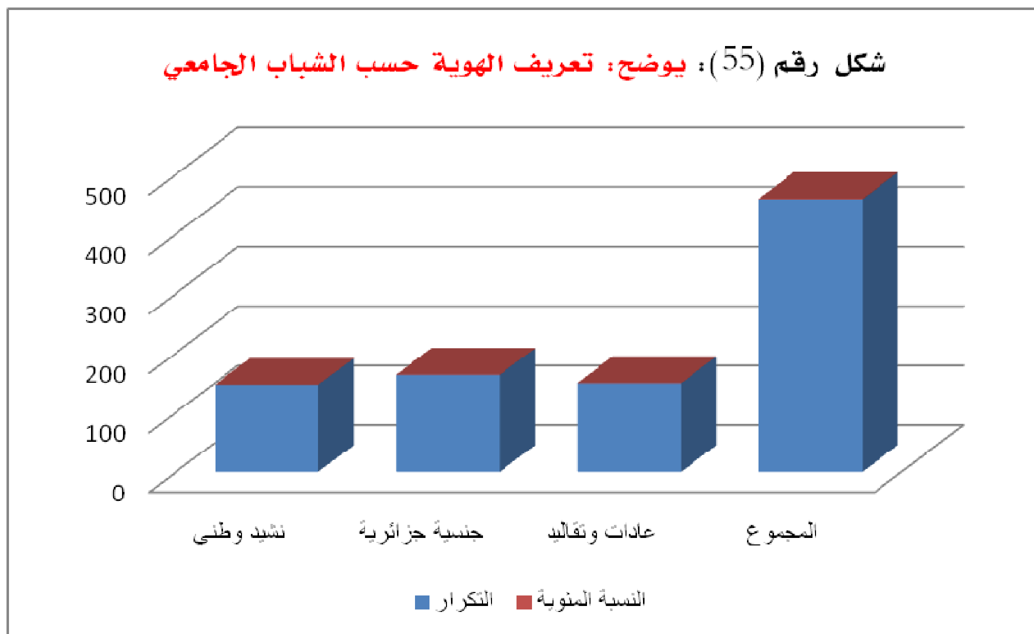
أجاب معظم المبحوثين بأن الشباب الجامعي ليس على دراية بالهوية الوطنية الجزائرية بنسبة (45,6%)؛ في حين أجاب (204) مبحوث بنسبة (44,5 %) على أنهم يعون ما المقصود بالهوية الوطنية، أما (45) شاب جامعي بما نسبته (9,9%) فإنهم لا يعلمون هل هم على دراية أم لا؛ أي بمتوسط حسابي قدره (1,12) بانحراف معياري قدره (0,32)؛ بمعنى متوسط الإجابات بأن الشباب غير واعوون بما تحمله كلمة الهوية من معاني على المستويين الفردي والجماعي سواء كانت وطنية خاصة بالأمة الجزائرية ككل أو خاصة بثقافتهم الفرعية.

وما تم الحصول عليه من الأسئلة والنتائج السابقة تثبت بأن الشباب الجامعي يفتقر للجانب التاريخ، قيّم وطنية، القيّم الاجتماعية المكونة للهوية الجزائرية، فهي في معركة حاسمة ضد انصهارها وتسليبها من طرف الثقافة الجماهيرية والعولمة وصناعتها.

الجدول رقم (58): يوضح تعريف الهوية حسب الشباب الجامعي

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نشيد وطني	146	%31,8	1,50	0,50
جنسية جزائرية	163	%35,6		
عادات وتقاليد	149	%32,6		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



تُعد الهوية مزيج بين الرموز الوطنية كالنشيد الوطني وأعلام الثورة الجزائرية وشخصياتها، وما تحمله الجنسية الجزائرية من قيّم المواطنة والانتماء للوطن، ولا ننسى وعاء القيّم والعادات والتقاليد

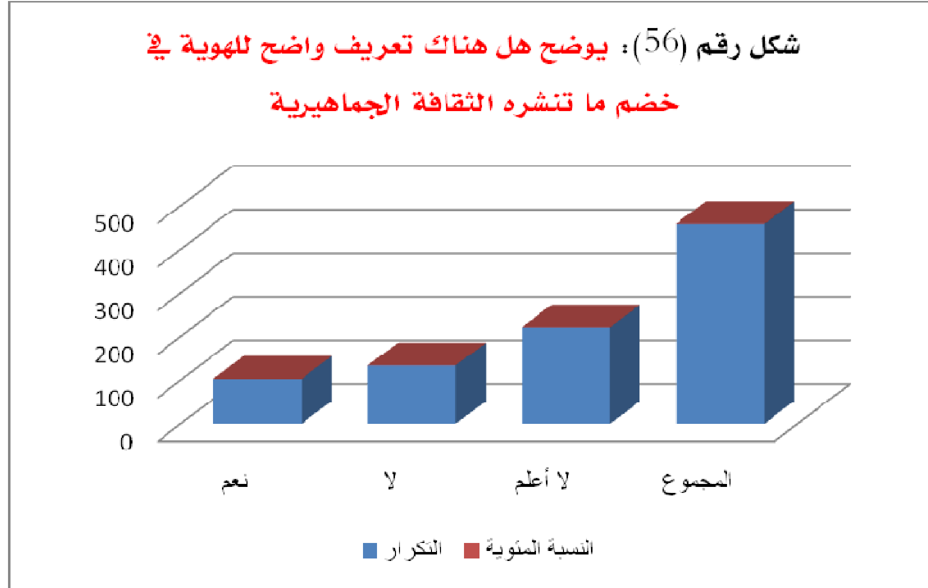
التي تعتبر ميراث وتراث المجتمع الجزائري، فأرادت الباحثة أن تستنتج رؤية الشباب لمفهوم الهوية، فكانت جُل الإجابات متقاربة بنسب طفيفة، فأجاب الشباب الجامعي على أن الجنسية الوطنية في المرتبة الأولى بنسبة (35,6%)، ثم في المرتبة الثانية العادات والتقاليد بنسبة (32,6%)، وفي المرتبة الأخيرة والثالثة بنسبة (31,8%)، وهذا ما أثبته المتوسط الحسابي المقدر بـ(1,5)، وبانحراف معياري قُدر بـ (0,50).

فهذا الترتيب لا يعني عدم فهمه للهوية مع أنه يحتاج لإعادة بناء وهيكلة ترتيب المفاهيم وأدوارها وقيمتها داخل الأمة الجزائرية، بصفة عامة، والمجتمع بصفة خاصة، لكي يفهم بأنها مزيج بين القيّم الوطنية ورموزها التاريخية، وأنها ولاء وانتماء عن طريق المواطنة، وأنها عادات وتقاليد تدل على الدولة القومية باختصار فهي هوية جزائرية واحدة.

الجدول رقم (59): يوضح هل هناك تعريف واضح للهوية في خضم ما تنشره الثقافة الجماهيرية

الاحتمالات	التكرار	النسبة المئوية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
نعم	103	%22,4	2,10	0,77
لا	134	%29,3		
لا أعلم	221	%48,3		
المجموع	458	%100		

المصدر: إعداد الطالبة بناءا من مخرجات نظام SPSS



ما نستنتجه من الجدول أعلاه أن معظم الشباب الجامعي لا يعلم بوجود تعريف واضح للهوية خاصة في ظل مخلفات الثقافة الاستهلاكية، وهذا ما أثبتته نسبة (48,3%)؛ في حين أجاب (134) مبحوث على أنه لم يعد هناك تعريف للهوية وذلك بنسبة (29,3%)، أما الذين أجابوا بـ:نعم، فقد أوضحوا بأنه يوجد تعريف لها وذلك بنسبة (22,4%)، وبصفة إجمالية مَثل متوسط الإجابات بالنسبة لهذا السؤال قيمة (2,10) بانحراف معياري قدره بـ: (0,77).

فالشباب لا يعي ما المقصود بالهوية في خضم ما تنشره الثقافة الجماهيرية لأنهم أصلا ليسوا على دراية بما أفرزته الثقافة وتداعيات العولمة عليها.

فإذا كانت ثقافتهم استهلاكية مادية بالدرجة الأولى تعمل على الفردانية وحب النمطية والنفعية، غرست فيهم الأنانية والتقليد، فكيف يعلموا بأن الهوية هي العكس من ذلك تماما، هي روح الفرد بروح الجماعة، التفاعل والتواصل الاجتماعي بديمومة واستمرارية العلاقات الاجتماعية، بإدراك أهمية الوازع الديني للهوية، الوازع الاجتماعي الثقافي وعلاقة الهوية والانتماء بالمواطنة والقومية؛ مما سبق لما تكتمل المفاهيم وأهميتها داخل السياق والإطار المجتمعي تصبح الهوية وطنية بالشكل الصحيح.

مراجع الفصل السابع

أولا/ المراجع باللغة العربية:

الكتب:

1. فوزية دياب (1980): **القيم والعادات الاجتماعية**، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

ثانيا/ المواقع الالكترونية:

2. مهران ماهر عثمان: نقلا عن: http//saaid. Net، تاريخ الزيارة: 2016/03/12، الساعة: 10:30.
3. الهاشمي جبار، نقلا عن: www.al–fadjer.com، تاريخ الزيارة: 2016/09/12، الساعة: 10:00.
4. نقلا عن: www.Al–fadjer.com، تاريخ الزيارة: 2016/03/10، الساعة: 20:30.
5. نقلا عن: http://www.alukah.net، تاريخ الزيارة: 2015/12/20، الساعة: 21:15.
6. نقلا عن: http://www.djelfa.info، تاريخ الزيارة: 2016/09/13، الساعة:07:15.
7. نقلا عن: www.nabulsi.com، تاريخ الزيارة: 2016/12/23، الساعة: 10:45.
8. نقلا عن: www.elajweb.com، تاريخ الزيارة: 2016/01/10، الساعة: 21:20.

الفصل الثامن:

نتائج الدراسة

أولا/ نتائج خصائص العينة

ثانيا/ نتائج التساؤل الأول

ثالثا/ نتائج التساؤل الثاني

رابعا/ نتائج التساؤل الثالث

أولا/ نتائج خصائص العينة:

يُعد الشباب الجامعي –ماستر– هم العينة المختارة التي أُنجز عليها العمل البحثي، هذا لتميزهم بثقافة فرعية تشبعت من الوسط والبيئة الجامعية من جهة، وتأثيرات وسائل الإعلام الجماهيري من جهة أخرى، والكليات المعنية بالدراسة حسب مراحل اختيار العينة هي كالآتي: كلية العلوم والتكنولوجيا، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، كلية الآداب واللغات.

أوضحت الدراسة مدى تمثيلها للفتيات/الإناث بـ (82,1%)، الذكور ب(17,9%)؛ أي بمعنى وجود نسبة الشابات الجامعيات على غرار تواجد الذكور أو الشباب الجامعي؛ فالفتيات أصبحن يفضلن الدراسة عكس الشباب يفضلون التوجه للعمل ومجالاته المختلفة.

باعتبار أن العينة من طلبة الماستر تراوح سنهم ما بين (22–24) سنة، بنسبة (76%) وهي مرحلة الشباب تتسم بالحيوية والنشاط والميل إلى التغيرات الاجتماعية والثقافية، ولديهم تطلعات مستقبلية لبناء مستقبل يختلف عن المرحلة التي يعايشونها، وهذا أحد تأثيرات وسائل الإعلام الجماهيرية يجعل الشباب يعيشون شعور وإحساس بالتغيير خاصة في ضوء ما تفرزه هذه الوسائل من أحزمة ثقافية متنوعة، فتم استغلال هذه المرحلة وفئتها لأنها أساس التغيير في الحاضر ومستقبل الدولة الجزائرية.

بينت نسبة (69,9%) مكان إقامة الشباب الجامعي طلبة الماستر بالمدينة، وهذا ما أوضحته المقابلة مع بعض الطلبة أن أغلبية زملائهم يقطنون بالريف، ولصعوبة التنقل، وعدم توفر الإمكانيات المادية وطغيان بعض الأفكار الخاصة بسكان المناطق الريفية وبالأخص بالنسبة للفتيات أنه من الأفضل زواج الطالبة على إتمامها الدراسة، عكس سكان المدينة الذين

يتميزون بالانفتاح الإعلامي–الثقافي–الاجتماعي، وبروز تطلعات لدى فئة الفتيات، خاصة بحب الدراسة والعمل، وهذا ما أوضحته المقابلة والحوارات التي أنجزت مع بعض الطالبات، اتضح للباحثة جموح الفتيات المقيمات بالمدينة على فتيات القرى والأماكن المجاورة، لذا جاءت نتيجة سكان المدينة وإقامة الطلبة فيها أكثر من الذين يسكنون بالريف، وهذا ما دلت عليه نتائج طبيعة الإقامة الخاصة بالشباب الجامعي بنسبة (67,7%) للمقيمين إقامة خارجية؛ أي بنظام خارجي، وما تستهدفه ضد هذه الشريحة المجتمعية.

نستنتج من الجدول (08) أن الوسيلة المعتمدة لدى الشباب الجامعي هي الانترنيت بنسبة (60,3%)، والتلفزيون بنسبة (28,3%) وهما الوسيلتان الأساسيتان لانتشار الثقافة الجماهيرية بضرب الهوية والعمل على انصهارها في ضوء ما تقدمه من مواد إعلامية جماهيرية؛ فالمسلسلات، الأغاني، الاشهارات، الاعلانات، هي ما يعمل التلفزيون على إفرازه؛ ضف إلى ذلك مواقع التواصل الاجتماعي وشبكة الانترنيت مستخدمة هذه المواقع الالكترونية والتفاعل معها من باب التعارف على أفراد جدد، مجتمعات جديدة، ومن ثمة بناء ثقافات جديدة على أنقاض الثقافة الأم واعتبارها كلاسيكية تحتاج للتحديث، وبالتالي كسر كل المقومات الهوياتية للمجتمع، في ظل تداخل عناصر الثقافة ومكونات الهوية معا.

ثانيا/ نتائج التساؤل الأول:

كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على العناصر الدينية المكونة لهوية الشباب الجامعي؟

الثقافة الجماهيرية هي مجموعة أحزمة ثقافية إعلامية تعمل على جميع الأصعدة الموجهة للشباب، وما هدفت إليه هذه الدراسة السوسيو اتصالية هو معرفة كيف تعمل الثقافة الجماهيرية الاستهلاكية، ارتأت الباحثة تغطية كل الجوانب والعناصر التي تدخل ضمن التكوين الهوياتي ومحاولة تأثير الثقافة الجماهيرية عليه؛ أي أهم الممارسات التي تستخدمها الثقافة الاستهلاكية لتغيير، إذابة، انصهار، استيلاب هوية الشباب ومن ثمة هوية أمة برمتها.

أولى التساؤلات وثاني محاور الاستبيان هي الثقافة الجماهيرية والعناصر الدينية المكونة لهوية الشباب الجامعي فحاولت الباحثة الإلمام بأهم العناصر الدينية المميزة للثقافة الإسلامية والجانب الديني للهوية، بداية بطريقة إفشاء السلام وفق تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، فمثلت نسبة (84,5%) للذين يلقونه بالطريقة الصحيحة التي تُنم على أن هذا الشاب المسلم له هوية إسلامية عربية، مع أنه –إفشاء السلام– هو البوابة الكبرى لأي اتصال اجتماعي–ثقافي–اقتصادي، بين أفراد المجتمع الواحد الذين يحملون نفس الخصوصيات المجتمعية، ثم طرح مثل هذه الأسئلة إلا لمعرفة مدى تأثير الثقافة الاستهلاكية المادية على أهم الرموز والقيم على مستوى القول والفعل معا الخاص بالشباب، هذه الفئة هم في مرحلة استقبال أكثر من العطاء، مرحلة انتقالية تسمح بنجاحهم المستقبلي وفق ميكانيزمات صحيحة.

ثاني نتيجة تم استخلاصها في **الجدول رقم (10)** مدى التزام الشباب الجامعي بركيزة الدين والهوية الجزائرية ألا وهي الصلاة بنسبة (80,8%)، فالنتيجة الأولى وهذه النتيجة تدل على حفاظ الشباب على أهم عناصر الهوية، بدايتها إفشاء السلام وتأدية الصلاة؛ خاصة مع

إفرازات التغيرات المتسارعة التي تحدثها وسائل الإعلام ومعدلات تراجع الدين الإسلامي في بعض المناطق من الوطن والجامعات الجزائرية، تعتبر هذه النتائج المتحصل عليها هي نفسها التي رصدتها الباحثة "سليمة فيلالي" في دراستها التي سبق تفصيلها والمعنونة بـ"بنية الهوية الوطنية".

في السياق ذاته نسجل نسبة (30,3%) ترجع لعدم ملائمة أوقات الصلاة مع أوقات الدراسة، فالدين الإسلامي هو البصمة المميزة لكل من الهوية والثقافة والحضارة العربية الإسلامية وأهمها الصلاة.

وبالموازاة مع ذلك واستكمالا لباقي النتائج والعناصر الدينية المكونة للهوية، وكيف تعمل الثقافة الجماهيرية على المساس بها، تحصلت الباحثة على معدل قراءة القرآن من طرف الطلبة ومدى المواظبة عليه بنسبة (72,9%)، والتي مثلت احتمال أحيانا، وهذا إن دل فإنما يدل على إهمالهم لأهم مكون للدين، الذي يعد بدوره هذا الأخير المكون المهم بالنسبة للهوية، فهو يهدي للتي هي أقوم وأرشد فإذا ابتدعوا على هذا المقوم الفعال أمر طبيعي تكون النتائج الآتية بذلك الشكل.

تُعد الصلاة عماد الدين الإسلامي، لكن الشباب الجامعي في معظمه غير مواظبين على تأديتها بسبب تعارضها مع أوقات الدراسة والعمل أحيانا بنسبة (48,5%) فمعظم الطلبة يكونون إما في الأعمال الموجهة أو المحاضرات أثناء الآذان وتأدية الصلاة في وقتها، وتُعد هذه النتائج مختلفة مع النتائج التي قدمتها الباحثة "سليمة فيلالي" في الأطروحة المنجزة خلال العام الدراسية (2014/2013) حول بنية الهوية الجزائرية في ظل العولمة، ويُعد هذا الاختلاف بمثابة معلومات حديثة، ويرجع ذلك للإطار الجغرافي للجامعة وتعداد الطلبة الوافدين على الجامعة،

ومن ثمة التخصصات الموجودة؛ إضافة إلى ذلك هو الاختلاف الكبير في الناحية البيداغوجية بين الجامعيين في وضع البرامج الدراسية السنوية.

وفي السياق نفسه، وهو توضيح كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على الهوية من ناحية العناصر الدينية المكونة للهوية ضمن هذا المحور، أما القرآن والذي يُعد أحد ركائز ديننا الحنيف وأقوى مكوناته، فتحصلت الباحثة على أن ما يعادل (72,9%) من الشباب الجامعيين غير المواظبين على قراءة كتابه العزيز، وهو مؤشر خطير على ولوج تأثيرات الثقافة الجماهيرية على الميكانيزم الأساسي للهوية وهو الجانب الديني، فهو أساس القيّم الدينية ومكون الأخلاق الاجتماعية وبضوابطها؛ وبالتالي العنصر الديني مغيَّب ضمن هويتهم، وما يمكنني التنويه به هنا أن إهمالهم لأهم مكون للدين الذي يُعد بدوره المكون المهم والبارز بالنسبة للهوية، فهو يهدي للتي هي أقوم وأرشد.

وهذا عكس ما توصلت إليه الباحثة "سليمة فيلالي" أن الشباب الجامعي مواظب على قراءة القرآن بنسبة (49,32%)، وأن عنصر الهوية الدينية حاضر لديهم، وهذا الاختلاف راجع لارتفاع معدل تأثير الثقافة الاستهلاكية في الفترة الممتدة من العام الجامعي (2014/2013) إلى (2017/2016)؛ فخلال هذه السنوات تشكّلت الأرضية الخصبة لإحداث التكنولوجيا وأثرها الذي يبدو من خلال التغيرات التي مست الدين الإسلامي وجعلت الشباب الجامعي ينصهر ويذوب بحجة الانفتاح الثقافي على المجتمعات الغربية الأخرى.

ما أفضى إليه الجدول رقم **(13)** الذي يمثل مدى اهتمام الطلبة أو الشباب الجامعي بصلة الرحم والتواصل مع الأقارب، فكانت إجاباتهم ترجح البديل "أحيانا" بنسبة (55,4%)، فصلة الرحم صور من بين صور التفاعل والتواصل الاجتماعي تحمل في طياتها أشكال الهوية الجماعية الاجتماعية فيما بين الأفراد، فإذا كانت هذه النتيجة تدل مستقبلا على تراجع أهم رابط

اجتماعي–ديني بين الجماعات المشكّلة للمجتمع الجزائري من طرف طلبة جامعيين نتيجة لسيطرة التكنولوجيا الحديثة على عقولهم ويجعلهم يعيشون حالة من الانعزالية حتى على مستوى الأسرة متأثرين بفكرة "مارشال ماكلوهان" جعل العالم قرية كونية واحدة نتج عنها خلق عوالم داخل الأسرة الواحدة.

تأسيسا على الجدول 14 مثلت نسبة (36%) الممثلة لمشاهدة ومتابعة القنوات الفضائية وما تقدمه من برامج فضائية مختلفة، وكذا نسبة الذين يميلون للانترنيت، فتفضيلهم لهاتين الوسيلتين دليل على الهروب من الواقع ومعايشتهم لحالات نفسية على المستوى العاطفي؛ بمعنى أن مرحلة الشباب مرحلة جد انتقالية مليئة بالتغيرات والمشاكل والأزمات على رأسها فهم الذات وتقبلها، وهذا ما توافق مع دراسة "خديجة بن فليس" حول أساليب تعامل المراهقين مع التدفق الإعلامي وأثره على تشكُل الهوية لديهم.

ما استنتجتاه من **الجدول رقم (15)** المبين لترتيب القنوات الفضائية الدينية المفضلة لدى الشباب الجامعي، احتلت المرتبة الأولى قناة "اقرأ" بنسبة (45%)، مع أنها نتيجة متقاربة مع إجاباتهم "لا أشاهد القنوات الدينية" بنسبة (21%)، رغم ذلك أن لدى الشباب الجامعي –بالرغم مما يعيشه– من أزمات على مستوى التاريخ واللغة والجانب الاجتماعي الثقافي؛ إلا أن له قنوات دينية تقدم له خلفية دينية.

بناءًا على **الجدول رقم (16)** تُعد مرحلة الشباب مرحلة انتقالية يعيشها الشباب الجامعي، تحمل في ثناياها تغيرات على مستويات عدة؛ فهي مرحلة بناء قرارات مصيرية، وهذا ما جسدته نسبة (60%)، فهم في مرحلة نمو ووعي تام بما يعيشونه حاليا، وما هم بصدد التخطيط له.

أوضح الجدول رقم (17) الذي مثل مدى تمرد الشباب الجامعي على القيّم الدينية المكونة لعناصر الهوية بيّن (197) طالب بنسبة (43%) كإجابات على أن معظم الشباب متمردين

على القيّم الدينية، فكيف لشباب لا يقرأ القرآن ولا يواظب على الصلاة أن تتوفر لديه هوية وعناصر دينية، يعاني شبابنا من أزمة على مستوى عدم وعيهم بالدين الإسلامي وأهميته، وهذا ما أثبتته نسبة (41,5%) كإجابات على أنهم ليسوا على دراية إن كان الشباب –بشكل عام– يعاني من فقدان الوعي الديني أم فيه تقارب بين النتيجتين، وهو دليل على استلاب الثقافة الجماهيرية والمقومات الدينية للهوية.

ما استنتجناه من **الجدول (18)** الذي بيّن أهم القيم الدينية الواجب توفرها لدى الشباب الجامعي لتخلق منه مجتمع قوي وصلب في وجه الثقافات الوافدة التي تؤثر على هويتنا الوطنية، بينت نسبة (50,2%) أن الاهتمام بالدين هو أهم عامل ومقوِم بالنسبة للهوية، وضرورة المحافظة والعمل به، فهم شباب على درجة عالية بقيمة و أهمية الوازع الديني ومظاهره بالنسبة للهوية والثقافة على حد سواء، لكن هل يتم العمل به فعلا في الحياة اليومية وأهم ممارساتها؟

تعتبر النتائج سالفة الذكر قد حققت الهدف الأول من الدراسة بحيث أنها كشفت عن طبيعة الأدوار والسُبل المنتهجة من طرف الثقافة الجماهيرية بالنسبة لأهم شرائح المجتمع وعماد هذه الأمة وقوتها على مستوى العناصر الدينية المكونة للهوية .

ثالثا/ نتائج التساؤل الثاني:

كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على اللغة والعناصر الوطنية المكونة لهوية الشباب الجامعي؟

ما أفضى إليه **الجدول رقم (19) أن** اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم ووعاء الثقافة العربية ومنبت هويتها، فمثلت نسبة (90,2%) للغة التي يجيدها الشباب الجامعي وهي اللغة العربية، فتفضيل الشباب لهذه اللغة يعتبر مؤشرا إيجابيا على محافظتهم على أحد المكونات والمقومات الأساسية للهوية الوطنية الجزائرية، وهذا ما أثبتته دراسة "سليمة فيلالي"، وهي إحدى الدراسات المعتمدة ضمن الدراسة الراهنة، أوضحت بأن اللغة المستخدمة للتواصل فيما بين الشباب هي اللغة العربية بنسبة (64,93%)، رغم ذلك تواجه اللغة العربية تحديات جسيمة خاصة في ظل ما تفرزه العولمة من تداعيات على مستواها، وهذا ما أوضحته دراسة "محمد حسن البرغثي" أن اللغة العربية ستشهد تراجعا في الاستخدام والاهتمام في ظل العولمة بنسبة (52,4%).

بناءً على نتائج الجدول الفارط واختيار الشباب الجامعي للغة العربية كلغة مفضلة لديهم، يوظفونها في حياتهم اليومية بنسبة (57,4%) حسب **الجدول رقم (20)**؛ فاللغة العربية هي رمز أساسي للهوية العربية الوطنية، وهذا ما أبرزه "Dridi Mohamed" في مقاله حول " Langues et Identité collective en Algerie" الصفحة (14) أن اللغة علامة للهوية يمكن لها أن تُسيّس جدا عندما تكون اللغة تعريف لمجموعة اجتماعية، فاللغة يمكن أن تستعمل كنواة دائمة ومؤكدة للهوية الوطنية، وبالأخص في الظروف غير الثابتة، والتي تميز مجتمعنا الجزائري.

حسب **جدول رقم (21)** تعتبر الجامعة هي الحيّز العلمي الذي يستخدم فيه الشباب الجامعي اللغة العربية بنسبة (69,2%) نتيجة للوسط الخاص بالبحث الأكاديمي الذي يتطلب استخدام اللغة العربية؛ غير أن ما تحصلت عليه الباحثة بعد إجراء المقابلة أن استخدامها يُعد نسبي لأنهم يخلطون بين اللهجة العامية العربية وبين العربية الفصحى، وهذه مشكلة يعاني منها الشباب الجامعي كاستهجان بين اللهجات واللغات ولم يمسك اللغة العربية بأصولها أو اللغات الأخرى فما بالك باللهجات.

أوضح **جدول رقم (22)** أهم القنوات الفضائية المفضلة لدى الشباب الجامعي وفق خياراتهم، فمثلت نسبة (47,81%) لخيار باقة (MBC)، فهي من القنوات الفضائية الرائدة لما تمتلكه من قدرات وإمكانيات ضخمة جعلتها تُرتَب ضمن أهم القنوات المفضلة لدى جُل الشرائح المجتمعية على غرار الشباب الجامعي.

وحسب **الجدول رقم (23)** باعتبار باقة (MBC) من القنوات المفضلة لدى الشباب الجامعي، تعتبر نسبة المشاهدة (72,7%) في فترات متفاوتة، بين الفينة والأخرى، فما نستنتجه بأن القنوات الفضائية والأخرى، وما نستنتجه بأن القنوات الفضائية التلفزيونية تُعد أحد العوامل المؤثرة على هوية الشباب وثقافته الفرعية وفيه عوامل أخرى مؤثرة على التكوين الهوياتي لهذه الفئة كالانترنيت وشبكتها العنكبوتية، وما تفرزه من أفكار جديدة بحجة التواصل الاجتماعي.

ما نستشفه من **الجدول رقم (24)** المبين لطبيعة البرامج التي يُفضل الشباب الجامعي مشاهدتها عبر هذه القنوات الفضائية، حتى وإن كانت بصفة غير دائمة هي البرامج الرياضية بنسبة (42,1%)، ثم برامج الفيديو كليب والأغاني المتنوعة بنسبة (41,3%) وأخيرا البرامج الإخبارية (32,1%) وهي نسب متفاوتة حتى مع باقي البرامج المعروضة ضمن خيارات الاستبيان، وهي برامج متنوعة يفضلها الشباب الجامعي، يحب التنويع ضمن الباقات الفضائية

لتتشكل لديه ثقافة متنوعة ممزوجة بين التظاهرات الرياضية وبرامجها، وبين الأغاني الرائجة، كما أنه يفضّل الإطلاع على الأخبار ليستطلع التطورات العربية والغربية كانت أو المحلية والوطنية، وهي نتائج تدل على أن الشباب الجامعي لديه الرغبة المتواصلة والمستمرة في الانفتاح الإعلامي–الثقافي بجميع أشكاله شريطة أن يكون الانفتاح دون كسر أو انصهار هويته أمام ما يُعرَض ويتلقاه.

تأسيسا على سؤال القنوات المفضلة لدى الشباب الجامعي، وإمكانية مشاهدتها وتوضيحا لأهم البرامج المفضلة المحتوية ضمن هذه القنوات من الضروري أن تكون لنا نتيجة تدل على كيفية تفضيل الشباب الجامعي إناثا/ذكورا مشاهدة هذه القنوات، فبينت نتيجة (57%) يشاهدونها مع العائلة، هي نتيجة تدل على التفاعل الأسري والتواصل الدائم بالحفاظ على الهوية الاجتماعية بمشاركتهم أفراد الأسرة الواحدة لأهم وأفضل البرامج لديهم، توحي أيضا بأنهم رغم فئتهم العمرية الحساسة التي تفضل الانعزالية والاستقلالية؛ إلا أنهم لازالوا محافظين على العلاقات الأسرية داخل العائلة وهو ما أكده الجدول رقم **(25)**.

أما فيما يخص جانب القنوات الفضائية وبرامجها وتأثيرها على لغة الشباب الجامعي فقد أسفرت نتائج الجدول (26) أن هذه القنوات لا تؤثر على لغة الشباب بنسبة (40,2%)، وهي متقاربة مع معدل إجابات البديل الخاصة بـ"أحيانا" بنسبة (31,2%)؛ فمثل هذه النتائج توحي بعدم تأثير البرامج الفضائية على لغتهم، ولكنها تعدت ليكون لها دور كبير في الجانب الاجتماعي والثقافي المكون لثقافتهم وآرائهم، بتغيير نظرتهم لبعض القضايا كالعمل والزواج يجعلهم يفكرون بطريقة تدفعهم للتخلي على ثقافتهم الكلاسيكية وتبني الثقافة الحداثية الجديدة بحجة الانفتاح الثقافي والتخلي أيضا على القيّم الدينية والعناصر اللغوية والرموز الوطنية المكونة لهويتهم على أساس أنها لم تقدم شيئا مفيدا، هذه هي نظرة الشباب الجامعي مقارنة بما تفرزه

الفضائيات العربية التي انصاعت للقنوات الفضائية الغربية؛ حيث فتحت لهم المجال ومهدت الطريق لإنجاح إيديولوجيتهم الغربية.

ورغم كل التأثيرات تبقى وجهة الطلبة نحو ما تقدمه الفضائيات من برامج ذات التأثير الإيجابي بنسبة (60,5)، فمن هنا نستنتج بأن التأثير على الشكل الظاهري والخارجي للشباب بتقمصهم لأهم الألبسة والمأكولات وقصات الشعر، وهذا ما تصبو إليه الثقافة الاستهلاكية التي ترمي لتحقيق الجانب المادي وتحقيق الربح السريع حسب **الجدول رقم (27).**

تعتبر اللغة العربية هي الرمز الأساسي لتجسيد الهوية الوطنية الجزائرية والشباب الجامعي باعتبارها من النخبة المثقفة بالمجتمع يتداولون اللغة العربية في حواراتهم اليومية، وذلك حفاظا على الهوية الوطنية بنسبة (87,1%)، وهو ما دل عليه **الجدول رقم (28)**، وتُعد هذه النتيجة مؤشرا على الحفاظ على اللغة الوطنية للدولة الجزائرية؛ فالدستور الجزائري حسب مادته (03) أن اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية مع تمازيغت حسب المادة (04).

ومن النتائج المتحصل عليها ضمن محور الثقافة الجماهيرية القيّم الوطنية ولغة الشباب الجامعي فحسب **الجدول رقم (29)** فإن معظم الطلبة يحفظون النشيد الوطني بنسبة (94,5%)، وهنا نستنتج أن الطلبة يحافظون على أحد رموز الدولة الجزائرية هو النشيد الوطني، فحسب الدستور الجزائري ضمن المادة (06) هو مكسب من مكاسب أول نوفمبر 1954 إلى جانب العلم الوطني وهما غير قابلين للتغيير.

ما أثبت النتيجة السابقة أن الشباب يحفظ النشيد الوطني بنسبة (94,5%)، جسدت هذه النتيجة نسبة (95,2%) على أنهم يعون أنه أحد مقومات الهوية الوطنية الجزائرية، وهذا يعبّر عن اعتزاز الشباب الجامعي بالدولة الجزائرية من خلال حفظهم لنشيدهم الوطني وقيمهم الرمزية في توحيد الوطن وحب الانتماء إليه؛ فالمواطنة لا تتحقق إلا بالتفاف اللُحمة الوطنية حول الرموز

الخاصة بالدولة الجزائرية، ولا يكون هناك تشتت على مستوى قومية الشباب الجامعي؛ إضافة إلى أن معظم الشباب يعرفون مؤلف النشيد الوطني الشاعر "مفدي زكرياء" وذلك بنسبة (90,2%)، وهذا ما جسده **الجدول رقم (31).**

استكمالا للعناصر المكونة للهوية الوطنية ارتأت الباحثة وضع اختبار لقياس مدى معرفة الشباب الجامعي بالرموز الوطنية وأهم الشخصيات الجزائرية، بداية بتواريخ جد مهمة ضمن السجل التاريخي للدولة الجزائرية، فكانت معظم الإجابات خاطئة بنسبة (77,5%) وهذا ما أفرزه الجدول رقم (32). وهو دليل على أن الشباب الجامعي يعاني من أزمة على مستوى العناصر والرموز التاريخية للدولة الجزائرية، وهنا لا يوجد اتفاق بين هذه النتيجة وبين النتائج التي تحصلت عليها الباحثة "سليمة فيلالي" على أن الشباب يريدون معرفة تاريخ بلادهم بنسبة (80,96%)، وما نفسر به هذا الاختلاف أن الشباب الجامعي يعاني من تغييب الجانب التاريخي ضمن الهوية، وهو من انعكاسات الثقافة الجماهيرية.

بالموازاة مع نتائج **الجدول (32)** لمدى معرفة التواريخ الوطنية والجدول الذي يليه **رقم (33)** والذي يوضح التواريخ الصحيحة مقارنة بالإجابات الخاطئة من طرف الشباب الجامعي ، جاءت نتائج **الجدول (34)** لتوضيح مدى إلمام الشباب الجامعي بالشخصيات التاريخية، التي صنعت مسارها التاريخي طيلة فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وضمخوا بدمائهم الطاهرة تراب الجزائر لنحيا اليوم في استقلال وحرية، فمثلت نسبة (66,4%) إجابات خاطئة، بحيث لم يتعرف الطلبة الجامعيين إناثا وذكورا على المجاهد المرحوم رابح بيطاط، والزعيم السياسي المحنك أحد أعضاء المجموعة السادسة التاريخية التي فجرت الثورة الجزائرية المرحوم حسين آيت أحمد بشكل كبير جدا، حتى وإن أبرزوا معرفتهم للرئيس الراحل هواري بومدين والشهيد العربي بن مهيدي، فكانت معرفتهم لا تتجاوز علمهم بأن الأول رئيس للدولة الجزائرية، والثاني من شهداء

نوفمبر فقط، وهذا إن دل على أمر إنما يدل على عقم ذاكرتهم التاريخية بعد جهلهم للشخصيات التي ساهمت في وضع أولى لَبنات الدولة الجزائرية التي نحيا اليوم في ظل قوميتها واستقلالها وسيادتها، وهذا ما حاولنا تسليط الضوء عليه في ثنايا **الجدول رقم (35)**.

ورغم الأزمة التي يعاني منها الشباب على مستوى المعالم التاريخية؛ غير أنهم يفضلون نجاح الدولة الجزائرية على مستويات وأصعدة عدة منها: الجانب السياسي بنسبة (47,6%)، ثم الثقافي بـ(21,6%)، أما الاجتماعي (15,5%)، وهي نسب متقاربة تدل على طموحات الشباب الجامعي حول حضور الجزائر وبقوة في مختلف المجالات وهو ما أفرزه **الجدول رقم (36)**.

وختاما للمحور الثالث الذي غطى الثقافة الجماهيرية، القيّم الوطنية ولغة الشباب الجامعي فمن خلال **الجدول رقم (37)** فقد أجاب الطلبة الجامعيين بنسبة (62,2%) على أنهم شباب لا يعي تاريخ بلاده، وهذا من مخرجات ثقافة الاستهلاك، وما أريد أن أنوه به ضمن هذه النتيجة أن حب التخصص والغوص فيه لدى بعض الشباب والطلبة الجامعيين يجعلهم يبتعدون عن التنوع الثقافي ويتقوقعون في مجال اختصاصهم فقط، فتتكون لديهم ثقافة عرجاء غير مكتملة، فما بالك بدخول التكنولوجيا للأسر الجزائرية وهشاشة العلاقات فيما بينها وبين أفراد المجتمع عموما، رغم أنها تُعد إحدى أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية وتُلقى على عاتقها مسؤولية تلقين تاريخ بلاده والحفاظ على لغته وهويته على حد سواء.

بناءا على النتائج المستخلصة من الجانب العملياتي للدراسة الراهنة حققت الهدف الثاني ألا وهو معرفة الثقافة الجماهيرية وطابعها الاستهلاكي النمطي وما قدمته للشباب لتتكون هوية غربية وفق نموذج ثقافي استهلاكي غربي ،كما جسدت مدى انتشارها بينهم.من خلال إيضاح أهمية العامل اللغوي و ما تعرض له نتيجة الأحزمة الثقافية استهلاكية الطابع

ومادية النزعة؛ ضف إلى ذلك وضحت طبيعة العناصر الوطنية وأهميتها بالنسبة للهوية الجزائرية وقوميتها .

رابعا/ نتائج التساؤل الثالث:

كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على العناصر الاجتماعية المكونة لهوية الشباب الجامعي؟

عالج هذا المحور الثقافة الجماهيرية والعناصر الاجتماعية للهوية بالنسبة للشباب الجامعي، فتم استهلاله برؤية الشباب الجامعي إناثا وذكورا (باعتباره المفعول به من خلال ما يتم طرحه من أفكار تؤثر على فكره، وفاعلا على أساس اعتماده الفعال المتنامي للوسائل الاتصالية يوما بعد يوم) حول تأثير وسائل الاتصال على الشباب والعلاقات الأسرية، ومن خلال **الجدول رقم (38)** جاءت نسبة (91,3%) على أن هذا التأثير قد أثر بشكل كبير على الشباب والمجتمع معا، فأحدث اختلالا وظيفيا للنسق الفرعي الشباب (Migro level) الذي انعكس على الاختلال الكلي للنسق العام (Magro level)، فكلا المستويين مهمين أحدهما يمثل الهوية الفردية للشباب وثقافتهم الفرعية والمجتمع يمثل الهوية الجمعية الاجتماعية، فبحضور وسائل الاتصال الجماهيرية انصهرت كل الروابط الهوياتية بين الأفراد وخلقت غربة اجتماعية بينهم، وبالتالي اغتراب هوياتي على مستوى الأسر الجزائرية.

امتدادا للجداول السابقة الموضحة للقنوات الفضائية المفضلة، وما تقدمه من مواد إعلامية، فهل تتوافق هذه الأحزمة الإعلامية مع قيّمنا السائدة داخل الأسرة الجزائرية بالنسبة للشباب الجزائري، فأجاب معظم الطلبة في **الجدول رقم (39)** بأنها تتوافق أحيانا وأحيانا أخرى لا يوجد توافق بين ما يتم عرضه، وما تعودنا عليه داخل مجتمعنا من ضوابط، قيّم، التزامات أخلاقية، وهذا ما مثلته نسبة (64,8%)؛ في حين أوضح (135) طالب بما نسبته (29,5%)

بأنها لا تتوافق، وهذا راجع لمفرزات الثقافة الاستهلاكية التي طغت وصبغت الحياة والعلاقات الاجتماعية، وهذا ما أبرزه "محمد شطاح" ضمن الإطار النظري أن هذه القنوات والتكنولوجيا المتطورة تعمل على تكريس قيّم الاستهلاك الفردي، وفرض النموذج الأورو-أمريكي وترسيخ قيّم الامتثالية والقضاء على النوع المجتمعي، وهذا يُعد تجسيدا للمدخل النظري أو المقاربة السوسيولوجية المتبناة ضمن هذه الدراسة.

لا تُعد القنوات الفضائية التلفزيونية العامل الوحيد في تشكيل الثقافة الاستهلاكية أيضا الانترنيت أحد الميكانيزمات الفعالة لإنجاح الثقافة الجماهيرية، فأوضحت نسبة (56,8%) بأنه معظم الأحيان لا تتوافق الانترنيت مع قيّمنا السائدة في المجتمع حسب **الجدول رقم (40)**، والمقصود هنا شبكات التواصل الاجتماعي التي نقلت العلاقات الاجتماعية التي تتسم بها الهوية الوطنية إلى علاقات افتراضية تعمل على الانفتاح، لكنه انسلاخ هوياتي في معظمه؛ فالانترنيت لها إيجابيات لا يمكن إنكارها، لكنها سلاح ذو حدين إذا أحسن الشباب الجامعي استخدامه، فإنه ينعكس على الجانب الثقافي، الاجتماعي والعلمي، ويتطور بتطور البحوث العلمية ومواكبتها، لكنه إذا أساء استخدامها، فإنه بالضرورة سيكون سببا في دمار وتشتت هويته، خاصة لما تطغى فكرة "الحلم الأمريكي" وهو حب الهجرة مقارنة بالظروف التي تعيشها البلاد.

تعتبر الأعياد والمناسبات الدينية أحد مظاهر الهوية الوطنية من جهة وترسيخها للموروث الثقافي الاجتماعي للمجتمع الجزائري، لكن بطغيان الوسائل التكنولوجية على مستوى الحياة الاجتماعية تؤثر ولو بالشكل الطفيف بنسب متفاوتة، وهذا ما مثلته نسبة (33,8%) للمكالمات الهاتفية المستخدمة أثناء هذه المناسبات، رسائل الـSMS بـ: (8,1%) أما الزيارات الشخصية فكانت بنسبة (57,3%).

تُعد النتيجة الأخيرة دليل على محافظة الشباب الجامعي على أواصر العلاقات الأسرية أحد مظاهر التماسك الهوياتي المجتمعي، وذلك حسب **الجدول رقم (41)**.

ما نستخلصه من **الجدول (42)** المبين لإجابات الطلبة حول توزيع أهم القنوات المفضلة لديهم كخيارتهم "هم" فأجاب معظم الطلبة على خيارين، مجموعة (MBC) بنسبة (50,2%)، وهذا تجسيدا لنتيجة الجدول رقم (22) بنسبة (47,81%) هذا من جهة، ومن جهة أخرى يفضلون قناة (Bein sport) بنسبة (25,5%)، وهذا ما جسدته أهم البرامج لديهم ضمن هذه القنوات، وهي البرامج الرياضية بنسبة (42,1%)، تفسيرا لهذه النتائج تُعد باقة (MBC) من القنوات القوية إعلاميا، وذلك باعتمادها على الثقافة الثقيلة مجسدة الوسيلة هي الرسالة أحد أهم أفكار الحتمية التكنولوجية المعروضة ضمن الجانب النظري إلى جانب أنها غرست أفكارا وقيّما وآراء جديدة، وهذا ما تم طرحه ضمن نظرية الغرس الثقافي.

استكمالا لخيارات الشباب الجامعي فيما يخص القنوات المفضلة لدى الشباب الجامعي ارتأت الباحثة التعرف على الثقافة المفضلة لديهم ضمن القنوات الفضائية المعروضة سابقا، فمثلت الثقافة الاجتماعية المرتبة الأولى بنسبة (38,2%)، ويليها الجانب السياسي وما يحتويه من معلومات تخص البلد على المستوى المحلي أو الوطني وحتى على المستوى العربي والغربي بنسبة (25,5%)؛ فالشباب الجامعي يمثل الطبقة المثقفة بالدولة الجزائرية ومستقبلها، لذا وجب عليهم التنويع الثقافي على مستويات عدة، وهي ميزة إيجابية تضاف لثقافتهم الفرعية خاصة في ظل استهداف الثقافة الجماهيرية بجعل هويتهم هوية مجوفة، فإدراكهم للجانبين السياسي-الاجتماعي في وقت تتحدى العولمة فيه الهوية القومية، ومساعيها الدائمة لتفكيكها وجعلها هوية مشتتة، ومن ثمة إعادة صياغتها وفق معالمها وسياستها الإيديولوجية، وهذا ما ناقشته دراسة "محمد حسن البرغثي" (2007) وذلك حسب **الجدول رقم (43)**.

اعتمادا على ما سبق واستكمالا للجانب العملياتي للدراسة الراهنة أوضحت الباحثة في **الجدول رقم (44)** أهم المسلسلات المفضلة لدى الشباب الجامعي إناثا/ذكورا فأوضحت نسبة (44,8%) تفضيلهم للمسلسلات العربية وبنسب متقاربة مع المسلسلات الأجنبية بنسبة (31%)؛ فالمسلسلات العربية ليست عربية بكل ما تحمله الكلمة من معنى، فهي أحزمة ثقافية تروج بطريقة غير مباشرة للأفكار الغربية "دس السم في العسل" حتى وإن كان أبطالها غرب فقصصها غريبة عن قيّمنا وهويتنا العربية الأصلية؛ ضف إلى ذلك المسلسلات الأجنبية بنسبة (31%) وهي نسبة تدق ناقوس الخطر، فحسب المنظور النقدي والوظيفي هي محتوى هابط رديء ينشر ثقافة الحب/الجنس/العنف بين الشباب، وهي تحديات للهوية والثقافة العربية معا، وهذا ما أوضحه "عيسى الشماس" في الدراسة السابقة ضمن الإطار العام للدراسة الراهنة.

امتدادا للنتائج السابقة ضمن هذا المحور أو المحاور السابقة تعتبر الثقافة الجماهيرية إفرازات لثقافات غربية أساسها الاستهلاك، وما إستنتجناه أن معظم البرامج المعروضة فيها جوانب إيجابية، وفيها جوانب سلبية تطغى عليها ثقافة الاستهلاك، وهذا ما وجدناه ضمن المسلسلات التي تُعد مادة استهلاكية تسعى لسلعنة الثقافة بتحويل مضامين الهوية الوطنية، فأثبتت نتائج **الجدول (45)** أنها تؤثر على طريقة اللباس والموضة بشكل عام، وحتى قصات الشعر احتلت نسبة (91,3%) وهو ما جعل الشباب في حالة وعي مزيف على حد تعبير "ماركيوز"، وبطرحنا لفكرة المسلسلات وتأثيرها على الشباب الجامعي وجب علينا بالضرورة أن نعرج على ما للصورة من تأثيرات أيضا، فموضة اللباس وقصات الشعر ما هي إلا انعكاس لما يُعرض عبر وسائل الإعلام في بهرجة تبهر الشباب، ومؤخرا انتشرت بالمجتمعات العربية ظاهرة جديدة لها علاقة كبيرة ومتجاذبة مع الثقافة الاستهلاكية، وهي ظاهرة "الفاشينستا" ويُقصد بها عرض آخر الموضات في اللباس والأكل وكل شيء عبر مواقع التواصل الاجتماعي بكل فخر،

وهو شيوع واضح للثقافة الاستهلاكية الفاسدة هابطة المستوى التي تؤثر على فكر الشباب الجامعي الذي يبحث عن قدوة ضمن هذه المواقع العنكبوتية.

أوضحت نتائج **الجدول رقم (46)** أن الشباب الجامعي لا يفضل المواد المعلن عنها ضمن هذه القنوات الفضائية بنسبة (46,3%) لأنها غير مجربة بالنسبة لهم؛ بل يفضلون تقليد الفنانين والممثلين والإعلاميين في أشكالهم ومظهرهم وطريقة حديثهم؛ غير أن نسبة (34,1%) يرون بأنهم في أغلب الأحيان يفضلون استعمال هذه الماركات خاصة لما تكون عالمية وعالية الجودة، سواء استخدموها أم لا، فهي أحد أوجه الثقافة الاستهلاكية في معانيها الجلية، وما تنشره من عُري أخلاقي على الهوية الوطنية بطمس معالمها الأساسية.

إضافة لما سبق تحصلت الباحثة على نسبة (49,3%) التي مثلت مدى تفضيل الشباب الجامعي للماركات العالمية في اللباس والعطور ومدى استخدامها في فترات متفاوتة؛ في حين ترجمت نسبة (25,2%) بأنهم يفضلون هذه النوعية من المواد الاستهلاكية المعلن عنها، في المقابل نسبة متقاربة مع المجيبين بـ"نعم" مع الذين أجابوا بـ"لا" بنسبة (25,5%) على أنهم لا يفضلون هذه المواد، تعتبر نسبة متقاربة تدل على استخدام الأغلبية لهذه المواد الاستهلاكية التي تشيع مظاهر المادية والتسطيح الثقافي بجعلهم شباب يميلون لبناء وتشييد المظاهر الخارجية على الحفاظ على الهوية وأهم معالمها الإستراتيجية، وهو ما يفصله **الجدول رقم (48)**.

ما نستخلصه من نتائج **الجدول رقم (49)** أن الجزائري بالرغم من محافظته على العلاقات الأسرية في المناسبات والأعياد ضمن الجدول رقم (40) بنسبة (57,3%)؛ إلا أن نتائج هذا السؤال أثبتت بأنه لا يحافظ على العادات والتقاليد الجزائرية بنسبة (73,6%)، فما تتميز به الهوية الجزائرية في مظاهر تترسخ في العادات والتقاليد المميزة لأي مجتمع وثقافته، وهي تدخل ضمن المواطنة والحب بالانتماء للوطن.

استكمالا لنتائج **الجدول رقم (49)** أوضحت نتائج **الجدول رقم (50)** رؤية الشباب حول العادات والتقاليد الغربية؛ هل هي أحسن من عاداتنا، فأجاب معظمهم بأن عاداتنا أحسن من العادات الغربية بنسبة (68,6%)، حتى وأنها غير معمول بها، وتعتبر فيها نظرهم بالية، فهي رمز الاعتزاز داخل أي هوية وأي مجتمع، تحمل موروثات اجتماعية–ثقافية تربط فيما بين أفرادها وتشكّل هوية اجتماعية متماسكة.

وبما أننا ضمن محور الثقافة الجماهيرية والعناصر الاجتماعية المكونة لهوية الشباب الجامعي أرادت الباحثة إيضاح طرق الاحتفال المميزة لدى الشباب الجامعي فحسب **الجدول رقم (51)** جاءت نسبة (58,1%) لتفضيلهم للطريقة الغربية في الاحتفال على مستوى أي مناسبة؛ ضف إلى ذلك وفي خضم الاحتفالات يفضل الشباب الأكلات السريعة الخفيفة بنسبة (74,2%) وذلك حسب **الجدول رقم (52)**، وهو أيضا أحد أوجه الثقافة المصنعة التي تحاول التأثير على هوية الشباب الجامعي، يشبه (أحمد مجدي حجازي) هذا الجيل بأنه جيل "البيبسي" و"الكوكا كولا" والمأكولات السريعة، جيل صنعته العولمة وتداعياتها على جميع الأصعدة، والأمر نفسه طرحه "قزية الشوفي" عندما أوضح بأن هذا النوع من الثقافة يجعل الإنسان يبتعد عن حاجته الأساسية لتجعله يتبع التفاهات والأوهام، وهي امتدادا لتأثيرات وأدوار الثقافة الجماهيرية وعولمة الثقافة أو الصناعة الثقافية فحتى المأكولات التي يفضلها الشباب الجامعي، باعتبار النتائج الإحصائية التي أثبتت أن الشباب الجامعي يُفضّل المأكولات الخفيفة والسريعة، وهو نِتاج الصناعة الاستهلاكية؛ أي بنسبة (74,2%)؛ في حين يفضل البقية من الشباب الجامعي المأكولات الشعبية بنسبة (25,8%).

وحسب نتائج **الجدول رقم (53)**؛ فالثقافة الاستهلاكية لم تؤثر على اللباس وقصات الشعر فقط؛ بل حتى على مشروباتهم، فأضحى أغلبية الشباب يفضلون مشروب "كوكا كولا" بنسبة

(58,5%) وبيبسي بنسبة (27,1%)، وهذا ما يميز الثقافة الفرعية في مأكلهم، ملبسهم، ومشربهم وطريقة تفكيرهم.

عموما فمعظم الشباب يميل لشرب المشروبات الغازية وكأنها متنفسهم الحقيقي على جانبين العضوي والمعنوي من المكبوتات الداخلية لمرحلة المراهقة التي يعشونها.

امتدادا لمظاهر الثقافة الجماهيرية أوضحت نتائج **الجدول رقم (54)** أهم الألبسة المفضلة لدى الشباب الجامعي كأحد مظاهر الثقافة الاستهلاكية التي تؤثر على الهوية والثقافة الفرعية الشبابية، فبينت نسبة (35,4%) يفضلون اللباس من نوع الجينز، ويليها اللباس الرسمي بنسبة (31%).

استكمالا للعناصر الاجتماعية المكونة للهوية الاجتماعية وتأثيرات الثقافة الجماهيرية عليها، أوضحت نتائج **الجدول رقم (55)** الأغاني المفضلة لدى الشباب الجامعي، فمثلت نسبة (47,8%) لأغاني الراي بالدرجة الأولى، ثم الأغاني الأجنبية بنسبة (20,7%)، وفي المرتبة الثالثة أغاني الراي بنسبة (17,2%)، فهذا النوع من الأغاني يجسد المحتوى الهابط للأغنية الجزائرية المعبّرة عما يختلج في نفوس الشباب من مشاعر وأحاسيس ويعبّر عن انفعالاتهم في معظم الأحيان، بالرغم من أنها تعرض مشاكلهم كمحاكاة للواقع المعاش، وهذا ما ناقشه مقال "عبد السلام فيلالي" المعنون بـ"أزمة الهوية لدى الشباب الجزائري من خلال أغاني الراب".

ما نستشفه من نتائج **الجدول رقم (56)** الذي أوضح بأن الشباب الجامعي إناث/ ذكور متمردين على القيّم الاجتماعية بنسبة (80,8%) والتمرد هنا المقصود منه كسر الضوابط المجتمعية وانصهار الهوية ضمن ثقافات وهويات غربية تخلق حالة من الاغتراب على مستويات عدة.

وهذا ما أشارت إليه الباحثة ضمن الإطار النظري وما طرحته من أفكار عالجتها الباحثة أسماء بن تركي في مقالتها المعنونة بـ" الهوية الثقافية بين قيم الأصالة والحداثة في ظل التغيرات السوسيوثقافية للمجتمع الجزائري".

بناءًا على ما سبق، ومن خلال **الجدول رقم (57)** تحصلت الباحثة على نسبة (45,6%) على أساس أن الشباب الجامعي ليس على دراية بالهوية الوطنية الجزائرية؛ في حين مثلت نسبة (44,5%) بأنهم على علم بالهوية الجزائرية، ودلت هذه النتائج على تشتت فكر الشباب الجزائري، هل هو على دراية أم لا؟ وكأنه يعيش حالة من التشتت والانغلاق في نفس الوقت خاصة مع ما تفرزه وسائل الإعلام وتداعيات العولمة أيضا، فهي حالة من الانشطار الهوياتي يمر بها الشباب الجامعي.

ارتأت الباحثة أخذ تعريف للهوية من وجهة نظر الشباب الجامعي، فجاءت النسب في **الجدول رقم (58)** متقاربة جدا بين من أجاب على أنها تتمثل في نشيد وطني بنسبة (31,8%) وجنسية جزائرية بنسبة (35,6%)، وعادات وتقاليد بنسبة (32,6%)؛ فالهوية مزيج بين العناصر اللغوية والدينية والاجتماعية والتاريخية.

وقد جاءت نتيجة السؤال الأخير الذي تضمنه الاستبيان كاستكشاف يفتح الباب لبحوث أخرى، فأرادت الباحثة من خلاله الإجابة على السؤال الذي يتضمن تعريف واضح للهوية في خضم ما تنشره الثقافة الجماهيرية، فأجاب معظم الطلبة في ثنايا **الجدول رقم (59)** على أنهم لا يعلمون بنسبة (48,3%) وهو دليل على الحيرة وقلة وعيهم بالهوية والثقافة معا، وما تفرزه الوسائل الإعلامية وأهم أدوارها، فقلة معرفتهم بوظائف الوسائل الإعلامية وأدوارها أخلطت عليهم المفاهيم خاصة على مستوى الانفتاح الثقافي الذي انعكس بالسلب على الهوية ومقوماتها.

تأسيسا على نتائج المحور الثالث للدراسة الراهنة حققت الباحثة الهدف الثالث والمتمثل في كشفها لأهم القيم المستوردة نتيجة الانفتاح الهائل على وسائل الإعلام والاتصال الحديثة بمعنى التغلغل الثقافي الاستهلاكي بين الشباب وإيضاح طبيعة الوعي الذي شكلته الثقافة الجماهيرية لدى شريحة حساسة ومهمة من الفئات المكونة للمجتمع ، بمعنى أوضح تعرفنا على العناصر اجتماعية الطابع وما تعرضت له نتيجة صناعة الثقافة وسلعنتها، وأهمية هذه المقومات في تكوين وتماسك الأمة الجزائرية .

خاتمة

خاتمة:

استكمالا لما تم عرضه في الجانبين النظري والتطبيقي بتطرقنا للثقافة وأهم معالمها الكبرى مرورا بالثقافة الجماهيرية والشباب، ثم الهوية عموما، والهوية الجزائرية خصوصا وعلاقتها بالثقافة الفرعية للشباب الجامعي. توصلت الدراسة الراهنة لمجموعة من النتائج التي أثْرَت البحث بكل جوانبه وشخّصت الواقع بكل حيثياته.

حيث خلُصت الباحثة إلى أن الشباب الجامعي الجزائري الذي شكّل نموذج دراستنا الميدانية بجامعة محمد خيضر بسكرة، وبإسقاط ما توصلت إليه من خلالها إلى أن الشباب يحتاج إلى توعية عالية المستوى، وتنشئة اجتماعية سليمة أساسها المقومات الأساسية التي تُبرز هويته الوطنية وتُعزز انتمائه لبلده الجزائر، خصوصا على المستوى التاريخي وما يحيط به من جوانب مضيئة ترصّعها أحداث تاريخية وأمجاد كان أبطالها شخصيات شكّلت تفاصيل تاريخ الجزائر المجيد، وثقافته العريقة التي يضطلع شبابنا اليوم بالحفاظ عليها من خلال حَمل المشعل لتستمر ورشات البناء والتشييد بصرامة وعزم عاليين.

لكن وفي خضم ما يترصد بالثقافة من جهة، والهوية الوطنية من جهة أخرى جراء وسائل الإعلام وتكنولوجياته الحديثة وجب على مؤسسات التنشئة الاجتماعية مضاعفة المجهود المبذول للحفاظ على كل الموروثات الثقافية والهوياتية للأمة الجزائرية.

فمن خلال هذه الدراسة والواقع يظهر وجود أزمة هوية يعاني منها الشباب الجامعي إناثا/ذكورا على مستوى العناصر التاريخية خاصة، فهو ليس حكم ذاتي، وإنما ينبع من قيمة هذه الدراسة الموضوعية التي توصلت إليها الدراسة الراهنة.

ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى أزمة الهوية التي يعاني منها الشباب والتي بدت واضحة من خلال تفسيرهم لبعض المفاهيم على غرار العلاقات الأسرية، أهمية التواصل الأسري، علاقة الأفراد فيما بينهم، ونمو الحس الوطني الهوياتي للأمة الجمعية، حتى الهوية الفردية بالنسبة لهم

حسب ما أفرزته الثقافة الجماهيرية من الاستقلالية، قيمة الفردانية بحب الذات؛ وهو ما انعكس على التماسك المجتمعي بصفة عامة.

وبالرغم من عِلم الشباب الجامعي بأن الهوية هي أحد المقومات الدينية المتمثلة في الحفاظ على العناصر الوطنية بما فيها التاريخ ومعالمه الكبرى، ولا يمكننا أن نَغفل هنا عن أهمية اللغة والعناصر الاجتماعية في تكوين الهوية، وما يُعاب على الشباب الجامعي إدراكه لهذه العناصر؛ إلا أنه لا يعمل بها في هذه الفترة العمرية وما تتسم به من تحولات جذرية مست الجانب النفسي خاصة، فهي مرحلة المراهقة أو القلق والاضطرابات النفسية نتيجة التغيرات التي تطرأ على جوانب مشتركة مع الجانب البسيكولوجي؛ مما يجعله يعيش حالة من اللامبالاة بكل الأمور فما بالك بالهوية التي لم يجدوا لها تفسيرا واضحا إلى جانب الثقافة أيضا.

توصيات الدراسة:

تأسيسا على النتائج السابقة؛ يمكننا أن نتساءل عن التوصيات الممكنة التي من شأنها الحفاظ على الشباب الجامعي من جهة، والهوية الجزائرية من جهة أخرى، وما سيتم تقديمه هو عبارة عن اقتراحات تم استنتاجها من الدراسة الراهنة بجانبيها النظري والعملياتي، وبناءًا على ما سبق سنثمن البحث بمجموعة من التوصيات وهي كالآتي:

- ✓ إبراز الدور الفعال الذي تلعبه الأسرة في توعية أبنائها الصغار قبل الدخول في مرحلة الشباب والمراهقة، وهي توعية تدل على الحس الإيجابي في التنشئة الاجتماعية السليمة، والتي تشكل إحدى أهم ركائزه.
- ✓ توضيح أهمية الإتصال والتواصل بين أفراد المجتمع وأهم فئاته المجتمعية، وخاصة فئة الشباب مع المجتمع ككل من خلال عقد ندوات وجلسات من شأنها توطيد العلاقات الاجتماعية، وكتحصيل حاصل إزدياد الترابط مما يؤدي إلى الحفاظ على الكيان الاجتماعي ورموز الهوية الوطنية.
- ✓ إحياء ندوات وملتقيات تاريخية وإشراك الشباب الجامعي فيها ليس كمنظم فحسب، وإنما كطرف مشارك لإثراء البحث العلمي وتنمية إحساسه بالإنتماء للدولة الجزائرية، وتاريخها العريق وأهمية عامل التاريخ كميكانيزم رئيسي في الهوية والثقافة الجزائرية.
- ✓ تنظيم حصص تلفزيونية، إذاعية وحتى نشر مقالات وبحوث تضطلع بتوعية الشباب بأن ما يُعرض من ثقافة استهلاكية مادية يجعله نفعي، نمطي، سطحي، وأن الإستفادة تكون حسب احتياجاته الأساسية وعدم جعلها هي المطلب الأساسي في حياته، إذ يجب عليه ترتيب أولويات اهتمامات مستقبله.
- ✓ توجيه الشباب من خلال تبصيره بطُرق استغلال التطور التكنولوجي بإيجابياته بدل إهتمامه بالقشور التي تسلُبه هويته وثقافته العربية الأصيلة.

✓ ضرورة غرس اللغة العربية في يوميات الشباب من خلال إبراز أهميتها من جهة، وحثه على تعلم اللغات الأجنبية الأخرى من أجل صقل معارفه وتنمية قدراته ومواهبه.

✓ إبعاد الشباب قدر المستطاع عن الانفتاح الثقافي الغربي الذي يحيطه بهالة من الاغتراب على مستويات عدة، وما ينجر عنه من فقدان للموروث الثقافي الهوياتي الأمر الذي جعل الشباب في مهب تناقضات مختلفة لا هو قادر على استيعاب الثقافة العربية أو الإلمام بما تبقى له من هويته العربية.

✓ الحث على الحوار الأسري مع الشباب، وهو ما ينعكس بالإيجاب على تفهمهم لحياتهم الواقعية ومعايشتهم أحداثها بعيدا عن التخذير الذهني الذي يتعرض له، خاصة في ظل المغريات التي تفتح له الباب واسعا للتفكير في الهجرة غير الشرعية، وما ينجر عنها من فقدان للكفاءات التي هي عماد الدولة وثروتها البشرية التي تصنع الراهن والمستقبل معا.

✓ إعطاء الشباب إهتمام أكثر، من خلال غرس الثقة بالنفس، وإثبات فاعليتهم في المجتمع؛ بل وإيفائهم حقهم في التربية الصحيحة والتعليم الأصح، حتى نتمكن من بناء دولة جزائرية صلبة وقوية لا تزول بزوال الرجال، بل تستمر ببقاء الأجيال التي تصنع التحدي والتميز وتؤتي أُكلها في كل حين.

✓ منح الطلبة الجامعيين المستلزمات الضرورية التي تجعله يُنشط المؤسسات الجامعية من خلال إسقاط دراساته وأبحاثه على أرض الواقع، ليتحولوا بذلك إلى مؤسسة فاعلة ومتفاعلة ويساهموا بذلك في التنمية المستدامة لبلادهم متشبثين بكل عناصر هويتهم ومقوماتها التي لم تتأت من العدم.

✓ توفير مؤطرين متخصصين نفسانيين ومستشارين اجتماعيين في الإطار الجامعي لخلق حلقة تواصل بين الشباب والجامعة، حتى لا تصبح مجرد حقل علمي الهدف منه هو الظفر بالشهادة العلمية فقط.

✓ يجب أن تتبلور رؤيتنا على أساس التعامل مع متغيرات الشباب الجامعي، والتي تؤكد أن شباب اليوم مختلفون عن الذين سبقوهم لأنهم يعيشون واقعا مختلفا عما عرفناه أو عما نعرفه

الآن، وأن هذا الاختلاف لا يصح أن نُقويه بمعايير الصواب والخطأ، ولا الحلال والحرام.

- ✓ تقصي سُبُل تفعيل دور الجامعة، وبيئتها الجامعية من خلال مشاركة الشباب في فعاليات علمية متنوعة تربط الجامعة والولايات الأخرى على الصعيد الوطني ولما لا الدولي لنشر مختلف الثقافات وتمتين أواصر الهوية الوطنية وترسيخها.
- ✓ توفير إمكانيات متنوعة تساهم في الإهتمام بكل متطلبات الشباب ومساعدته في عمليات الإبداع، والتنشيط الفعال في مشاريع متنوعة حتى يشعر بأن أدواره رئيسية وليست ثانوية، وبتظافر كل السواعد يتم امتصاص كل الانفعالات التي تصاحب مرحلة المراهقة.

(ملحق 01)

وزارة التعليـــم العالـــي والبحـــث العلمـــي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

قسم علم الاجتماع

استمارة بحث حول

دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي

- دراسة ميدانية بجامعة محمد خيضر بسكرة-

أطروحة مكملة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم اجتماع الاتصال

إعداد الطالبة: **إشراف الأستاذ الدكتور:**

تومي الخنساء. **دبلة عبد العالي**

السنة الجامعية

2016/2015

الأستاذ(ة) الفاضل(ة)، ولأن رأيك يهمنا نرجو منك أن تحكم لي أسئلة هذه الاستمارة بكل موضوعية، ونعدك أنها لن تُستخدم إلا لغرض علمي، فبفضل تصورك للهوية والثقافة والشباب الجزائري نستطيع معا وضع آليات مواجهة الثقافة الاستهلاكية للجزائر بصفة خاصة، والعالم العربي بشكل عام، فهي أطروحة مقدمة لإثراء البحث العلمي وإضاءة جانب من جوانب الحياة الاجتماعية.

المحور الأول: محور البيانات الشخصية:

1) الجنس: ذكر ☐ أنثى ☐

2) العمر:

3) مكان الإقامة: الريف ☐ المدينة ☐

4) نوع السكن: الإقامة الجامعية ☐ البيت ☐

5) الوسيلة الاتصالية التي تعتمد عليها في عملية تزويدك بالثقافة

التلفزيون ☐ الأنترنات ☐

المحور الثاني: العناصر الدينية المكونة للهوية بالنسبة للشباب الجامعي

6) هل تفشي السلام وفق تعاليم الاسلام؟

نعم ☐ لا ☐

7) هل انتم تلزم بالصلاة؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

8) هل تسمح لك أوقات الدراسة بتأدية الصلاة؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

إذا كانت الإجابة بلا إلا ما يرجع عدم مواظبتك على الصلاة:

----

9) هل تواظب على قراءة القرآن الكريم؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

10) هل أنت دائم على صلة الرحم؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

11) إذا كنت لا تحافظ ؟؟ فيما تمضي وقتك؟

- مشاهدة ومتابعة القنوات الفضائية ☐
- مـــع شبـكــة الأنتــــــرنـــــات ☐
- مع مواقع الـتواصل الاجتمــاعي ☐
- مـــع الأصــــــدقـــــــــاء ☐

12) ما هي أهم القنوات الفضائية الدينية التي تشاهدها؟

- اقـــرأ ☐
- الفتـــح ☐
- الرسالة ☐

قنوات أخرى: --

أو لا تشاهد تماما هذه القنوات؟ --

13) هل الشباب بالنسبة لك هو:

- مرحلة بناء قرارات مصيرية ☐
- مرحلة التمتع بالألبسة الفاخرة والمأكولات ☐
- مرحلة الانفتاح على الثقافات الأخرى بالشكل الصحيح ☐

14) هل تعتقد أن الشباب أكثر تمرا على القيّم الدينية المكونة للهوية؟

نعم ☐ لا ☐ لا أدري ☐

15) كشاب جامعي في رأيك ما هي القيم الدينية التي يجب أن تتوفر لدى الشباب الجامعي لتخلق منه مجتمع قوي وصلب في وجه الثقافات الوافدة التي تؤثر على هويتنا؟

المحور الثالث: الثقافة الجماهيرية، القيّم الوطنية ولغة الشباب الجامعي

16) ما هي اللغة التي تجيدها؟

العربية ☐ الفرنسية ☐ الانجليزية ☐ الأمازيغية ☐

17) هل تحب توظيف اللغة المختارة في حواراتك؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

18) مكان توظيفك للغة المختارة

في البيت ☐ في الجامعة ☐

مكان آخر: --

19) ما هي أهم القنوات المفضلة لديك؟

----

20) هل تشاهد برامج القنوات الفضائية؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

21) ما نوع البرامج التي تفضل مشاهدتها عبر القنوات الفضائية؟

الإخبارية ☐ الحوارية ☐ المسلسلات ☐ الأفــلام ☐ المسابقات ☐

الرياضية ☐ الإعلانات ☐ الدينيــــــة ☐ الأغاني وفيديو كليب ☐

أخرى: ---

22) كيف تفضل مشاهدة القنوات الفضائية؟

مع العائلة ☐ مع الأصدقاء ☐ بمفردك ☐

23) هل متابعتك للقنوات الفضائية تؤثر على لغة حديثك؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

24) هل هذا التأثير؟

إيجابي ☐ سلبي ☐

كيف: --

25) هل تؤيد استخدام اللغة العربية في الحوارات اليومية حفاظا على الهوية الوطنية؟

نعم ☐ لا ☐

26) هل تحفظ النشيد الوطني؟

نعم ☐ لا ☐

27) هل تعلم بأن النشيد الوطني هو أحد مقومات الهوية الوطنية الجزائرية؟

نعم ☐ لا ☐

28) من هو مؤلف النشيد الوطني الجزائري؟ -------------------------------------

29) ما هي هذه التواريخ:

التاريخ	اسم التاريخ أو عنوانه
19 مارس 1962	
05 جويلية 1962	
11 ديسمبر 1960	
18 فيفري	
19 ماي 1956	

30) هل تعرف هذه الشخصيات؟

الشخصية التاريخية	دورة في السجل التاريخي
الراحل هواري بومدين	
الشهيد العربي بن مهيدي	
رابح بيطاط	
حسين آيت أحمد	

31) في أي مجال تحب أن ترى الجزائر موجودة وبقوة؟

- السياسي ☐
- الاجتماعي ☐
- الثقافي ☐

أخرى: --

32) هل تعتقد بأن الشباب الجزائري على دراية بتاريخ بلاده؟

نعم ☐ لا ☐

المحور الرابع: الثقافة الجماهيرية والقيّم الاجتماعية للهوية بالنسبة للشباب

33) هل ترى أن وسائل الاتصال قد أثرت على العلاقات الأسرية؟

نعم ☐ لا ☐

34) حسب رأيك هل ما تبثه القنوات الفضائية العربية من برامج وحصص يتوافق مع قيّمنا السائدة

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

35) حسب رأيك هل ما يُعرض عبر مواقع الأنترنات من معلومات وصور يتوافق مع قيمنا السائدة؟

كثيرا ☐ أحيانا ☐ أبدا ☐

36) في المناسبات والأعياد الوطنية كيف تكون طريقة إتصالك بالعائلة؟

- **عبر رسائل SMS** ☐
- **عبر السكايب** ☐
- **مكالمة هاتفية** ☐
- **زيارة شخصية** ☐

37) ما هي القنوات الفضائية التي تفضلها؟

- **باقة MBC** ☐
- **باقة الجزيرة** ☐
- **باقة القنوات الجزائرية** ☐
- **قنوات أجنبية** ☐

قنوات أخرى: --------------------------

38) بناءً على القناة المفضلة لديك ما هي الثقافة التي تفضلها

- **السياسيــة** ☐
- **الرياضيـــة** ☐
- **الثقافـــــة** ☐
- **الاجتماعية** ☐

أخرى: ---

39) ما هي المسلسلات الاجنبية التي تفضلها

- الأجنبيـــة ☐

- العربيـــــة ☐

- الجزائريــة ☐

أخرى: ---

40) هل ترى تأثير هذه المسلسلات على الموضة واللباس وقصات الشعر؟

نعم ☐ لا ☐

41) هل تفضل استهلاك المواد المعلن عنها في القنوات الفضائية؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

42) هل تفضل استخدام الماركات العالمية في اللباس والعطور وكل شيء؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

43) وفقا لما تراه في الواقع هل ما زال الشباب محافظين على العادات والتقاليد؟

نعم ☐ لا ☐

لماذا؟ --

44) هل تعتقد أن عادات وتقاليد الدول الغربية أحسن من عاداتنا وتقاليدنا؟

نعم ☐ لا ☐ أحيانا ☐

45) بناءً على الواقع المعاش؛ هل الشباب يفضل الاحتفال بالطريقة:

- فلكلـــور محلي ☐

- الطريقة الغربية ☐

طريقة أخرى: ---

46) ما هي الاكلة المفضلة لدى الشباب الجامعي؟

- الأكلات الخفيفة السريعـة □

- الاكـــــــلات الشعبيـــة □

47) ما هي المشروبات المفضلة لدى لشباب؟

- باربيكان □

- سفن آب □

- بيبسي □

-كوكا كولا □

أخرى: --

48) ما هي الألبسة المفضلة لديك؟

- اللباس الرياضي □

- اللباس الرسمي □

- اللباس التقليدي □

- اللباس من نوع الجينز□

49) ما هي الأغاني الأكثر رواجا بين الشباب؟

- الأغاني الشعبية □

- أغاني الراب □

- أغاني الراي □

- الأغاني الهندية □

- أغاني أجنبية ☐
- أناشيد إسلامية ☐

أخرى: --

50) هل تعتقد أن الشباب في الوقت الحالي اكثر تمردا على القيّم الاجتماعية؟

نعم ☐ لا ☐

51) هل تعتقد أن الشباب ليس على دراية بالهوية الوطنية الجزائرية؟

نعم ☐ لا ☐ لا أعلم ☐

52) ما هي الهوية بالنسبة لك:

- نشيـــد وطنـــي ☐
- جنسية جزائرية ☐
- عادات وتقاليد ☐

53) في خضم ما تنشره الثقافة الاستهلاكية هي اصبح فيه تعريف واضح للهوية؟

نعم ☐ لا ☐ لا أعلم ☐

(ملحق 02)

جدول المحكمين

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	مكان العمل	البلد
محمد الفاتح المحمدي	**أستاذ محاضر أ**	قسم اعلام واتصال- جيجل	**الجـزائر**
هاشم خميس طــارق	**أستاذ التعليم العالي**	قسم علوم التربية- تكريت	**العــراق**
فايــز أبـوستــــــة	**أستاذ التعليم العالي**	قسم-علم اجتماع-فلسطين	**فلسطين**
ميمونة مناصريـــــة	**أستاذ محاضر.أ**	قسم علم اجتماع- بسكرة	**بسكــرة**
سكينـة العــابـــــد	**أستاذة محاضرة. ب**	كلية علوم الإعلام والاتصال والسمعي البصري-تخصص صحافة	**قسنطينة**
ليـلى فيــــلالـــــي	**أستاذ محاضر ب**	جامعة الأمير عبد القادر- قسنطينة	**الجزائــر**
أحمد موسى بدوي	**أستاذ التعليم العالي**	جامعة القاهرة	**مصــــر**

المصدر: إعداد الباحثة

ملخص الدراسة:

تهتم هذه الدراسة بموضوع "**دور الثقافة الجماهيرية في تشكيل هوية الشباب الجامعي –دراسة ميدانية بجامعة محمد خيضر بسكرة**"، والذي تسعى الباحثة من خلاله للكشف عن عمل الثقافة الاستهلاكية للتأثير على الهوية والثقافة الفرعية الخاصة بفئة الشباب.

فالهوية هي من بين المواضيع التي نالت اهتمام واسع من قِبل الباحثين والمفكرين في مجالات عدة، وتُعد هذه الدراسة السوسيو إتصالية إحدى هذه الدراسات التي تُعنى بالكشف عن أهم الميكانيزمات والأساليب المعتمدة من طرف الثقافة الجماهيرية ووسائل الإتصال والإعلام، مستهدفة الهوية خاصة وأن هذه الفئة المجتمعية تُعد أهم شرائح المجتمع، عماد الأمة وقوتها، حاضرها ومستقبلها، إن صلُحت صلح المجتمع، وإن إنزاحت عن معالم الدولة الجزائرية وأهم مقوماتها جزائرية وأهم مقوماتها ستطمس الهوية الوطنية، فلا يستطيع أي مجتمع أن يعيش دون هوية تميّزه عن باقي الثقافات والهويات.

إذن سعت هذه الدراسة للإجابة عن السؤال الآتي:

- ❖ كيف تعمل الثقافة الجماهيرية على تشكيل هوية الشباب الجامعي؟

واستنبطنا منه التساؤلات الفرعية الآتية:

- ❖ كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على العناصر الدينية المكونة لهوية الشباب الجامعي؟
- ❖ كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على اللغة والعناصر الوطنية المكونة لهوية الشباب الجامعي؟
- ❖ كيف تؤثر الثقافة الجماهيرية على العناصر الاجتماعية المكونة لهوية الشباب الجامعي؟

بالموازاة مع ذلك سعت هذه الدراسة لتحقيق جملة من الأهداف أهمها:

الكشف عن الدور القيمي الثقافي الاستهلاكي للثقافة الجماهيرية بالنسبة لأهم شرائح المجتمع، كذلك التعرف على العناصر الدينية، اللغة، العناصر الوطنية، العناصر الاجتماعية المكونة للهوية الجزائرية الخاصة بالشباب، وكيف يتم التأثير عليهم ليخلق ثقافة استهلاكية.
الكلمات المفتاحية: الثقافة الجماهيرية، الثقافة، الشباب، الهوية.

Résumé d'étude:

Cette étude porte sur le thème «**le rôle de la culture de masse dans la formation du champ d'étude de l'identité des jeunes universitaires à l'Université de Mohamed KHIDER Biskra**. L'objectif de cette recherche est de détecter l'influence de la culture de masse sur l'identité et la sous-culture pour la catégorie des jeunes.

L'identité est parmi les sujets qui ont intéresse et attiré. L'attention des chercheurs et penseurs dans plusieurs domaines. De plus, cette étude socio communicationnelle est l'une des études, qui traitent de la divulgation des mécanismes les plus importants par la culture de masse de travail, des moyens de communication et des médias, ciblant l'identité, d'autant est la plus que cette catégorie de la communauté est la plus importante segments de la société, la nation et la force du présent et du futur. Cette jeunesse est la composante de L'Algérie qui constitue le pilier de la nation.

Si cette jeunesse est perdue l'identité nationale sera atteinte et toute société ne peut vivre sans identité qui le distinguent des autres cultures et des identités.

Donc, cette étude a cherché à répondre à la question suivante:

- **Comment la culture de masse influe sur la formation de l'identité de la jeunesse universitaire**?

Cette question nous a conduit à sous les questions:

- **Comment la culture de masse affecte les composantes de l'identité des éléments religieux de la jeunesse universitaire?**
- **Comment la culture de masse affecte la composante linguistique de l'identité de la jeunesse universitaire et des éléments nationaux?**
- **Comment la culture de masse affecte les composantes de l'identité des éléments sociaux de la jeunesse universitaire**?

Parallèlement à cette étude on a cherché à atteindre un certain nombre d'objectifs, y compris:

Détecter le rôle moral de la culture culturelle de consommation de masse pour les différentes catégories les plus importantes de la société, ainsi que d'identifier les éléments religieux, la langue, les éléments nationaux, composé de l'identité des éléments sociaux de la jeunesse algérienne, et comment les influencer pour créer une culture de consommation.

Les mots–clés: La culture de masse, La culture, La jeunesse, l'identité

تم بحمد الله